د. سليمان بن سالم بن ناصر الحسيني

الحملات التنصيرية إلى عُمان والعلاقة المعاصرة بين النصرانية والإسلام

دار الحكمة
لندن

الحملات التنصيرية إلى عُمان
والعلاقة المعاصرة بين النصرانية والإسلام

(دراسة)

EVANGLICAL MISSIONS TO OMAN
and
The Contemporarily Christianity-Islam Relationship

الدكتور

سليمان بن سالم بن ناصر الحسيني

دار الحكمة

لندن

شكر وتقدير

يسرني، مؤلف الكتاب، أن أتقدم بخالص الشكر والتقدير إلى كل الذين ساهموا في تكوين مادة هذا الكتاب وإخراجه بشكله النهائي وأخص بالشكر كل من:

سماحة الشيخ الجليل أحمد بن حمد الخليلي المفتي العام لسلطنة عمان (حفظه الله) الذي أعطاني من وقته وعلمه الكثير خاصة في ما يتعلق بوجهة نظر سماحته في موضوع الحوار الإسلامي - النصراني. وأشكر سماحته على تشجيعه الدائم لإخراج البحث إلى النور ونشره ليتسنى للقارئ المهتم الإطلاع على مادته.

كما أشكر كل الشكر القسيس ماريا أنثوني Rev. Fr. Maria Anthony الذي عمل في الكنيسة الكاثوليكية في الغبرة، بسلطنة عمان والقسيس الفرد فايق صامويل الذي عمل في الكنيسة البروتستنتية في روي بسلطنة عمان على تفضلهما بالسماح بمقابلتي وإعطائي المعلومات المهمة والضرورية حول الحوار بين النصرانية والإسلام.

كما أشكر أخي الدكتور سليمان بن سيف الغتامي على جهوده الرائعة في تصحيح الكتاب لغويا وعلى آرائه وإقتراحاته البناءة في مرحلة كتابة هذه الدراسة.

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمـة

الحمد لله رب العالمين. وأشهد أن لا إله إلا الله الواحد الأحد الفرد الصمد الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد، وأشهد أن محمدا – صلى الله عليه وآله وسلم – عبد الله ورسوله، وأن ما جاء به حق من عند الله. وأشهد أن الدين عند الله الإسلام (ومن يبتغ غير الإسلام دينا فلن يقبل منه وهو في الآخرة من الخاسرين)[1].

إن نشاط المؤسسات التنصيرية الغربية في عمان حقيقة تاريخية توشك أن تصبح شبه أسطورة في الذاكرة العمانية؛ بسبب إهمال القلم العماني لتسجيل أحداثها وتناول ملابساتها ونتائجها، بالرغم من الكم الهائل من المؤلفات التي أصدرها المنصرون أنفسهم عن أنشطتهم في عمان. غير أن خلو المكتبة العمانية من أعمال تتناول هذا الموضوع الحساس بالدراسة والتحليل، يمكن أن يُعَّد – بطريقة أو بأخرى – ثغرة ثقافية وفكرية في الإنتاج العلمي العماني.

وهذا الكتاب محاولة متواضعة لدراسة نشاط المؤسسات التنصيرية الغربية في عمان منذ وصول القسيس الإنجليزي هنري مارتن مسقط في ١٢٢٦هـ/١٨١١م حتى نهاية الدور التنصيري الذي قامت به ما عرفت باسم "الإرسالية العربية" – الأمريكية المنشأ – التي اتخذت عمان ميدانا لنشاطها ابتداء من ١٣١١هـ/١٨٩٣م إلى ١٣٩٠هـ/١٩٧٠م. ويحاول الكتاب كذلك أن يربط ماضي نشاط المؤسسات التنصيرية بفكرها المعاصر من خلال مناقشة مفهوم الحوار بين النصرانية والإسلام كنموذج جديد في إطار العلاقة بين العالمين النصراني والإسلامي، وعلاقة ذلك بالمفهوم المعاصر للتنصير كما سبكته عقول منظري الكنائس الغربية وقادتها.

---

[1] سورة آل عمران الآية ٨٥.

والكتاب، لذلك، وصفي في بعض جوانبه، يكتفي بسرد الأحداث التاريخية، وتلحيلي/تفسيري في بعض الجوانب الأخرى، يحلل الوقائع ويقدم تفسيراً للأحداث والنتائج.

وبسبب أهمية هذا الموضوع من وجهة نظري، ورغبتي في أن اقدم عملا متكاملا أكثر منه موجزا، حاولت أن أجعل هذا الكتاب شاملاً أكبر قدر ممكن من جزئيات الموضوع، ومقدماً تغطية للجوانب التي لم تتطرق إليها الدراسات والمؤلفات التي عنيت بمناقشة هذه القضية على مستويات أعم - كالتنصير في الخليج، أو الوطن العربي، أو العالم الإسلامي. لذا فقد يبدو هذا الكتاب مفصَّلاً في بعض مواضعه بشكل مستفيض، أو اكثر إسهابا مما يتوقع أو يفضل القارئ الكريم.

ومراعاة للدقة في نقل المعلومة وتوصيلها للقارئ، وتجنبا للوقوع في الأخطاء والمغالطات التاريخية، فقد اعتمدت على المراجع والمصادر التي كتبها المنصرون أنفسهم، أو من يعبر باسمهم عن نشاطهم التنصيري كمصادر أولية لمادة هذا الكتاب. وقد تجنبت الأخذ من الكتب والمؤلفات الثانوية التي يمكن أن تخلّ بصحة المعلومة، ومصداقية الكتاب. كما تجنبت للسبب نفسه، الاعتماد على النقل الشفوي لرواية الأحداث.

وفيما يتعلق بترجمة النصوص التي نقلتها من اللغة الإنجليزية فقد حاولت أن أحافظ على روح النص الأصلي الذي غالبا ما يحمل طابعا دينيا تنصيريا حيث كتبت أغلب تلك النصوص بأقلام المنصرين وغيرهم من رجال الكنيسة الغربية. وقد وضعت النص المترجم بين علامتي تنصيص على النحو التالي "..."، وفي حال قيامي بزيادة كلام من عندي على الكلام المقتبس - من أجل توضيح المعنى- فقد وضعت كلامي بين هذين القوسين [...]. ووثَّقت في هامش الصفحة مصدر الكلام المقتبس بذكر المؤلف وسنة النشر ورقم الصفحة، ثم ذكرت المرجع كاملا في قائمة المراجع.

وأما فيما يتعلق بالمصطلحات، فسأستخدم في تعبيري الخاص مصطلح النصرانية، وما ارتبط بها من كلمات مثل: نصراني والتنصير والمنصر، إلا في حال الكلام المقتبس الذي استخدم صاحبه مصطلح المسيحية أو المسيحي أو التبشير؛ حيث سألتزم حينها بالنقل الحرفي للكلام المقتبس سواء أكان من نص عربي أو من نص مترجم من الإنجليزية.

وإذ أقدم هذا العمل فإني لا أدعي الكمال والتميّز في شكله أو في طرح مادته، وإنما أعدّه محاولة، وعملاً متواضعاً لملء فراغ في مجاله، فإن وافق الحق، وكتب له التوفيق والنجاح والقبول فذلك من فضل الله، وإن كان عكس ذلك فإنني المسؤول الأول والأخير عن كل ما اعتراه من خلل ونقص. وعسى أن يجد هذا الموضوع أقلاما أكثر مقدرة من قلمي على طرحه بشكل أكثر قبولا، وبأسلوب أكثر رقيا، وأبلغ أثرا. وأرجو أن لا يتردد القادرون على التوجيه والتصحيح من القراء الكرام في إبداء ملاحظاتهم، والإعراب عن أفكارهم وآرائهم.

وصلى الله وسلم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين. والحمد لله رب العالمين.

المحتويات

المقدمـة ٥

المحتويات ٩

تمهيـد ١٧

١. النداءات والمحاولات التنصيرية الأولى ٢١

١. ١. القسيس هنري مارتن في عمان: الزيارة الريادية ٢١

١. ١. ١. هنري مارتن في مسقط ٢٢

١. ١. ٢. ملخص ٢٤

١. ٢. دعوة الجنرال فليكس هيج لتنصير الجزيرة العربية ٢٥

١. ٢. ١. الجنرال هيج يوجه الأنظار إلى الجزيرة العربية ٢٦

١. ٢. ٢. الجنرال هيج في عمان ٢٩

١. ٢. ٣. عمان كحقل تنصيري ٣٢

١. ٢. ٤. ملخص ٤٨

١. ٣. نداء القسيس الاكزندر ماكاي بتنصير عمان ٥٠

١. ٣. ١. تقرير الإكزندر ماكاي ٥٠

١. ٣. ٢. هل عمان هي السبب؟ ٦٠

١. ٣. ٣. ملخص ٦٥

١. ٤. نشاط الأسقف توماس فرنش التنصيري في عمان: التجربة التنصيرية الأولى ٦٦

١. ٤. ١. شخصه وحياته ٦٦

١. ٤. ٢. الزيارات الأولى لعمان ٦٨

١. ٤. ٣. التوجه إلى عمان عبر الشمال الإفريقي ٦٩

١. ٤. ٤. الأسقف فرنش في مسقط: ٧٦

١. ٤. ٥. ملخص ٩٤

٢. الإرسالية العربية: سبعة وسبعون عاما من النشاط التنصيري في الوسط العماني ٩٥

٢. ١. حقيقة الإرسالية العربية ٩٥
٢. ١. ١. نشأة الإرسالية العربية ٩٦
٢. ١. ٢. التوجه نحو الجزيرة العربية ١٠٢
٢. ١. ٣. التحديات والتوسع ١٠٥
٢. ١. ٤. نهاية الإرسالية العربية ١٠٩
٢. ١. ٥. ملخص ١١٢
٢. ٢. الإرسالية العربية في عمان ١١٤
٢. ٢. ١. إرساء القواعد في مسقط ١١٤
٢. ٢. ٢. العوامل المشجعة على التنصير ١٢١
٢. ٢. ٣. ملخص ١٢٦
٢. ٣. الجولات التنصيرية ١٢٧
٢. ٣. ١. الطرق والأهداف ١٢٧
٢. ٣. ٢. الجولات الريادية ١٣٢
٢. ٣. ٤. ملخص ١٦٢
٢. ٤. نشر الأدب النصراني ١٦٣
٢. ٤. ١. أساليب نشر الأدب النصراني ١٦٣
٢. ٤. ٢. إنشاء أول مطبعة في عمان ١٦٥
٢. ٤. ٣. التحول إلى مكتبة عامة ١٦٨
٢. ٤. ٤. ملخص ١٧١
٢. ٥. المرأة ١٧٣
٢. ٥. ١. المرأة المسلمة في أعين المنصرين ١٧٤
٢. ٥. ٢. المُنَصِّرات ١٧٧
٢. ٥. ٣. النشاط التنصيري النسائي ١٧٩
٢. ٥. ٤. ملخص ١٨٦

٢. ٦. التعليم.. ١٨٧
٢. ٦. ١. المحاولات الأولى.. ١٨٧
٢. ٦. ٢. المدرسة الصناعية للرقيق المحرَّرين بمسقط.............................. ١٨٩
٢. ٦. ٣. عودة النشاط التعليمي.. ١٩٧
٢. ٦. ٤. ملخص.. ٢٠٧
٢. ٧. الطب.. ٢٠٩
٢. ٧. ١. تأسيس النشاط التنصيري الطبي في عمان................................ ٢٠٩
٢. ٧. ٢. مستشفيا الإرسالية في مسقط ومطرح..................................... ٢١٢
٢. ٧. ٣. الجانب الصحي والخدمات العلاجية..................................... ٢٢٢
٢. ٧. ٤. الجولات التنصيرية الطبية.. ٢٣٠
٢. ٧. ٥. انتقال الخدمات الصحية إلى الحكومة.................................... ٢٤٥
٢. ٧. ٦. ملخص.. ٢٥١
٢. ٨. عناصر الإرسالية العربية في عمان....................................... ٢٥٣
٢. ٨. ١. الإرساليون الأمريكيون.. ٢٥٣
٢. ٨. ٢. باعة الأناجيل.. ٢٧٥
٢. ٨. ٣. نصارى القارة الهندية.. ٢٧٨
٢. ٨. ٤. الأوربيون.. ٢٨١
٢. ٨. ٥. العناصر المحلية.. ٢٨٤
٢. ٨. ٦. ملخص.. ٢٩٠
٣. نتائج التنصير وملابساته وفلسفتة... ٢٩٢
٣. ١. التنصير نجاح أم إخفاق؟.. ٢٩٢
٣. ١. ١. المتنصرون.. ٢٩٢
٣. ١. ٢. بحث المنصرون عن أسباب الإخفاق..................................... ٣٠١
٣. ١. ٣. أسباب تجاهلها المنصرون.. ٣٠٩

٣. ١. ٤. هل حدث تنصير فعلا ؟! ٣٢٠
٣. ١. ٥. ملخص ٣٢٨
٣. ٢. التنصير والنفوذ البريطاني في عمان ٣٣٠
٣. ٢. ١. حقيقة النفوذ البريطاني في عمان.. ٣٣٠
٣. ٢. ٢. المنصرون والنفوذ البريطاني في عمان ٣٦٦
٣. ٢. ٣. ملخص ٣٧٤
٣. ٣. قراءة في فكر صامويل زويمر التنصيري ٣٧٥
٣. ٣. ١. الخلفية الاجتماعية والدينية ٣٧٦
٣. ٣. ٢. زويمر والنشاط التنصيري.. ٣٧٧
٣. ٣. ٣. منهجيته البحثية، ومفهومه للدين الإسلامي ٣٨٢
٣. ٣. ٤. البُعْدُ التنصيري ٤١٢
٣. ٣. ٥. صامويل زويمر في عمان ٤٣٥
٣. ٣. ٦. ملخص.. ٤٣٨
٤. ما بعد عصر التنصير ٤٣٩
٤. ١. واقع الجالية النصرانية في عمان بعد ١٣٩٠هـ/١٩٧٠م.. ٤٣٩
٤. ١. ١. الإرسالية العربية في ضوء تطورات ١٣٩٠هـ/١٩٧٠م ٤٣٩
٤. ١. ٢. التسامح الديني ٤٤١
٤. ١. ٣. ملخص.. ٤٤٤
٤. ٢. الحوار بين الجالية النصرانية والمسلمين في عمان.. ٤٤٥
٤. ٢. ١. الحوار اصطلاحا ٤٤٥
٤. ٢. ٢. الحوار نشأة وبداية ٤٤٩
٤. ٢. ٣. الحوار بين الجالية النصرانية والمسلمين في عمان (من وجهة نظر الجالية النصرانية).. ٤٦٠
٤. ٢. ٣. الحوار بين الجالية النصرانية والمسلمين في عمان من وجهة نظر المسلمين٤٦٨

٤. ٢. ٤. ملخص ٤٧٢

٤. ٣. التنصير في عصر الحوار: رؤية عامة **٤٧٦**

٤. ٣. ١. التنصير في إطاره التاريخي ٤٧٦

٤. ٣. ٢. مفهوم التنصير المعاصر والمؤسسات التنصيرية ٤٨٣

٤. ٣. ٣. ملخص ٤٩٩

الخاتمة **٥٠١**

المراجع **٥٠٩**

(وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُم مِّن بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّاراً حَسَداً مِّنْ عِندِ أَنفُسِهِم مِّن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْحَقُّ فَاعْفُواْ وَاصْفَحُواْ حَتَّى يَأْتِيَ اللّهُ بِأَمْرِهِ إِنَّ اللّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ)

سورة البقرة الآية ١٠٩

تمهيد

يُعَدُّ الأسقف الإنجليزي هنري مارتن الذي قام بزيارة قصيرة لمسقط في ١٢٢٦هـ/١٨١١م، أول المنصرين الغربيين الذين جاءوا إلى عمان لهدف مرتبط بالتنصير. وفي ١٣٠٢هـ/١٨٨٥م قام الجنرال هيج ضابط البحرية البريطانية بكتابة تقرير مطول يدعو فيه الكنائس الغربية إلى إنشاء إرساليات تنصيرية في عمان ومناطق شبه الجزيرة العربية الأخرى. وبناء عليه فقد كلفته "الجمعية الإرسالية الكنسية" البريطانية القيام بجولة استكشافية في شبه الجزيرة العربية زار أثناءها عمان في ١٣٠٤هـ/١٨٨٧م، حيث وصل إلى مدينة سمائل. وفي ١٣٠٥هـ/١٨٨٨م رفع الأسقف الإنجليزي الإكزندر ماكاي الذي كان يعمل في إحدى الإرساليات في أوغندا نداء يطالب فيه بالشروع المباشر والفوري بتنصير عمان. ونتيجة لهذه النداءات والتقارير، وصل مسقط في ١٣٠٨هـ/١٨٩١م الأسقف الإنجليزي توماس فالبي فرنش في مبادرة فردية للتنصير في عمان.

وفي ١٣١٠هـ/١٨٩٣م قام القسيس بتر زويمر عضو "الإرسالية العربية" التي تأسست في أمريكا في ١٣٠٦هـ/١٨٨٩م بافتتاح مركز تنصيري في مسقط استمر النشاط التنصيري فيه حتى عام ١٣٩٠هـ/١٩٧٠م. وقد زوّدت الإرسالية العربية مركزها في عمان بعدد كبير من المنصرين الأمريكيين والأوربيين والهنود، والتحق للعمل بها بعض أفراد المجتمع المحلي. وتنوعت الأنشطة التنصيرية للإرسالية بين إنشاء المستشفيات التنصيرية في مسقط ومطرح، والتعليم، وتوزيع الإنجيل وكتب الأدب النصراني الأخرى، والجولات التنصيرية في إطار مسقط والمدن والقرى الساحلية والداخلية. كما أعطت الإرسالية العربية اهتماما خاصا بالعمل التنصيري في الوسط النسائي. وكان الهدف الذي حدده المنصِّرون لنشاطهم في عمان هو تحويل المجتمع العماني المسلم بأكمله إلى النصرانية، وإنشاء كنيسة محلية تستولي على

مقاليد الحكم، ويتم بعد ذلك العمل في مؤسسات الدولة بمشرِّعات الديانة النصرانية. ويَدَّعي المنصرون أنهم تمكنوا من تحويل عدد كبير من الناس في عمان إلى النصرانية، إلا أن هذا الإدعاء يفتقر إلى الدليل.

شهد عام ١٣٩٠هـ/١٩٧٠م نهاية دور المؤسسات التنصيرية الرسمي في عمان. ومنذ ذلك العام شهدت عمان أنفتاحا كان من نتائجه وفود أعداد لا بأس بها من النصارى للعمل في القطاعين الحكومي والخاص. ونظرا لسياسة التسامح الديني الذي تنتهجها الحكومة العمانية، تتمتع الجالية النصرانية في عمان بحق ممارسة الشعائر الدينية، حيث خُصص لها أماكن لبناء كنائس في كل من مسقط وصلالة وصحار.

ويشهد الوقت المعاصر انبثاق نمط جديد للعلاقة بين النصرانية والإسلام، يختلف عن النمط السائد إبان فترة الاستعمار الغربي للدول الإسلامية. فقد قامت الكنائس الغربية بمراجعة علاقتها بالعالم الإسلامي بعد الفشل الذي منيت به سياساتها التنصيرية السائدة أثناء الحقبة الاستعمارية. فبرز اليوم مصطلح "الحوار" كنسق لعلاقة جديدة بين النصرانية والإسلام. لكن الكنائس الغربية لا تزال تتمسك بما تعده حقا في تنصير العالم. وتوجد الآن في الغرب الكثير من المؤسسات والجمعيات التنصيرية النشطة. وقد نشأ عدد من المجموعات التنصيرية المتطرفة والأصولية والصهيونية التي تستهدف العالم الإسلامي بشكل خاص في برامجها التنصيرية.

هيكل زمني لأهم الأحداث التاريخية
في مجال التنصير في هذه الدراسة

● ٢١ أبريل ١٨١١م وصل مسقط القسيس الإنجليزي هنري مارتن

● ١٨٨٥ نشر الجنرال هيج تقريرا يدعو فيه إلى تنصير الجزيرة العربية

● ١٨٨٧ زار الجنرال هيج عمان ضمن الجولة الإستكشافية التي قام بها بين ٨٦ ـ ١٨٨٧م في شبة الجزيرة العربية مكلفا من قبل «الجمعية الإرسالية الكنسية» Church Mission Society البريطانية

● ١٨٨٨م رفع القسيس الإنجليزي الإكزندر ماكاي الذي كان يعمل في المجال التنصيري في أوغندا نداء بالشروع المباشر والفوري في إنشاء نشاط تنصيري في مسقط

● ١٨٨٩م تأسست في الولايات المتحدة الأمريكية «الإرسالية العربية» التي إستهدفت بنشاطها التنصيري عمان ومنطقة الخليج العربي

● ١٨٩١م وصل مسقط القسيس الإنجليزي توماس فالبي فرنش لإنشاء نشاط تنصيري

● ١٨٩٣م أنشأت «الإرسالية العربية» مركزها التنصيري في مسقط

● ١٩٧٠م منعت حكومة سلطنة عمان «الإرسالية العربية» من ممارسة نشاطها التنصيري في البلد وعرضت التعاون في مجال الخدمات الطبية

● ١٩٧٠م وصاعدا نشوء جالية نصرانية في عمان

● ١٩٧٣م حلت «الإرسالية العربية» نهائيا من قبل مؤسسيها في الولايات المتحدة الأمريكية

. النداءات والمحاولات التنصيرية الأولى

١. ١. القسيس هنري مارتن[١] في عمان: الزيارة الريادية

"... أنا الآن في شبه الجزيرة العربية. ولكي أحكم على المكان منطلقا من طبيعة الأرض لا يوجد إلا القليل مما يشد الانتباه، مقارنة باسمها، إلا إن كانت الصخور القاحلة والمتوهجة تعطي فكرة عن السعادة، لكن بما أنه يوجد وعد مدخر لبني يقطان[٢] فإن أرضهم قد تكون في يوم من الأيام مباركة بحق...".

هنري مارتن[٣]

ربما يكون القسيس هنري مارتن (Henry Martyn) أول المنصرين الغربيين الذين وطئت أقدامهم عمان؛ لغرض مرتبط بالتنصير. وقد تركت زيارته أثراً في نفوس المنصرين الذين جاءوا من بعده. وأخذوا يستشهدون الواحد تلو الآخر بأقواله في كتاباتهم على الحلم الذي يدغدغ مخيلتهم بتخلي أهل الجزيرة العربية عن الإسلام، واعتناقهم النصرانية، وانتشارها في كل صقع من أصقاع بلاد العرب.

---

[١] ولد هنري مارتن في المملكة المتحدة في ١٨ فبراير ١٧٨١م وتوفي في ١٦ أكتوبر ١٨١٢م في أرمينيا. ألتحق للدراسة في كلية القسيس جون، جامعة كيمبرج في ١٧٩٧م. دفعته اهتماماته الدينية نحو العمل الكنسي والإرسالي. وعرضت عليه شركة الهند الشرقية العمل واعظا في الهند فتوجه إلى مقر عمله في دينابور (Dinapur) في ١٨٠٦م. ومن أهم أعماله ترجمة الإنجيل إلى اللغات العربية (نشر عام ١٨١٦م) وا الهندوستانية والفارسية واشتراكه في حوارات مفتوحة مع علماء مسلمين مثل ميرزا إبراهيم.

[٢] الاسم في النص الإنجليزي 'جوكتان' (Joktan) أما في النسخة العربية من العهد القديم (سفر التكوين ١٠/٢١-٢٧) فقد كتب 'يقطان'، وتكملة نسبه في سفر التكوين أنه يقطان بن عابر بن شالح بن أرفكشاد بن رام بن سام بن نوح (النبي- عليه السلام). وحسب أساطير العهد القديم فإن يقطان هذا هو أحد أباء العرب الذين قطنوا شبه الجزيرة العربية. ويدعي مؤلفو "The Interpreter's Dictionary of The Bible"، إصدار "Abingdon Press"، نيويورك، ١٩٦٢م- وهو قاموس موسوعي عني بترجمة أعلام التوراة- بأن علماء السلالات والمؤرخين العرب يقولون بأن يقطان هو قحطان، جد العرب. ولا يقر مؤلفو الموسوعة للعرب بذلك ويعتبرون قحطان شخصية خرافية. ونحن هنا نأخذ الرسم العربي للاسم 'يقطان' من النسخة العربية مما يُدّعى أنه التوراة بدون تتبع الحقيقة التاريخية للاسم، فلسنا بحاجة للخوض في متاهات خرافات العهد القديم وخزعبلات اليهود.

[3] Wilberforce, Samuel (ed) (1855)، ص ٣٦٩.

كتب مارتن هذا الكلام في رسالة بعث بها من مسقط في ٢٢ إبريل ١٨١١م إلى إمرأة تسمى الآنسة ليديا جرنفل (Lydia Granfell).

١. ١. ١. هنري مارتن في مسقط

وصل هنري مارتن مسقط في ١٢٢٦هـ/٢١ أبريل ١٨١١م قادما من الهند، حيث كان يعمل منصِّرا. لم يكن هدف زيارته العمل التنصيري البحت في الوسط العماني، بل كان يريد التعرف على المستوى الثقافي واللغوي للمجتمع العربي في شبه الجزيرة العربية. فقد كان معنيًّا بترجمة الإنجيل إلى اللغتين العربية والفارسية. وبلغت إليه أنباء عدم رضا القراء عن الترجمة الفارسية التي أرسل منها نسختين تجريبيتين إلى إيران. فقرر آنذاك المجيء بنفسه إلى شبه الجزيرة العربية وإيران؛ من أجل التعرف على اللغة المناسبة؛ فيصحح الأخطاء التي احتوت عليها الترجمة الفارسية الجاهزة ويتفادى الأخطاء التي يمكن أن تحدث في النسخة العربية التي ما زالت طور الإعداد[١].

واستمرت زيارة هنري مارتن لعمان خمسة أيام فقط، حيث غادرها في ٢٥ أبريل ١٨١١م متوجها إلى بوشهر ليكمل رحلته في إيران. لم يتمكن هذا القسيس من زيارة أماكن أخرى غير مسقط في عمان، كما لم يلتق السلطان الذي كان – حسب قوله – مشغولا بالحرب خارج مسقط. أما في مسقط فقد قام القسيس بالتجوال في الأسواق، والأماكن السكنية بصحبة رجل عماني يقوم على حراسته وخدمته[٢].

وبعث هنري مارتن بعدة رسائل من مسقط أهمها الرسالة المؤرخة في ٢٤ أبريل ١٨١١م حيث تحدث فيها، بشيء من الإيجاز، عن الوضع السياسي والاجتماعي للبلد. قال في تلك الرسالة "... ذهبت يوم الإثنين إلى الشاطئ بصحبة لوكت (Lockett) الذي كان ذاهبا إلى بغداد. فقد ذهبنا عبر السوق ثم صعدنا جبلاً لننظر منه إلى المنطقة، فكان كل ما رأيناه بشعا. كانت المدينة والبيوت وعلى

---

[١] Sargent, John (1844)

[٢] Sargent, John (1844)

مستوى جميع الضواحي أكثر حقارة وقذارة من بيوت الهند. لقد عددت في المكان كله ثلاث شجرات فقط، وكانت فيما أظن نخيلاً. كان الإمام أو السلطان[1] يقاتل الوهابيين على بعد ثلاثة أيام دفاعا عن مملكته. لقد جاء منهم ما يقارب خمسة آلاف منذ عدت من أيام فنهبوا إحدى مدنه التي تقع الآن تحت بصرنا. ويساند السلطان في حربه تلك ملك عربي آخر، إلا أن النصر يتحقق دائما للوهابيين. لقد قتل إمام مسقط عمه وجلس بدل أخيه الأكبر، الذي أصبح دون عمل، على كرسي العرش. لقد ذهب القبطان البارحة إلى الشاطئ لحضور مجلس استشاري لمناقشة العلاقات القائمة بين حكومة بومباي وهؤلاء الشيوخ الجبارين. وقد حضرت تلك الجلسة كمترجم. وقد كان ممثل الشركة رجلا هندوسيا مسنا لا يستطيع حتى النزول من على سريره. وقد جلس على الجهة المقابلة لممثل الشركة رجل كبير السن يبدو من تيهه وغباوته أنه يجادل عن الإمبراطورية [عمان]. وقد كان ذلك الرجل هو الوزير. وقد جلست أنا بينهم وجلس أمامي القبطان. ثم نطق الوزير بشيء بالعربية لم أستطع أن أفهم منه كلمة واحدة. فشرح الهندوسي العجوز ذلك الكلام بالفارسية، حيث أنه قد نسي لغته الهندوسية، وقمت أنا بعد ذلك بشرح ذلك إلى القبطان بالإنجليزية. وكنا جميعا في صبر لا يطاق حتى نخرج من ذلك المكان. إنني، برحمة الرب، بصحة جيدة إلا أنني فقدت مقدرتي على النوم بالليل منذ أن جئت إلى هنا..."[2].

ويعد المنصِّر الأمريكي صامويل زويمر[3] (Samuel Zwemer) مجيء هنري مارتن إلى عمان عملاً بطولياً في تاريخ التنصير في شبه الجزيرة العربية. ويدّعي أنه بعد المحاولة الفاشلة التي قام بها ريموند لول[4] (Raymund Lull) في

---

1 كانت هذه الزيارة في فترة حكم السلطان سعيد بن سلطان بن أحمد بن سعيد التي امتدت بين ١٨٠٧- ١٨٥٦م.

٢ Wilberforce, Samuel (ed) (1855)، ص ٣٧٥.

3 أنظر ٣. ٣.

٤ ريموند لول (١٢٣٥-١٣١٦م) قسيس أسباني ولد في جزيرة ماجوكرا (Majocra) وتعلم اللغة العربية من خلال الجالية العربية الكبيرة التي كانت تقيم في تلك الجزيرة. قام في ١٣١٥م بالعبور إلى شمال إفريقيا من أجل تنصير المسلمين. أعتمد

شمال إفريقيا في ١٣١٥م لم يسجل تاريخ التنصير في العالم العربي أي محاولة تنصيرية جادة حتى قيام هنري مارتن بهذه الزيارة في ١٨١١م. وفي هذا السياق يقول صامويل زويمر "لم يُعمل أي شيء لتقديم الإنجيل لشبه الجزيرة العربية أو للمحمديين[1] منذ زمن ريموند لول إلى زمن هنري مارتن أول الإرساليين المعاصرين إلى المحمديين. إن تاريخ هذين الرجلين هو كل ما يمكن أن يكتب عن العمل التبشيري من أجل العالم المحمدي من عام ٦٢٢م إلى ١٨١٢م. إذاً فقد كان إحساس كنيسة الرب قليلا بمسئوليتها تجاه الملايين من الذين يسيرون في الظلمات بعد النبي الكاذب"[2].

١. ١. ٢. ملخص

تعد هذه الزيارة القصيرة التي قام بها هنري مارتن لمسقط في ١٢٢٦هـ/١٨١١م مبادرة ريادية من قبل المنصرين الغربيين. فهي أول زيارة يقوم بها منصِّر غربي لهدف مرتبط بالتنصير. وبعد ذلك لم تسجل كتب المنصرين أي نشاط ذي طابع تنصيري استهدف عمان لمدة ٧٤ سنة تقريبا. وقد تكون مسقط مركز توقف لبعض المنصِّرين المسافرين بحرا بين الهند وشمال الخليج العربي وإيران، إلا أنها كانت توقفات عابرة لم تُعر بالا ولم تدون في مذكرات التنصيري لتلك الفترة. وانتهت فترة الصمت هذه عن عمان (و شبه الجزيرة العربية) بالنداء الذي وجهه ضابط البحرية الإنجليزية الجنرال فليكس تيكاري هيج في ١٣٠٢هـ/١٨٨٥م إلى الكنائس

اسلوبه التنصيري على المناقشات الفلسفية التي يهاجم بها الاسلام علانية فقتلته الحشود المسلمة الغاضبة رميا بالحجارة قرب مدينة بيجاية الجزائرية. Mason, Alfred De Witt (1926)

[1] كان الغرب وإلى عهد قريب يطلق على المسلمين اسم المحمديين نسبة إلى الرسول محمد– صلى الله عليه وسلم. لذا ستتكرر في هذا الكتاب مصطلحات مثل المحمديين والعالم المحمدي كلما كان هناك اقتباس مباشر من المصادر التي تستخدم مثل هذه المصطلحات.

[2] Zwemer, Samuel (1900 a)، ص٣١٥.

في المملكة المتحدة بتوجيه الأنظار إلى شبه الجزيرة العربية، واتخاذها حقلا للأنشطة التنصيرية.

١. ٢. دعوة الجنرال فليكس هيج لتنصير الجزيرة العربية

".. يبدو لي، بشكل عام، بأن الطريق الوحيد لتحويل هذه البلد [عمان] إلى المسيحية سيكون بواسطة الرسل؛ وهم رجال لديهم ملكة تامة باللغة العربية وبعض المعرفة بأدب العرب ومعرفة كاملة بالمحمدية، حيث يذهبون للقراءة، والوعظ، والتدريس أينما وجدوا آذانا صاغية لهم.... وإنني أميل إلى الاعتقاد بأن عالما عربيا يتجول بين الناس يَعِظُ، ويدرس بطريقة حكيمة، ومحبوبة لن يُعَارض أبدا. فهل يريد الرسل أي شيء أكثر من هذا؟...".

الجنرال هيج[١]

يعتبر الميجور جنرال فليكس تيكاري هيج[٢] (Felix Thackeray Haig)، ضابط البحرية الملكية البريطانية، من أهم الشخصيات المؤثرة في النشاط التنصيري في عمان وشبه الجزيرة العربية. فبعد الزيارة القصيرة التي قام بها القسيس الإنجليزي هنري مارتن لمسقط في ١٢٢٦هـ/١٨١١م لم تُسجل أي أنشطة تنصيرية

---

[١] Haig, C. A. H. Mrs. (1902)، ص ٩٢.

[٢] ولد في مدينة دنوك (Dundalk) في ايرلندا في ٢١ أغسطس ١٨٢٧م وتوفي في ٢٧ يوليو ١٩٠١م في بريطانيا. عمل ضابطا في البحرية الملكية البريطانية، وتركزت خدماته في الهند التي كانت آنذاك مستعمرة بريطانية. وبالرغم من أنه لم يكن إرساليا إلا أنه كان نشطا في مجال التنصير. وبعد تقاعده من الخدمة العسكرية سخر حياته لصالح الإرساليات الكنسية في الهند، وشمال إفريقيا، وشبه الجزيرة العربية، والمدن الأفريقية الواقعة على البحر الأحمر. ونتيجة لخبراته الطويلة في الشرق كان له صوت بارز في سائر الأنشطة الإرسالية. وله يرجع الفضل في إنشاء 'الجمعية الإرسالية لشمال إفريقيا' (North Africa Mission Society) التي شملت أنشطتها التنصيرية شمال الجزيرة العربية ومصر، إلى جانب إرسال الجمعية الكنسية الإرسالية (CMS) للدكتور هاربر (Dr Harpur) للعمل في الجانب العربي من البحر الأحمر وإنشاء إرسالية كيث فالكنور (Ion Keith Falconer) في عدن.
Deight, Henry O; Tupper, H. and Bliss, Edwin M (ed) (1904)

استهدفت عمان حتى بادر الجنرال هيج في ١٣٠٢هـ/١٨٨٥م إلى توجيه أنظار المؤسسات التنصيرية الغربية إلى هذا الجزء من العالم الإسلامي.

١. ٢. ١. الجنرال هيج يوجه الأنظار إلى الجزيرة العربية

لقد أيقظ طموح الجنرال هيج التنصيري همم المنصرين، ووجه أنظارهم نحو الجزيرة العربية التي لم تكن مدرجة في قوائم المؤسسات التنصيرية إلاَّ حين رفع في ١٣٠٢هـ/١٨٨٥م نداءً إلى الكنيسة بعنوان "الجزيرة العربية كحقل تبشيري" (Arabia as a Mission Field)[1] داعيا إلى تنصيرها وإنشاء الإرساليات التنصيرية فيها، قائلا في مقدمته "إني أود أن أوجه عنايتكم إلى أن الجزيرة العربية، المهملة إلى الآن، يمكن أن تصبح حقلا لنشاط تبشيري. إنني لا أوجِّه ندائي هذا إلى قسم معيَّن من الكنائس، فإني أرى بأن حاجات الوثنيين والعالم المحمدي أكثر اتساعا من أن نفترض للحظة واحدة أنه يمكن تلبيتها بغير جهد موحد من الجميع، مهما كان انتماؤهم الكهنوتي. وإنما أوجه هذا النداء للذين يعترفون بالعهد العظيم الذي فرضته أوامر المخلص على كنائسهم بتبليغ الإنجيل إلى كل كائن. إن ندائي موجه إلى كنيسة المسيح بشكل كلي. وإني أطلب منهم أن ينظروا هل الطريق الآن غير مفتوح لتحويل الجزيرة العربية إلى المسيحية؛ وهل يمكن تقديم أي عذر صادق لاستثناء تلك البلد من مشاركة الوكالات المحسنة التي تقوم بتوصيل الإنجيل إلى كل جزء في العالم تقريبا. إني لا أظن بأنه ضروري أن نؤكد على أن تحقيق هذا الهدف لا يكون أمرا خاليا من المخاطر والصعاب المرعبة، فإنه من الممكن أن يوجد خطر في أي ظرف من الظروف سواء بسبب الطقس أم المحمديين المتشددين، ولكن أظن بأنه قد ثبت أنه لا يمكن تشبيه العمل التبشيري في عدة أجزاء من الجزيرة العربية "بذهاب نعجة بين الذئاب". وإن كان الحال

---

[1] Zwemer, S. (1900 a)

كذلك، فإن ما نحتاجه هو رجال من ذلك الصنف الذين يملكون الأرواح الشجاعة، والحماسة المتوقدة لتخليص النفوس. وهؤلاء الرجال، بكل تأكيد، يمكن الحصول عليهم. وإذ أفترض هذا وبكل ثقة فإنني سأنتقل إلى وصف واقع حال القضية.

لا يمكنني أن أقول بأن المسيحية أو على الأقل إنجلترا لم تُعِر بالاً، ومنذ زمن بعيد، لهذه الأرض المجهولة. لا يمكننا أن ندعي للحظة واحدة، إننا لا نعرف هذه الأرض [الجزيرة العربية]. لقد كان البحر الأحمر ولمدة أربعين سنة، طريق الرحلات من وإلى الشرق. لقد أخذ الرب بأيدينا وقادنا بالآلاف سنة بعد سنة، على طول ألفي ميل من مواني الحجاز، واليمن، وحضرموت، وجعلنا ننظر إلى هؤلاء الملايين من العرب الجالسين في الظلمات، وتحت ظلال الموت. إن الآلاف بل وعشرات الآلاف من المسيحيين وبمختلف أسمائهم: رجال كنيسة، والمنشقين، ورسل، ورجال دين، وشماس، وكهنة، وأساقفة شاهدوا هذا المنظر العظيم، ولكن لم ينطق واحد منهم بصيحة أسى، أو يبعث بنداء إلى الكنيسة، أو حتى يقدم شيئا من الجهد. لقد استقرت القوات البريطانية وبأمان في عدن في الجنوب، والنفوذ البريطاني قوي للغاية في الخليج الفارسي. وجعل النفوذ البريطاني لنفسه، بواسطة موظف سياسي مقيم في مسقط، وجودا محسوسا للغاية في كل من عمان والأحساء في الشرق. وقد أمضى الرحالون الإنجليز الأشهرَ مع البدو في الشمال وفي شبه جزيرة سينا. وقد قطع بالجريف (Palgrave) منذ عشرين سنة البلاد من فلسطين إلى عُمان. ومع ذلك لا تزال الكنيسة خائفة من أن تضع قدما هناك، ولا تزال الاجتماعات الإرسالية تغنِّي بلطف كالمعتاد عن "حراس الجزيرة العربية"، وكأنه لا يمكن أن يُعمل شيء أبدا من أجلها. يعلن سنة بعد سنة عن تقديس مئات القساوسة الشباب الذين يعملون لصالح كنيسة إنجلترا، ولكن لا يتبرع على أقل تقدير ثلاثون منهم للخدمة الخارجية، بل ولا يتبرع حتى واحد منهم للخدمة في شبه الجزيرة العربية، في حين أن الأموال التي تصرف سنويا في لندن وحدها لزخرفة المذبح والمعابد، في عبادة شهوانية وشبه رومية، تكفي لإعاشة عدد من

الإرساليين. إنه ليس غريبا والكنيسة هذا حالها والحماس التبشيري في غيرها من الكنائس منخفض إلى درجة الجزر أن تكون كثير من السبل في العالم الوثني لم تطرق بعد، وأن يرتفع مد الوثنية في بلادنا أعلى وأعلى."[1].

وباعتبار الجنرال هيج خبيرا بالمنطقة فقد كلفته "الجمعية الإرسالية الكنسية" (Church Mission Society) في ١٨٨٦م — إثر اقتراحه ذلك- القيام بجولة استكشافية في شبه الجزيرة العربية. وهدفت جولته إلى التعرف على أكثر المناطق الملائمة في شبه الجزيرة العربية لإنشاء مراكز تنصيرية، وبعدها تحديد نوع الأنشطة التنصيرية المناسبة، وصفات المنصرين الذين يمكنهم العمل في هذا الحقل. أمضى الجنرال هيج بضعة أشهر متجولا بين الموانئ الواقعة على ضفتي البحر الأحمر، والخليج العربي. إذ زار ينبع (ميناء المدينة المنورة)، وجدة، وسواكن[2]، ومصوع[3]، والحديدة[4]، ثم صنعاء وعدن، بعد ذلك توجه إلى الهند ليبحر منها إلى مسقط، ثم إلى البصرة، فبغداد. ومن بغداد توجه عن طريق البر إلى دمشق لتنتهي جولته في فلسطين. وقد انتشر التقرير الذي رفعه في نهاية جولته بعنوان "على جانبي البحر الأحمر" (On Both Sides of the Red Sea) إلى جانب ندائه السابق، بين المنصرين في الشرق الأوسط، والمؤسسات التنصيرية في كل من بريطانيا وأمريكا.

---

[1] Haig, C. A. H. Mrs. (1902)، ص١٢٧.

[2] تقع الآن في السودان.

[3] تقع الآن في اثيوبيا.

[4] تقع الآن في اليمن.

١. ٢. ٢. الجنرال هيج في عمان

زار الجنرال هيج عمان في ١٣٠٤هـ/١٨٨٧م (كجزء من رحلته في شبه الجزيرة العربية) وقام بجولة استكشافية وصل فيها إلى سمائل[١] حيث كتب عن تلك الزيارة قائلا:

"لقد ذهبت يوم الجمعة في رحلة إلى مكان يسمى سمائل، يبعد ٥٥ ميلا لجهة الداخل. لقد خصص ليَّ السلطان[٢] ثلاثة حراس ورجل آخر يقوم بالخدمة وزودني بالإضافة إلى الجمال، بعلب الشُربة وغيرها. وفي حقيقة الأمر، لم يكن هناك من داعي إلى الحراس، لكن كان لا بد من شيء من الرسميات لمنع حدوث أي مشكلة مع أهل القبائل الذين يحرصون على ممارسة حقهم في إمكان توقيف أي شخص يذهب إلى البلد منفردا. لقد ذهبنا أولا إلى مطرح عن طريق البحر، ومن هناك بدأنا رحلتنا إلى سمائل في الساعة العاشرة صباحا. وقد كانت الشمس ساخنة ولكن الهواء منعش. وتَمرُ الطريق عبر أراض قاحلة، وهضاب صخرية واقعة بين جبال لا يكسوها شيء من العشب الأخضر. وقد سرنا في البداية مسافة بجانب البحر، وتوقفنا في إحدى القرى الساعة الثانية ظهرا لتناول الغداء، وعاودنا المسير الساعة الثالثة. لقد خُدعت تماما بالوقت، فقد حُملتُ على الاعتقاد بأن المسافة بين مطرح وبدبد[٣]، المكان الذي نحن متوجهون إلية، ليست إلا ٢٥ ميلا بينما هي في الحقيقة ٤٠ ميلا. لم نصل بدبد إلا الساعة الثامنة مساء، حيث سرنا الساعة الأخيرة أو أكثر في ظلام دامس على أرض شديدة الوعورة. لقد كنت منهكا للغاية، وشعرت بأني سأقع من على ظهر الجمل، وكان الرجلان اللذان معي بمن فيهما طباخي، منهكين أيضا. ليس من شيء أكثر إرهاقا من أن تعلم بعد يوم طويل من الركوب على ظهر الدابة بأنك لم تبلغ وجهتك بعد، وبأنه أمامك عدة أميال

---

[١] أحد مدن المنطقة الداخلية من سلطنة عمان. تبعد عن مسقط حوالي ٧٠كم.

[٢] تمت زيارة هيج هذه لعمان في عهد السلطان تركي بن سعيد بن سلطان الذي حكم بين عام ١٨٧١-١٨٨٨م. وأي ذكر للسلطان في تقرير هيج لا بد أن يشير إلى السلطان تركي نفسه.

[٣] أحد مدن المنطقة الداخلية من سلطنة عمان. تبعد عن مسقط حوالي ٦٠كم.

لتقطعها. على كل حال وصلنا أخيرا إلى الوادي، ودخلنا ضواحي النخيل في بدبد، المسماة باسم حصنها، وهناك استلقينا تحت السماء المفتوحة مُكْتَفين بالرقاد في حجر أمنّا الأرض.

كانت ليلة متألقة؛ فالسماء جميلة والمنظر موح بالخشية. وما هي إلا لحظات حتى غططنا في نوم عميق. وفي الصباح التالي شددنا رحالنا إلى سمائل. ولما لم يكن أمامنا إلا ١٢ أو ١٤ ميلا لنقطعها، فقد وصلنا سمائل وقت الظهر. وقد بقينا هناك ذلك اليوم ويوم الأحد وعدنا منها يوم الإثنين بعد الظهر. لقد رأيت الناس كلهم متحضرين جدا، ووفروا لي بيتا جيدا لأقيم فيه، ولكن للأسف، كان فيه حشرات مؤذية أكثر من تلك التي رأيتها في أقبح بيوتي في اليمن، وهكذا كانت معادلة عادلة.

وسمائل مكان ممتع للغاية؛ حيث تقع على ضفتي وادٍ فيه الكثير من الماء، وتطوقها الجبال تاركة أرضا مستوية بعرض بضع المئات من الأمتار بينها وبين النهر. وهذه الأرض المستوية أصبحت قطعة واحدة من أشجار النخيل التي تنتشر خلالها البيوت. وقد زرعت النخيل على مسافات مناسبة وثابتة ويسقيها عدد هائل من قنوات الماء الصغيرة المتشعبة من الوادي. وقد بُني جانبا معظم هذه القنوات بالأسمنت، ويعود تاريخ بعض ذلك البناء إلى عهد قديم. وينساب الماء في كل اتجاه من البلد، إلا أنه يُنظَّم بتقليد طويل، لذا فإنه لا يُهدر. وتعد التمور مصدر عظيم في عمان، وفي واقع الأمر في كل شرق الجزيرة العربية. وتمتد مدينة سمائل على هذه الشاكلة عدة أميال بطول الوادي. وتزرع كذلك كميات من جميع أنواع الفواكه الأخرى. وإنه لمنظر مدهش وفريد من نوعه. ويقدر الكولونيل مايلز[1] (Miles) عدد السكان بين ١٢ إلى ١٤ ألفا. أما أنا فإني أقدر العدد بأقل من ذلك حسب ما أخبرني الناس. لم أر قط وجوهاً عربية أكثر دقة من وجوه أهل سمائل. وإنه لمما يبعث على السرور أن تكون موجودا بينهم بدل وجودك بين الأعراق

---

[1] المقيم البريطاني في مسقط في تلك الفترة.

المختلطة على الساحل. وبما أني كنت ضيف السلطان، ولا خيار لي في أن لا أكون غير ذلك، فقد أُحطتُ بعناية فائقة. ومما أبهجني أكثر اجتماعان حاشدان في بيتي حضرهما أعيان البلدة بمن فيهم القاضي وقائد القلعة. وقد تحول النقاش بأكمله في تلك الجلسة إلى المواضيع الدينية. وبالرغم من ضآلة ملكتي العربية إلا أنها تؤهلني الآن للخوض في هذا الموضوع إلى حد ما. القاضي رجل صغير السن على المنصب الذي يشغله، وهو طيب، وله وجه صبوح. وعند المغادرة طلبت منه أن يتقبل مني نسخة من العهد الجديد. لندعو أن يكون ذلك مصدر السعادة له. ويبدو أن جميع الناس محمديون ملتزمون. كنت أتمنى أن أجد من وصف بالجريف غير هذا، ولكن حسب ما أستطيع أن أحكم أن الحال هو كذلك. كل قرية فيها مسجد. وهناك قدر جيد من التعليم في سمائل، التعلم من أجل القراءة. أظن أن عددا كبيرا من الرجال يتعلمون القرآن في صغرهم لكن ينسونه بأكمله عندما يكبرون. وهناك عدد كبير من المدارس. لقد رأيت عددا من المدارس خلال جولة صباحية قصيرة حيث يجلس المدرس، ويجلس حوله تلاميذه تحت ظل شجرة. والمصاحف هناك رخيصة فقد يمكن شراء الواحد بربية واحدة؛ حيث تستورد نسخ كثيرة من بومباي، لذلك فهي متوفرة. ولقد أخبرت أن كل رجل يستطيع القراءة لديه مصحف. ولدي رغبة شديدة في معرفة كم نسخة من القرآن تطبع في مطابع الهند سنويا مقابل نسخ الإنجيل التي تباع.

لقد كانت رحلة العودة أفضل، وهذا يعتمد على امتلاك جمل مناسب، مع سهولة الحركة، وسرج جيد الحشو. ولأنني كنت تحت رعاية السلطان الخاصة، فقد لقيت الكثير من العناية. وما رأيته من البلد يشكل نموذجا جيدا عن حقيقة عمان بشكل عام؛ حيث معظم البلد جبلية، وصخرية، إلا أن التربة خصبة في المناطق الزراعية، وتقطعها الأودية المليئة بالمياه. ويقدر معدل الأمطار بـ ٣٠ إنشا في الداخل أما على الساحل فهو ٦ إنشات فقط. وتزرع جوانب الأودية بأشجار النخيل حيثما كان ذلك ممكنا. وهناك تصدير جيد من التمر. والتمور، بالإضافة إلى

بعض الفواكه، هو كل ما تنتجه البلد ما عدا القليل من الشعير والقمح. والطعام الثابت للسكان هو الرز المستورد من الهند"[1].

لقد كتب الجنرال هيج كثيرا عن عمان، في إطار حديثه في تقريريه عن الوضع الديني، والسياسي، والقبلي، والجغرافي، والاجتماعي لشبه الجزيرة العربية. وتختلف بعض أقواله عن عمان (وشبه الجزيرة العربية) في التقريرين؛ وذلك لأنه استقى محتوى التقرير الأول من كتابات الآخرين ووجهات نظرهم، خاصة مما كتبه الرحالة الإنجليزي دبليو جي بالجريف[2] (W. G. Palgrave). أما التقرير الثاني فكان يعبر بشكل أساسي عن تجاربه الشخصية وأودعه المعلومات التي جمعها بنفسه من أرض الواقع خلال جولته الطويلة في شبه الجزيرة العربية.

١. ٢. ٣. عمان كحقل تنصيري

إن عمان أحد المواقع التي أقترحها الجنرال هيج، وبشّده، لتكون حقلا للعمل التنصيري الذي يدعو الكنيسة الغربية القيام به في شبه الجزيرة العربية. ففي تقريره الأول كانت عمان أحد الأماكن الثلاثة التي اقترحها لإنشاء مراكز تنصيرية، حيث كتب عنها قائلا: "... وقد تَبيَّن وبكل وضوح أنَّ أجزاء البلد المفتوحة التي يمكن أن يشغلها الآن الإرساليون، وأن تقوم فيها عمليات تحولية بمقاييس محدودة؛ هي: ١. الجزء الأعلى من وادي الفرات، ٢. **عمان في الشاطئ الشرقي**، ٣. اليمن في الجنوب". وفي تقريره الثاني كانت عمان من بين ٦ أقاليم في

---

[1] Haig, C. A. H. Mrs. (1902)، ص ٨٨.

[2] قام الرحالة الإنجليزي دبليو جي بالجريف (W. G. Palgrave) بجولة في شبه الجزيرة بدأها من معان بالأردن في ١٧ يونيو ١٨٦٢م وانتهت في مسقط في ٢٣ مارس ١٨٦٣م. كان هدف بالجريف من الجولة حسب قوله التعرف على الناس، نمطِ حياتهم وأسلوب تفكيرهم ووضعهم الاجتماعي والثقافي والديني، أكثر من التعرف على الأرض، ليقدم صورة وفق المشاهد إلى الغرب الذي تقوى علاقته بهذا الجزء من العالم يوما بعد يوم. وقد سجل بالجريف وقائع هذه الرحلة والوضع في الجزيرة العربية في كتابه "Narrative of a year's journey through central and eastern arabia 1862-1863" حيث تحدث في فصول الكتاب الأخيرة عن عمان.

شبه الجزيرة العربية رأى أنها مفتوحة للعمل التنصيري، حيث قال: " لنتساءل، في المقام الأول، عن أجزاء الجزيرة العربية المفتوحة حقا للعمليات الإرسالية. إن جوابي هو، أولا: هي جميع الأجزاء التي لا تقع تحت الإمبراطورية العثمانية، وهذه الأجزاء هي:... **جميع عمان بخط ساحلي طوله ٧٠٠ ميل...**"[١].

وقد اقترح الجنرال هيج مدينتي مسقط ومطرح موقعين لإنشاء مراكز الإرساليات التنصيرية، ومُنْطَلَقاً للنشاط التنصيري إلى سائر البلاد، وخاصة المناطق الداخلية منها، يقول: "...إذن فيما يتعلق بالأماكن التي يمكن أن تبدأ فيها الإرساليات، فيمكنني أن أذكر:... ٥. عمان، حيث تشكل مدينتا مسقط ومطرح المتقاربتان نقطة بداية مهمة للغاية لانطلاق هذه الإرسالية. وفي البداية يمكن وضع رجلين وامرأتين [للعمل] في هذا المكان..."[٢].

١. ٢. ٣. ١. أسباب اقتراح عمان حقلا تنصيريا

وقبل الخوض في ميزات عمان كحقل تنصيري حسب رؤية الجنرال هيج يحسن أن نتعرف الحدود السياسية والجغرافية للمنطقة التي يَقْصُدُ بها "عمان" في أطروحته. يقول الجنرال هيج: "إن عمان، إذا تحدثنا بدقة، إسم ينطبق فقط على مقاطعة محدودة حول مسقط، إلا إنه يطلق على كل الأرض الممتدة من رأس الحد أقصى نقطة في الشرق من الجزيرة العربية إلى البحرين. إنها أرض بحجم بريطانيا وخط ساحلي بطول ٧٠٠ ميل. وهي تحت حكم أمير محمدي مستقل يعرف عموما باسم إمام أو سلطان مسقط. أما سكانها فإنهم عرب محمديون ينحدرون أصلا من عرقين يعرفان عند علماء السلالات العربية بالقحطاني والعدناني، وتعرف السلالة الأولى أيضا باسم اليمنيين والأخيرة بالمعديين أو النزاريين"[٣]. وكتب أيضا عن حدود

---

[١] Haig, C. A. H. Mrs. (1902)، ص١٨٦.

[٢] Haig, C. A. H. Mrs. (1902)، ص١٨٩.

[٣] Haig, C. A. H. Mrs. (1902)، ص١٧٥.

عمان قائلا: "... كما أن البلد تمتد لمسافة سبع مائة ميل في الخليج الفارسي، وتلتقي في الجنوب مع مهرة وحضرموت، وفي نهايتها الغربية تبعد مائتي ميل فقط عن الرياض، عاصمة نجد..."[1].

استهدف الجنرال هيج بمشروعه التنصيري جميع مسلمي شبه الجزيرة العربية، إلا أن بعض المواقع، حسب نظره، تجتذب المنصرين أكثر من غيرها لما تتمتع به من ميزات وخصائص، لا سيما وأن المنصرين الغربيين قد عزفوا عن العمل التنصيري في شبه الجزيرة العربية؛ لما ارتبط في أذهانهم من الصعاب، والمعوقات التي يكتنفها هذا العمل في هذا الجزء من العالم الإسلامي، باعتباره مهد الإسلام ومنطلق الدعوة. لذا فقد اجتهد الجنرال هيج في البحث عن الخصائص التي تكون أكثر جاذبية للمنصِّر والكنيسة الغربية، وتمكِّنه من إقناعهم أن هذا الحقل، أو ذاك قابل ومفتوح للعمل التنصيري. وتتمثل العوامل الإيجابية الأكثر تأثيرا في العمل التنصيري التي أولاها الجنرال هيج جل عنايته في الوضع السياسي والديني للإقليم، هذا إلى جانب الموقع الجغرافي، والتركيبة السكانية، والميزات الاقتصادية والمناخية.

١. ٢. ٣. ١. ١. العامل السياسي

تمتاز عمان- من وجهة نظر الجنرال هيج- ببعض الخصائص السياسية التي تدعم النشاط التنصيري. فمن ناحية كانت عمان مستقلة سياسيا عن الحكومة التركية التي تسيطر على أجزاء واسعة من شبه الجزيرة العربية وتشكل عائقا أمام حرية النشاط التنصيري الذي تقوم به المؤسسات الكنسية الغربية في الأراضي الواقعة تحت سيطرتها، إذ يقول هيج إن: "التقسيم السياسي لشبه الجزيرة العربية هو كما يلي: الأتراك يسيطرون على جميع أجزاء الساحل الغربي بما فيه

---

[1] Haig, C. A. H. Mrs. (1902)، ص١٨٠.

الحجاز واليمن، ووادي الفرات والأحساء على الخليج الفارسي. والشمَّر بما فيها حمد تقريبا مستقلة وكذلك عمان على الساحل الشرقي الشمالي. ووسط الجزيرة العربية لا يزال تحت السيطرة الوهابية أما الشريط الصحراوي إلى الجنوب، فإنه وطن لعدد من القبائل المستقلة. ويقع شريط صغير حول عدن عدد سكانه ١٥٠٠٠٠ تحت الحماية الإنجليزية"[1]. ويرى الجنرال هيج أن الحكومة العمانية لن تعارض النشاط التنصيري في أراضيها، فقد كتب قائلا: "لقد غادرت عمان بعد أسبوعين وأنا على قناعة بأن هناك ثغور مهمة للإنجيل. وتوجد أسباب قوية، كما قد قلت سابقا، للاعتقاد بأن الحكومة لن تعارِض [أنشطتنا]. لذا فإن هذا الأمر، وهو أهم المعوقات في الإمبراطورية التركية، لن يحتاج إلى أن يحسب له حساب [عندما يُشرع للعمل في عمان]"[2].

ومن جانب آخر كانت تجربة الجنرال هيج مع السلطان في مسقط مُرضِية له. فقد استقبل السلطان الجنرال بلطف، وتقبل منه نسخا من العهد الجديد، كما أنه لم يمنعه من القراءة والوعظ في الأسواق، وكفل له الوصول إلى مدينة سمائل في المنطقة الداخلية وفي هذا السياق يقول: "ولدي جزم شديد بأن السلطان لن يبدي أي معارضة. لقد كان معاليه مهذبا معي ولطيفا للغاية. وعندما ذهبت لأطلب منه الإذن بالمغادرة تقبل مني نسخة من العهد الجديد كما تقبل نسخا لكل من ولديه اللذين كانا جالسين معه في دهليز مفتوح. وبعد عودتي إلى بيتي أرسل خلفي رجلا يطلب مني أن أريه الرداء الذي ألبسه عندما أقوم بالوعظ لكي يُفَصِّل لي واحدا هدية من عنده"[3].

ومن أهم العوامل السياسية التي يعدّها الجنرال هيج مؤثرة في النشاط التنصيري في عمان، النفوذ السياسي القوي للحكومة البريطانية، يقول: "مما

---

[1] Haig, C. A. H. Mrs. (1902)، ص١٣٢.

[2] Haig, C. A. H. Mrs. (1902)، ص١٨٠.

[3] Haig, C. A. H. Mrs. (1902)، ص١٧٩.

يجب أن يُتذكر هو أن النفوذ البريطاني في عمان قوي للغاية. ولا يمكنني إلا الاعتقاد بأنها ستكون غلطة المبشر إن لم ينجح في الحصول على موضع قدم له بين هؤلاء الناس المتعين"[1].

١. ٢. ٣. ١. ٢. العامل الديني

و يُقصد به هنا مدى تمسك المسلمين بالإسلام، أو مدى تمثّل تعاليم الإسلام في الحياة اليومية للناس. وهدف الجنرال هيج من دراسة الوضع الديني للمجتمع المسلم استنتاج مدى تحكم الإسلام بالمجتمع وانغلاق هذا المجتمع عن الثقافات العالمية الأخرى خصوصا الديانة النصرانية. وبالتالي فكلما كان المجتمع مبتعدا عن روح الإسلام ومبادئه ومنفتحا على الثقافات الأخرى- وتحديدا الديانة النصرانية- كان في نظر الجنرال هيج، أكثر قابلية لأن يتقبل رسالة المنصر فيترك الأخير الإسلام ويعتنق النصرانية. فقد تركّز وصف الجنرال هيج للوضع الديني في عمان في هذا المنحنى. فتقريراه يصفان مدى تمسك المسلمين في عمان بالإسلام ومدى ارتباطهم – أو نوع علاقتهم – بالديانات والثقافات الأخرى.

وبشكل مجمل قسّم الجنرال هيج – في ندائه الأول – سكان شبه الجزيرة العربية إلى مجموعتين دينيتين: البدو، وسكان الحواضر. أما التركيبة السكانية للمجتمع العماني كما يقول هيج فهي: "قلة قليلة من القبائل بدو وبدائيون، والجزء الأعظم مستقرون ويعيشون في مدن وقرى مُنشَأة في الغالب على طول الأنهار ومجاري المياه؛ حيث يكون الري متوفرا"[2].

والبدو في شبه الجزيرة العربية بشكل عام – في نظر الجنرال هيج – ليسوا مسلمين. أما سكان الحواضر فقد قسّمهم أيضا إلى مجموعتين الأولى منهم شديدة

---

[1] Haig, C. A. H. Mrs. (1902)، ص١٧٩.

[2] Haig, C. A. H. Mrs. (1902)، ص ١٧٦.

التمسك بالإسلام، والأخرى أقل تمسكا به. أما لماذا اعتبر بدو شبه الجزيرة العربية غير مسلمين، فقد بيَّن ذلك بقوله:

"والآن فيما يتعلق بالتقسيم الديني لهاتين المجموعتين السكانيتين العظيمتين، فإن أول نقطة تثير الانتباه هو إن البدو، **إذا تحدثنا بحق، ليسوا محمديين.** عندما يكونون في المدن المجاورة يتمسكون إلى حد ما بشيء من الإسلام، ولكن ذلك لأسباب عقلانية. أما في بيوتهم الصحراوية فإن ذلك نادر كليا، ومن الملاحظات المشاهدة بينهم أن الصلاة اليومية متروكة أبدا. وقد لاحظ بالجريف إن فريق البدو الذي رافقه في رحلته بمجرد مغادرته لآخر القرى السورية كانوا يقومون عند الشروق بتوجيه بعض العبادات إلى الشمس وهم جالسون على ظهور جمالهم لا كما يفعل المسلمون الحقيقيون من توجه إلى مكة وانحناء وسجود على الأرض[1]. لم يجد بالجريف مع البدو في أي وقت من الأوقات خلال رحلته التي قطع فيها الجزيرة العربية، أكثر من مجرد أثر بلا عين للإسلام. وشهادات باركهات (Burckhardt) وبلنت (Blunt) وبلمر (Plamer) مُجمِعة على الأمر نفسه. إن الشعائر الإسلامية إن لم تكن مجهولة تماما، فإنها وبكل تأكيد، غير مراعاة من قبل هذه القبائل. لا يقوم البدو بالصلوات اليومية العادية، ولا بشعيرة الجمعة، ولا عندهم أئمة، ولا مساجد، ولا يؤدون الزكاة، ومراعاتهم للحج مقتصرة على نهب الحجاج. والحق أن البدو لم يعتنقوا الإسلام قط. لقد استسلموا لنير الإسلام خلال حياة محمد ولكنهم خلعوه بعد موته، وأذعنوا بالقوة فقط لشيء من التسليم الظاهر لخليفته المباشر. وهذا التسليم قد اختفى منذ قرون قبل ظهور الوهابية التي أعادته بالقوة مرة أخرى، ولكن بشكل جزئي. وباضمحلال نظام الوهابية كقوة سياسية طرح البدو ذلك التسليم بعيدا. وفي الوقت المعاصر فإن البدو جاهلون بالمحمدية تقريبا كجهلهم بالمسيحية. مع هذا فإنهم لم يخلوا تماما من

---

[1] ربما كان هؤلاء البدو يؤدون صلاتهم على رواحلهم، وبالتأكيد فإن القبلة بالنسبة لأهل الشام تكون بإتجاه المشرق. وقد ظن بالجريف وتابعه في ذلك هيج أن اولئك البدو يتجهون إلى الشمس، في حين أنهم في واقع الأمر يتجهون إلى البيت الحرام.

الإحساس الديني. إنهم يؤمنون بالرب الواحد، الخالق الرحيم المعطي لكل خير، والذي إليه يوجهون دعاءهم البسيط كلما احتاجوا إلى شيء. بلا شك أنه يوجد لديهم وعي ضئيل بما تحتاج إليه الروح. وهذا الوعي يحتاج إلى الإنجيل وحده كي يوقظه، ويدفعه للأمام، ويقود البدو إلى المسيح الذي يمكنه وحده أن يشبع الضروريات الروحية للإنسان. أنهم جهلة تماما؛ لذا فهم يؤمنون بالخوارق، ولكنهم ليسوا محمديين. وبالرغم من أنهم يشكلون جزءاً كبيرا من سكان هذه الأرض التي كانت مهداً لذلك النظام الكاذب، إلا أنهم بشكل رائع للغاية بقوا بعيدين عن تأثيره الفظ، والمذِّل. وعقولهم التي ليس فيها إلا قليل من العبودية للطبيعة تشكل قابلية لاستيعاب الحقيقة المسيحية. إن هذا الوصف ينطبق على أكبر قدر من القبائل البدوية، قد يكون هنا وهناك بعض الاستثناءات، حيث تعمقت جذور المحمدية، أكثر ولكن كقاعدة فإن حال البدو الديني هو كما وصف أعلاه. إن الأهمية القصوى لهذه الحقيقة فيما يتعلق بتحويل الجزيرة العربية إلى المسيحية ستظهر مباشرة"[1].

أما العمانيون القاطنون في الحواضر، فقد صنفهم الجنرال هيج ضمن المسلمين الأقل إسلاما، يقول: "أما بالنسبة لسكان المدن فهم كلهم محمديون ولكن توجد بينهم بعض الفوارق التي لها أهمية عند الحديث عن موضوع إدخال الإنجيل إليهم. ففي وسط الجزيرة العربية لا تزال الوهابية، التي لا تُعَّد بعثا للبساطة البدائية للإسلام وحسب، بل ولتعصبه الشديد مع الأديان الأخرى، هي المسيطرة. وفي الساحل الغربي حيث الحجاز والمناطق المجاورة للمدينتين المقدستين وعلى طول طرق الحجاج، قد يكون الباب لا يزال موصدا أيضا أمام تقديم المسيحية، إلا أنه يمكن هناك وبالحكمة توزيع كلمة الرب ونشرها. **أما الحال فيختلف في الجانب الشرقي من الجزيرة العربية، على طول ساحل الخليج الفارسي، في**

---

[1] Haig, C. A. H. Mrs. (1902)، ص ١٣٢.

الأحساء وعمان. لقد عملت الكثير من التيارات النافذة على جعل المحمدية السائدة هناك تُحَوِّرُ بشكل كبير من مواقفها؛ بحيث تُعِير شيئا من الاعتبار لما تدَّعيه المسيحية. إن التصوف، والمنطقية الفارسية من ناحية، وردة الفعل تجاه الإسلام التقليدي، التي ولدت نتيجة فظاظة الامتداد الجديد للإسلام، الوهابية، وطغيانه من ناحية أخرى، أحدثا أثراً تفسخياً قوياً في بنية الإسلام هناك. لقد كان شرق الجزيرة العربية منذ البداية أرضا للبدعة. فباعتبار أنها مفصولة عن الحجاز بسلاح الصحراء العظمى فإن السيف، الذي هو أفضل وسيلة لقمع الكفرة، لم يكن ممكنا أن يؤتى به إلى هنا ليعمل بنفس الفاعلية في سحق حرية الفكر والبحث؛ لذا فقد نشأت العديد من الفرق التي أجمعت على كره الأرثوذكسية الإسلامية. قال بالجريف "لقد ظلت القطيف والأحساء بعيدتين عن الإسلام. فأصبح فيهما كتلة من المخلَّفات الدينية، والخلقية للفصائل القرمطية، والسرية حيث اختلطت عبادة الطبيعة مع المادية، وشابتها بعض التقمصات، والتشبهات، مع بعض آثار الصابئة الحديثة، وبعض السحريات المنتشرة بين الطبقة الدنيا، وغير المتعلمة في كل مكان من العالم". يبدو أن ذلك هو أكثر حال هذه البلاد في الوقت الحالي. وجعلت السكنى على الساحل الناس أيضا على علاقة بالآخرين. ويبدو أن ذلك أنهى الشبهة بأهل الأجناس، والأديان الأخرى، والابتعاد عنهم. وأقتبس مرة أخرى من كلام بالجريف "إن خصائص الناس في الأحساء تميل قليلا إلى الخشونة والانعزالية. والوهابية، على كل حال، موجودة لكنها بين الفئة القليلة المهيمنة التي يكرهها الآخرون. أما المحمدية نفسها فبالرغم من أن لها بريقاً على السطح فلا أظن بأنه بريق متعمق في الجسم. وعدد الذين يكرهون الإسلام في شكله الحقيقي ليس بأقل من الذين يكرهون شكله الوهابي". إن هذا الوصف ينطبق بشدة على عمان حيث أن العلاقة المتبادلة مع بومباي، ووجود عدد من الرعايا

الهنود البريطانيين أدى إلى وجود درجة من التسامح شبيهة إلى حد ما بذلك التسامح الموجود على الضفة الأخرى من البحر"[1].

وتصنيف الجنرال هيج هذا لسكان شبه الجزيرة العربية قاده إلى أن يستنتج قائلا: "إن هذه المراجعة للأديان في الجزيرة العربية تُظهر وبوضوح نقطتين مهمتين أودُّ أن أثير نحوهما الانتباه، **أولا: أن ثلث السكان، والحق يقال، ليسوا محمديين** وبالتالي فهم أكثر تقبلا للاستماع وقبول الحق فعلينا أن ننظر إليهم بدل النظر إلى المتمسكين الحقيقيين بالإسلام، **ثانيا: في بعض الأجزاء من هذه البلاد أصيبت المحمدية نفسها بالتحلل، والتحريف؛ بسبب الاختلاط مع الأديان الأخرى؛ وهو ما جعل المناصرين لها يصابون بحالة من الشك، والريبة؛ لذا فهم أقل بعدا من الاهتمام بالدين الجديد الذي يعرض عليهم في الإنجيل.** كل واحدة من هاتين الحقيقتين مشجعة، ولها أثر على الموضوع العظيم المتعلق بتحويل أجناس الجزيرة العربية إلى المسيحية"[2].

هذا الوصف للوضع الديني للعمانيين وما تبعه من استنتاج تغير إلى حد ما في التقرير الثاني الذي أعقب زيارة الجنرال هيج الميدانية لعمان. فقد أثبتت له زيارته لعمان جوانب لم يكن يعرفها عن مدى تمسك العمانيين بالإسلام. ويبدو ذلك واضحا في الرسالة التي كتبها عن زيارته إلى مدينة سمائل، وقد أوردنا نصه في بداية هذا الفصل. ومن خلال جولته في عمان؛ قال متحدثا عن الإسلام في الوسط العماني: "...لا يختلف دينهم ماديا عن دين اكثر المحمديين أرثوذكسية. وبالرغم من أنهم متسامحون مع الأديان الأخرى، يبدو لي أنهم أكثر تدينا من الزيدية اليمنيين. فيبدوا أنهم يحافظون على الصلاة اليومية بشكل متكرر، وكل قرية مررت بها فيها مسجد"[3].

---

[1] Haig, C. A. H. Mrs. (1902)، ص ١٣٤.

[2] Haig, C. A. H. Mrs. (1902)، ص ١٣٥.

[3] Haig, C. A. H. Mrs. (1902)، ص ١٨٠.

أما بالنسبة لاتصال العمانيين بالشعوب الأخرى، وانفتاحهم على الثقافات العالمية المختلفة فيصف عمان بأنها جزيرة، يقول: "يفصل عمان عن بقية شبه الجزيرة العربية صحراء رملية. ويمكن، في الحقيقة، اعتبارها من ناحية الاتصال ببقية أجزاء العالم جزيرة؛ البحر من جهة، والصحراء من جهة أخرى. ويمكن اعتبارها جزيرة أيضا من كون أن سكانها أكثر بدائية وبساطة، وعدم تغير في العادات من غيرهم من العرب عموما"[١]. إلا أن هذا الانقطاع الجغرافي، في رأيه، لم يعزلها عن العالم، يقول: " القاطنون على الساحل، على كل حال، خصوصا في مسقط، ومطرح أكثر علاقة بالعالم الخارجي. وتذهب أعداد كبيرة منهم إلى زنجبار؛ فسلطانها هو أخ سلطان مسقط. وقد خضعت زنجبار أصلا لعرب من عمان. وتتوقف سفن شركة الهند البريطانية مرة كل أسبوعين في مسقط. وفي موسم الرُّطَب يزور آخرون الشاطئ أيضا. ويوجد الكثير من التجار الهنود في مسقط. ويوجد في المدن الساحلية خليط كبير من البلوش الذين جاءوا من الشاطئ المقابل. ويُجَنَّدُ جيش السلطان غالبا من هذه المصادر. وحرس السلطان الخاصون بلوش، وكذلك حاميات بعض القلاع في الداخل. ويبحر الصيادون العمانيون على طول الساحل الهندي؛ فيصلون إلى كومورين (comorin) وإفريقيا وموروشس... وهم متسامحون مع الديانات الأخرى. فهناك العديد من التجار الهندوس في كل من مسقط ومطرح"[٢].

كما وجد الجنرال هيج أنتشارا ملحوظا للإنجيل في عمان، حيث قال: "إن الإنجيل كتاب ليس مجهولاً في عمان. فبعض الناس لديهم نسخ أو أجزاء منه. وقد أخبرني رجل بأن لديه ثلاث نسخ. ولقد تعود قبطان سفينة أمريكية التوقف بسفينته في مسقط من أجل تحميل التمر، وكان طيبا، تعود أن يوزع الإنجيل والعهود. ولست متأكدا إن كان ابنه مستمراً في عمل الشيء نفسه. كما أن بائع

---

[١] Haig, C. A. H. Mrs. (1902)، ص ١٧٨.

[٢] Haig, C. A. H. Mrs. (1902)، ص ١٧٨.

الإنجيل في "جمعية الإنجيل"(the Bible Society)[1] في بوشهر بدأ حينذك زيارة مسقط كل سنة"[2]. وقال الجنرال هيج أيضا "إن عدد نسخ الإنجيل الموجودة في مسقط ومطرح أكثر مما يمكنك تصوره. لقد تعود قبطان أمريكي، وهو رجل طيب، أن يأتي إلى مسقط كل عام بسفينته من أجل التزود بالتمر، وأظن بأن السفينة لا تزال تأتي تحت إمرة ابنه. والبَيِّن بأنه قد نُشر عدد كبير من الأناجيل. وقد أخبرني رجل بان لديه ثلاثة أناجيل، وأخبرني آخر بأن لديه أربعة، وكلها أناجيل كبيرة. وزار بائع الأناجيل الذي يعمل للدكتور بروس (Bruce) هذا المكان؛ لذلك فإن الكثيرين أخبروني بان لديهم نسخا من الإنجيل، وإن كنت أشك بأن أيا منها قد نُظر في محتواه. وأنا بنفسي لم أبع إنجيلا واحدا. وقال القاضي في سمائل بأن لديه نسخة من الإنجيل ولكن أظن بأن ذلك كان تصريحا كاذبا قصد به إيهام الآخرين بأنه يعلم كل شيء عن هذا الكتاب، وإنه لم يقبل تلك النسخة مني من أجل قراءتها"[3].

١. ٢. ٣. ١. ٣. العامل الإستراتيجي

تمتاز عمان، حسب مفهوم الجنرال هيج، بموقع حساس على الخريطة الجغرافية للمنطقة. فقد قال عنها: "تمتد البلد لمسافة سبع مائة ميل في الخليج الفارسي. وتلتقي في الجنوب مع مهرة وحضرموت. وفي نهايتها الغربية تبعد مائتي ميل فقط عن الرياض، عاصمة نجد؛ وهذا الأمر سيمكننا من الوصول إليها بدون

---

[1] تعتبر 'جمعية الانجيل البريطاني والخارجي' (The British and Foreign Bible Society) من أقدم الجمعيات التي عنيت بنشر الإنجيل في شبه الجزيرة العربية. فقد دأب د. جون ولسون (Dr. John Wilson) الموجود في الهند على إرسال باعة الأناجيل إلى منطقة الخليج وعدن وذلك منذ عام ١٨٤٣م. وكانت هذه الجمعية هي المزود الرئيس للإرسالية العربية الأمريكية بما تحتاجه من كتب نصرانية، خاصة قبل أن تستعين الإرسالية بالمطبعة الأمريكية في بيروت التابعة للإرسالية البرسبتيرنية الأمريكية ومطبعة إرسالية النيل في القاهرة، كما قدمت لها الكثير من الدعم المالي. Mason, Alfred De Witt (1926)

[2] Haig, C. A. H. Mrs. (1902)، ص ١٧٩.

[3] Haig, C. A. H. Mrs. (1902)، ص ٩١.

الذهاب إلى الأراضي التركية. ويبدو أن أقصر وأسهل وأسرع طريق إلى وسط الجزيرة العربية هو من هذا الجزء [عمان]. وهذا يعطي عمان أهمية إضافية كحقل تنصيري"[١]. وقال كذلك: "مسقط هي مكان إقامة الممثل السياسي [البريطاني] في الخليج الفارسي، ومحطة توقف للسفن المبحرة بين بومباي والبصرة"[٢].

١. ٢. ٣. ٢. الأنشطة التنصيرية المطلوبة

دعا الجنرال هيج في ندائه الأول إلى إنشاء مدرسة تنصيرية في مسقط تُدرَّس فيها اللغتان الإنجليزية والعربية. ورأى بأن هذه المدرسة ستكون السبيل الأنسب للوصول إلى الطبقة العليا من المجتمع، حيث قال: "وقد يكون إنشاء مدرسة تُعلِّم فيها اللغة العربية واللغة الإنجليزية على حد سواء مقبولة لدى الناس. وقد تصبح هذه المدرسة سبيلا مهما للوصول إلى الطبقة العليا. ولا بدّ أن هؤلاء قد أحسوا الضجة المتصاعدة للحياة والنشاط الفكريين في الشواطئ الإنجليزية المقابلة خاصة في بومباي التي تربطهم بها علاقات متبادلة. وسيكون أول التأثيرات لهذا الإحساس هو رغبتهم في تعليم أطفالهم، خاصة باللغة الإنجليزية"[٣].

كما أنه أقترح أن يشمل الأسلوب التنصيري المجال العلاجي، إذ توجد في البلد حاجة ملحة إلى الطب خاصة في المناطق الداخلية من البلد، يقول: "إن كان المبشر طبيبا أو ما شابهه فليحاول معرفة المناطق الواقعة في الجبل الأخضر، وليجعل منها منطقة سكنى خاصة خلال الأشهر الحارة من السنة؛ فإن ذلك سيكون مفيدا له للهرب من الحر في مناطق الساحل. وأنا متأكد بأن الوقت لن يطول حتى تُقدَّم الدعوة إلى المبشر لكي يزور المناطق الداخلية"[٤].

---

[١] Haig, C. A. H. Mrs. (1902)، ص ١٨٠.

[٢] Haig, C. A. H. Mrs. (1902)، ص ١٣٨.

[٣] Haig, C. A. H. Mrs. (1902)، ص ١٣٨.

[٤] Haig, C. A. H. Mrs. (1902)، ص ١٣٨.

إلا أن الجنرال هيج تنازل – أثر زيارته لعمان – عن فكرة تدريس اللغة الإنجليزية كأسلوب تنصيري، معتبرا ذلك أسلوبا غير ناجح في هذا البلد العربي، إذ يقول: "وإني أشك في جدوى إنشاء مدرسة إنجليزية هنا. فالإنجليزية ليس لها قيمة هنا، ليس كما هو الحال في الهند. ويبدو أن اللغة العربية وحدها التي لها قوة هائلة. العرب يعتقدون بأنه لا بلد كبلدهم، ولا لغة كاللغة العربية". وكتب أيضا: "إن جاذبية وجود مدرسة إنجليزية في مسقط أو مطرح أمر غير مؤكد. وبشكل عام لا توجد حاجة إلى الإنجليزية في هذه البلد. فهنا ليس كما في الهند يحتاج الشخص إلى التأهيل من أجل النجاح. على كل حال، قد يرغب بعض الخوجات [اللفظة له] وغيرهم من التجار الهنود في إرسال أبنائهم إلى مثل هذه المدرسة ثم يقلدهم بعض العرب في ذلك"[1].

أما بالنسبة للطب، فيرى الجنرال هيج أن في مسقط مستوصفاً طبياً؛ لذا فلا حاجة إلى منصِّر طبي يعمل فيها. وقد يكون هذا الأسلوب أكثر نجاحا في المناطق الداخلية حيث لا توجد مستوصفات طبية، حسب قوله: "كما أنه يوجد في البلد مستوصف تحت إدارة موظف هندي قدير ومحترم تابع "للمؤسسة بومباي الصحية" (Bombay Medical Establishment). ولكن إن لم يكن في مسقط، فإنني لا أشك بأنه في مكان آخر– خصوصا في المدن الكبرى– سيرحب الناس بالمساعدات الطبية، فقد رأينا منذ عهد قريب كيف قُدرت تلك الخدمة ورُحب بها في حديدة. وهذا في الغالب سيمهد الطريق لتعاليم الإنجيل"[2].

أما الأسلوب التنصيري الأكثر نجاحا في نظر الجنرال هيج فهو الدعوة الفردية، والوعظ، والقراءة في الأسواق وأماكن التجمعات الأخرى. فقد جرب الجنرال هيج هذا الأسلوب – أسلوب الدعوة الفردية والقراءة والوعظ في الأماكن العامة – أثناء وجوده في عمان ووجده ناجحا. فهو لم يتعرض لأي معارضة من أي

---

[1] Haig, C. A. H. Mrs. (1902)، ص ١٨٠.

[2] Haig, C. A. H. Mrs. (1902)، ص ١٨٠.

جهة كانت، يقول: "وقد ذهبت مرارا إلى السوق أحمل التوراة والإنجيل لأعرضهما للبيع، وأجذب الاهتمام إليهما على أنهما "كلمة الرب". ولم أتعرض لأي شيء يصل إلى درجة الإهانة. والمعارضة الجادة الوحيدة التي تعرضت لها كانت من قبل اثنين من المحمديين الهنود اللذين لا يُستبعد أن يكونا لاجئين سياسيين. فبالعكس من ذلك، فقد كان الناس سعداء في أن يروا رجلا إنجليزيا يناقشهم بلغتهم في المسائل الدينية. ولقد بالغوا في امتداح براعتي كعالم عربي إلى حد غريب – بالرغم من أنها كانت لغة متواضعة. لقد كنت أحاط أحيانا ببعض الحشود التي تتراصّ للاستماع إلى ما أقول، ويعينوني بقدر استطاعتهم على التعبير. ولقد قوبلت في داخل عمان بنفس الاستقبال من الطبقة العليا، إلا إني كنت ضيف السلطان ومسافرا على جماله، وبصحبة عساكره؛ لذا فيحتمل إني قد أعطيت اهتماما أكثر من لو أن الأمر كان خلاف ذلك"[١].

وهكذا يستنتج الجنرال هيج قائلا: "إني أعتقد أن رجلاً ذا معرفة جيدة باللغة سيكون حرا في التعريف بالإنجيل في عمان، إذا عمل بهدوء وعدم تطفل. وإني أستند في هذا الرأي إلى آخرين أكثر مني إلماما بهؤلاء الناس"[٢]. ويقول أيضا: "إني أميل إلى الاعتقاد بأن عالما عربيا يتجول بين الناس يوعظ ويدرِّس بطريقة حكيمة ومحبوبة لن يُعَارض أبدا. فهل يريد الرسل أي شيء أكثر من هذا؟! إنهم لا يعتقدون أن "الباب المفتوح" يعني البلد التي يكون الرجل فيها في مأمن من شراسة الغوغاء وهجوم المتعصبين واليهود"[٣].

---

[١] Haig, C. A. H. Mrs. (1902)، ص ١٧٨.
[٢] Haig, C. A. H. Mrs. (1902)، ص ١٧٩.
[٣] Haig, C. A. H. Mrs. (1902)، ص ٨٩.

١. ٢. ٣. ٣. العناصر المناسبة للعمل التنصيري

طالب الجنرال هيج أن يتمتع المنصر الذي يعمل في شبه الجزيرة العربية – بشكل عام – ببعض الصفات التي تؤهله لهذه المهمة ذات الطابع الخاص. فقد قال واصفا نوع المنصرين المطلوبين: "وفي الختام، دعني أقول كلمات قليلة عن نوع الرجال المطلوبين لهذا العمل. يحتاج أن يكون هؤلاء الرجال من أهل الإخلاص الكامل، والشجاعة، والتواضع، والصبر، والمثابرة، والصحة الجيدة، ولديهم قدرة لغوية كافية، ولديهم القدرة على تعلم اللغة العربية حتى يتحدثوها بطلاقة وروعة. إن العرب فخورون بلغتهم العظيمة، ومُهين لهم أن يسمعوها تنطق بشكل سيئ. ومن يستطع أن يذهب إلى أبعد من ذلك بحيث يزين كلامه بشيء من الشعر، فإن ذلك يكون أبلغ في استمالة قلوب هذه السلالة الخيالية والتأثرية. فيستميلهم كما تتمايل أشجار الغابة مع الريح. الرجولة، والعادات النشطة لا غنى عنها للمبشر. وإلى جانب هذا فسيجد الرجل الذي تربى في وطنه على صهوة الجياد، والتسابق بها، وقضى الأوقات في البراري أن تلك العادات تقربه من قوم تربوا منذ صغرهم على السلاح، والفروسية، والتمتع بالمهارات"[١].

ويواصل الجنرال هيج حديثه عن الصفات المطلوبة في المنصِّر قائلا: "لكن لا يتكاسلن أحد بسبب عدم امتلاكه لهذه المؤهلات؛ فإن المؤهل الأساسي هو الحب العميق الحقيقي الصبور الحنون؛ حب المسيح الذي هو ثمرة الامتلاء بروح القدس، والطاقة التي هي الوعد المسبق لهذا العمل. إن العمل قد يحوي بعض المعاناة، وفقدان الصحة، في بعض الأحيان، وحتى الخطر على الحياة، إلا أنه عمل قد يختاره حتى بولس نفسه، ويغار منه المَلاك. هل يمكن أن تقوم كنائس المسيح في بريطانيا العظمى بهذا العمل، أم أنه بكامله فيه تحدٍ فوق طاقة مسيحيتنا

---

[١] Haig, C. A. H. Mrs. (1902)، ص ١٣٩.

الحديثة؟ إن الاحتمال الذي أضعه هو أن المشكلات المصاحبة لهذا العمل يهوِّلها في كثير من العقول الجهل بأحاسيس العرب الحقيقية. أما الذين سيذهبون الى العرب بروح الحب، واللطف المسيحي؛ فإنهم سيُستقبَلون كما استقبَل المحمديون المبشرين في المغرب والجزائر؛ ليس بالكره والعنف، بل بالترحيب القلبي، والاستعداد التام للاستماع إلى رسالة الإنجيل. إننا نعيش في وقت مذهل إنه يوم قوة الرب. ودعاء إبراهيم "إن إسماعيل سيعيش أمامك" يجب أن يجد إجابته بتحويل سلالته وغيرهم – من الذين طال تجاهلهم من سكان شبه الجزيرة العربية – إلى الرب"[1].

ويواصل الحديث عن نوع المنصِّرين المناسبين للعمل في شبه الجزيرة العربية في تقريره الثاني على المنوال نفسه، إذ يقول: "و الآن، لننتقل أخيرا للحديث عن الرجال والنساء الذين ينفِّذون هذا المشروع العظيم. وهذا هو السؤال الوحيد العظيم في الأمر كله، وجميع المسائل الأخرى بالمقارنة به تصبح حقيرة. قدِّم الرجال المناسبين؛ فستربح الجزيرة العربية من أجل كلمة الرب. أو ابدأ بالرجال غير المناسبين؛ فيتحقق لك القليل. لكن ما المؤهلات المطلوبة؟ ما التعاطف؟ ما نار الحب؟ ما التصميم العنيد؟ ما أقصى درجات الغيرة للتضحية بالذات من أجل تخليص الرجال ومجد المسيح؟! حول هذه النقطة أفضل أن أقتبس كلمات رجل هو أكثر تأهيلا للحديث عن هذا الموضوع. كتب إلي ذلك الرجل منذ ثلاث سنوات قائلا: "لم تَخف ورقتك الصعاب التي سيلاقيها المشروع. كيف يمكن التغلب عليها؟ لست بحاجة إلى القول بأنه لا يرتفع ينبوع فوق مصدره. وبما أن رأس الأساس العظيم لديننا عالٍ، فإنه في التنفيذ التطبيقي للإرساليات يجب أن ننظر إلى العلو الذي وصل إليه الإرسالي ذاته كشخصية مسيحية. والآن، إن لم يكن لديك إرساليون ممتلئون بروح المسيح؛ بحيث أنهم لا يُعدون أعمارهم غالية عليهم، فإن جهدك في الحصول على متحولين مستعدين للتضحية بأنفسهم من أجل خدمة

---

[1] Haig, C. A. H. Mrs. (1902)، ص ١٣٩.

سيدهم سيضيع. وفي طقس مداري كالذي في عدن لا تهيئ الظروف إنشاء شخصية مُنْكِرة للذات، ولا تهيئ إنشاء خدمة خلاقة، فيُحتاج حينئذ إلى قدر عظيم من الرحمة؛ من أجل الإبقاء عليها. وذلك لأننا كائنات مركبة. وهناك ردة فعل مدهشة من الجسم إلى الروح، وكذلك من الروح إلى الجسم. لأجل ذلك فإنه من الضروري في مشروع كالذي تقدمه أن يكون عندك الطابع المناسب من الرجال - رجال قد قدَّموا بعض التضحيات، ولا يعدّون التضحيات خسائر، بل يعدونها ميزات وتشريفات - رجال لا يعرفون معنى الإحباط، ويتوقعون أن تأتي أشياء عظيمة من الرب. مثل هؤلاء فقط سيثبتون لك الأعمال الناجحة في حقل مليء بالصعوبات. إن لم تتمثل السرمدية بثقلها في تقدير الرجل، فكيف يمكنه أن يشجِّع متحولاً محلياً على اتخاذ خطوة ستدمر مباشرة كل أمانيه وتوقعاته الدنيوية، بل وقد تؤدي به إلى السجن، والتعذيب والموت؟ وإن لم يكن عندك الرجال المُعَدّون - وأرجو أن يأتي بهم الرب - لقيادة من يحولونهم إلى ظروف بها ذلك الخطر، وتلك المحن؛ فإنهم سوف لا يجدون المتحولين الذين يمكنهم أن يسيروا بأنفسهم إلى تلك الظروف. رجال بهذه الصفات لا يمكن أن يُصنعوا، بل الرب يخلقهم، لا يمكن الحصول عليهم، بل يجب أن يكونوا من بحث الرب ومن عطايا الرب. لكن الرب الذي بحاجة إليهم قادر على توفيرهم. ليس من شيء مستعصٍ للغاية على الرب.""[1].

١. ٢. ٤. ملخص

تنبع أهمية نشاط الجنرال هيج في أنه أول إجراء ميداني يتخذه المنصِّرون للعمل في شبه الجزيرة العربية. فقد قام الجنرال هيج بزيارة ميدانية لعمان في ١٣٠٤هـ/١٨٨٧م وصل فيها إلى سمائل هدفت إلى جمع الحقائق عن هذا الحقل الجديد.

[1] Haig, C. A. H. Mrs. (1902)، ص ١٩٠.

وكانت النتيجة المباشرة لتقريري الجنرال هيج إنشاء إرسالية كيث فالكنور (Ion Keith Falconer) في عدن في ١٣٠٣هـ/١٨٨٦م التي رعتها الكنيسة الحرة السكوتلندية (Free Church of Scotland). أما بالنسبة لعمان فلم تتخذ الكنائس الغربية أي إجراء مباشر للعمل التنصيري فيها. ومن ناحية أخرى كان لتقريري الجنرال هيج أثر في اختيار البروفسر لانسنج الجزيرة العربية حقلا لنشاط "الإرسالية العربية" (أنظر الفصل الخامس)، التي اتخذت مسقط أحد مراكزها التنصيرية في شبه الجزيرة العربية.

وبعد تقريري الجنرال هيج صدر نداء آخر في ١٣٠٦هـ/١٨٨٨م وجهه القس الإنجليزي الإكزندر ماكاي الذي كان يعمل في مركز "الجمعية الإرسالية الكنسية" في أوغندا بالقارة الأفريقية داعيا إلى الشروع المباشر والفوري في عمل تنصيري يستهدف عمان ويتخذ من مدينة مسقط أو مطرح مقرا له.

١. ٣. نداء القسيس الإكزندر ماكاي بتنصير عمان.

﴿وَلَن تَرْضَى عَنكَ الْيَهُودُ وَلاَ النَّصَارَى حَتَّى تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ قُلْ إِنَّ هُدَى اللّهِ هُوَ الْهُدَى وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءهُم بَعْدَ الَّذِي جَاءكَ مِنَ الْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ اللّهِ مِن وَلِيٍّ وَلاَ نَصِيرٍ﴾ سورة البقرة، الآية ١٢٠

رفع القس الإكزندر ماكاي (Rev. Alexander Mackay)، الذي يعمل لصالح "الجمعية الإرسالية الكنسية"[١](Church Mission Society)، في ذي القعدة ١٣٠٥هـ – ١٨٨٨/٨/٨م، من مقر حقله التنصيري في أوغندا بالقارة الأفريقية، نداء عاجلا الى مقر الجمعية في بريطانيا بضرورة الشروع المباشر والفوري في عمل تنصيري غير عادي في مسقط، عاصمة الدولة العمانية. وقد قدم القس ماكاي لهذا النداء – الذي وجهه الى السيد إوجن ستوك (Mr. Eugene Stock) – بعبارته التالية "إنني أرفق بعض الأسطر حول موضوع ما انفك يدور في خلدي لبعض الوقت. وإنني لن أكون محبطا إذا أودعتَها في سلة المهملات. ولن يتحقق لي الامتنان والرضا إلا إذا أُعِير هذا الموضوع، في أحسن الأحوال، شيئا من الاهتمام، وعُمِلَ شيء محدد لهؤلاء العرب المساكين الذين أُقدرهم، رغم أنهم كانوا في السنوات الماضية مصدر مشاكل لي. إن أفضل طريق لتحويل معارضتهم، وتبديل تجديفهم إلى مباركة لنا هو أن نعمل جهدنا لخلاصهم"[٢].

١. ٣. ١. تقرير الاكزندر ماكاي

لقد صاغ السيد ماكاي نداءه بأسلوب تحليلي أظهر فيه التخطيط البعيد المدى، وعمق التحليل، والنغمة الحماسية، والمسحة الإنسانية التي توحي بنبل

---

[١] وهي مؤسسة نصرانية أنجليكانية أنشئت عام ١٧٩٩م وعنيت بالعمل التنصيري خارج بريطانيا وخاصة في المستعمرات الإنجليزية.

[٢] Harrison, Alexina (1891)، ص ٤١٧.

القصد، وحسن الغرض. فالهدف من التنصير في هذا النداء إنما هو القضاء على المشكلات غير الحضارية التي يعاني منها هذا الشعب العماني النابعة أساسا – في نظر القسيس ماكاي – من الإسلام كدين يصوغ حياة المسلمين في عمان. والنتيجة من الحملة – كما يدَّعي – إنما هي نقلة حضارية، يتبناها ويرعاها الخصم، تنصب في مصلحة العدو وليس ضده. وقد استقى القس ماكاي معلوماته عن عمان من تقريري الجنرال هيج اللذين تعرض لهما النقاش السابق.

وأشار السيد ماكاي في ندائه الى صعوبة المهمة التي يدعو إليها؛ لذلك اختار لمن يقوم بها الاتصاف بخصائص علمية، وشخصية عالية للغاية تتناسب مع طبيعة المهمة وخطورتها المتوقعة. فالأفراد يجب أن يكونوا مُنْتَقِينَ بعناية فائقة من بين خريجي الجامعات البريطانية الذين يتمتعون بقدرات لغوية عالية، وولاء قوي للنصرانية. كما يجب أن يكون بينهم أفراد عرب تطمئن إليهم نفوس هؤلاء المستهدَفين بالدعوة. مع ضرورة مشاركة النساء في هذا النشاط؛ وذلك لدورهن العظيم في تخفيف أعباء المهمة على الرجال. وجعل الطب والتعليم من الأدوات الفعالة في تحقيق أهداف هذا المشروع التنصيري في عمان.

هذا ونص نداء السيد ماكاي الذي حمل عنوان "مسقط، زنجبار ووسط إفريقيا" على الآتي:

"في الاجتماع السنوي العظيم الذي عقدته الجمعية الإرسالية الكنسية (Church Mission Society) في قاعة إكستر (Exeter Hall) في الأول من مايو ١٨٨٨م أُتخذ القرار التالي: "إن هذا الاجتماع يصادق من القلب على الإجراء الذي اتخذه المجلس للدعوة الخاصة التي وُجهت لانتقاء رجال ليعملوا في وسط المحمديين... ففي حين أن المشكلات التي تعترض عمل الإرساليين في الأراضي الواقعة تحت سيطرة المحمديين تبدو للحس العيني هائلة للغاية، إلا أن هذا الاجتماع مقتنع تماماً بأنه ما دامت أبواب الولوج إلى المحمديين كأفراد، مفتوحة فإنه من واجب كنيسة المسيح الواضح والحتمي أن تستغل فرصها لنشر رسالة

الإنجيل إليهم. وفي كل التوقعات، سيكون لقوة الروح القدس - في أوقات الرب السعيدة - علامة واضحة بانتصار المسيحية في هذه الأراضي". إنني اقتبست هنا الجزء الثاني فقط من القرار. أما الشق الأول منه فإنه يعود إلى إمبراطوريتنا الهندية والمحمديين هناك. لقد دعا إلى ذلك السير ريفيرس تومبسون (Sir Rivers Thompson) بحماسة، وبدون شك سوف لا تفشل الدعوة في الحصول على حشود من الداعمين الأقوياء في سائر الأزمنة القادمة.

إن موضوعي الذي أتحدث عنه هنا وهو الشق الثاني- المقتبس أعلاه- الذي رعاه القسيس دكتور بروس (Rev. Dr Bruce)، الذي أعطى عرضا بيانيا لأنشطة جمعيتنا في فارس وبغداد. لكن الأراضي الواقعة تحت حكم المحمديين أوسع من فارس وتشمل- كما بَيَّنَ الدكتور بروس- مصر، وتركيا، والجزيرة العربية، ووسط أسيا، و- للتذكرة- كثيرا من وسط أفريقيا كذلك.

إن هذا القرار رائع، وقد يمكن وصفه بأنه بداية لحقبة جديدة في عملية تحويل العالم إلى المسيحية. ولعلَّ الذين أطروا هذا القرار كانوا- بلا شك- يقصدون ما كتبوه. أما نحن فعلينا، الآن، أن نطرق الحديد وهو ساخن، وأن نفكر في كيف وأين نشرع في بداية لوضع هذا القرار الهائل موضع التنفيذ. لقد استخدمت متعمدا كلمة "بداية"؛ لأن العمل الذي تم إنجازه في فارس، والهند يشكل- إلى حد ما- تجارب أولية، إن أثبتت نجاحا أكيدا فسترشدنا إلى الدخول في صلب العمل العظيم وبضمانات كاملة للموضوع.

إن الجزيرة العربية مهد الإسلام. وقد كتب الجنرال هيج عنها قائلا: "من خط ساحلي مجموع طوله ٣٩٠٠ ميل، ١٥٠٠ ميل فقط منها يتبع تركيا، أما ٢٤٠٠ ميل فإنه يتبع دولاً مستقلة. ومن مجموع السكان العشرة ملايين ثلاثة ملايين تقريبا مواطنون أتراك والباقي مستقلون". وقد جددت الحكومة التركية مؤخرا عداءها لأعمال المسيحيين إلى درجة خطرة. إنهم لم يغلقوا الباب كليا، إلا

أن معارضتهم النشطة الحالية تدعونا إلى أن نحول أنظارنا إلى الأجزاء المستقلة من شبه الجزيرة العربية.

إنها قناعة الجنرال هيج المدروسة بأنه توجد في عمان التي عاصمتها مسقط مواضع مهمة للإنجيل. إن مجموع سكان الدولة يقدر بـ ١,٦٠٠,٠٠٠ (Whitaker's Almanack, 1888). ويوجد سبب جيد للإيمان بأن الحكومة سوف لا تبدي أي معارضة لهذا النشاط هناك. وتفيد آخر المعلومات التي وصلتني من الساحل ان الإمام السيد تركي قد مات، لكن النفوذ البريطاني قوي على مسقط، والشكر موجه لمجهودات الجنرال مايلز (General Miles). وليس من المحتمل أن يحاول خليفة السيد تركي- في سنته الأولى على الأقل- معارضة جهدنا المتطفل والحكيم بالبدء في إرسالية مسيحية في عاصمته.

إن مسقط – ولأكثر من اعتبار – هي المفتاح لوسط إفريقيا. فمنذ قرن مضى، دفع إمام مسقط بفتوحاته على طول ساحل شرق إفريقيا واستنقذ زنجبار من أيدي القوة البرتغالية المتقهقرة. وببصيرة نادرة تمسك الإمام بالجزيرة العطرة معتبرا إياها بوابة إلى وسط إفريقيا. وخلال الثلاثين سنة الماضية أو أكثر، كانت زنجبار مستقلة، لكني نادرا ما أقابل عربيا لا ينظر إلى مسقط على أنها الوطن. إن الفضل أساسا يعود إلى عرب مسقط – الذين تغلغلوا من زنجبار إلى داخل الأرض ببضائع مصانع مانشستر، وأقاموا علاقات سلمية مع القبائل المحلية – في أن يجد، الرحالة أولاً، والإرساليون لاحقا طرقا للوصول إلى الأعماق في الداخل. إن هندوسا من كتش، وبانيان من بومباي يتاجرون لعدة قرون في الساحل الأفريقي الشرقي، إلا أنهم كانوا هيابين للغاية من المغامرة في الداخل. ومن جهة أخرى، أرى بأني في مأمن إذ أقول إنه بشكل عام أينما حاول الرحالة الأوربي في شرق أفريقيا أن يتغلغل إلى مناطق أبعد من تلك التي زارها العربي فإنه يجد أن من المستحيل عليه أن يشتري حق العبور، وحينئذ يصبح مرغما إما أن يقاتل لأجل المرور، أو يلجأ إلى الطيران. إن من يتتبع قصة السنوات الماضية سيقف على حوادث لا تحصى من

قبيل ما ذكرت. فعلى سبيل المثال، واجه ستانلي (Stanley) الصعوبات عندما عبر أقصى نقطة للعرب في مانيوما، وكذلك تومسون (Thomson) عندما عبر إلى الغرب من تانجانيقا، ورتشارد وجيرود (Reichard and Giraud) على اللولابا. وعلى هذا الأساس فإنه أينما رحل العربي (أعني سلميا) كان بإمكان الإرساليين أن يذهبوا، وحيث لم يغامر العربي فإن الإرساليين يجب عليهم أن يبدوا أقصى درجات الحذر في ذهابهم.

إن العرب المحتشدين في وسط إفريقيا ينحدرون عموما من مسقط، أو المدن الأخرى التي تحت السيادة العمانية، عدا القليل من البلوش، وأهل شحر، وحضرموت. وإن عدد الهجناء المولودين في زنجبار ويونيانيمبي يزيد الآن عما كان عليه في الماضي، ولكن كقاعدة، فإن العربي القح ينتمي إلى عمان. إن هذا العربي يجد طريقه في "ظو"[١] محلي قاصدا إلى زنجبار، مقابل قليل من الدولارات. فيقدم إلى زنجبار وليس له راس مال يبدأ به، ولكنه يصاحب رفيقا له أغنى منه وجده يُعِدّ قافلة للذهاب إلى الداخل. وشيئا فشيئا يبدأ هو نفسه في تكوين تجارته الخاصة به معتمدا على قوة فيل أو اثنين ليصل بهما إلى الداخل. وإذا كان ناجحا في تجارته فإنه يحصل على ضمانات من التجار الهنود على الشاطئ إلى أي مدى يريده، ويستفيد من ذلك قدر طاقته. وبعد عشرين سنة من العمل يعود إلى مسقط وهو غني يطمح في أن يشتري قطعة من الأرض ليحفر فيها آبارا، ويمد قنوات للري، ويستصلح قطعا لزراعة النخيل.

أظن بأن أكثر العرب الذين قابلتهم في الداخل وهابيون – وهم طائفة يمكن أن يُدعَوا بأنهم متزمتون في طريقتهم، أو على الأقل إصلاحيون، أو مسلمون

---

[١]يقول السير دونالد هولي في كتابه "عمان ونهضتها الحديثة"[٢] "و نجد أن كلمة (ظو) يطلقها الاوربيون عادة على جميع أنواع السفن المحلية في عمان ولكن هذه الكلمة ليس لها مدلول ما في عمان في الوقت الحاضر ولعلها كانت قديما تطلق على نوع من القوارب كان مستعملا على ساحل إفريقيا الشرقي ثم لم يلبث أن انقرض" (ص ١٦٠).

دونالد هولي (١٩٧٦) "عمان ونهضتها الحديثة"، لندن، مؤسسة ستايسلي الدولية.

بروتستنتيون. وإن خبرات أكثر الرحالة، حسب ظني، أن العربي المسقطي في وسط إفريقيا رجل مهذب يسعد الشخص بلقائه في ذلك الوسط البربري. وهو، إذ لا يقارن بالتاجر الهندوسي الماهر على الشاطئ، إلا أنه في الوقت ذاته، لديه عين حاذقة في التجارة، وبشكل عام يخطط لاستغلال الأوربي المحتاج، ويعتبره على الدوام بأنه ساذج في أمور التجارة.

إن سلوك العربي، على كل حال، قد تغير الآن. إذ لم يعد الأوربي في نظره ذلك الرحالة المعزول الذي يلاقيه، ويفتخر بضيافته المتعة، لعلمه بأن كرمه سوف لن ينسى. لقد أصبح العربي مدركا لحقيقة أن هؤلاء الرحالة إنما هم رواد لتجار سيأتون لينافسوه في التجارة وإرساليون، مسيحيون وقد عبِّئ أن يبغض عقيدتهم. لذلك لا عجب، إذن، أن نجد العربي عدونا العنيد، جاهزا للجوء إلى أكثر الطرق وقاحة ليخلص البلد من وجودنا.

إن الإسلام ليس ميتا، بل ولم يعد نائما. وفي الوطن – الجزيرة العربية – قد تكون غَيرةُ الوهابية بردت، ولكن الرغبة القديمة في الإصلاح لا تزال باقية. وعصبيتهم القديمة تقدم مجالا للأفكار التحررية التي تتناسب – بصدق – مع العقل العربي. وبالرغم من أنهم قد نشؤوا متبعين لأكثر الفرق الإسلامية تشددا، إلا أن أغلبهم بعد أن يمضوا سنوات عدة في إفريقيا يصبحون متهاونين تماما في دينهم، وينغمسون في المشروبات الروحية، والدخان (ليس دائما مجاهرة)، في حين يصبح عدد غير قليل منهم مؤمنين بالشعوذة والقرون السحرية الأفريقية. ويمكنني أن أذكر حوادث عديدة تخلوا فيها عن دين آبائهم كليا واعتنقوا ديانات السحر المحلية.

إنني كثيرا ما أسمع العرب – في محاولاتهم إقناع السلطات الأوغندية بالعدول عن التسامح مع تعاليمنا – يؤكدون بأننا لا نجرؤ على إدخال ديننا في بلدهم (عمان). وكثيرا ما يوبخني الزنوج قائلين "لماذا تأتون إلينا تطالبون الناس

بتغيير عادات آبائهم في حين أنكم تهملون العرب وغيرهم ممن هم أقرب إليكم؟"
إن هذه الرزية يجب أن تزال.

إن إرساليتنا في (نيانزا) تدين بالكثير لعرب مسقط، ابتداء من السيد برغش - آخر أمراء زنجبار - وإلى أقل تاجر في الداخل. لقد ساعدونا مرارا، وأعاقونا على السواء؛ لذلك فنحن مدينون لهم بالضعف. ولا أرى طريقا أكثر أثرا لرد هذا الديّن من إنشاء فوري لإرسالية قوية في قلب مركز قيادتهم - مسقط نفسها. وإذا كان أكثر المحمديين تزمتا وتحفظا قد استطاعوا بالترحال توسيع أفكارهم، و- كما نشاهد بأعيننا - يصبحون يوميا أكثر تنورا، وتسامحا، وإذا كان البعض منهم يوافق على تغيير معتقده إلى السحر؛ فمن ذا الذي يجزم بأنهم سيعيرون أذنا صماء لوحي رحمة الرب؟ إنني لا أنكر أن المهمة شاقة، وأن الرجال المختارين للعمل في مسقط يجب أن يكونوا قد وُهبوا قدرا ليس بقليل من روح عيسى، إلى جانب امتلاكهم للقدرة اللغوية؛ حتى يتمكنوا من الوصول ليس الى أسماع الرجال فحسب، بل الى صميم قلوبهم.

هل يُعقل أن تفشل الجامعات الإنجليزية في رفدنا بعدد كافٍ من الرجال القادرين على الدخول في هذا العمل مباشرة؟ عندما وضُعت احتياجات إرسالية كيث فالكنور Keith-Falconer Mission أمام الكليات اللاهوتية في سكوتلندا، وجد أنه ليس أقل من خمسة من أفضل الطلاب واجدرهم (خريجين كما أظن) مستعدين لمباشرة العمل. إن الجامعات الإنجليزية عمليا أكثر تأهيلا لدراسة اللغات الشرقية من تلك السكوتلندية. أما من بين العدد الهائل من الكهان، فإنه يمكن بالتأكيد الحصول على نصف درزن من ذوي الطابع المناسب. إذا عزمنا على هذه المغامرة الإيمانية، فإنني لا أشك بأن الرب سوف يرسل إلينا الرجال اللائقين.

إن أهمية مسقط كمركز تنصيري، للعمل وسط العرب، أمر لا يمكن المغالاة في تقديره. يجب أن لا يُشغَلَ الموقع بموظفين ضعفاء؛ لأن طبيعة الحالة تتطلب إلقاء خطب في الأسواق، وعملاً تبشيرياً من النوع الذي يُفتخر به. ويُفضّل أن يُركّز

الجهد في اتجاهين: (١) الطب؛ ويكون فيه العون من قبل نساء مدربات بمثابة مهدٍ فعال للمعارضة. (٢) التعليم؛ ويتجه بشكل أساسي نحو تدريب عربٍ شبابٍ ليكونوا منصرين لأهل بلدتهم. وإن أي فكرة لمحاولة إدخال تعليم الإنجليزية يجب أن تكون غير مطروحة للسؤال إطلاقا. يجب أن يحصل الموظفون منذ البداية على مساعدة قس نصراني عربي من سورية، أو الهند، أو من أي بلد من الأرض المحمدية، قد أثبت جدارته في العمل من أجل المسيح. إن هذا الرجل مع اثنين من الأوربيين (كهنوتي وطبي)، ومعهم ما لا يقل عن امرأتين يمكنني أن أعتبره حقا فريقا كافيا لبداية العمل. إن اقتراحات محترمة لأسلوب العمل قد قدمها الجنرال هيج في ورقته حول "الجزيرة العربية كحقل إرسالي في .C.M) Intelligencer, July 1887 pp.420-21). ومما له فائدة عظيمة أيضا "تقرير المؤتمر الإرسالي العشري" المنعقد في كلكتا في ١٨٨٢م؛ حيث صيغت أكثر الخبرات نضجا لرجال مختصين ينتمون إلى هيئات متعددة قد عملوا في وسط المحمديين بدون أدنى نجاح.

إنه لا داعي للقول بأن المستقبل في أفريقيا سيكون أكثر إشراقا بتأسيس إرسالية للغرب في مسقط. فإذا كانت الادعاءات التي وضعت للهند جديرة لأن تَعَدَّ سامية، فتلك التي لمسقط مساوية لها. وذلك لأنه لا مكان على الأرض– على الأقل ليس في منطقة واسعة كوسط أفريقيا– فيه للمحمديين قوة للتأثير على عمل "الجمعية الإرسالية الكنسية" (CMS).

ويسترعي الوضع في زنجبار ذاتها الاهتمام بعد عمان. إذ تقوم الإرساليات الجامعية هناك بعمل رائع بين العبيد المحرَّرين، وبين بعض القبائل في البر، لكن نفوذها لا يكاد يُحسُّ بين العرب الذين هم القوة الحاكمة وملاّك الأرض– هذا إن وجدت فعلا أي محاولة جادة للوصول إليهم. يجب التذكير بأنه يوجد، أيضا، في زنجبار عدد كبير من السكان الزنوج الأحرار المدينين بتحررهم أساسا للحكومة البريطانية، وكانوا هم المعاونين الرئيسيين للرحالة والإرساليين الذين يعبرون إلى

الداخل. هؤلاء يعرفون عموما باسم وانجوانا (السادة)، واسميا كلهم محمديون، فلم أسمع بأي جهد قد عمل على الشاطئ لعرض المسيحية على هؤلاء الرُّحل. وقد اقترحت عليهم في بعض المرات أن يذهبوا إلى مدارس الإرساليات الجامعية للتعلم، لكنهم استهجنوا بقوة الفكرة، وردوا بأن المدرِّسين المسيحيين في زنجبار أنفسهم مشغولون فقط بالعبيد الذين تنقذهم الفرقاطات البريطانية. إن تحاملهم القوي على ربطهم بالعبيد يجب أن يحترم في أي محاولة لتنصيرهم.

وأما في ما يتعلق بالرومانيين، فربما نُجِلّ صناعتهم، ونجاحهم في تعليم العبيد الذين يسلمهم إليهم المقيم البريطاني، ولكننا في ريب من تحقيقهم لأي عمل ناجح بين المحمديين- عربا أم زنوجاً. ولا أظن أن لديهم أملاً في متحولين عن الإسلام من تلك المنطقة. لقد سألت مرة كبيرَ مؤسستهم في باجامويو عن مدى تمكنه من تحقيق أي تأثير جيد في أهل المدينة، فكان جوابه "آه، إن إرساليتنا ليست لهم أبدا؛ إنها لأهل الداخل! "وكانوا آنذاك ليس لهم محطات، إلا تلك التي على الساحل.

ويُفترض- عموما- أن المحادثات التي دخلتها بريطانيا مع زنجبار تتعلق بتجارة الرقيق فقط، ولكن، في الحقيقة، أن مواضيع أكثر أهمية وصلت إلى درجة العمل الإرسالي قد سويت دبلوماسيا بين البلدين. إن "معاهدة صداقة وتجارة وملاحة" قد وُقِّعت بين بريطانيا وزنجبار في ٣٠ إبريل ١٨٨٦م. وهي تشتمل على سبعة وعشرين بنداً تُعنى، أساسا، بالحقوق، والتعريفات، لكن البند رقم ثلاثة وعشرين يجب أن ينظر إليه بشكل خاص. فقد جاء هذا البند على النحو التالي: "إن رعايا الطرفين المتعاهدين الساميين يتمتعون بحرية الوجدان، والتسامح الديني في سيادة البلد الآخر. إن الممارسة الحرة، والعلنية لأي شكل من الدين، وحق بناء صروح العبادة الدينية، وتشكيل إرساليات دينية لأي عقيدة يجب أن لا يُقيد أو يُتدخل فيه بأي سبيل كان. والإرساليون، والعلماء، والمكتشفون، ومرافقوهم،

وممتلكاتهم وما يجمعونه يجب كذلك أن يكونوا تحت الحماية الخاصة للطرفين المتعاهدين الساميين".

إنَّ هنا بابا للحرية قد أبقي مفتوحا. وبموجب مضمون القرار الذي كتب في اجتماعنا الأخير في مايو – الذي اقتبسناه في بداية هذه الورقة – فإننا ملزمون إما أن نستغل بأنفسنا هذه المواضع، أو نكون على يقين بأن هيئات مسيحية أخرى ستفعل ذلك. إن "إرساليات الجامعات" قد فشلت إلى الآن في الاستغلال الكافي للحرية التي ضمنتها هذه الاتفاقية؛ ربما بسبب الحاجة إلى الرجال والمعدات. ولكن حتى لو توسعت عملياتهم لتصل إلى بعض السكان المحمديين، فإنهم لن يستطيعوا أبدا منفردين تأدية هذا العمل كما ينبغي له. لذلك فهناك أكثر من مكان رحب لتكرِّس فيه جمعيتنا نشاطها، وأقله تجنيد إرساليتين للعمل في وسط العرب، والسود الأحرار، على سبيل الحصر. إن هذا سيشكل عونا عظيما، ليس لإرسالية مسقط فحسب، ولكن لكل عملنا في داخل أفريقيا. إن المقيم البريطاني، القنصل العام الحالي في زنجبار الكولونيل تشارلز بي يوان سميث (Colonel Charles B. Euan-Smith) رجل مسيحي مخلص، ولديه نفوذ كافٍ لدى السلطان الجديد (السيد خليفة) ليطلب من الأخير الامتثال لروح الاتفاقية.

وفي الختام لأقتبس كلمات واحد من منسقينا – القسيس دبليو جري .Rev W. Gray– في ندائه الجاد من أجل "إرسالية الى المحمديين" .C. M) Intelligencer, January 1888) "لتواجه الجمعية (ليس المؤتمر فحسب) هذا العمل بجدية حقيقية... يجب أن يوضع بشكل ثابت توظيف المحمديين المتحولين [عن الإسلام] أنفسهم في هذا العمل... إن الشيء العظيم الآن هو أن اهتمام الجمعية الجاد يجب أن يوجه نحو هذا الموضوع".

إن هذا النداء لا يُعنى بأهل الهند من المحمديين، فمؤيدوهم كُثُرٌ، بل يُعنى بالتاجر العربي في أفريقيا – الذي بيته إما في مسقط أو في زنجبار. عسى أن يقال

قريبا "لقد جاء في هذا اليوم الخلاص إلى هذا البيت لأنه هو أيضا ابن لإبراهيم[١]"!".

١. ٣. ٢. هل عمان هي السبب؟

يشير القسيس ري اف سكنر (Ray F. Skinner) في كتابه (المسيحيون في عمان) "Christians in Oman" إلى أن الاكزندر ماكي قد وجه هذا النداء إثر اختطاف مجموعة من طلابه الأفريقيين، وبيعهم في أسواق الرقيق في مسقط. لأجل هذا أصدر القسيس نداءه بالقضاء الجذري على الإسلام في هذا البلد وإبدال أهله بالنصرانية الغربية التي كانت- حين ذلك- تروِّج لشعار مكافحة الرقيق؛ حتى يتم القضاء على تجارة الرقيق المزدهرة بين شرق أفريقيا وشبه الجزيرة العربية التي كان التجار العمانيون المحركين الحيويين لها.

وفي حقيقة الأمر، لم يكن اختطاف أحد تلامذة القسيس هو الدافع الذي وقف خلف إصدار هذا النداء. فالقسيس لم يُشِرْ في نص ندائه- كما هو واضح أعلاه- إلى مثل هذه الحادثة. كما لم يَرِدْ في الكتاب الذي أصدرته "الجمعية الكنسية" نفسها تحت عنوان (تاريخ الجمعية الإرسالية الكنسية، ظروفها، رجالها وعملها) "The History of the Church Missionary Society: Its Environment, Its Men and Its Work" أي ذكر لحوادث سُرق فيها طلاب للقسيس وتم بيعهم في أسواق مسقط. وقد عرض هذا الكتاب بالتفصيل نشأة "إرسالية أوغندا- أو إرسالية نيانزا (Nyanza Mission) كما سميت أولا- والمشكلات التي واجهها إرساليوها. ولم يُشِرْ هذا الكتاب، كذلك، في طرحه لنداء السيد ماكاي إلى هذا السبب إطلاقا. فهذه الأدلة كلها تؤكد بما لا يدع مجالا للشك أن سرقة طلاب القسيس وبيعهم في أسواق مسقط أمر غير صحيح إطلاقا.

---

[١] يقصد السيد ماكاي العرب، لأنهم حسب مصادر العهد القديم من أبناء نبي الله إبراهيم من طريق ابنه إسماعيل عليهما السلام.

وأما النداء ذاته فقد راق لبعض المنصرين الذين جاءوا من بعد السيد ماكاي. فالقسيس الأمريكي صامويل زويمر مثلا أعتبره مهما كوثيقة صادرة من جهة تنصيرية من وجهتين: الأولى، أن السيد ماكاي قد تنفس روح النصرانية من حيث إظهار الحب للعدو، والثانية، أنه وضع حلا جذريا لتجارة الرقيق[1].

إن هذا الحب المزعوم، وإن كان يبدو هو الدافع الرئيس في توجيه نداء السيد ماكاي فإنه- في حقيقة الآمر- ليس كذلك. ولم تكن الرغبة في القضاء على تجارة الرقيق هي التي تقف وراءه كذلك- كما يبدو واضحا من نص النداء. إن هذا النداء لم يكن في حقيقته إلا صرخة ألم، واستغاثة أطلقها السيد ماكاي في لحظة توجع ويأس وحيرة من عمق المستنقع الأوغندي المتفجر تحت قدميه.

فقد تفجرت المشكلات في وجه القسيس ماكاي منذ لحظة وصوله ووصول فرقته التنصيرية العاصمة الأوغندية "روباجا" (آنذاك) في جمادى الآخرة ١٢٩٤هـ/٣٠ يونيو ١٨٧٧م- وقد وصل السيد ماكاي نفسه أوغندا في ذي القعدة ١٢٩٥هـ/نوفمبر ١٨٧٨م[2]. وكان وضع إرسالية أوغندا متأزما للغاية وذلك لتنوع المشاكل التي واجهتها وتعقدها. وحسب مصادر "الجمعية الإرسالية الكنسية" كان للعرب- الذين أشار السيد ماكاي إلى أصولهم العمانية- دور لا ريب فيه في الوقوف في وجه النشاط التنصيري الذي تقوم به هذه الإرسالية. وقد أستغل هؤلاء العرب نفوذهم لدى الملك الأوغندي "متسا"، وكذلك لدى طبقات الشعب المختلفة- وحتى غير المسلمة- لإحباط مخططات الإرسالية التنصيرية. فكان للنشاط الديني المعاكس الذي يقوم به هؤلاء المسلمون أثر في إعراض الناس عن قبول الديانة التي يطرحها المنصرون. فعلى سبيل المثال، فإنه بالرغم من علاقة السيد ماكاي الوطيدة بالملك "متسا"، إلا أنه فشل في إقناعه باعتناق النصرانية. وكان الملك يردُّ دائما على

---

[1] Zwemer, Samuel (1900 a)، ص ٣٢٩.

[2] هاجمت بعض القبائل الأوغندية بالسهام السامة والحجارة زميلي القسيس ماكاي، ويلسون (Wilson) وسمث (Smith) وهم في طريقهم إلى العاصمة الأوغندية أول مرة مما ذهب بإحدى عيني السيد سمث.

إلحاح السيد ماكاي عليه باعتناق النصرانية، بأنه غير قادر على الاختيار بين النصرانية والإسلام. واعترف السيد ماكاي بفشله في هذه المهمة قائلا: "لقد بدأ متسا بعذره المعتاد، قائلا: "هنا هذان الدينان". عندما يقرأ مسعودي[1] كتابه "القرآن" تدعوه أنت بأنه كذب. وعندما تقرأ أنت كتابك يدعوه مسعودي بأنه كذب. أيهما صحيح؟" فتركت مقعدي وتوجهت إلى البساط فركعت عليه. وبأكثر الأساليب وقارا قلت: "يا صديقي متسا، لا تكرر دائما ذلك العذر! فعندما نقف أنت وأنا أمام الرب في يوم القضاء العظيم هل ستجيب الرب العليَّ بأنك لم تعرف ماذا تُصِّدق؛ لأن مسعودي أخبرك بشيء ما وماكاي أخبرك بشيء آخر؟ لا، إن لديك العهد الجديد، إقرأه لنفسك. والرب سيهديك بذلك. إنه لا يوجد أحد بحث عن الحقيقة هناك ولم يجدها"[2]. وقد مات الملك متسا في ١٠ أكتوبر ١٨٨٤م على دين آبائه، وفشل ماكاي في تنصيره.

لم تكن المشاكل التي واجهتها إرسالية ماكاي تصدر من جانب العرب فقط، فقد قدم إلى المنطقة- إثر انتشار الخبر من تمكن الفريق الإنجليزي من الوصول إلى أوغندا- فريق تنصيري فرنسي كاثوليكي روماني عمل على الكيد لفرقة ماكاي البروتستنتية وإحباط مخططاتها. وكانت الإستراتيجية التي تعمل وفقها الكنيسة الكاثوليكية هي "أن إعاقة عمل الإرساليات البروتستانتية أكثر أهمية بالنسبة لنا من الذهاب إلى المناطق الوثنية غير المتنصرة"[3]. وقد بلغ النزاع بين الطائفتين النصرانيتين التنصيريتين إلى حد التشاجر الكلامي أثناء أداء الصلوات، وتبادل التهم بالكذب، والافتراء أمام الملك متسا نفسه. وحسب مصادر "الجمعية الإرسالية الكنسية" فإن الفرنسيين قد أحضروا معهم البنادق، والذخيرة، والبدل العسكرية،

---

[1] يبدو انه اسم لرجل مسلم كان يدعو الملك إلى الإسلام ويقرأ أمامه القرآن.

[2] (The History of CMS p411.

[3] (vol III p105.

والسيوف هدايا للملك الأوغندي. وتمكن الكاثوليك الفرنسيون من الفوز بأتباع أكثر من الذين جناهم البروتستنت الإنجليز خلال الفترة نفسها.

وبالرغم من علاقة الإرساليين الإنجليز الوطيدة بالملك، إلا أنهم كانوا يعانون من تصرفاته معهم وتقلباته المزاجية أشد المعاناة. وقد حددوا مشكلاتهم التي يواجهونها في أوغندا إجمالا في ثلاث نقاط وهي: "تقلبات الملك متسا، ومكائد العرب، ومعارضة القسيسين الفرنسيين"[١].

وبعد موت الملك متسا كان وضع الإرسالية الإنجليزية يبشِّر ببزوغ فجر جديد في ظل حكم الملك الجديد "موانجا" الذي درس في مدارس الإرساليتين الإنجليزية والفرنسية. وظهر هذا الأمل أكثر إشراقا مع خلو الساحة من الفرنسيين الكاثوليك الذين رحلوا عن أوغندا منذ أكتوبر ١٨٨٢م فاسحين المجال للإنجليز لتحقيق أهدافهم. وقد بدأت بشائر العهد الجديد تتحقق بدعوة الملك الجديد لماكاي بتجميع المنصرين المتشتتين حول بحيرة فكتوريا في العاصمة الأوغندية. إلا أن الوضع ما لبث أن أنقلب رأسا على عقب في وجه الإرسالية الإنجليزية؛ حيث وصلت إلى مسامع الملك أن بلاده مهددة من الجهة الشرقية. فقد بلغه أن "الرجال البيض" يساعدون الدولة المجاورة أوسوجا للانقضاض على أرضه. وكالعادة يتهم الإرساليون العربَ بتأجيج هذه الفكرة، فقد قالوا: "لقد رعى العرب هذا الخوف، وقالوا كذلك بأن أوربيين آخرين يلتهمون مقاطعات الساحل- مشيرين إلى الاستيلاء الذي بدأ به آنذاك الألمان"[٢].

فإثر وصول هذه الأنباء إلى الملك هبت عاصفة حمراء من الغضب على الإرسالية وأتباعها في أوغندا. فقد أصدر الملك تعليماته بمهاجمة مقر الإرسالية. فنفذت الأوامر، وصودرت ممتلكات الإرسالية، وقتل عدد من المتنصرين، وسجن عدد آخر منهم، وأصدر الملك أمرا بقتل القسيس هانينجتون (Hnnington) ورفاقه

---

[١] (ص ١٠٧).

[٢] The History of CMS p411

الخمسين. ثم مَثُلَ ماكاي وزميله آش (Ashe) – لمدة ثلاث ساعات – أمام موانجا للتحقيق. وتبع هذا المزيد من الأعمال الوحشية؛ فقتل الكثير من أعضاء المجلس الكنسي، وأحرق كثير منهم أحياء بعد ما قطعت أوصالهم، وعُذِّب آخرون منهم، واضطر ماكاي إلى الفرار إلى مركز الإرسالية في أوسامبيرو. ووصلت أنباء هذه الأعمال إلى بريطانيا وكتبت عنها التايمز (The Times) في عدديها ٢٨ و٣٠/١٠/١٨٨٦م، كما سرت أخبار القتل في معظم بقاع العالم، وانتشرت في أوساط الإرساليات التنصيرية، وعلم بها المُنَصِّرون والمتنصرون في الصين ومدغشقر وغيرها.

ثم تبع هذا موجة أخرى من العاصفة المدمرة؛ وذلك بتكالب القوى الغربية على تقاسم القارة الإفريقية مما عرَّض الإرساليين وأنشطتهم إلى خطر ليس أقل من الخطر السابق. فألمانيا فرضت في ١٨٨٨م وبسرعة شديدة سيطرتها على منطقة شاسعة ممتدة من الساحل حتى بحيرة تانجنيقا، ضامة تحت كنفها العديد من مراكز الإرسالية فأدى ذلك إلى قطع الطرق، وتعذر المرور، ووصول البريد. ومما زاد الأمر سوءاً الحصار البحري المشترك الذي فرضته السفن البريطانية والألمانية. وقد أجبر هذا الوضع القنصل العام البريطاني في زنجبار– الكولونيل سي بي إيون سمث (Colonel C. B. Euan Smith)– إلى استدعاء أعضاء الإرسالية العاملين في الداخل إلى الساحل.

ثم حدث انفجار آخر في المستنقع الأوغندي، وذلك عندما اجتمعت الطوائف الدينية والشعبية المختلفة على الإطاحة بالملك موانجا، ونُصِّبَ في مكانه أخوه الأكبر كيويوا في سبتمبر ١٨٨٨م. وتبع هذا انفجار أخطر، وذلك بثورة المسلمين الأوغنديين على النصارى مستائين من تولي الأخيرين للمناصب العليا في البلد. وكما هو الحال تتهم "الجمعية الإرسالية الكنسية" التجار العرب بالوقوف خلف هذه الثورة. ونتج عن هذه الثورة طرد جميع الإرساليين– بمن فيهم الفرنسيين والإنجليز– خارج أوغندا، كما أدى إلى نزوح جماعي للنصارى الأوغنديين إلى غرب البلد. ونتيجة لهذه الأحداث، أصدرت "الجمعية الإرسالية الكنسية" أمرا

بإنهاء عمل الإرسالية في أوغندا. إلا أن الإرساليين الذين انضموا الى السيد ماكاي في مركز الجمعية في أوسامبيرو رفضوا الرضوخ إلى هذا القرار.

وهكذا يتضح أنه من مستنقع الدماء، والتنافس على النفوذ، والانقلابات، والقتل، والتعذيب، وقطع الطرق، والحصارات البحرية، والنفي، والبنادق، والبارود الذي شاركت في تأجيج ناره قوى أوربية شرسة تتنافس على النفوذ، وطوائف دينية غربية متناحرة، وجه القسيس الإكزندر ماكاي نداءه الداعي إلى تنصير عمان - المعقل الإسلامي الشرقي في الجزيرة العربية - لعل هذا البركان الثائر تحت قدميه تهدأ حممه، ولعل وسط إفريقيا تبرأ جراحها النازفة بالدم.

١. ٣. ٣. ملخص

لم تلق صرخة الأسقف الإنجليزي الإكزندر ماكاي التي بعثها في ١٣٠٥هـ/١٨٨٨م من حقله التنصيري المتوتر في أوغندا بالقارة الإفريقية أي أذن صاغية لدى "الجمعية الإرسالية الكنسية"، بل لم تنظر الجمعية الى مسقط على أنها مركز إسلامي، ذو أهمية تنصيرية. إلا أن هذا النداء الحساس لم يكن ليذهب أدراج الرياح، بل لاقى هوىً في نفس الأسقف الانجليكاني توماس فالبي فرنش العائد لتوه - أبريل ١٨٨٩م - الى المملكة المتحدة إثر إحالته إلى المعاش بعد فترة قضاها في خدمة مركز الجمعية في الهند. وقد شعر فرنش بالفراغ الذي نتج عن فك الارتباط مع الجمعية. فقرر إثر ذلك الاستجابة الشخصية والفردية الى هذا النداء فوصل مسقط في فبراير ١٨٩١م للقيام بعمل تنصيري بين العمانيين دام خمسة أشهر تقريبا.

١. ٤. نشاط الأسقف توماس فرنش التنصيري في عمان: التجربة التنصيرية الأولى

"لا شيء سوى محمد والقرآن يمكن أن يُرضي العربي".

الأسقف توماس فالبي فرنش[١]

يُعَدُّ الأسقف توماس فالبي فرنش (Thomas Valpy French) الذي وصل مسقط الأحد ٢٧ جمادى الأولى ١٣٠٨هـ/٨ فبراير ١٨٩١ م أول مُنَصِّر غربي يصل عمان للعمل التَّنْصِيري المباشر بين العمانيين، ملبيا بذلك النداء الذي أطلقه من أوغندا المنصر الإنجليزي الإكزندر ماكاي في ١٨٨٨/٨/٨م، انظر الباب الثالث. فقد غادر فرنش بريطانيا في ٣ نوفمبر ١٨٩٠م متوجها الى مسقط في مبادرة وصفتها سجلات الجمعية الإرسالية الكنسية قائلة: "لقد كانت مغامرة بطولية بحق لرجل في الخامسة والستين أُنهك بكثير من الترحال، والدراسة، والعمل غير المنقطع. ولكن فرنش كان من الأجساد التي خُلقت منها الأبطال، في الحقيقة كانت حياته كلها عملاً بطولياً"[٢]. وقد قام فرنش في عمان بالعديد من الأنشطة التنصيرية، وحاول القيام بجولة تنصيرية إلى الجبل الأخضر. إلا أنه لم يتمكن من تحقيق طموحاته التنصيرية في عمان، وانتهى دوره التنصيري بموته في مسقط بعد اشهر قليلة من وصوله.

١. ٤. ١. شخصه وحياته

ولد الأسقف فرنش بمدينة برتون–اون– ترنت (Burton-on-Trent) بإنجلترا في ١٢٦٦هـ/١٨٢٥م[٣]. ويعتبر واحدا من مجموعة قليلة من المنَّصِرين

---

[١] Briks, Herbert (1895)، ص ٣٧٨.

[٢] Stock, Eugene (1899)، ص ٥٣٣.

[٣] Briks, Herbert (1895),

الإنجليز المؤهلين تأهيلا علميا عاليا للقيام بالعمل التنصيري خارج إطار بلده. فقد درس في مدرسة ردنج وبرتون للنحو (Reading and Burton Grammar school)، ثم التحق بجامعة اوكسفورد وتخرج فيها بدرجة الشرف[١]. وكان فرنش الذي يسمى بين أصحابه "رجل الألسن السبع" يجيد إلى جانب لغته الأم، الإنجليزية، سبع لغات عالمية منها العربية، والهندية، والفارسية[٢]. وقال عنه القسيس الأمريكي صامويل زويمر انه حاز من الصفات العلمية، واللغوية، والدينية أكثر مما كان يتوقعه السيد ماكاي نفسه[٣].

انضم الأسقف فرنش في ١٨٥٠م للعمل لدى "الجمعية الإرسالية الكنسية" (Church Mission Society) والتحق مباشرة بالعمل التنصيري في مدينة لاهور بالهند. وأسس بمدينة اجرا بالهند في ١٨٥٠م "كلية القديس يوحنا" (St. John's College)، وهي أول كلية انجليكانية أُسستْ في الهند. ثم أسس بمدينة لاهور "مدرسة اللاهوت" (Divinity School). وفي ٢١ ديسمبر ١٨٧٧م عُين السيد فرنش أسقفا أولا على الأسقفية الانجليكانيه في لاهور والتي شملت تحت مسؤولياتها جميع شمال غرب الهند بما فيها كشمير[٤]. وشارك فرنش كذلك في أعمال تنصيرية في أفغانستان وبلاد فارس والعراق ومنطقة الشام. وأثناء وجوده في الهند اشترك في مناظرات دينية جماهيرية مع كل من رحمة الله ووزير خان إلا انه كان يشكك في نجاح هذه المناظرات كأسلوب تنصيري فكان يحبذ عوضا عن المناظرات المنهج الطويل الأمد للتعليم والزيارات التنصيرية[٥]. وقد رجع السيد

---

[١] Oddie, G. A. (1979),

[٢] Phillips, و Stephen Neill, Gerald H. Anderson and John Goodwin (1970) Wendell (1967)

[٣] Zwemer, Samuel (1900 a)، ص ٣٣٠.

[٤] Stephen Neill, Gerald H. Anderson and John Goodwin (1970)

[٥] Oddie, G. A. (1979),

فرنش إلى إنجلترا في شهر إبريل ١٨٨٩م متقاعدا من عمله في الهند، ومنهيا ارتباطه الرسمي بالجمعية الإرسالية الكنيسة[١].

١. ٤. ٢. الزيارات الأولى لعمان

لم تكن ٢٧ جمادى الأولى ١٣٠٨هـ/٨ فبراير ١٨٩١ م أول مرة يطأ فيها الأسقف فرنش أرض عمان، بل زار مسقط مرتين قبل ذلك. فقد كانت مسقط نقطة عبور له في ٢٠ مارس ١٨٨٢م عندما كان متوجها إلى إيران في مهمة تنصيرية. ولم يكن يدرك حينئذ بأن مسقط ستكون يوما من الأيام ميدانا من ميادين عمله، لذلك فإن انطباعاته عنها من وجهة النظر التنصيرية لم تكن متفائلة بالرغم من اقتباسه عبارة هنري مارتن "... لكن بما أنه يوجد وعد مدّخر لبني يقطان فإن أرضهم قد تكون في يوم من الأيام مباركة بحق"، انظر الباب الأول. وقد كتب فرنش عن انطباعه عن مسقط في رسالة بعث بها إلي زوجته قائلا: "... [خرجت] لكي أرى المكان وما فيه من غرائب، ولكي استطلع إن كان يوجد أي مصلين يمكن جمعهم، حيث كانت الثلاثاء في الأسبوع المقدس، ففي كلا الأمرين قد خاب ضني. لا توجد غرائب كما أنه لا يوجد مصلون. القليل من المقيمين كانوا كاثوليك رومانيين في الغالب... والناس يتكلمون مجموعة من الألسن وبشكل أساسي العربية. والبعض منهم أيضا فارسي وهندوستاني وسواحيلي من إفريقيا... ويُحتفظ هنا بجمع كبير من الرقيق الإفريقيين رجالا ونساء... وإنني محبط في هذا المكان الذي يَقرأُ الفرد عنه الشيء الكثير. فالقبائل العربية المحيطة تقوم بشن غارات متواصلة، والثارات المتعطشة للدم تبدو متواصلة التجدد. فمنذ فترة قريبة قاتل أربعون من أحد القبائل العنيفة ضد ستين من قبيلة أخرى على إحدى بوابات الجبال خلف المدينة، وقد قتل منهم ثلاثة وثلاثون في صراع دار وجها لوجه"[٢]. وفي رسالة أخرى بعث بها

---

[١] Stephen Neill, Gerald H. Anderson and John Goodwin (1970)

[٢] Briks, Herbert (1895)، ص ٤٤.

إلى شخص يدعى السيد كلارك وصف القسيس فرنش المدينة بأنها "حطام كامل من عظمتها الماضية وسمعتها" كما أنه وصف السلطان بأنه "كائن وضيع وواهن، خائف كل يوم من أن يسمَّه ابنه"[1]. إلا انه في رسالة بعث بها عُقيب مغادرته مسقط ذكر بأنه "قد وجد المتدينين في مسقط متفهمين له"[2]. أما زيارته الثانية لمسقط فكانت أثناء عودته إلى بريطانيا منهيا خدمته كأسقف في آسيا.

١. ٤. ٣. التوجه إلى عمان عبر الشمال الإفريقي

أثناء رحلته البحرية إلى عمان جعل الأسقف فرنش دول المغرب العربي نقطة عبور وعمل له. وكانت هذه الزيارة بالنسبة له بالغة الأهمية في إنجاز مهمته في عمان. فبالرغم من طول باعه وخبرته الثرية في العمل التنصيري في المجتمعات المسلمة في كل من الهند وفارس، إلا أن فرنش لم يتعامل من قبل مع المسلمين العرب -إلا في نطاق ضيق- كما أنه كان حينذاك لا يجيد العربية التي يمكنه بها الوصول إلى أسماع الناس. لذا فان البقاء والتجوال في المغرب العربي يحقق له غايتين: الأولى التعرف عن كثب على نفسية المسلمين العرب المستهدفين بالعمل التنصيري، مع افتراض وجود عوامل مشتركة في سلوك عرب المشرق والمغرب وتفكيرهم، والثانية إن وجوده في بلد عربي سيكسبه لغة التفاهم والتخاطب التي يحتاج إليها في عمله الميداني في عمان.

وصل الأسقف فرنش مدينة تونس في ربيع الأول ١٣٠٨هـ/٧ نوفمبر ١٨٩٠م، وكانت آنذاك مستعمرة فرنسية كمعظم دول المغرب العربي، إلا أن هذا لم يشكل عائقا أمام تحقيقه لأهدافه من الزيارة. فقد وجد مدينة تونس- كما وصفها له أحد الفرنسيين- قد استعادت طابعها العربي اكثر من أي مدينة أخرى في الشمال الأفريقي. واستطاع فرنش أن يشق طريقه وسط المجتمع التونسي الذي كان حسب

---

[1] Briks, Herbert (1895)، ص ٤٥.

[2] Briks, Herbert (1895)، ص ٤٥.

وصفه يتحدث إما اللغة العربية أو الفرنسية. أما من الناحية الدينية فقد شرعت الكنيسة في تونس في إيجاد قاعدة قوية لأنشطتها الدينية؛ حيث تمكن الكاردينال لافيجريه (Lavigerie) الذي عينه بابا الفاتيكان في هذا المنصب من بعث سمعة قرطاجة إلى الوجود، وقد كُرم في فرنسا على جهوده تلك. إلا أن القسيس فرنش عاب على الكاردينال لافيجريه كونه منتميا إلى الكاثوليكية الرومانية وأنه- حسب قوله: "متحمسا إلى نشر الهيمنة الرومانية أكثر من كونه متحمسا إلى نشر مملكة المسيح"[١]. وقد قام فرنش أثناء وجوده في تونس بالعديد من الأعمال ذات الطابع الكنسي. كما زار العديد من المؤسسات الدينية والتعليمية التي كانت تحت إشراف الحكومة الفرنسية. وقام كذلك بزيارة وزير التعليم الفرنسي المقيم في تونس. وقد لاحظ أسلوبا استعماريا غير مألوف لديه كشخص إنجليزي عمل في أوساط المستعمر الإنجليزي في الهند، وقد سجل ذلك الانطباع في قوله: "يبدو أن العرب والفرنسيين- على كل حال- مختلطون بمساواة وحرية أكثر مما عليه الهندوس والإنجليز في الهند؛ ففي المقاهي يجلسون سويا، ويدخنون بغير تميز، ويتخاطبون بحرية"[٢].

وقد منحت زيارة تونس القسيس فرنش من الخبرات عن المجتمع الإسلامي ما فاق توقعه، فقد قال: "يبدو أنني قد تعلمت عن العالم المحمدي في هذه الثلاثة الأسابيع أكثر مما تعلمته حتى في الثلاث السنوات الماضية"[٣]. فقد استطاع أثناء هذه الزيارة أن يجد شخصا عربيا يتعلم على يديه العربيه حيث قرأ عليه إحدى أعمال الشيخ الصوفي عبد القادر الجيلاني التي وصفها بأنها كلاسيكية مفيدة. ففي نظر القسيس فرنش تميل لغة الشيخ عبد القادر إلى الوقوع تحت تأثير النصرانية ومحاباة الإنجيل، وأن مفرداته ذات فائدة لا نهاية لها للكُتّاب النصارى الذين

---

[١] Briks, Herbert (1895)، ص ٣٣١.
[٢] Briks, Herbert (1895)، ص ٣٣٢.
[٣] Briks, Herbert (1895)، ص ٣٣٦.

يستهدفون المسلمين. وشرع بالتعاون مع الشخص الذي يعلمه العربية في ترجمة أعمال القديس هيلاري (St. Hilary) في التثليث (Trinity) إلى العربية. وكان يرى إن لم تحقق زيارته لتونس إلا هذا الغرض لما أمكن أن يقال بأنها لا فائدة منها ولا هدف. كما تطورت لغته العربية– في اعتقاده– إلى مستوى جيد خلال هذه الفترة.

ومن تونس توجه القسيس فرنش بواسطة السيارة إلى مدينة القيروان. وفي هذه المدينة زار مجموعة من المساجد بما فيها الجامع الكبير، وقام بالحديث مع مرتاديها من الشباب والشيوخ، بل وتمكن أيضاً من الوصول إلى بعض النساء وتوصيل رسالته إلى البيوت. وهناك أيضا التقى بأحد المسلمين العرب الذي وصفه بأنه مفتي، حيث قرأ عليه العربية وطرح علية بعض الأسئلة وأجابه عن أخرى. إلا أنه استاء من عدم وجود حتى كاهن روماني واحد في البلدة في الوقت الذي تقع فيه تحت السيطرة الفرنسية. ولاحظ أن الجنود والمدنيين الفرنسيين الموجودين في المدينة غير متدينين، كما لاحظ وجود العديد من الأطفال غير المعمدين. وقد عرض على مضيفته ومضيفه الفرنسيين استعداده للقراءة إذا ما كان أحد من جيرانهم سواء أكانوا رومانيين أم بروتستنت يرغبون في ذلك. وقد عبر عن أنشطته في القيروان قائلاً: "القيروان عرفتني إلى العمل التنصيري المحض والمباشر الذي عهدته منذ عدة سنوات خلت، إلا في بعض الأحيان المتقطعة وغير المنتظمة، كما في... بشاور وشيراز وأصفهان وبعض الأماكن في سورية وفلسطين، وإن لم يكن أي منها مباشرا كهذا"[1]. وقد غادر فرنش القيروان على عجل بتاريخ ١٤ ديسمبر مستأنفا رحلته إلى عمان على متن سفينة بخارية فرنسية.

وكانت مصر المحطة الثالثة في طريق القسيس فرنش إلى عمان، حيث وصلها في ٢٠ ديسمبر ١٨٩٠م. وقضى فيها ثلاثة أسابيع موزعة بين كل من الإسكندرية والقاهرة. ولم يشغل فرنش وقته في مصر بالتجوال السياحي إلا لبعض الأماكن

---

[1] Briks, Herbert (1895)، ص ٣٤٢.

المحددة بل انصب جهده في العمل الكنسي والتنصيري. وهناك التقى فرنش صديقة القديم الكاهن الإكزندر ميتلاند (Alexander Maitland). وكان هو نفسه قد عَيَّن الإكزندر كاهنا عام ١٨٨٥م. وقدعرض الإكزندر على فرنش أن يصحبه في سفره إلى عمان. فما كان منه إلا أن رحب بهذا العرض حيث لم يكن ليجد رفيقا أفضل منه لطول باعه في التجوال وملائمة شخصيته ومزاجه، فغادرا السويس في ٩ يناير ١٨٩١م. وقد حرص فرنش على أن تكون رحلته على متن سفينة تركية لهدف قال عنه: "...كنت آمل أن التقي بالمزيد من العرب، وأرى المزيد من الساحل العربي والمصري وأتعلم المزيد عن وضعهم الشخصي"[١]. فقد كان على متن تلك العبارة حوالي ٩٠٠ حاج في طريقهم إلى مكة المكرمة وقد تمكن من أن يقرأ الإنجيل مع بعض العرب منهم. وعندما ألقت السفينة مرساتها في جدة بتاريخ ١٢ يناير لم يتوان الأسقف فرنش في التجوال في شوارعها منفردا؛ ولكي لا يظن أنه أجنبيا ارتدى أثوابا تركية وتونسية. وأراد من تلك الجولات التعرف على سكان جدة وإعطاءهم دروسا تنصيرية في الطرقات وعلى أبواب المنازل في تجربة قال عنها: "لقد وَضعتُ نسختين عربيتين من الإنجيل في كل واحد من جيبي ردائي ثم انطلقت. وحصلت على فرصتين لأداء خطب بالعربية في المدينة. واحدة في منزل أحد المتدينين الشيوخ الذي حَمَلتُه لأن يدعوني إلى الدخول والاستماع إلى خطة الله في الخلاص. والثانية كانت في مكان اكثر رحابة، فقد جلست على دَرَج باب شيخ أعمى حيث اجتمع رفاقه للاستماع. وتمنى الملاه الحصول على نسخة من الإنجيل فأعطيته واحدة. وإنني قليلا ما أترك العهد الجديد وحده بدون المزامير والنبوءات، بالرغم من أن إخواننا الأمريكان وغيرهم من المنصرين في الهند يكتفون بالعهد الجديد فقط؛ وذلك لحجمه المريح من ناحية، ومن ناحية أخرى على ما أظن، من

---

[١] Briks, Herbert (1895)، ص ٣٤٩.

النظرة غير الصحيحة للعلاقة بين العهد الجديد والعهد القديم، والقانون والوحي"[1].

والتقى فرنش في هذه الرحلة البحرية بزعيم آخر من زعماء الإرساليات التنصيرية إلى عمان وهو الأمريكي الدكتور صامويل زويمر (Samuel M. Zwemer) الذي كان يجوب المنطقة في رحلات استكشافية لتدشين مراكز "للإرسالية العربية" في شبه الجزيرة العربية (انظر الفصل التالي). وقد عرّف كل منهم الآخر بخططه في هذا المجال. وأخبر فرنش زويمر عن نيته في رفع تقرير إلى "الجمعية الإرسالية الكنيسة، عن قابلية مسقط لاستيعاب مثل هذا المركز، وعن تجربته أثناء رحلة عام ١٨٨٤م في إلقاء خطب تنصيرية في أسواق هذه المدينة.

وقد مرت رحلة فرنش عبر حُديدة وعدن. حيث التقى في الأولى الجنرال هيج الخبير بأحوال المنطقة الجغرافية والسياسية والاجتماعية- انظر الباب الثاني. والتقى في الأخيرة بالمنصر الأمريكي الآخر السيد جيمس كانتاين- انظر الفصل التالي- حيث قال له فرنش: "إني أفهم أنك أيضا بصدد زيارة مسقط والشاطئ العربي من الخليج الفارسي، فلا تجعل حقيقة أني سابقك تغير من خطتك. إنني رجل كبير، وقد يكون من مشيئة الرب أن هيّأ لي أنا أن أرى الأرض الموعودة، في حين جعل لك أنت أن تدخلها"[2]. كما أنه تزود من عدن بالشاي والصابون والشمع والورق وغيرها من المواد، حيث لم يكن متأكدا إن كان سيجد هذه المؤن في أسواق مسقط.

كان لا بد للرحلة إلى مسقط أن تمر بالهند؛ حيث لا توجد رحلات مباشرة من عدن إلى مسقط. وبالرغم من أن السفينة المقلة للقسيس توقفت في بومباي ثلاثين ساعة تقريبا وهي فترة يمكن له خلالها أن يلقي نظرة على أسقفيتة القديمة ويجدد ذكريات الأيام الأول من عمله التنصيري في الهند، إلا أنه كان يرى أن هذه البلد

---

[1] Briks, Herbert (1895)، ص ٣٥٠.

[2] Zwemer, Samuel (1900 a)، ص ٤٣.

قد أصبحت جزءا من الماضي الذي لا رجعة إليه وأصر على عدم مغادرة السفينة خلال فترة الرسو في الميناء. كذلك رفض دعوة قدمها له القسيس روبرت كلارك Rev. Clark Robert للعمل في مركز البنجاب التنصيري– ووجه القسيس كلارك دعوة أخرى إلى فرنش عندما وصل مسقط وكان مصيرها الرفض كذلك– وأصر على التوجه إلى عمان. وكالعادة لم يضع فرنش فرصة وجود مسلمين عرب وغيرهم على متن السفينة للقيام بقراءة الإنجيل بينهم ودعوتهم إلى النصرانية. ولكي يقضي وقتا أكثر بين هؤلاء العرب حرص على أن يكون سفره على الدرجة الثانية– بخلاف رحلته من بريطانيا إلى تونس التي كان فيها المسافر الوحيد على الدرجة الأولى– بالرغم من اكتظاظ هذه الدرجة بالركاب، وبُعد سلوكهم الاجتماعي عما هو مألوف لديه. وخلال رسو السفينة في ميناء بومباي ذهب رفيقة الإكزندر ميتلاند إلى البر للتزود بنسخ عربية من كتاب المزامير من أجل المهمة المنتظرة في عمان.

١. ٤. ٣. ١. خصوصيات الرحلة

حرص الأسقف فرنش أثناء رحلته من بريطانيا إلى عمان على مراقبة أمرين مهمين بالنسبة له. الأمر الأول هو إضفاء صفة السرية على سير رحلته والهدف منها، إلا من أقرب المقربين إليه كزوجته التي كانت سندا نفسيا له في تحقيق هدفه، أو ممن يتوقع منهم المساندة والعون في هذا المشروع كالقسيس الإكسندر ميتلاند الذي قرر مرافقته عندما علم بسر الخطة. وقد أكد فرنش على سرية مخططه في رسالة بعث بها من القيروان إلى زوجته قائلا: "إذا عَزَمَتْ الجمعية على مسقط وأرادوا مساعدتي فسينشر ذلك قريبا، وإلى ذلك الحين سأكون ممتنا بإبقاء الأمر سريا"[١].

والأمر الآخر هو إضفاء صفة الشرعية على مهمته والحصول على إذن رسمي للعمل التنصيري في عمان من قبل الجمعية قبل أن تطأ قدماه مسقط. لذلك فقد

---

[١] Briks, Herbert (1895)، ص ٣٤١.

بعث برسالة إلى القسيس ماثيو خليفته في الأسقفية الانجليكانية في الهند طالبا تزويده بإذن رسمي لمباشرة عمله في مسقط. وبالرغم من أن هذه الرسالة لم تصل الهند قبل أن يصلها هو نفسه قادما من عدن إلا أنه وجد الاستقبال الحار من قبل القسيس ماثيو الذي زاره شخصيا على متن السفينة، مع مجموعة من أصدقائه القدامى الذين لا يزالون يعملون في الأسقفية، وزوده بتصريح رسمي للشروع في العمل التنصيري في مسقط، بالرغم من عدم اقتناع الجمعية بأهمية مسقط للعمل التنصيري. وكان فرنش يهدف من ربط "الجمعية الإرسالية الكنسية" بمشروعه في مسقط إلى حمل هذه الهيئة التنصيرية على مواصلة المشوار التنصيري بعده حيث إنه لم يكن ينوي البقاء فترة طويلة في عمان؛ لاعتبارات عديدة. فمن الناحية الشخصية كان القسيس فرنش متقدما في العمر، ولم تكن صحته تسمح له بالعمل فترة طويلة في بلد حار كعمان. ثم أن عملا تنصيريا بكرا لا يمكن أن يحقق نتائج إلا بأن تتولاه جهة ذات قدرات هائلة، ويقوم به أكثر من فرد. وكان أيضا يهدف إلى ضم عمان في إطار أنشطة الكنيسة الانجليكانية قبل أن تصل إليها أيدي الإرساليات التنصيرية الأمريكية البروتستنتية المنافسة لها في الهند وشبه الجزيرة العربية ومنطقة الشرق الأوسط.

وباعتبار أن الأمر كان رياديا ولم تسبر أغوار الحقل العماني من قبل، فإن فرنش لم يكن يعلم خفايا المستقبل، ونتائج المهمة التي هو بصددها، وقد كتب أثناء سير السفينة من عدن قائلا: "ماذا أمامي؟ لا يمكنني ألآن رؤيته، قد يكون تبقى أمامي القليل لأعمله، ولكن أريد على الأقل أن أجرب مسقط"[1]. ولم يخف أثناء تلك الرحلة قلقه من الحياة في مسقط. بل كان خائفا إلى درجة الخشية على رفيق رحلته أن يجوع، وقد كتب إلى زوجته قائلا: "إنني خائف من أن يصاب السيد ميتلاند هناك بالجوع، فهو يحتاج إلى تقوية جسمه أكثر مني ... هل يمكن

---

[1] Briks, Herbert (1895)، ص ٣٥٦.

لك، لو سمحت، أن ترسلي لي إلى مسقط كتاب السيدة جاردين في الطبخ؟ إني أتوقع أن نحتاج أنا والسيد ميتلاند إلى استخدامه في بعض الأحيان"[1].

١. ٤. ٤. الأسقف فرنش في مسقط:

عندما وصل مسقط، بصحبة رفيقه الإكزندر ميتلاند طبعا، حرص الأسقف فرنش على التأكد من أمرين: الأول عدم ربط مهمته بالسلطات البريطانية المقيمة في البلد؛ وذلك لإضفاء صفة الاستقلالية عن تلك السلطات، والبعد بمهمته عن الظهور بملابس التدخل الحكومي المباشر. ولكي يتيقن من تحقق هذا الأمر تجنب الاتصال بالمقيم البريطاني الكولونيل موكلر (Colonel Mockler) بالرغم من أنه لم يكن يعلم أين يضع قدمه في هذه المدينة. وأكد على هذا الموضوع في الرسالة التي بعث بها إلى زوجته بتاريخ ١٢ فبراير قائلا: "لم نطلب القنصل البريطاني الكولونيل موكلر في أول يومين حيث إنني ظننتُ أن ذلك سيبدو كثيرا كدعوة ومصادقة من قبل الحكومة وتحت حمايتهم"[2]. وعندما أرسل إليه المقيم الإنجليزي مندوبه الخاص رفض السيد فرنش مقابلته. وبعد يومين من البحث وفقدان الأمل في الحصول على منزل للإقامة في مسقط أضطر لقبول عرض من القنصل الأمريكي السيد ماكيردي (Mr. Mackirdy) للإقامة في منزل الأخير في قلب مطرح.

والأمر الآخر الذي اعتنى به السيد فرنش هو التفرد بالعمل التنصيري. وكان يهدف من وراء ذلك إلى أن يكون هو فقط الرائد والمؤسس للعمل التنصيري في عمان. وقد حرص على أن لا يُشرك معه زميله ميتلاند عندما يخرج للحديث إلى الناس في شوارع مطرح وأسواقها والقرى المحيطة بها (خاصة في الأسابيع الأولى لوصوله) بالرغم من براعة ميتلاند في هذا المجال، وتذمره من سلوك أستاذه في هذا

---

[1] Briks, Herbert (1895)، ص ٣٥٨.

[2] Briks, Herbert (1895)، ص ٣٦٩.

الشأن. وقد عبَّر ميتلاند عن ذلك فيما بعد في رسالة كتبها إلى زوجة فرنش ذكر فيها أن القسيس زوجها يبشر بالإنجيل في حين يغسل هو الصحون.

وطَبَعتْ مسقط ومنذ اللحظات الأولى لوصوله انطباعا مختلفا في ذهن القسيس عما كان يحمله من تصور عن هذا البلد المسلم العربي الصحراوي. فمن جانب كانت الأسواق تعج بما يحتاج إليه هو وزميله من مواد غذائية. وقد كتب إلى زوجته يخبرها بأنهم ليسوا جوعى هنا، وأنه هو نفسه بصحة جيدة. ثم أنه وجد أن العربية المنطوقة هنا أنصع من تلك التي في تونس ومصر، وأن الناس يفهمونه عندما يخطب فيهم؛ الأمر الذي كان يبعث فيه الارتياح. وقد كتب عن العرب قائلا: "العرب بشكل مجمل يبدون الأكثر هدوءا ومستمعين مفكرين، حتى البدو أنفسهم. يجب عليّ على الأقل أن أشكر الرب حيث أنه في الأسبوعين الأولين اجتذبتُ الكثير من الانتباه المشوب بالصبر والانفتاح على حقائق الإنجيل. وكنت لا أكاد أتوقع أن أصل إلى هذا المدى"[1].

هذا وقد وصف الإكزندر ميتلاند وقائع حياتهم في مسقط في رسالة بعث بها إلى ابنة فرنش قائلا: "تَعَوَّدَ أبوكِ أن يستيقظ مبكرا، أما أنا فمع طلوع النهار. فيؤدي هو عبادته وقراءته أما أنا فأشعل النار ثم أنطلق إلى الخارج لأحضر الخبز والحليب والبيض وأُحَضّرُ الإفطار. ثم نتناول الإفطار سويا. وتَعوَّدَ أبوكِ أن يعمل في تعلم اللغة العربية بمشقة طول فترة الصباح حتى الساعة الواحدة والنصف. وتعودت أن أخرج حوالي الساعة الواحدة لأحضر شيئا للغداء، بعض المرق أو السمك المقلي والرز والخبز والتمر والشاي، من السوق. وبعد الغداء كنا نقوم سويا ببعض العبادة، وبعد ذلك، حوالي الساعة الرابعة، كان أبوكِ يخرج في، بعض الأحيان منفردا، ليعظ أو يقرأ للناس. وفي بعض الأحيان يخرج للمشي معي إلى الريف خلف مطرح أو إلى قرية ما في الجوار. وغالبا يشرع في الحديث مع الناس، وبعض المرات يعرض عليهم أن يقرأ لهم. وكنا نعود إلى البيت عند الغسق. وبعد

---

[1] Briks, Herbert (1895)، ص ٣٧١.

تناول الشاي نؤدي صلاة المساء سويا والتي بعدها عموما نشعر بنعاس قوي حيث كان يذهب بعدها إلى النوم مباشرة، وكنت أغالب النعاس لأبقى مستيقظا بعض الشيء وأذهب إلى النوم متأخرا"[١].

وقد أستهدف الأسقف فرنش بدعوته التنصيرية العمانيين العرب بشكل خاص. فبالرغم من أن مطرح تضم إلى جانب هؤلاء خليطا من الزنوج والهندوس والبلوش والفرس، وكان ملماً بلغات بعضهم، إلا أنه لم يكن يتحدث إلا العربية، وبالرغم من عدم مقدرته على استخدام اللهجات الدارجة حيث كانت لغته كلاسيكية لدرجة يصعب على عوام المستمعين فهمها، ومع ذلك كان الناس يستمعون إليه بكل تحمل[٢]. وكان يستهدف الطبقة المتعلمة، رجالا ونساء، الذين يرجو منهم التأثير على من حولهم. فقد كتب عن هذه الخطة قائلا: "أريد أن أمسك بالرجال المتعلمين إن استطعت؛ بسبب تأثيرهم على الآخرين"[٣]. ولكي يصل إلى هذه الفئة كان يخرج إلى الأسواق والمساجد ويزور الناس في بيوتهم ويجلس معهم في مقاهيهم ومتاجرهم ومجالسهم، وفي بعض الأحيان يحضرهم إلى بيته ليقرأ عليهم. وكان يتنقل بين مطرح، مقر سكنه، ومسقط وما حولهما من قرى بحثا عن زبائن يعرض عليهم سلعته، ويبث بينهم دعوته. حتى أنه أصر على توظيف رجل عربي لخدمته في منزله. وكتب في رسالة مؤرخة في ٢٢ فبراير ١٨٩١م قائلا: "الأسواق بشكل أساسي في أيدي البلوش والفرس والهندوس، لكن اكثر السكان عرب والعربية هي الدارجة. وأنا شخصيا أتجنب التحدث بأي لغة أخرى حيث أشعُرُ بأني قد قدمت الكثير من العمل الشخصي في الهند"[٤]. وكتب في الرسالة نفسها قائلا: "أديت أربع أو خمس خطب طويلة في السوق (طبعا بالعربية) وفي الجميع حَدَثتْ مناقشات ومخاطبات ذكية وفهمت الكثير مما قالوه لي، كثير بأي

---

[١] Briks, Herbert (1895) ص ٣٦٨.

[٢] Zwemer, Samuel (1900 a)، ص ٤٣.

[٣] Briks, Herbert (1895)، ص ٣٨١.

[٤] Briks, Herbert (1895)، ص ٣٧٠.

مقياس وهذا سينمو يوميا"[1]. ووجد القسيس فرنش أن العرب أكثر تسامحا معه من غيرهم من الأجناس الموجودين في البلد.

وقد نجح الأسقف فرنش في الوصول إلى العمانيين بكل سهولة ويسر، حسب قوله: "ستكونين مرتاحة جدا عندما تعلمين كيف، وخلافا لكل توقعاتي، قد سُمح لي أن أجلس هنا إلى مجموعة من الشيوخ المتعلمين والمفكرين العرب وأتباعهم. فعلى سبيل المثال جلستُ البارحة إلى حلقة منهم وشيخهم على رأسهم وقد تطرقتُ إلى عدد كثير من حقائق الوحي المهمة، وأُستمع إليَّ بكثير من الاهتمام والجدية... وبدأتُ البارحة بالحديث إليهم عن المملكة القادمة للرب والمسيح وقرأتُ كلمات داود الأخيرة في صامويل الثاني رقم ٢٣ المقطع ٣ و٤ و٥. والتي تفهم الآن بشّراح الملك العظيم القادم، القائد وسط الرجال، خوف الرب، وسيكون كالضوء. ثم قرأت من أشيعا ٣٥ والزبور ٧٢. وقد وَضَّحتُ شيئاً من خصائص هذه المملكة وكيف أن ملوك الجزيرة العربية وسبأ سيجلبون الهدايا (والتي بدأت بالذات تشد انتباههم)"[2].

وكما أنه استطاع الوصول إلى حلقات العلم والدراسة، فإنه كذلك استطاع، حسب قوله، أن يصل إلى البيوت ويجلس مع الأسر، يقول: "في التجوال حول مسقط يوم الخميس التقيتُ بولده [بولد أحد كبار السن] ومعه رفاقه وبدأت السؤال عن ملاه. فاقترح عليَّ أباه وحملني إلى بيتهم، حيث قدمتْ إلي النساء بلطف القهوة والحلوى وشرعنا في مناقشة ودية طويلة لمدة ساعة ونصف. وهكذا تعرفتُ على الشيخ الكبير وتمكنت من الدخول إلى بيت عربي وهو أمر ضروري لمداخلاتي مع الناس وتحسين معرفتي بهم"[3]. وفي رسالة أخرى قال: "الحديث الثالث كان في بيت أحد المعلمين والذي قد قمت بالقراءة عليه لمدة ساعة جندتُ خلالها

---

[1] Briks, Herbert (1895)، ص ٣٧١.

[2] Briks, Herbert (1895)، ص ٣٧٤.

[3] Briks, Herbert (1895)، ص ٣٧٥.

اهتمامه وتعاطفه بقدر الإمكان، وقد قرأت معه لوقا ٢٣ و٢٤. لقد كان الرجل شديد الانتباه ولم يبد أي معارضة. وقد قرأت في هذه الأجزاء معاناة المسيح أولاً، ثم بعثه وصعوده، واللص التائب، ورسالة الإنجيل إلى كل الخلق"[١].

وكان فرنش يجد في بعض الأحيان من العمانيين من يقدم له الدعوة للدخول إلى بيته، فقد ذكر القصة التالية أثناء انتظاره لقارب يقله من مسقط إلى مطرح: "كان البحر هائجا ويصعب أن يعبره قارب صغير في الساعة الثانية ظهرا. فقعدتُ بجانب الطريق في شارع هادئ اقرأ العهد الجديد، ولكن رجلا عربيا من الجوار جاء خارجا، وبكل كياسة ولطف دعاني أن أصحبه إلى بيته. وقدم إليَّ القهوة والمرطبات، وقرأتُ عليه وعلى رفقائه شيئا من مقاطع المخطوطات"[٢]. ويقول في إحدى يومياته "رجل آخر، قد اشتريت منه قبل يومين بعض المواد، لقيني وأخذني إلى بيته. وقد حدثتُه هو ونساءه لبعض الوقت"[٣].

وقد نجح القسيس فرنش، حسب قوله، في الدخول إلى المساجد للحديث إلى مرتاديها، فقد قال: "ثم تمكنت من الدخول إلى مسجد كبير خارج البوابة [بوابة مسقط] وكان أول من خاطبتهم مسنا بلوشيا قال بأنه حاج إلى مكة ويُكِّن لها كثيراً من الإعجاب. وقال بان قرآنه يكفيه وأنه يضم كل ما يحتاج العالمين معرفته، وهو الأفضل والأكمل من بين كل ما يمكن أن يُعرف من شيْ. وجاء رجل شاب ومعه، أو يتبعه، رجل متعلم ذو قدرة وثقة بينة، كثير السؤال والاعتراض ولكنه راغب في أن يستمع ويتعلم أيضا. واستمع آخرون كذلك ولكن هذين الاثنين دخلا في تعاليم الإنجيل الأكثر حيوية وتميزا بكل حماس وتفكر. وذهب الرجل الشاب إلى أن طلب الكتاب بأكمله وعرض شراءه"[٤].

---

[١] Briks, Herbert (1895)، ص ٣٧٨.

[٢] Briks, Herbert (1895)، ص ٣٧٧.

[٣] Briks, Herbert (1895)، ص ٣٨٣.

[٤] Briks, Herbert (1895)، ص ٣٧٧.

ويصف القسيس فرنش حدثا آخر قائلا: "جلست ساعة بعد الظهر فيما يبدو أنه المسجد الرئيس في هذا الجزء من ضواحي مطرح. فهو مزخرف في الأسلوب والهيئة في قاعاته الإضافية، وبه أقسام للعلماء وتابعيهم وصفوف من الكراسي، حتى كرسي إنجليزي بأذرع، وقد عرض عليَّ الولد اللطيف أثناء غياب أبيه الشيخ أن أجلس عليه، لكني رفضت ذلك قائلا بأني من الطبقة الفقيرة. وتوجد في إحدى الجوانب منصة من الوسائد. كل هذا كان مباشرة أسفل الصالة حيث تقام الصلاة. والقاعة مظللة بشكل جميل بالعنب والنخيل. ولم أر قط مسجدا مريحا وفخما كهذا. وملابس الشيخ والأمام الرئيس وملابس أبنائه كانت كلها متشابهة، طيبة ووسيمة. وأخبرتهم بأنني جئت لأرى رئيس المعلمين وأنني أحب كل من يحب الله وهؤلاء الذين يبحثون عن المعرفة الصحيحة عنه. وأخبرتهم كذلك باعتبار أن هذا هو وقت احتفالنا العظيم وباعتبار أنه لا يوجد أحد من أخواني النصارى لأقرأ معه فأنني جئتُ لأقرأ الدروس أو بعضا منها بهذه المناسبة معه ومع أصدقائه. وقد ظهر الرجل العظيم أخيرا، وكان أنيقا ويرتدي ملابس الأمراء. وكنتُ شرعتُ لحسن الحظ في لوقا ٣٢ و٢٤ ... على كل حال كانوا اكثر المستمعين علما ومرتبة أتحدث إليهم حتى الآن"[١]. وقد بعث القسيس فرنش برسالة إلى أخيه يعبر عن غبطته بهذا الإنجاز ويخبره بأنه تمكن من الدخول إلى المساجد في مسقط ومطرح أكثر من تونس والهند، يقول: "استطعت من الدخول إلى المساجد للقراءة وإعطاء الدروس أفضل من تونس وتقريبا أفضل من الهند"[٢]. وقد عجب من سلوك العمانيين في السماح له بدخول المساجد بلا خوف ولا حذر، يقول "لماذا يسمحون لي بين الحين والآخر بدخول مساجدهم والنصح فيها قليلا، حقيقة لا أستطيع أن أعرف. إني أخشى أن تكون هذه طيبة مبالغ فيها ولا تبقى"[٣].

---

[١] Briks, Herbert (1895)، ص ٣٧٩.

[٢] Briks, Herbert (1895)، ص ٣٨٤.

[٣] Briks, Herbert (1895)، ص ٣٨٥.

واستهدف السيد فرنش النساء كذلك في دعوته التنصيرية. وحسب قوله، كانت النساء لا يستنكفن من الاستماع إليه ومناقشته في ما يطرح عليهن من خطب ومواعظ. ففي إحدى المواعظ التي ألقاها أمام مسجد من مساجد مطرح، يصف بأن أهم المستمعين إليه ومناقشيه كانت سيدة عجوز متعلمة وذات فصاحة وبلاغة، وكانت تلح عليه بالسؤال عن عدد كتب الله في العهد القديم والجديد. وذكر بعد أن التقى بها مرة أخرى بأنها صاحبة شخصية قوية لم يلتق من قبل إلا ثلاث نساء مثلها وذلك عندما كان في الهند: إحداهما هندوسية والأخريان نصرانيتان. وذكر بأنها تعمل معلمة للفتيات وقد زارها مرة في مدرستها، وله معها حوار آخر حول السيد المسيح – عليه السلام. وذكر السيد فرنش أن له لقاءات مع عدة نساء أُخر.

وقام الأسقف رنش كذلك بعدة زيارات تنصيرية إلى مرضى الجذام في مساكنهم في مطيرح[1]. واستطاع، حسب قوله، أن يجد بين هؤلاء أيضا آذاناً صاغية ورجالاً عارفين يدخل معهم في نقاشات واعية عن عقيدته ورسالته التي يحملها إليهم. كما وضع بين أياديهم نسخا من الإنجيل على أمل أن يقوموا بتوصيل الرسالة إلى من حولهم. وكان يأمل أن يكون هؤلاء المرضى أول من يتنصر من أهل عمان. وقد ذكر نشاطه بين هؤلاء المرضى قائلا: "كان لي في هذا اليوم أسعد صباح خلال الأسبوع. فقد وقفتُ أخطب تحت منطقة مظللة كبيرة في مجموعة من المجذومين، رجالا ونساء وأطفالا، في قرية مطيرح المجاورة... كان هناك هدوء وانتباه جاد أكثر من المرة الماضية التي كنتُ بينهم. أخذت الإنجيل معي للمعلم أو الأستاذ الذي يأخذون منه شيئا من شبه التعليم، هو نفسه مع جميع أصابعه مجذوم تقريبا!، قد يكون هؤلاء أول من يدخل مملكة الرب في مسقط، الفقير والمقعد والأعرج والأعمى وإلخ"[2].

---

[1] أحد ضواحي مسقط.

[2] Briks, Herbert (1895)، ص ٣٨٧.

وبعد شهر من وصوله عمان قرر فرنش أن يقدم تحياته إلى السلطان، فطلب من المقيم البريطاني الكولونيل موكلر أن يقدمه إليه. وبعد تناول طعام الإفطار بمقر القنصلية البريطانية في مسقط ذهب فرنش بصحبة الكولونيل موكلر للقاء السلطان في قصره. وفي قاعة مرتفعة ومطلة على البحر التقى فرنش لأول مرة السلطان وكان أحد وزراء الدولة يقوم بالترجمة حيث أن السلطان، كما يقول الأسقف، لم يكن يتحدث العربية الفصحى ولم يكن باستطاعة فرنش وموكلر من جانبهم أن يتحدثوا اللغات الدارجة التي يجيدها السلطان. وقد وصف فرنش السلطان بأنه طيب للغاية وقد عرض عليه السكن في أحد جوانب القصر إلا أن القسيس لم يحبذ ذلك. ودخل فرنش في مناقشات وصف بعضها بأنها فلسفية مع وزراء السلطان، الذين وصفهم بأنهم متعلمون.

لم يكن هدف فرنش من هذا الجهد التنصيري المضني في عمان، كما ادّعى، إلا تمهيد الطريق لحملة تنصيرية منظمة تقوم بها جهة أخرى. وقد وَضَّح هذا في أكثر من مناسبة. ففي رسالة بعث بها إلى السيد روبرت كلارك Rev lark Robert القسيس الذي يعمل في الهند قال فرنش: "...وكل ما يبدو أني أستطيع عمله هو الوقوف كحارس باب هنا أنتظر فتحه لأي رجال أصغر وأقوى- الذين قد يُسعِدُ الرب إرسالهم ليشغلوا هذا الموقع إذا سمحت ظروفه ومحيطاته حقا باختياره كموقع لإرسالية"[1]. وكان فرنش قد طلب أثناء وجوده في تونس ضم مسقط إلى جدول مهمات البعثات التنصيرية الأفريقية، فقد قال: "لقد توسلت أيضا إلى السيدة الجرام وايجون ستوك لوضع خطة إرسالية إلى مسقط ضمن مغامراتهم الإيمانية التي يخططون لها كما أنى اقترحت لهم بأنه يجب عليَّ أن أزورها لرفع تقرير عن قابليتها وجاهزيتها كنقطة حديثة وطازجة لعمل أفريقي"[2]. وكتب قائلا أيضا: "لقد كتبت إلى السيد أيجون ستوك (Mr. E. Stock) في هذا البريد معربا عن

---

[1] Briks, Herbert (1895)، ص ٣٨٦.

[2] Briks, Herbert (1895)، ص ٣٣٢.

استعدادي على الأقل للذهاب وكتابة تقرير من واقع الملاحظة الشخصية عن مسقط كمركز تنصيري. وقُلتُ كذلك بالرغم من ظني بأنني قد كَبُرتُ جدا وقد يكون من الغرور أن أدعو نفسي أو أن أُدعى قائدا ومؤسساً لإرسالية هناك، ولكن قد يمكنني أن أرى طريقي- إذا وفقني الرب- لمرافقة المؤسسين ومشاركتهم في مجالسهم، واستخدام اللغات الشرقية التي أجهدت نفسي جدا لاكتسابها"[١].

ولأنه لم يكن يتوقع أن يبقى فتره طويلة في مسقط، لذا فقد كان فرنش يهدف إلى تدريب مجموعة من السكان المحليين للقيام ببث الدعوة التنصيرية بين العمانيين. وقد عبر عن هذا في إحدى رسائلة قائلا: "إن أستطع فقط أن أدرب واحدا أو اثنين من العمال المحليين، وأكتب عملا أو اثنين بهذه اللغة العظيمة والنبيلة لتشهد للمسيح حين انصرافي وما بعده، فسأكون محظوظا بحق"[٢]. وفي حال تمكنه من إدخال أي من المواطنين في النصرانية فسيكون فتح كنيسة محلية هو الخطوة التالية، بالرغم من إقراره بأن هذا لا يتوقعه- حسب تعبيره- إلا صاحب إيمان قوي ولا يمكن أن يتحقق إلا بمعجزة من رحمة الرب. وكان يرى أن كتابة الإنجيل إلى جانب أعمال أخرى باللغة العربية أمر ضروري وأساسي لنجاح المهمة التنصيريه في عمان. وكان هدفه من ذلك أن تبقى هذه الأعمال في أيدي الأجيال المتنصرة أو التنصيرية المتعاقبة في هذا البلد. وقد شرع فعلا في كتابة عمل بعنوان (الصليب ودروسه) "The Cross and its Lessons" هدف منه - كما يقول - عرض الإنجيل في ملامحه الأساسية أمام العرب. وحرص فرنش أثناء تلك الفترة على الحصول على معلم يعلمه العربية ويعينه على ترجمة الإنجيل إليها. وقد تمكن من الحصول على رجل في الثمانين (أشرنا أعلاه إلى الطريقة التي التقى فيها بهذا الشيخ) إلا أن هذا الشخص لم يكن ليحقق له حاجته لكبر سنه وتلكئه في العمل. وقد أستمر فرنش في البحث إلا أنه لم يجد بين المواطنين صاحب رغبة

---

[١] Briks, Herbert (1895)، ص ٣٤٠.

[٢] Briks, Herbert (1895)، ص ٣٨٨.

حقيقة لإعانته في إنجاز هذه المهمة. وادعى أن أحد المترددين عليه أخبره أن مسقط تعج بالقادرين على القيام بهذا العمل إلا أنهم لا يريدون مساعدته.

١. ٤. ٤. ١. التحدي والفشل

لم تكن مهمة الأسقف توماس فالبي فرنش التنصيرية في مسقط سهلة بالصورة التي تبدو بها من خلال قراءة الجانب التفاؤلي من رسائله. ففي الوقت الذي وجد فيه- حسب ادعائه- صدوراً رحبة من قبل العمانيين وآذاناً صاغية في الاستماع إلى خطبه ومواعظه التنصيرية إلى درجة أنه كان يدخل البيوت للقراءة على أهلها، والمساجد للخطب إلى مرتاديها، ويجلس في حلقات العلم ليبشر بين طلابها وشيوخها، ويجمع حوله المصغين بكل وعي واهتمام في الشوارع والمقاهي والدكاكين، كان تحقيق الأهداف التي يرجوها من وراء ذلك كله ترتطم بصلابة هؤلاء المستمعين إلى درجة جعلته يكتب في يوميته المؤرخة في ٢٢ مارس قائلا: "لا شيء سوى محمد والقرآن يمكن أن يُرضي العربي"[١].

ففي الوقت الذي كان يقرأ على الناس التثليث، والمزامير، ويبشرهم بالمملكة القادمة للرب، ويدخلون معه في حوارات تطول وتقصر حول ما يقول ويقرأ، ينبعث من بين المستمعين والمحاورين- الذين استبشرت نفسه بإقبالهم- من يعرض عليه أن يعلمه الإسلام. وكان التفاؤل الذي زرعته فيه بُعيد وصوله حرية الحركة في شوارع مسقط ومطرح وما حولهما من قرى، والحشود التي تجتمع حوله أثناء إلقاء خطبه، والمساجد والبيوت التي فتحت له أبوابها، بدأ يتبخر ويتحول إلى تشاؤم وقنوط من نجاح المهمة يقوى مع تبين صلابة عود هذا المستهدف وعناده.

إن هذا التدرج من الاستبشار بنجاح المهمة إلى الإحساس التدريجي ثم القناعة التامة بصعوبتها يبدو جليا في مراسلات فرنش. ففي رسائله المبكرة يبدو هذا التفاؤل واضحا. حيث كتب في رسالة بتاريخ ٢٢ فبراير – أي بعد أسبوعين من

---

[١] Briks, Herbert (1895)، ص ٣٧٨.

وصوله مسقط – يقول: "... لا يمكنني أن أقول بأنني التقيتُ بكثير من المستمعين المفكرين الذين يعطونني التشجيع أو أناس يريدون أناجيل وعهودا. هناك الكثير من الابتعاد الحذر. وحتى في بعض الأحيان معارضة مرة وغاضبة. ولكن ليس بالقدر الذي كنت أواجهه في لاهور"[1]. وعلى إثر السماح له بالحضور في إحدى حلقات العلم كتب فرنش قائلا: "... إنه أمر مبهج فوق الوصف أن أكون مُرحبا بي بشكل دمث للغاية ومن القلب– تقريبا– من قبل هؤلاء العرب الصحراويين– حيث كانت واحدة من خمس زيارات أديتها وخطب ألقيتها– وهذا يقودني إلى الأمل في أن أصبح مرسلا ومفوضا، بالرغم من أن الجمعية في تعليقها على رسالتي قد بينت أن الموضوع يحتاج إلى المزيد من التمعن. أما في الوقت الحاضر فيجب أن أكون راضيا بهذا... إن عملاً كهذا– بالطبع– له نوره وظلاله، وارتفاعه وانخفاضه، لحظات من الكآبة والشك ثم أخرى من الثناء العميق والثقة"[2].

ثم بدأ الشكُ يتغلب على الأمل في نجاح المبادرة فيقول في رسالة بعث بها إلى زوجته بتاريخ ٢٣ مارس– أي بعد شهرين تقريبا من وصوله مسقط–: "انه من السابق لأوانه أن نتحدث عن فرضية تأسيس إرسالية هنا. إنني غالبا متحير ومرتاع في أن أجد الرسالة ولدت في ما هو عليه الآن. وفي بعض الأحيان أجد نفسي يُستمعُ إليَّ بتفكير عميق من قبل العرب، بالرغم من أني أخرج مرتعشا كل يوم ومتعجبا مما سيأتي لاحقا. حيث أنه كلما أصبح الغرض من مجيئي مفهوما ومسموعا ووضوح كلامي وسهولة خطابي يجتذب اهتماما أكثر، فإن المعارضة يحتمل أن تكون أكثر تنظيما ومرارة. أظن أن خطتي ستكون أكثر أتباعا للأسلوب الرسلي عن أسلوبنا التنقلي كما كنا في الهند– يوم أو يومان لا أكثر نقضيهما في المكان الذي نمر به. ولكن يبدو أن ثلاثة أو أربعة أشهر هو المخصص من قبل الرسل للمدن الكبيرة. وانني أتعجب دائما لماذا لم نتبع هذا الأسلوب من

---

[1] Briks, Herbert (1895)، ص ٣٧١.

[2] Briks, Herbert (1895)، ص ٣٧٤.

العمليات"[1]. وفي رسالة بعث بها إلى القسيس نوكس (Rev. E. A. Knox) بتاريخ ٢ مايو- وهي أخر رسالة بعثها قبل أن يسدل الزمن ستاره على هذه الشخصية التنصيرية- كتب "إن مستقبلي هنا غير مستقر جدا وغير محدد حيث إنني لا أود الحديث عنه إلا أن يقودني وبكل وضوح الضوء اللطيف الذي أبحث عنه. ففي الوقت الحاضر لا يمكنني القول إلى أين توجهني اليد التي تقودني. إنني نادرا ما أواجه هدفا مربكا ومعيقا كهذا... قد ينفجر الفجر عن المزيد من التعقيد والغيوم المتراكمة. لا أعتقد بأنه يجب عليَّ قط أن أشعر بالأسف من قيامي بمحاولة مهما كانت واهنة وغير ناجحة للوصول إلى العرب الفقراء. إنني أظن أنه لا بد أنه لديك في برمنجهام بعض العرب الأسوأ من هؤلاء الذين أتعامل معهم أنا"[2]. إن هذه الرسالة التي وجهها إلى أحد رفقائه وأصحاب الشأن في المجال التنصيري لا تحمل الإشارة بالإحباط والقنوط فحسب، بل تحمل كذلك الاعتراف المر بالفشل الكامل لمهمته التنصيرية في عمان.

إن هذا الهبوط الحاد في الإصرار على تحقيق الهدف له مواقفه التي غرسته في نفس الأسقف. فعلى الرغم من أنه وظّف نتاج أربعين عاما من الخبرة في العمل التنصيري في بقاع مختلفة من آسيا، بالإضافة إلى المؤهلات العلمية الراقية من اوكسفورد- والتي لم يحزها في ذلك الوقت إلا قلة قليلة من فطاحله المنصرين الإنجليز- وهو أجدهم- والإعداد النفسي والعملي المُسبق في المغرب العربي والبحر الأحمر، لم يفلح في إنجاح مهمته وتحقيق أحلام تخلد في صفحة التاريخ التنصيري بتحويل العمانيين إلى (مملكة الرب) النصرانية. فبعد أربعة أشهر- تقريبا- من العمل التنصيري المضني لم يخرج فرنش إلا بحيرة من سلوك هؤلاء العرب - الذي رمت به الأقدار بينهم - وفشل ذريع في القدرة على فهم خفايا أنفسهم، فضلا عن الإخفاق في تحويلهم إلى النصرانية.

---

[1] Briks, Herbert (1895)، ص ٣٧٦.

[2] Briks, Herbert (1895)، ص ٣٨٩.

ففي حين كان في جميع جولاته التنصيرية يجد من يستمع إليه عندما يقرأ ويتحدث، بل يأتي إليه في أحيان عدة من يطلب إليه أن يقرأ عليه ما يحويه كتابه الذي يتنقل به بين جماعة وأخرى- وفي بعض تلك الجولات يبدو له شيء من التعاطف من هذا المستمع أو ذاك، مما يبعث في نفسه الاستبشار من قرب كسب أحد الأنصار، فإذا بهذا المستمع أبعد ما يكون مما يظن القسيس. ويصف صعوبة الحوارات التي تدور مع من استهدفهم في إحدى اللقاءات التنصيرية قائلا: "[قضيت] عصرا طويلا في المدينة [ألقي] بعض الخطب الجليلة والجادة بصحبة ناس متعلمين. فقد كلفوني جهدا عظيما، واضطررتُ إلى أن ألقي نفسي إلى عون الرب للاستمرار"[1]. ولم تكن المعارضة تأتيه من قبل الرجال وحدهم بل كان للنساء دور أيضا في تلك المعارضة وهي تجربه لم يمر بها فرنش من قبل، حيث قوله: "النساء هنا تقوم بدور أساسي في معارضة المسيح وكلمة الرب وهي علامة فاصلة بين الهند والجزيرة العربية"[2].

هذه المعارضة لم تكن إعراضاً عن ما يعرضه عليهم المنصرُ فحسب، بل كانت كذلك دعوة له لاعتناق ما هم عليه، وهذا قَلبٌ خطير لموازين استراتيجيته التنصيرية. ويعبر فرنش عن هذا بقوله "منذ يومين خلت بذل معي حشد كبير من العرب (نساء ورجال، الأولون واقفون واللاحقون جالسون) جهدا مميتا لإقناعي لأتحول إلى محمدي. كانت تجربة جديدة بالنسبة لي، لكنها كانت مفيدة في تمكيني من فهم أحسن للشعور الذي يحس به العربي أو الهندوسي عندما يُطالب بتغيير إيمان عزيز عليه كالحياة ذاتها، وهكذا الإيمان مع المسلم هو تقريبا"[3]. وذكر بأن معلمة البنات- التي ذكر بأنه معجب بقوة شخصيتها- عرضت عليه أن تأتي إلى بيته لتعلمه الإسلام وأجابها بالموافقة إذا أحضرت معها أحداً من محارمها.

---

[1] Briks, Herbert (1895)، ص ٣٧٦.

[2] Briks, Herbert (1895)، ص ٣٨٦.

[3] Briks, Herbert (1895)، ص ٣٧٣.

وكانت عقيدة التثليث التي أجهد نفسه في توصيلها إلى هؤلاء الناس هي أكثر شيء نقاشا وجدلا. ووجد فرنش بأن المسلمين يضعون قول الله عز وجل ﴿لم يلد ولم يولد﴾ نقطة الصفر التي تقاس عليها كل التعاليم النصرانية. وقد ذكر تفاصيل لقائه مع تلك المدرسة في المدرسة التي تعمل بها قائلا: "بعد الظهر كانت لي ساعة في مَدْرَسَة امرأة عجوز، تُدرس الفتيات، حيث يوجد منهن عدد ليس بقليل هنا. فكثير من الفتيات تتعلم إلى سن العاشرة أو الحادية عشرة؛ لذلك فإن السكان من الإناث هنا أكثر تعليما من أي مكان آخر رأيته. هذه المرأة العجوز صاحبة شخصية. كان لي معها اثنتان أو ثلاث مناقشات طويلة من قبل، ولكنها كانت دائما تَرجع إلى تعبير واحد بسيط في القرآن "لم يلد ولم يولد"؛ لذلك فإن عبادة ربنا لم ولن يمكن أن تأخذ محلا في إيمانهم. بهذه الكلمة الواحدة يضعون نقطة صفر تُرجع إليها كل التعاليم المسيحية"[1]. ويبدو أنهم كانوا أكثر تساهلا معه فيما يتعلق بموضوع سيرة السيد المسيح عليه السلام وغيرها من القصص والأخبار.

وحتى المجذومون الذين كان يرجو أن يكونوا أول من يعتنق دعوته، وذلك لما يبدون له من ترحيب وما يظهرونه من طول بال في الاستماع إلى خطبه ودروسه لم ينزلوا عند حسن ظنه، فقد أشار إلى ذلك قائلا: "في ٥ [أبريل] زرت قرية المجذومين مرة أخرى وعرضت نفسي خصيصا عليهم مسهبا على قصة المجذومين العشرة في القديس لوقا. حتى من بين هؤلاء لم أتمكن من الحصول على رعايا ثابتين بالرغم من رغبتهم في العطاء! وقد دُعِيتُ – على كل حال – إلى مجموعة من البيوت للحديث. واحد من المجذومين المساكين – يبدو إلى حد ما أنه عالم، مقارنة بالآخرين– يقوم بنسخ شيء من العمل الديني المحمدي وبألوان واضحة على شيء يبدو كأنه لفافة براقة. وقد اعتمدت عليه في أن يقوم بمحاولة تدريس أتباعه الحقائق الرئيسية التي كان يستمع إليها من الوحي، وإعطائه الإنجيل

---

[1] Briks, Herbert (1895)، ص ٣٨٢.

ليجعل منها بداية؛ على أمل أن أعطيه بنفسي تعليمات لاحقة، ولكنه خاف من جعل الناس حوله أعداء له"[1].

لم يشر فرنش في كتاباته إلى تعرضه إلى أي نوع من المصادمة الجسدية كالتي عهدها هو وحزبه في أماكن أخرى من العالم. وإن كان قد أشار إلى وجود معارضة مرة وقاسية في بعض الأحيان إلا أن هذه لم تصل إلى الاعتداء الجسدي. وقد كتب عن إحدى المجادلات التي دارت بينه وبين مجموعة من المسلمين قائلا: "اليوم وقع صدام حاد وعاصف مع إساءة سفيهة وتقريبا هائجة من قبل رجلين أو ثلاثة جهيري الصوت. وقد أُعطيتُ المقدرة على السيطرة على روحي. وآمل أن أكون قد أخذت الدرس بأن لا أقرأ أمام مقهاة مفتوحة على الشارع؛ حيث يجتذب ذلك الحشد، بل أقرأ في الداخل"[2]. وقد أشار في موضع آخر إلى أنه عندما قام بزيارة تنصيرية إلى أحد المساجد قام معلم أعمى بهز عصاه الغليظة في وجهه طالبا منه أن يغادر المكان قائلا له- حسب تعبير القسيس- "سير منا، سير منا". وحسب قوله- أنه لحسن حظه أن الرجل كان أعمى فلم يبرهن على استخدام العصا. وذكر فرنش بأنه لم يكن يزعجه في الليل شيء إلا صوت المؤذن في المسجد المجاور الذي يرفع صوته بمحمد رسول الله وكأنه يقصد بها جذب انتباه الأسقف.

وكان الأسقف فرنش صاحب الخبرة الطويلة في العمل التنصيري لا تنقصه المقدرة عند الدخول في حوار ملتهب مع المحاورين على إيجاد طريقة ذكية يوقف بها ثورة النقاش. فقد ذكر مرة أن مجموعة من النساء بلغ عددهن اثنتي عشرة امرأة أخذت تهاجمه بكلام حاد في إحدى خطبه في أحد شوارع مطرح، فانبرى قائلا لهن: "لا يوجد سبب أن يتقاتل العرب والإنجليز. العرب هم سلالة رفيعة وكريمة ونبيلة وكذلك الإنجليز لذلك يحسن بهم أن يكونوا أصدقاء وليسوا أعداء.

---

[1] Briks, Herbert (1895)، ص ٣٨٢.

[2] Briks, Herbert (1895)، ص ٣٧٨.

نحن جميعا نُقر بنبوة المسيح ورسالته"[1]، فبهذه الكلمات هدئت النساء. وذكر أيضا انه عندما رفع شخص يدعى يوسف صوته ولم يعط القسيس فرصة الرد شرع في قراءة قصة يوسف مرتين وقال مخاطبا ذلك الرجل يا له من بعد غريب بين اليوسفين، إني أدعو الرب أن تكون مثله، فما كان من ذلك الرجل- حسب قول القسيس- إلا أن شعر بالخجل.

١. ٤. ٤. ٢. الرحلة إلى الجبل الأخضر: المحاولة التي لم تنجح

من بين المشاريع التي وضعها فرنش في قمة أولوياته الذهاب إلى منطقة الجبل الأخضر لبث دعوته التنصيرية هناك. ولم تكن هذه الفكرة موجودة في ذهنه قبل وصوله عمان، إلا أنه من خلال لقاءاته التنصيرية في مسقط ومطرح أبلغه الطبيب جاياكر (Dr. Jayaker) وهو جراح هندي متقاعد من الخدمة في الجيش الهندي ويعمل في مستشفى ممول من قبل الحكومة الإنجليزية في مسقط- عن هذا الجزء من عمان وإمكان الوصول إليه. فعزم فرنش حينئذ على الذهاب إلى المنطقة الداخلية قبل قدوم فصل الصيف الحار.

كان هدف القسيس فرنش من الذهاب إلى الجبل الأخضر البحث عن تربة أكثر خصوبة لبث دعوته فيها. فكان يظن بأنه سيجد هناك أناسا أكثر بساطة في تفكيرهم، وأقل مقدرة على تقييم ما يعرضه عليهم بمقاييس دينهم، وليس كما هو الحال في مطرح ومسقط. وفي هذا يسترشد بالنجاح الكبير الذي حققه المنصرون في أدغال إفريقيا وبعض الأماكن النائية في وسط آسيا. وقد بعث برسالة إلى مقر "الجمعية الإرسالية الكنسية" في بغداد طالبا من الطبيب هنري مارتن ستون (Dr. Henry Martyn Sutton) تزويده بأحد المنصرين السوريين الذين صاحبوه في رحلته إلى أنطاكية وبيروت ليصطحبه في رحلة الجبل الأخضر؛ لكي يكون معينا له في تعامله مع أولئك العرب ورفيقا نصرانيا يسر برؤية وجهه. إلا أنه بسبب عدم

---

[1] Briks, Herbert (1895)، ص٣٨٠.

وجود الطبيب ستون في مركزه في تلك الفترة لم يحصل السيد فرنش على المساعد المطلوب.

وتأخر تنفيذ هذه الرحلة إلى بداية شهر رجب/مارس؛ وذلك لتأخر وصول شحنة من نسخ الإنجيل المرسلة بحرا من مرسيليا التي يأمل القسيس فرنش أن يأخذها معه إلى هناك من أجل توزيعها بين المسلمين. وأثناء فترة انتظار الأناجيل كان القسيس يعرض برنامجه على العمانيين طالبا منهم المساعدة على التنفيذ. إلا أنه كلما حصل على وعد من أحد منهم جاء إليه في وقت آخر معتذرا؛ الأمر الذي دفعه إلى أن يكتب بلغة غضب قائلا: "أما فيما يتعلق بالمعسكر، فإني لن أشعر بالتأكد منه حتى أكون قد شرعت بالفعل فيه. كل شيء معتمد في الوقت الحاضر على العربي الذي وعد بمصاحبتي ليبقى عند كلمته. ويبدو أنهم يفكرون قليلا عن الوعد الحق سواء أكان مع الزوجة أم الرئيس أم مع الرب ذاته... إن الواحد يأخذ فكرة سيئة عن عدم الثقة غير المتناهية للعربي، هذا بالرغم من أنني أستطيع أن أقول أن لديهم قَسَمًا يبقونه مقدسا وغير منتهك"[١].

وأخيرا لجأ السيد فرنش إلى المقيم البريطاني الكولونيل موكلر ليعينه على تنفيذ مشروعه. فرفع موكلر أمر رغبة فرنش القيام بالرحلة وطلبه المساعدة إلى السلطان فيصل (١٨٨٨- ١٩١٣م)، فما كان من السلطان- كما ذكر فرنش- إلا أن عين له اثنين من شيوخ القبائل لمرافقته في هذه الرحلة. وإثر صدور الموافقة من السلطان أصر فرنش على الانطلاق مباشرة وعدم انتظار أنتهاء شهر رمضان، وذلك على أمل أن تكون درجة الحرارة التي أصبحت لا تطاق في مسقط اقل لهيبا في مرتفعات الجبل الأخضر.

غادر فرنش مطرح الساعة الحادية عشرة صباح السادس من مايو في قارب صيد مفتوح متوجها إلى السيب ليتوجه منها إلى وجهته الأخيرة. وفي السيب نزل في بيت صيفي مبني من سعف النخيل قريب من البحر وُضعَ تحت تصرفه وفق

---

[١] Briks, Herbert (1895)، ص ٣٨٧.

توجيهات مباشرة من السيد ماكيردي (Mackirdy)- القنصل الأمريكي في مسقط. وفي يوم وصوله السيب طلب فرنش تأجيل مقابلة الوالي- الذي أرسل إليه ابنه ليدعوه إلى زيارته- إلى اليوم التالي؛ وذلك بسبب الإنهاك الذي أصابه من أثر الرحلة. وبعد يومين من الجولات التنصيرية الخفيفة في السيب انهارت صحة الرجل العجوز صاحب الستة والستين عاما بشكل سريع مما جعله يقرر يوم التاسع من ذلك الشهر- نازلا عند مشورة مرافقيه- الرجوع الى مسقط. إلا إنه وبسبب شدة المرض لم يتمكن من مغادرة السيب إلا مساء يوم الأحد ١٠ مارس فوصل مسقط صبيحة يوم عيد الفطر- موافق ذلك العام- ١١ مايو.

١. ٤. ٤. ٣. موت فرنش في مقر المقيم البريطاني في مسقط

استقرت حالة القسيس الصحية في اليوم التالي لوصوله مسقط، وعلى إثرها رفض مقابلة الطبيب جاياكار. إلا أن صحته عادت إلى الانهيار مرة أخرى فنزل حينئذ عند رغبة الطبيب في إعطائه بعض المنشطات. ثم نُقل إثر وصاية الطبيب وموافقته هو نفسه إلى مقر المقيم البريطاني في مسقط، ووُضع في غرفة طيبة الهواء مطلة على البحر. إلا أن درجة حرارة جسمه استمرت في الارتفاع وأستمر في فقدان الوعي ونتيجة لتعطل المخ ثم القلب عن العمل غادر الحياة في ٤ شوال ١٣٠٨هـ/الساعة ٢,٣٠ ظهرا ١٤ مايو ١٨٩١م. وشيع جثمانه مساء ذلك اليوم ولف النعش بالعلم البريطاني، وقرأ السيد موكلر طقوس الجنازة. كما حضر الجنازة جميع المقيمين النصارى الذين سمعوا بموته. ودفن في خور الشيخ جابر قرب سداب، وكان فيه مقبرة خاصة للنصارى. وفي عام ١٩٠٠م قام قس لاهور بزيارة خاصة لقبر القسيس توماس فرنش وقرأ عليه الصلاة[١].

وتشير بعض المراجع الى أن ضربة الشمس المباشرة أثناء السفر في القارب المفتوح من مطرح إلى السيب هي سبب وفاته، إلا أن الأرجح أن الإنهاك العام

---

١ Cantine, James (1900 b)

والانهيار المتواصل في صحته الى جانب عدم مقدرة جسمه نتيجة تقدم السن على تحمل حرارة الجو هو السبب في موته. وفي تقرير كتبه زميله السيد الإكسندر ميتلاند عن سبب وفاته قال: "... بقدر ما أستطيع أن أحكم لم يكن أي جهد أو عمل ذا طبيعة خاص هو السبب في موته، ولكن المهمة العامة التي حاولها كانت فوق قدرته الجسمية. لقد حاول اتباع أسلوب حياة يمكن أن يرهق قوة الرجل الشاب في جو أدى الى سحقه"[1].

١. ٤. ٥. ملخص

وصل الأسقف الإنجليزي توماس فالبي فرنش- مسقط يوم الأحد ٢٧ جمادى الأولى ١٣٠٨هـ/٨ فبراير ١٨٩١ م، ملبيا بذلك النداء الذي أطلقه من أوغندا الأسقف الإكزندر ماكاي في ١٣٠٥هـ/١٨٨٨م والداعي إلى قيام "الجمعية الإرسالية الكنسية" بالعمل على تنصير المسلمين العمانيين. وبذلك يُعَدُّ فرنش أول مُنَصِّر غربي يقوم بالعمل التنصيري في عمان. وقد توفي فرنش في مسقط في ٤ شوال ١٣٠٨هـ/١٤ مايو ١٨٩١م- أي بعد أربعة أشهر فقط من وصوله- متأثرا بالطقس الذي لم يستطع تحمله، وبالعمل الشاق الذي أنهك قواه. ومن الناحية التنصيرية لم يستطع هذا المنصر أن يحقق هدفه.

وبعد موت فرنش شهد النشاط التنصيري في عمان انقطاعا دام أكثر من سنتين حيث وصل القسيس الأمريكي بتر جي زويمر- عضو "الإرسالية العربية" - مسقط في جمادى الأولى ١٣١١هـ/١٢ نوفمبر ١٨٩٣م الذي أسس مركزا تنصيريا فيها.

[1] Briks, Herbert (1895)، ص ٤٠١.

٢. الإرسالية العربية: سبعة وسبعون عاما من النشاط التنصيري في الوسط العماني

٢. ١. حقيقة الإرسالية العربية[١]

بعد المحاولة التي قام بها في ١٣٠٨/١٨٩١م الأسقف الإنجليزي توماس فرنش ليكون رائداً لنشاط تنصيري بكر في عمان وانتهت بموته بعد أربعة أشهر تقريبا من وصوله، انتقل النشاط التنصيري إلى أيدي "الإرسالية العربية" (The Arabian Mission) التي تأسست في الولايات المتحدة الأمريكية في ١٣٠٦هـ/١٨٨٩م. فقد وصل عمان في ١٣١١هـ/١٨٩٣م عضو الإرسالية القسيس بتر جي زويمر (Peter J Zwemer) وأسس في مسقط مركز الإرسالية التنصيري الثالث في منطقة الخليج. ومنذ ذلك الحين استمرت هذه المؤسسة التنصيرية الراعي الوحيد والرئيس لهذا النشاط في عمان لما يقارب من سبعين عاماً– حتى بداية الحقبة السياسية الجديدة التي تولى قيادتها صاحب الجلالة السلطان قابوس بن سعيد آل سعيد في ١٣٩٠هـ/١٩٧٠م.

---

[١] 'الإرسالية العربية' هو الاسم الرسمي الذي أطلقه مؤسسو هذه الإرسالية التنصيرية عليها كما سيتبين خلال هذا الفصل. وعادة يطلق المنصرون الغربيون على إرسالياتهم التنصيرية اسم الجهة المستهدفة بها أو المرسلة إليها. وقد عُرفت 'الإرسالية العربية' في المنطقة باسم 'الإرسالية الأمريكية'، الجهة الباعثة لها. واستخدم هذا الاسم– الإرسالية الأمريكية– في بعض الوثائق والكتب، من بينها الرسالة التي وجهها صاحب الجلالة السلطان قابوس إلى مكتب الإرسالية في مسقط بتاريخ ١٥ أغسطس ١٩٧٠م وكتاب الطبيب دونالد بوش (Donald Bosch) الذي حمل عنوان (مستشفيات الإرسالية الأمريكية في عمان) "The American Mission Hospitals in Oman". ودأب بعض الكتاب ومنهم المنصرون القدامى أنفسهم كصامويل زويمر (Samuel Zwemer) في كتابه (الجزيرة العربية مهد الإسلام) "Arabia the Cradle of Islam" على استخدام اسم 'الإرسالية العربية الأمريكية' (The American Arabian Mission) وذلك لتميزها عن الإرساليات التنصيرية الغربية العاملة في المنطقة والتي تحمل كل منها اسم 'الإرسالية العربية'. وفي هذا الكتاب نستخدم الاسم الرسمي للإرسالية– الإرسالية العربية– وقد استخدم هذا الاسم في العديد من الدراسات والكتب الحديثة منها على سبيل المثال دراسة عبدالملك التميمي 'الإرسالية العربية' "The Arabian Mission: A Case Study of Christian Missionary Work" ولويس سكدر (Lewis Scudder) (قصة الإرسالية العربية) "The Arabian Mission's Story".

٢. ١. ١. نشأة الإرسالية العربية

تأسست "الإرسالية العربية" التي أصبحت فيما بعد أعظم مؤسسة تنصيرية في شبه الجزيرة العربية بأكملها في ذي الحجة ١٣٠٦هـ/١ أغسطس ١٨٨٩م نتيجة طموح مجموعة من الطلاب الشباب الدارسين في "كلية برونسويك اللاهوتية" (Brunswick Theological Seminary) التابعة "للكنيسة المُصْلَحة البروتستنتية الهولندية" [١] (Reformed Dutch Church in America) في مدينة برنسويك (Brunswick) بولاية نيوجيرسي (New Jersey) بالولايات المتحدة الأمريكية [٢].

---

[١] 'الكنيسة المصلحة في أمريكا' (Reformed Church in America) بروتستنتية المذهب، وكانت بين ١٦٢٤م و١٧٧٢م تتبع إداريا شركة الهند الغربية الهولندية. وفي ١٧٩٤م حصلت 'الكنيسة المصلحة في أمريكا' على استقلالها من التبعية لأمستردام فتأسس إثر ذلك ما أطلق عليه 'المجلس العام للكنيسة المصلحة الهولندية في شمال أمريكا' (General Synod of the Dutch Reformed Church in North America). ودعمت هذه الفرقة النصرانية التنصير الداخلي في الولايات المتحدة الأمريكية وأسست من أجل ذلك في ١٨٣١م 'هيئة الإرساليات الداخلية' (Board of Foreign Mission). وعلى صعيد التنصير الخارجي عملت الكنيسة المصلحة الهولندية في أمريكا في البداية بالتعاون مع 'هيئة المفوضين للإرساليات الخارجية' (Board of Commissioners for Foreign Missions) حيث كان أول من بعثتهم للعمل التنصيري في هذا الإطار هريت وجون سكدر (Harriet and John Scudder) وذلك في ١٨١٩م، حيث عملا في البداية في سيراليون ثم استقرا في ١٨٣٦م في مدراس. ثم أسست 'الكنيسة المصلحة في أمريكا' في ١٨٣٢م 'هيئة الإرساليات الخارجية' التي عنيت بالنشاط التنصيري خارج الولايات المتحدة الأمريكية والتي رعت مباشرة 'إرسالية أركوت' (Arcot Mission) في الهند و'إرسالية أموي' (Amoy Mission) في الصين، حتى انضمت إلى رعايتها في وقت لاحق 'الإرسالية العربية'. Scudder, Lewis R. (1998)

[٢] أدى القرار الذي أصدره الكونجرس الأمريكي في ١٧٨٩م الذي نص على حرية الأديان في الولايات المتحدة الأمريكية إلى إنعاش الحركات الدينية المحلية التي خلصها القرار لأول مرة منذ عهد قسطنطين-خمسة عشر قرنا- من هيمنة الدولة عليها. وبما أن العِرْق الأبيض القادم من أوربا- المنتمي إلى الديانة النصرانية- هو المسيطر على الساحة في الولايات المتحدة الأمريكية، فقد تمكنت الكنائس النصرانية من اكتساب عدد كبير من الأتباع وتهيئة قاعدة دينية قوية وسط المجتمع الأمريكي الناشئ. فقد عملت الحملات التنصيرية الداخلية التي نظمتها الكنائس على تعميق البعد الديني لدى النصارى أنفسهم- خاصة المهاجرين الجدد منهم- وإدخال أصحاب الديانات الأخرى- الهنود الحمر والبوذيين، مثلا- إلى النصرانية. حيث أرتفع عدد أعضاء الكنائس من ٦٪ في ١٧٧٦م إلى ٣٦٪ في ١٩٠٠م. كما أدى ذلك إلى ظهور العديد من الطوائف الكنسية وانتعاش الطوائف الصغرى منها. وقد حققت الكنيسة البروتستنتية المضطهدة في أرض منشئها- أوربا- نجاحا كبيرا مكتسحة الأرض أمام خصيمتها الكاثوليكية. ونتيجة لإشباع الحقل الداخلي بالإرساليات، توجهت خطط الكنيسة البروتستنتية نحو إنشاء الإرساليات الخارجية التي توزعت بشكل هائل ابتداء من ١٨٩٠م على الصين واليابان

الإرسالية العربية The Arabian Mission

- التأسيس

في أغسطس ١٨٨٩م في مدينة برنسويك Brunswick/ نيوجيرسي/ بالولايات المتحدة الأمريكية

- المؤسسون

ثلاثة من الطلاب الشباب الدارسين في "كلية برونسويك اللاهوتية" (Brunswick Theological Seminary) وهم:

جيمس كانتاين Mr. James Cantine،
صاموئيل زويمر Mr. Samuel. M. Zwemer،
فيليب تي فيليبس Mr. Philip Tertius Phelps
بإستشارة البروفسور جون جوليان لانسنج (Rev. John Gulian Lansing)

وكوريا وباكستان والهند والفليبين والشرق الأوسط وإفريقيا وأمريكا اللاتينية والكاريبي والباسيفيك وأوربا. وقد تمكنت الإرساليات البروتستنتية الأمريكية العاملة فيما وراء البحار نتيجة لبعض الميزات من منافسة الإرساليات الأوربية ليس الكاثوليكية فحسب بل حتى البروتستنتية، خاصة في جنوب وجنوب شرق آسيا. فمن ناحية وفر الشعب الأمريكي الذي تمكنت الكنائس منذ زمن بعيد من غرس الانتماء الديني فيه كثير من الدعم المالي الذي تحتاج إليه الإرساليات الخارجية. بينما أبعدت ما تسمى حركات التنوير في أوربا- الداعية إلى تحرير الناس من"الانتماء الكنسي- الأوربيين عن الكنائس مما حَرَمَ تلك الكنائس وبالتالي البعثات التنصيرية من كثير من الدعم المالي الشعبي. ومن ناحية أخرى كانت الكنائس الأم في أوربا تعتبر الكنائس الناشئة في الحقول التنصيرية مرتبطة بها من الناحية الدينية فقط ومستقلة بذاتها من الناحية التنظيمية والمالية، مما جعل نشاط تلك الكنائس الناشئة محدوداً للغاية نتيجة قلة عدد الأتباع الذين يوفرون لها الدعم المالي. أما الكنائس الأم في أمريكا فكانت تعتبر الكنائس الناشئة نتيجة النشاط التنصيري كنائس إرسالية تدعمها ماليا حتى يتوفر لها العدد الكافي من الأتباع المحليين. إلى جانب هذا كانت الكنائس الأم في أمريكا تعد الإرساليات التنصيرية جزءا من بنيتها الإدارية وهذا بدوره جعل الدعم المالي لتلك الإرساليات رسميا، ويوفر من داخل الكنيسة، ومسؤولية جميع الكنائس المنتمية إلى الطائفة. Hogg, W. Richie (1977)

- مراكزها في الخليج

مركز البصرة افتتح في اغسطس ١٨٩١م،

مركز البحرين افتتح في أغسطس ١٨٩٣م،

مركز مسقط افتتح في نوفمبر ١٨٩٣م،

مركز العمارة (العراق) افتتح في ١٨٩٥م،

مركز الكويت افتتح في ١٩١٠م

- الإنتكاسة

١٩٦٧م أغلقت مستشفيات الإرسالية في الكويت،

١٩٦٧م أغلقت مدرسة الإرسالية في البحرين،

١٩٦٨م وضعت الحكومة العراقية يدها على ممتلكات الإرسالية في العراق

١٩٧٠م وضعت حكومة سلطنة عمان خطة لتحويل مستشفيات الإرسالية إلى الحكومة

- النهاية

حلت بشكل نهائي في مارس ١٩٧٣م

ففي ٣١ أكتوبر ١٨٨٨م اجتمع ثلاثة من طلاب هذه الكلية، وهم السيد جيمس كانتاين (Mr. James Cantine) والسيد فيلب تيرتيوس فيلبس[1] (Mr. Philip Tertius Phelps) والسيد صامويل مورينس زويمر (Mr. Samuel. M. Zwemer) لمناقشة مشاركتهم في عمل تنصيري خارج الولايات المتحدة الأمريكية. وقرر هؤلاء الثلاثة توظيف جهودهم في نشاط تنصيري ريادي في أرض لم تشغلها المؤسسات التنصيرية بعد. وقد اقترحوا في بادئ الأمر التبت وأواسط إفريقيا وبعض البلاد الناطقة بالعربية وخاصة النوبة وأعالي النيل ميدانا لعملهم. إلا أن رأي المجموعة استقر بعد استشارة البروفسر جون جوليان لانسنج[2] (Rev. John Gulian Lansing) أستاذ الدراسات العربية والعبرية بالكلية، الذي كان نفسه قسيسا ومشبعا بالروح التنصيرية وعارفا بأحوال منطقة الشرق الأوسط، على أن يكون العالم الإسلامي في الجزيرة العربية أو حولها هو المستهدف بهذا المشروع.

ثم رفع هؤلاء الأربعة في ٣ يونيو ١٨٨٩م خطة عمل موقعة بأسمائهم الى "هيئة الإرساليات الخارجية في الكنيسة المصلحة البروتستنتية"[3] (Board of Foreign Mission of the Reformed Church)[4] – الكنيسة المنتمين إليها–

---

[1] لم تشر المصادر إلى أي دور لفلب تيرتويس فلبس بعد تأسيس الإرسالية العربية. ففي حين توجه جيمس كانتاين وصاموبل زويمر إلى شبه الجزيرة العربية بقي السيد فلبس في أمريكا لأسباب صحية وعائلية كما يقول. وأبوه السير فلبس مؤسس كلية الأمل (Hope College) بمدينة هولاند، ولاية ميتشجان، وأحد المتحمسين لإنشاء الإرساليات التنصيرية الخارجية. توفي فلب تيرتويس في الولايات المتحدة الأمريكية في ٢٢ أكتوبر ١٩٤٤م. Scudder, Lewis R. (1998)

[2] البروفسر جون جوليان لانسنج ولد في دمشق في ٢٧ نوفمبر ١٨٥١م حيث كان أبوه الدكتور جوليان لانسنج يعمل في الإرساليات الخارجية التابعة 'للكنيسة المشيخية المتحدة' (United Presbyterian Church). وبعد العمل في دمشق انتقل الأب إلى القاهرة حيث قضى الابن معظم طفولته. وتلقى جون لانسنج تعليمه الجامعي في الولايات المتحدة الأمريكية. وبعد تخرجه في الجامعة بُعث في دورة دراسية إلى مصر لتعلم اللغة العربية. وقد عين أستاذا للغتين العربية والعبرية في كلية برونسويك اللاهوتية في ١٨٨٤م. Searle, J. Preston (1906)

[3] بدأ نشاط الكنيسة البروتستنتية التنصيري في العالم الإسلامي عام ١٨٠٦م عندما وصل إلى كلكتا بالهند القسيس الإنجليزي هنري مارتن– أنظر الفصل الأول. Zwemer, Amy and Samuel (1926)

[4] غير هذا الاسم عدة مرات بعد ذلك، فقد أطلق عليها 'Board of World Missions' و 'Board of World Mission' و 'Board of Christian World Mission' و 'Division of World

مطالبين بإقرار المشروع رسميا والدعم المالي له. إلا أن الهيئة رفضت إدراج هذا المشروع في قائمة أنشطتها التنصيرية بسبب الديون التي كانت تثقل ميزانيتها- والتي بلغت آنذاك خمسة وثلاثين ألف دولار. ورأى المسؤولون أن إنشاء إرسالية تنصيرية جديدة إلى جانب الإرساليات السابقة يحمل الهيئة أعباء مالية جديدة فوق طاقتها.

إثر ذلك أجتمع المؤسسون الأربعة في الأول من مارس ١٨٨٩م لمناقشة رد الهيئة على فكرتهم ومصير المشروع، فاتخذوا قرارا بالمضي قدما في إنجاح خطتهم ولو بدون اعتراف "مجلس الإرساليات الخارجية" ودعمه، وأصدروا مسودة عمل لتنفيذ مشروعهم. ثم اجتمعوا بعد أيام قليلة في منزل السيد كانتاين في ستون ريدج، بمدينة نيويورك (Stone Ridge, New York) فأخرجوا الصيغة النهائية لخطة الإرسالية التي شملت الفقرات التالية:

"نحن الموقعين أدناه راغبون في القيام بعمل تبشيري طلائعي في بعض البلاد الناطقة بالعربية، وخاصة من أجل المسلمين والرقيق، وفي البداية نقر بالحقائق التالية:

١. توجد حاجة عظيمة ومشجعة لهذا العمل في الوقت الحالي.

٢. لا توجد أي إرسالية تحت إشراف هيئة الإرساليات الخارجية التي نتبعها تعنى بهذا المجال في الوقت الحاضر.

٣. قلّة ما أنجز من خلال القنوات المذكورة.

٤. عدم مقدرة هيئتنا على إنشاء عمل في ظروفها الحالية.

لهذا فقد اتفقنا على المواضيع التالية:

١. يطلق اسم الإرسالية العربية على هذه الحركة الإرسالية الناشيءة.

'the Mission Service Unit of وأخيرا Mission of the General Program Council'
.the General Synod Council'

٢. سيكون الحقل، كما يمكن تحديده في الوقت الحاضر، الجزيرة العربية والمناطق المتاخمة من الساحل الأفريقي.

٣. يُشكل مجلس مستشارين مكون من أربعة مشاركين يختارهم ويشكلهم الموقعون أدناه ليقدموا المساعدة في إنماء اهتمامات الإرسالية.

٤. بالنظر إلى حقيقة أن هذه الإرسالية لا تهم طائفة معينة من حيث موظفوها وعملها؛ لذلك فإن المساهمات ستطلب من كل من يدفعها وأيا كان بدون اعتبار للانتماء الطائفي.

٥. إن المبلغ المطلوب لتنفيذ عمل الإرسالية هو المبلغ الضروري لتلبية احتياجات المعدات ومصاريف عمل الأفراد الموافق عليهم والمبعوثين للعمل في الإرسالية فقط. لذا فإنه لا ديون تطلب ولا رواتب تدفع لغير أعضاء الإرسالية.

٦. يجب أن لا يتعارض المبلغ المذكور أعلاه مع المساهمات الفردية الاعتيادية للإرساليات الخارجية.

٧. يجب أن يكون القسم الأول من الموقعين أدناه أمناء صندوق ينظرون في اهتمامات الإرسالية في الداخل، ويقدمون بيانا سنويا عن عمل الإرسالية، أما المرسلون في الميدان فعليهم توجيه العمل في الخارج"[١]. وقد وقّع على هذه الخطة كل من البروفسر لانسنج والسيد كانتاين والسيد زويمر.

وبعد إعلان الخطة أصبح هدف الإرسالية جعل داخل الجزيرة العربية حافلا بالعمل التنصيري. وبالرغم من عدم موافقة "هيئة الإرساليات الكنسية" على تبني "الإرسالية العربية" إلا أن المشروع وجد تعاطفاً شديداُ من عدد من البارزين في تلك الهيئة. كما لاقت الفكرة تأييدا لدى كثير من المشجعين. وبدأت المساهمات المالية تتوالى على الإرسالية العربية، وتسلم المؤسسون ما يقارب خمسة آلاف دولار– وهي

[١] Mason, Alfred De Witt (1926)، ص ٦١. و Zwemer, Samuel M (1900 a)

مساهمة سخية للغاية– مقدمة من إحدى السيدات وتدعى كاثرين كرين هالستيد (Catherine Crane Halstead)[1].

٢. ١. ٢. التوجه نحو الجزيرة العربية

إثر ذلك غادر السيد جيمس كانتاين في ربيع الثاني ١٣٠٧هـ/١٦ أكتوبر ١٨٨٩م بعد أن عُين قسيسا الى منطقة الشام في جولة تقييمية للمنطقة المقترحة للعمل التنصيري، وللقاء المنصرين العاملين فيها. ثم تبعه في ذي القعدة ١٣٠٧هـ/٢٨ يونيو ١٨٩٠م إلى نفس الجهة العضو الثاني السيد صامويل زويمر– بعد أن عُين قسيساً كذلك. مرت رحلة السيد زويمر البحرية عبر هولندا وبريطانيا. حيث التقى في الثانية أعضاء الكنيسة السكوتلندية متعهدة إرسالية عدن التنصيري (Aden Mission)، والتقى أيضا أسرة ايون كيث فالكنر (Iron Keith Falconer) مؤسس هذه الإرسالية والذي مات في عدن بعد عشرة أشهر فقط من بدء مهمته. كما قضى السيد زويمر عددا من الأيام في لندن حيث أخذ هناك ببعض الكتب التي تعنى بشبه الجزيرة العربية[2].

قوبل السيدان زويمر وكانتاين في سوريا بالحفاوة والترحاب من قبل أعضاء "الإرسالية السورية" (Syria Mission of the Presbyterian Church, USA) وغيرهم من كبار المستشرقين كالدكتور كورنليس فان ديك (Dr. Cornelius Van Dyke) والدكتور جيمس دنس (Dr. James Dennis) والدكتور جيسب (Dr. H. H. Jessup). كما شاركا أثناء فترة بقائهما في الشام في حضور الاجتماعات التي يعقدها أولئك المنصرون. وحضرا كذلك جلسات مكثفة في تعلم اللغة العربية[3]. فقد التحقا بالمدرسة الأمريكية للبنين (American

[1] Zwemer, Samuel M (1900 a)
[2] Zwemer, Samuel M (1900 a)
[3] Zwemer, Samuel M (1900 a)

Boarding School, for boys)- الواقعة في منطقة سوق الغرب قرب بيروت[1].

وكانت الفترة التي قضياها في الشام عظيمة الفائدة لهما، ليس لأنهما تعلما اللغة العربية فحسب بل لأنهما اكتسبا كثيرا من الخبرات التنصيرية التي زودهم بها أعضاء الإرسالية السورية الأمر الذي يقول عنه السيد كانتاين: "سلّمنا من الكثير من الأخطاء المدمرة"[2]. إلى جانب هذا فقد تعرفا هناك إلى المرتد كامل عبد المسيح[3] الذي أصبح أول عربي ينضوي تحت لواء الإرسالية العربية الأمريكية ويقدم لها خدماته. كما أتاحت لهم هذه الزيارة أيضا الاتصال بمطبعة بيروت التي كانت المعين الأساس لهم للحصول على ما يسميه السيد كانتاين: " أكثر الأسلحة تأثيراً، كلمة الرب المطبوعة"[4] –الإنجيل– وغيره من الكتب التنصيرية المنشورة باللغة العربية[5].

ومن الشام ذهب كل من كانتاين وزويمر إلى مصر للقاء البروفسر لانسنج الذي كان موجودا هناك لأسباب صحية. بعد ذلك توجه كانتاين بتاريخ ١٨ ديسمبر ١٨٩٠م في رحلة بحرية مباشرة إلى عدن. ثم تبعه زويمر بتاريخ ٨ يناير ١٨٩١م في رحلة مرت به عبر جده والحُديدة وسواكن التي التقى فيها الجنرال هيج بهدف استشارته في المشروع.

---

[1] Mason, Alfred De Witt (1926)

[2] Cantine, James (1909)، ص ١١.

[3] ولد المرتد كامل عبد المسيح في بيروت. والتحق لمدة شهر بكلية جيسويت (Jesuit College) ليتعلم اللغة الفرنسية، وهناك قدم له أحد أصدقائه نسخة عربية للعهد الجديد فأخذها إلى البيت ليقرأها ولما أكتشف أبوه أمره غضب عليه وحرق النسخة. فقدم له صديقه نسخة أخرى مع نصيحة باستشارة د. فان ديك (Dr. Van Dyck) من أجل التغلب على مشكلة الأب. وقام الدكتور فان ديك بدوره بتقديم كامل إلى المنصر الأمريكي هنري جيسب (Dr. Henry H. Jessup) الذي أشرف على تلقينه النصرانية. وبعد ذلك ألتحق كامل بالمدرسة الأمريكية للبنين (American Boarding School, for boys) في منطقة سوق الغرب بلبنان والتقى فيها بالسيد كانتاين والسيد زويمر. وعندما غادرا سورية غادر معهما كامل ليشاركهما في تنصير المسلمين في شبه الجزيرة العربية. وبعد ستة أشهر من العمل في الإرسالية العربية الأمريكية قضى كامل نحبه في٢٤ يونيو عام ١٨٩٢م بعد مرض مفاجئ أستمر مدة يومين فقط. ويتهم النصارى المسلمين بالمسؤولية في موت المرتد كامل. Mason, Alfred De Witt (1926)

[4] Cantine, James (1909)، ص ١١.

[5] Cantine, James (1909)، ص ١١.

وقد ذكرنا في الفصل الرابع اللقاء الذي تم بين كل من القسيس توماس فالبي فرنش رائد العمل التنصيري الانجليكاني في مسقط والسيد صامويل زويمر وجيمس كانتاين. وذكر كانتاين أن فرنش قد قال له: "أخي العزيز إنني سأتجه غدا إلى مسقط وقد سمعتُ بأن تفكيرك أيضا موجها إلى ذلك الاتجاه. إنك محتاج إلى أن لا تتهيب من اللحاق بي إلى هناك فما أنا إلا رجل مُسن أريد أن أقضي المتبقي من سنواتي بين الناس الذين أحبهم وقد يكون من السهل أن يُدفع العمل في الجزيرة العربية- العزيزة عليَّ- إلى إرساليكم الشباب"[1].

ومن عدن انطلق كانتاين وزويمر في أول رحلة استكشافية لتقييم المواقع التي أقترحها الجنرال هيج كمراكز تنصيرية في شبه الجزيرة العربية[2]. فتوجه السيد كانتاين لاكتشاف الساحل المطل على المحيط الهندي من الجزيرة العربية، والخليج العربي حيث زار مسقط في شوال ١٣٠٨هـ/٢٦ مايو ١٨٩١م ولبث فيها أسبوعين ثم أنطلق بعدها إلى البحرين وبعض المواني الأخرى في الخليج لتنتهي رحلته في بغداد والبصرة التي التقى فيها المنصِّر البريطاني الطبيب ام اوستوس (Dr. M. Eustace) الذي كان يعمل لصالح "الجمعية الإرسالية الكنسية".

أما زويمر فأُسندت إليه، بمساعدة المرتد كامل عبد المسيح، مهمة استقراء الوضع في المنطقة الواقعة بين عدن وصنعاء والساحل الجنوبي من الجزيرة العربية. حيث زار جميع المدن الساحلية الواقعة بين عدن والمكلا.[3]

ويلخص القسيس كانتاين المرحلة الاستكشافية لشبه الجزيرة العربية في قوله: "خلال سنتين رأينا كل محيط شبه الجزيرة العربية تقريبا. لقد جعلنا في الاعتبار احتمال [إنشاء مقر في] البو في الزاوية الشمالية الغربية، وحوران جنوب دمشق، ومؤاب شرق البحر الميت. وفي عدن قضينا بضعة أشهر. وزرنا موانئ البحر الأحمر

---

[1] Cantine, James (1898 a)

[2] أنظر ١. ٢.

[3] Wilson, J. Christy (1952), Zwemer, Samuel M. (1943)

الواقعة غرب عدن، وكذلك موانئ بحر العرب في جهة الجنوب كما زرنا المدن اليمنية الداخلية. وأخيرا أبحرنا على طول الساحل الشرقي من مسقط إلى بغداد– مسافة مجموعها خمسة آلاف ميل"[١].

وقرر فريق الاكتشاف نتيجة لهذه الجولة، وأخذاً بمشورة أم اوستوس أن ينشيء في البصرة مركز قيادة العمليات التنصيرية في شبه الجزيرة العربية، وذلك لما تتمتع به هذه من ميزات بزت المنطقة المقترحة الثانية صنعاء. فافتتحت الإرسالية العربية أول مراكزها التنصيرية في شبه الجزيرة العربية في البصرة في محرم ١٣٠٩هـ/أغسطس ١٨٩١م[٢]. ومن هذا المركز بدأت الإرسالية الانطلاق نحو توسيع نشاطها التنصيري في المنطقة.

٢. ١. ٣. التحديات والتوسع

واجهت الإرسالية العربية في سنتها الأولى في الخليج الكثير من الصعوبات التي هددت بقاءها. فعلى الصعيد البشري تم نقل الطبيب الوحيد الدكتور أوستوس إلى أحد مستشفيات الجمعية في الهند. وأدى هذا الإجراء إلى خلو البصرة من طبيب يلجا إليه الإرساليون عند إصابتهم بالمرض. أضطرت الإرسالية الى المسارعة في توظيف الطبيب الأمريكي سي إِي رجس (Dr. C. E. Riggs). إلا أن هذا الطبيب أعيد إلى أمريكا بعد فترة قصيرة وذلك لتخليه عن عقيدة التثليث. ثم توفي المرتد السوري كامل عبد المسيح في ٢٤ يونيو ١٨٩٢م، واعتقل أحد المرتدين الآخرين. وقد ترك كل هذا فراغا في السلك التنصيري في مركز الإرسالية في البصرة. وإلى جانب ذلك بدأت السلطات التركية تمارس ضغطا على الإرساليات التنصيرية العاملة في العراق بشكل عام. فقد اعتقل بعض المنصرين وصُودرت الكتب، وأُغلق المحل الذي يبيع الأناجيل، كما وُضع مقر الإرسالية العربية تحت الحراسة –

---

[١] Cantine, James (1909)

[٢] Wilson, J. Christy (1952)

مورست هذه الضغوط على فترات وبأشكال متفاوتة. كما كانت الحمى والحرارة الشديدة تقضيان على عناصر الإرسالية في السنوات الأول من عمرها. أما في الولايات المتحدة الأمريكية فإن الانهيار المستمر في صحة البروفسر لانسنج، والهبوط في نسبة المساهمات المالية للإرسالية انعكس سلبياً على سير العمل في المركز. وهو ما جعل السيد كانتاين يقول: "إنه في السنوات الأولى لم نتجرأ إلا قليلا على الأمل في البقاء في هذه الأرض"[١].

وجّه عناصر الإرسالية مع نهاية ١٣٠٩هـ/١٨٩٢م نداء عاجلا إلى الأمريكان بضرورة مساندة أنشطة الإرسالية في شبه الجزيرة العربية للوقوف في وجه التحديات التي تواجهها. نص ذلك النداء على ما يلي "إن تجارب الإرساليين منذ الوصول إلى عدن، وجولاتهم على طول الساحل في الداخل، والوعي العميق في إن إرساليتنا إنما هي دعوة الرب في نقل الوحي إلى داخل شبه الجزيرة العربية يدفعنا الى أن نصدر نداء خاصا في هذا الوقت يدعو طلب المزيد من العاملين. ثمة العديد من النقاط خارج البصرة حيث يجب أن يدشن عمل دائم وبدون أي تأخير. فأماكن كالبحرين ومسقط أو صنعاء هي متساوية، وربما، أكثر انفتاحا للوحي من البصرة ذاتها...إذا كانت الإرسالية العربية صادقة في اسمها وهدفها فيجب أن تُملأ الجزيرة العربية"[٢].

كان هذا النداء إيذانا بزيادة عدد عناصر الإرسالية العربية والتوسع في أنشطتها. فنتيجة له انضم إلى الإرسالية في جمادى الآخرة ١٣١٠هـ/ديسمبر ١٨٩٢م أحد أبرز المنصرين وهو القسيس بتر جي زويمر (Rev. Peter J. Zwemer) الأخ الأصغر لصامويل زويمر. وقام صامويل زويمر في السابع من ديسمبر من نفس العام بزيارة إلى البحرين وبقي فيها حتى نهاية ذلك العام، تلاها

---

[١] Cantine, James (1909)

[٢] Zwemer, Samuel (1900 a)، ص ٣٦٢.

بزيارة أخرى في فبراير من العام الذي بعده[1]. وفي أغسطس ١٨٩٣م افتتح السيد بتر زويمر في البحرين المركز التنصيري الثاني في الخليج. كما افتتح فيها متجراً لبيع الإنجيل، حيث بيعت أكثر من مائتي نسخة في العام الأول. ثم قام في نوفمبر[٢] ١٨٩٣م بزيارة مسقط وافتتح المركز التنصيري الثالث. وفي سبتمبر ١٨٩٣م قام صامويل برحلات إلى منطقة الأحساء والهفوف والمناطق الشرقية لشبة الجزيرة العربية[٣]. نشط كذلك العمل التنصيري في البصرة[٤]. وفي عام ١٨٩٥م افتتحت الإرسالية مركزا تنصيريا في العمارة، العراق. وفي ١٩١٠م افتتحت مركزها في الكويت[٥]. كما شرعت الإرسالية ابتداء من ١٩١٠م في إقامة علاقات مع عبدالعزيز بن فيصل آل سعود. حيث مهدت الاتصالات التي أجراها آرثر بنت (Arthur K. Bennett) مع عبدالعزيز الطريق لوصول أعضاء الإرسالية إلى نجد. فوصلت أول بعثه طبية للإرسالية بقيادة الطبيب بول هاريسون إلى نجد في ١٩١٧م. كما أُدخل الطب والتعليم إلى أنشطة الإرسالية التنصيرية. فأُفتتح في البحرين في ١٩٠٢م ما أطلق عليه مستشفى ماسون التذكاري. وأُفتتح في ١٩٠٩م مستوصف في مطرح. كما افتُتح في البصرة في ١٩١١م مستشفى لانسنج التذكاري. وأنشأت السيدة أمي زويمر في ١٩٠٣م مدرسة للبنات في البحرين. وفي ١٩١٢م أنشأ جون فان ايس مدرسة الأمل العالية للأولاد في البصرة. كما حقق بيع الإنجيل ارتفاعا عظيما، فبين عامي

---

[١] Wilson, J. Christy (1952)

[٢] في Wilson, J. Christy (1952) كانت الزيارة في ديسمبر ١٨٩٣م.

[٣] Wilson, J. Christy (1952)

[٤] Zwemer, Samuel (1900 a

[٥] افتُتح مركز الكويت في العام المذكور وذلك بعد عدة زيارات للمنطقة. ففي عام ١٩٠٣م ذهب السيد صامويل زويمر إلى الكويت بصحبة بائع الأناجيل سالومي وعائلته حيث أستأجر لهم بيتا ومحلا لبيع الإنجيل إلا أن أمير الكويت أمر بإقفال ذلك المحل بعد أشهر قليلة من افتتاحه وأبعد سالومي وعائلته على قارب إلى البصرة. ثم أعيد افتتاحه في عام ١٩١٠م إثر دعوة رسمية من أمير الكويت آنذاك. (Mason, Alfred De Witt (1926) Bennett, Arthur (1910)

١٨٩٢م و١٨٩٩م- على سبيل المثال- باعت الإرسالية ١٤,٥٧٦ نسخة، كان الجزء الأكبر منها للمسلمين[1].

وفي ذي الحجة ١٣١١هـ/يونيو ١٨٩٤م حدثت نقلة مهمة في تاريخ الإرسالية العربية حيث قررت "هيئة الإرساليات الخارجية في الكنيسة المصلحة البروتستنتية" ضم الإرسالية العربية إلى عضويتها. وأدى انضواء الإرسالية تحت مظلة هذه المؤسسة التنصيرية الضخمة إلى ضمان بقاء الإرسالية وصمودها أمام التحديات وخاصة المالية منها. كما رفع من مكانة الإرسالية العربية وشهرتها بوصفها جزءاً رسميا من الكنيسة المُصْلَحَة في أمريكا[2]. وأصبحت الإرسالية العربية رابع إرسالية خارجية ترعاها الكنيسة المصلحة البروتستنتية بعد إرسالية أموي (Amoy Mission) في الصين التي تأسست عام ١٨٤٢م، وإرسالية آركوت (Arcot Mission) في غرب مدراس، الهند التي تأسست عام ١٨٥٣م، وإرسالية اليابان (Japan Mission) التي تأسست عام ١٨٥٩م[3]. وابتداء من هذا العام- ١٨٩٤م- أصبح الجانب الإداري للإرسالية تحت الإدارة المباشرة للهيئة. في حين احتفظت الإرسالية بإدارة الجانب المالي، كحق الحصول على التبرعات المالية من أي جهة كانت وبدون أن تدخل تلك الأموال في الميزانية العامة للهيئة. واستمر هذا الوضع حتى عام ١٣٤٣هـ/١٩٢٤م عندما حُولت الشؤون المالية للإرسالية إلى الإدارة المباشرة للكنيسة المصلحة[4].

وانضمت النساء إلى سلك الإرسالية في ١٣١٤هـ/١٨٩٦م وذلك عندما تركت السيدة أمي إليزبث ويلكس زويمر (Mrs. Amy Elizabeth Wilkes Zwemer) العمل في "الجمعية الإرسالية الكنسية" في بغداد لتتزوج القس صامويل زويمر في ١٨ مايو ١٨٩٦م، ومن ثم العمل لصالح الإرسالية العربية. وفي فبراير

---

[1] Scudder, Lewis R (1998)

[2] Mason, Alfred De Witt (1926)

[3] Chamberlain, Mrs. W. I (1925)

[4] Scudder, Lewis R. (1998)

١٨٩٨م وافق "مجلس المرأة للإرساليات الخارجية في الكنيسة المصلحة البروتستنتية" Woman's Board of Foreign Missions Reformed Church in America)، على الطلب المقدم من سكرتير مجلس الإرساليات الخارجية بانضمام السيدة أمي زويمر إلى هذا المجلس[1]. وبموافقة "مجلس المرأة للإرساليات الخارجية في الكنيسة المصلحة البروتستنتية" على رعاية النساء العاملات في الإرسالية العربية نشط العمل النسائي التنصيري في كل من البصرة والبحرين والقطيف وعمان. ثم انضمت إلى الإرسالية في ١٨٩٨م السيدة مارجريت بارني (Mrs. Margaret Barny) ثم الدكتورة ماريون ولز تومس (Dr. Marion Wells Thoms) زوجة الطبيب شارون جي تومس (Dr. Sharon J. Thoms)[2].

٢. ١. ٤. نهاية الإرسالية العربية

مع بداية ١٣٧٩هـ/١٩٦٠م بدأت تعلو في اجتماعات الجمعية العمومية للكنيسة المصلحة في أمريكا النداءات المُطالبة بحل "الإرسالية العربية" وسحب أعضائها من منطقة الخليج. والسبب في ذلك هو فشل الإرسالية في مهمتها التنصيرية. فبغض النظر عن بعض الأفراد الذين تنصروا في هذا المركز أو ذك عجزت الإرسالية عن تنصير العدد الكافي لتكوين مجموعة متنصرة قادرة على الاستقلال بذاتها والوفاء بشروط إنشاء كنيسة محلية تدار وتمول بواسطة أعضائها المحليين، وهو الحد الأدنى الذي عادة ما تسعى الكنائس الغربية في تحقيقه من إرسالياتها التنصيرية. وأصبحت الكنيسة المصلحة في أمريكا لا تنظر إلى الإرسالية العربية إلا أنها وضع للأموال والمصادر في غير موضعها المناسب. وكان لفقدان الإرسالية مع منتصف الخمسينات من القرن العشرين لكبار مؤسسيها والمتحدثين

---

[1] Chamberlain, Mrs. W. I (1925)

[2] Scudder, Lewis R. (1998)

الرسميين باسمها أثر في نمو التيار المعارض لها. فجيمس كانتاين قد توفي في ١٩٤٠م، وفي ١٩٤٩م توفي جون فان إس، وفي ١٩٥٢م توفي صامويل زويمر وستينلي مليريا وفي ١٩٥٧م توفي بول هاريسون. ولم تجد الإرسالية بعد هؤلاء من له نفس قوة تأثيرهم ونفوذهم في الدفاع عن مكانتها وأهدافها[١].

وإلى جانب فشل الإرسالية في تحويل المسلمين إلى النصرانية، تأثرت بإغلاق عدد من مؤسساتها في المنطقة، وذلك بسبب ظهور حكومات وطنية لم تقبل لسبب أو لآخر وجود مثل تلك المؤسسات على أراضيها. ففي ١٣٨٦هـ/١٩٦٧م أُغلقت مستشفيات الإرسالية في الكويت ومدرسة الإرسالية لتعليم اللغة في البحرين. وفي العام التالي- ١٣٨٧هـ/١٩٦٨م- وضعت الحكومة العراقية يدها على جميع مؤسسات الإرسالية في العراق وأضطر الإرساليون نتيجة لذلك الخروج نهائيا من ذلك البلد. وفي ١٣٩٠هـ/١٩٧٠م وضعت الحكومة العمانية خطة لتحويل مستشفيات الإرسالية في مسقط ومطرح إلى وزارة الصحة. فأدت جميع هذه الأحداث إلى تراجع دور الإرسالية التنصيري في المنطقة مما أدى إلى حلها بشكل نهائي في ١٣٩٣هـ/١٩٧٣م[٢]. فقد عقد ممثلون عن الإرسالية العربية اجتماعا في مسقط في صفر ١٣٩٣هـ/بين ٢١-٢٤ مارس ١٩٧٣م لمناقشة حل الإرسالية العربية. وخرج المجتمعون بالقرار التالي:

"لقد تقرر، أن يَحُلَ النموذج التالي محل سائر ألبُنى التنظيمية السابقة:

ففي ضوء غرض الإرسالية العربية لأن تكون شهادة للمسيحية وتساعد في بناء مملكة الرب في الخليج العربي، وفي ضوء الاختلاف في برامج الكنيسة والإرسالية التنموية في الكويت والبحرين وعمان تقرر:

أ.يعاد تشكيل الإرسالية بحيث تصبح مجموعة إقليمية لها رئيس ومنسق يساعد في تخطيط الاجتماعات التي تُعقد في المنطقة... وتتكون البنية الأساسية

---

[١] Scudder, Lewis R. (1998)

[٢] Scudder, Lewis R. (1998)

لهذا التنظيم من المجموعات الموجودة في المنطقة في كل من الكويت والبحرين وعمان. وهذه المجموعات يمكن أن تتخذ أشكالا مختلفة في المناطق الثلاث...

ب. تقع المسؤولية عن البرامج المحلية على عاتق هيئة برامج ولجان على أن تنسق مع سكرتارية المنطقة لمجلس البرنامج العام الممثل للمنظمات الكنسية المتعاونة...

ت. فيما يتعلق بالموظفين والبرامج، تتخذ هيئة البرنامج أو اللجان أو مديرو المعاهد الإجراءات مباشرة مع سكرتارية المنطقة في الكنيسة المصلحة في أمريكا. ويكون الإرساليون مسؤولين عن واجباتهم وأعمالهم التبشيرية أمام كنائسهم المحلية أو معاهدهم و/أو منظمات البرنامج التي يعملون لها. ويجب أن لا تتعارض علاقة الإرسالي مع الكنيسة المتعاونة والمسؤوليات المحلية...

ث. يمكن للمنظمات الكنسية المتعاونة أن تُنَظم اجتماعات إقليمية دورية بالتعاون مع المجتمع المسيحي الأكبر في المنطقة...

ج. اعتُمد الاتجاه الأساسي لهذه الخطط من قبل الإرسالية العربية في إبريل ١٩٧٠م. وبعد المصادقة عليه من المنظمات الكنسية المتعاونة يعتبر هذا الإجراء ساري المفعول مع أو قبل يناير ١٩٧٤م"[١].

يُعدّ هذا القرار النهاية الفعلية للإرسالية العربية في حقلها التنصيري وفي بلدها الأم على حد سواء. فلم يعد لهذه المنظمة التنصيرية أي وجود بعد أن خرج ممثلوها بهذا الإعلان في مسقط في صفر ١٣٩٣هـ/مارس ١٩٧٣م. كما لم توضع أي من الفقرات التي نص عليها القرار فيما يتعلق بالعمل التعاوني بين المنظمات الكنسية في منطقة الخليج موضع التطبيق أبدا. وأصبحت المؤسسات الكنسية في الدول الخليجية– التي أسست فيها الإرسالية العربية مراكز تنصيرية– منفصلة عن

---

[١] Scudder, Lewis R. (1998)، ص ٤٠٩.

بعضها في برامجها وخدماتها وشؤونها المالية والإدارية وتدار شؤون كل واحدة منها بطريقة لا علاقة لها بأي مؤسسة في أي دولة خليجية أخرى[1].

٢. ١. ٥. ملخص

ابتداء من ١٣١١هـ/١٨٩٣م أصبحت عمان ميدانا للنشاط التنصيري لما أطلق عليه "الإرسالية العربية". وهي منظمة تنصيرية أمريكية تأسست نتيجة طموح مجموعة صغيرة من الطلاب الشباب الدارسين في "كلية برنسويك اللاهوتية، في مدينة برنسويك في ولاية نيوجيرسي بالولايات المتحدة الأمريكية.

فقد اجتمع في صفر ١٣٠٦هـ/٣١ أكتوبر ١٨٨٨م ثلاثة من طلاب هذه الكلية اللاهوتية، وهم جيمس كانتاين وفيلب تي فيلبس وصامويل مورينس زويمر؛ لمناقشة مشاركتهم في العمل التنصيري خارج الولايات المتحدة الأمريكية. وبعد استشارة البروفسر القسيس جون جوليان لانسنج، تقرر أن تكون شبه الجزيرة العربية هي المستهدفة بهذا المشروع التنصيري. وبعد ذلك غادر جيمس كانتاين في ربيع الثاني ١٣٠٧هـ/١٦ أكتوبر ١٨٨٩م، وبعده صامويل زويمر في ذي القعدة ١٣٠٧هـ/٢٨ يونيو ١٨٩٠م إلى شبه الجزيرة العربية لتأسيس مراكزهم التنصيرية. وبعد جولة استكشافية في الشام والمناطق المطلة على البحر الأحمر واليمن وعمان وشمال الخليج افتتح الاثنان في البصرة في ١٨٩١م المركز التنصيري الأول للإرسالية في المنطقة. ثم نمت أنشطة الإرسالية التنصيرية وزاد عدد أفرادها. فافتتحت مراكز تنصيرية في كل من البحرين ومسقط والعمارة والكويت. وأدخل العنصر الطبي والتعليمي إلى أدوات التنصير في هذه المراكز. وابتداء من عام ١٣٧٩هـ/١٩٦٠م بدأت النداءات تتعالى في اجتماعات الجمعية العمومية للكنيسة المصلحة في أمريكا لحل الإرسالية العربية، ووَضع نهاية لوجودها؛ وذلك بسبب فشلها في تحقيق هدفها التنصيري. وقد وضعت هذه النداءات موضع التنفيذ أثناء اجتماع ممثلين عن

---

[1] Scudder, Lewis R. (1998)

أعضاء الإرسالية في مسقط في شهر صفر ١٣٩٣هـ/مارس ١٩٧٣م حيث صدر قرار بحل الإرسالية نهائيا. وخلال السبعين عاما التي قضتها "الإرسالية العربية" في عمان قامت بالعديد من الأنشطة التنصيرية التي ستتطرق لها الفصول القادمة من هذا الكتاب.

٢. ٢. الإرسالية العربية في عمان

بدأ نشاط الإرسالية العربية الرسمي في عمان بوصول القسيس الأمريكي بتر جي زويمر (Rev. Peter J. Zwemer) مسقط في جمادى الأولى ١٣١١هـ/١٢ نوفمبر ١٨٩٣م قادما من مركز الإرسالية في البحرين. هدفَ السيد زويمر من زيارته التعرف على قابلية عمان لإنشاء مركز تنصيري فيها وتحديد نوع النشاط التنصيري المناسب لسكان المنطقة. وكانت نتيجة هذه الزيارة إنشاء مركز للإرسالية العربية في مسقط.

٢. ٢. ١. إرساء القواعد في مسقط

اختارت الإرسالية العربية مسقط بعناية فائقة لإنشاء مركزها التنصيري الثالث في الخليج، مستهدفة بذلك عمان كاملة التي يَعُدها المنصرون البوابة الشرقية لشبه الجزيرة العربية. فقد قال القسيس صامويل زويمر: "مسقط مثل كل واحد من مراكزنا الأخرى قد اُختيرت بحكمة وعناية لتكون مركزا استراتيجيا للوصول إلى الداخل. فلا يمكن إعتبار مسقط بوضعها العام هي المكان الوحيد ذو الأهمية والنموذجية في عمان؛ لأن هذا الجزء من شبه الجزيرة العربية بحرارته المرهقة والخليط من سكانه الهندوسيين والبلوش والأفريقيين والعرب لا يقدم لنا إلا القليل فقط من الإغراء. فالعاصمة الحالية ليست هي كل البلاد، وبضعة الآلاف من سكانها ليسوا إلا جزءا قليلا من ارض يُقدر سكانها بمليون نسمة... إن أهمية مسقط تنمو لدينا بازدياد كلما تعرفنا أكثر على عمان الداخل. وعندما نتذكر أن خطا ساحليا يزيد على خمسمائة ميل تتصل فيه القرى ويسهل الوصول إليه من مسقط القاعدة، وأن الأودية تشكل طرقا تقود من هذا الساحل إلى العديد من القرى

في الداخل سيكون من السهل التنبؤ بوقت ستكون فيه عمان بذاتها حقلا تنصيريا واعدا ومناسبا للغاية"[1].

وقد أثبتت زيارة القسيس بتر زويمر الاستكشافية أن مسقط تشكل موقعا مناسبا للعمل الإرسالي، وفق الأسس التي وضعها عناصر الإرسالية العربية؛ لذا كان تاريخ وصول ذلك القسيس هو بداية الانطلاقة لنشاط الإرسالية العربية في عمان. وأصبح بتر زويمر هو مؤسس مركز الإرسالية في هذا البلد.

فبعد شهرين من العمل الاستكشافي رفع القسيس بتر زويمر في رجب ١٣١١هـ/١٦ يناير ١٨٩٤م تقريرا مشجعا عن إمكان فتح مركز للإرسالية في مسقط قال فيه: "لقد أتاحت مسقط في وقت سابق الفرصة للقيام بالنشاط الإنجيلي والإرسالي، وباعتبار أنه لم يعمل فيها إرساليون من قبل، فقد كان قدومي إلى هنا لهدف التعرف على منهج العمل الممكن القيام به في هذا المكان. لقد ذهب معي إلى مسقط ناعوم، وهو بائع الكتب المتجول. لقد كان ناعوم لبعض الوقت في الماضي يدرسني اللغة العربية في البصرة. لقد وصلنا مسقط في ١٢ نوفمبر، وبعد ٢٤ ساعة من الحَجْر في قرية صغيرة، [تسمى] قنتب، تبعد ستة أميال إلى الشمال، سُمح لنا بالدخول إلى المكان. وقد اثبت البيت القديم الذي آوينا إليه في الليلة الأولى أنه مأوى مناسب. ثم استأجرنا بعد ذلك منزلا شبيها له بعشر روبيات في الشهر.

لقد قوبل وجود متجر لبيع الإنجيل في كل من البصرة والبحرين بمعارضة ضخمة ومستمرة، وكنتُ خائفا في البداية أن يحدث ذلك أيضا هنا في مسقط، خصوصا وأنه منذ أشهر قليلة فقط قد أُخرج بائع متجول للإنجيل بواسطة مجموعة من الغوغاء من السوق عندما كان في إحدى جولاته في مسقط. كان ذلك البائع يعمل لصالح "جمعية الإنجيل البريطانية والخارجية" (British & Foreign, Bible, Society)[2]. وعلى كل حال، فقد نجحتُ بعد بضعة أيام من

---

[1] Zwemer, Samuel (1921)، ص ١٥.

[2] جمعية تنصيرية مقرها الرئيس في لندن.

وصولي في الحصول على متجر واستئجاره، ومنذ ذلك الحين إلى الآن أصبح بائعنا المتجول ناعوم هو المسؤول عن المحل، ولم يحدث أي إقلاق لنا. إن هذه الحقيقة، في نظري، تعود إلى نفوذ بريطاني سياسي قوي لدى صاحب الجلالة السلطان.

لقد عدَتْ "جمعية الإنجيل البريطانية الخارجية"مسقطاً، ولبعض الوقت، محطة لتوزيع الإنجيل. حيث كان يزورها بائعي الإنجيل القادمين من بوشهر. وكان عند وصولنا لا تزال أعدادا من الأناجيل والأجزاء تابعة "لجمعية الإنجيل البريطانية الخارجية"موجودة في القنصلية الإنجليزية في مسقط. وبعد موافقة مراقب "جمعية الإنجيل البريطانية والخارجية" في بوشهر القسيس تي آر هودجسون (Rev. T.R. Hodgson) تم نقل الجزء الأكبر من هذه الكتب إلى المتجر، وهي الآن معروضة للبيع. إن عدد النسخ التي بيعت بين ١٥ نوفمبر و٣١ ديسمبر ١٨٩٣، كما يتضح من التقرير المرفق، هي ١١١ كتابا.

إن العرب في حال دعوتهم مستعدون للقدوم إلى بيتي للحديث في أمر الدين. وبجعل هذه الزيارات عادة منتظمة صباح كل أحد آمل في أن تتطور إلى صلاة أحد. وقد أثبتَ بائع الإنجيل ناعوم بأنه قارئ مُرضٍ للإنجيل.

لقد وُجهتْ إليَّ بعض الدعوات لتعليم اللغة الإنجليزية. وبالرغم من أنه لم يُعمل شيء حتى الآن نحو تدريس منتظم، إلا أن افتتاح مدرسة إرسالية سوف يكون أمرا غير مستحيل في مسقط.

لقد زُرتُ أكثر القرى الواقعة على طول الممرات الجبلية، ووُزِعتْ الأناجيل في أغلب الأماكن، وكذلك قُرِأتْ في الأماكن العامة في الأسواق والمقاهي. لقد زُودت قرى مثل قنتب والبستان وسداب وريام وكلبوه وكذلك مطرح الأكبر الواقعة في نهاية الطريق القادم من الداخل برسالة الإنجيل. ويبدو أن قيامي بجولة موسعة تبدأ من مطرح إلى المدن الداخلية الكبيرة ممكنا، وقد أقوم بذلك خلال الفصل البارد هذا.

لقد جعل هجوم خطير من حمى الدينجو (Dingo fever) الوبائية التي لم يمكنني الفرار منها أخذ إجازة لمدة عشرة أيام في بومباي أمراً ضروريا ومفيدا أيضا. وقد رجعت في ٦ يناير، ووجدت متجر بيع الأناجيل بنفس النظام كما تركته، وارتفعت المبيعات فيه بشكل مشجع"[١].

وفي التقرير الثاني الذي رفعه القسيس بتر زويمر في عدد يناير- مارس ١٨٩٤م من دورية الإرسالية "الجزيرة المهملة" (Nglected Arabia)، عرض الأنشطة التنصيرية التي قام بها خلال الفترة السابقة وكتب عن رغبة أكثر في مواصلة العمل التنصيري في عمان. ونص التقرير "لقد كان من الواجب علينا جعل مسقط مركزاً فرعياً ثانٍ للإرسالية العربية. وفي ذلك امتداداً طبيعياً للغاية لعملنا حول الجزيرة العربية. إن مسقط، مثل البصرة والبحرين، مرسى للسفن وذات بريد منتظم، وبالرغم من أنها حارة للغاية إلا أن المناخ صحي وخالٍ من الملاريا المتفشية في أماكن أخرى.

لقد أظهرت لنا إقامتنا لمدة خمسة أشهر في هذا المكان الذي يعد المركز التجاري لعمان كلها مدى حاجته إلينا، وفرصة العمل المتاحة لنا فيه. فقد بَلغتْ المبيعات في متجرنا للإنجيل لهذا الربع إلى ٣٨٨ نسخة، منها ٢٩٣ كتابا مقدسا أو أجزاء، بقيمة إجمالية بلغت ١٠٠ روبية وهي الأفضل مقارنة بتقارير البصرة والبحرين.

إن الحرية التي ضُمنت للأوربيين بسبب العلاقة المتميزة لحكومة السلطان مع حكومة بريطانيا العظمى ميزة لا تقدر بثمن في بلد محمدي. فهنا يمكن أن يُقرأ الكتاب المقدس بحرية في الأماكن العامة. ونقاش مفتوح بحضور أحد الأوربيين في أي من البوابات العظيمة في المدينة لن يقاطع. ويمكننا أن نقوم بالتدريس بحرية أينما طلب منا.

---

[١] Peter, Samuel (1893)، ص٧.

وفي المقابل، يجعل الخليط السكاني من العرب والبلوش والفرس والإفريقيين والبانيان، الذين جزء كبير منهم أميون، إلى جانب كل الشر المتفشي لميناء أجنبي، الجهد الإرسالي صعباً للغاية.

لقد كان العمل الذي عرض نفسه علينا في الربع الأول من ٩٤[١٨م]، إلى جانب الدراسة المتواصلة للغة، ذا ثلاثة أوجه:

أولا: بيع الأناجيل والكتب. وهذا العمل هو مسؤولية بائع الأناجيل القدير ناعوم كالو (مسيحي عربي من الموصل[1]) الذي يقو بالبيع يوميا في متجر الإنجيل إلى جانب قيامه بالبيع أثناء الجولات في مناطق الداخل. وتقرير البيع عن هذا الربع مشجع. فمتجر الإنجيل في السوق الرئيس يُفتح يوميا. وتدعو اللوحة الكبيرة المعلقة أمامه المارة بلغات ثلاث للتوقف والشراء والقراءة. وقد قام ناعوم خلال شهر يناير وفبراير والأسبوع الأول من مارس بجولة لبيع الكتب. وعلى الرغم من الجدب الروحي والعقلي للمنطقة أظهر الرقم الكبير للمبيعات أن مسقط ليست تائهة تماما في موت الجهالة. وفي شهر مارس أخذ السيد حكيم صافر، وهو متحول عن المحمدية من الهند، مكان ناعوم، وسيقوم بالعمل خلال فترة إقامتي في البصرة.

ثانيا: الوعظ والتدريس. قد تكون مسقط هي المكان الوحيد من الأماكن التي بلغ إليها إرساليونا حتى الآن يمكن أن يقام فيه بقراءة ومناقشة علنية للكتاب المقدس، في الوقت والمكان المناسبين، وبدون أي مقاطعة. لقد قمنا بقراءة الإنجيل في أماكن التردد المفضلة، البوابات، وقد استمعَ إلينا، إن لم يكن برضى، فبالتهذيب العربي الذي يُضرب به المثل.

إن الرغبة في التعليم ليست عامة في مكان غارق في الجهالة والنقيصة، ومع ذلك هناك دائما مطالبة "بدروس في اللغة الإنجليزية". لقد نجحتُ في جمع ستة تلاميذ كفصل ابتدائي للغة الإنجليزية، وأرجو أن يشكل هؤلاء النواة لمدرسة. وقد

---

[1] الموصل مدينة في شمال العراق يعيش فيها– إضافة إلى المسلمين– نسبة من النصارى.

وعد صاحب الجلالة سلطان مسقط إِثر طلب منا أن يسمح كتابيا بالتعليم باللغة الإنجليزية في أقرب فرصة تفتتح فيها مدرسة. وعلى كل حال، فإن العدد المناسب من الطلبة المنتظمين في الحضور لم يتحقق بعد.

إن المطلب الملح في مسقط الآن هو الحصول على مسكن. إن البيت المُستأجَر الآن يقع في قلب ما يسمى "المرآة المتكافئة" التي تتكون من جبال محيطة، والحر خلال اشهر الصيف بالرغم من أنه أسهل في بعض المناطق إلا أنه لا يطاق هنا.

ثالثا: التجوال. لقد زرنا مرارا قرى سداب وريام والبستان وكلبوه ومطرح المحيطة بمسقط. وجميع هذه القرى ما عدا الأخيرة قرى صغيرة للصيادين. إن مطرح هي نهاية طريق القوافل القادم من الداخل. ويطوف باعة الإنجيل المتجولون بهذا المكان بشكل منتظم مرة كل أسبوع تقريبا. لم نستطع إلى الآن القيام بجولة في المناطق الداخلية من عمان؛ وذلك لأنه كلما طلبنا الإذن للقيام بتلك الجولة اُشترط السماح لنا بذلك بعدم أخذ الكتب إلى هناك. وعلى كل حال، فقد زار عدد من العرب القادمين من الداخل متجرنا وقاموا بالشراء.

وبالرغم من بعض المخاطر من قبل البدو والعواصف البحرية، يمكن الوصول إلى الساحل العماني عن طريق التجوال بواسطة العديد من المراكب الشراعية المحلية. ويمكننا في هذا الربع رفع تقرير عن جولة قمنا بها بطول الساحل شمال مسقط إلى صحار. لقد اخترنا لغرضنا هذا نوع من القوارب يسمى "بدن" وهو مركب شراعي رشيق طوله ثلاثون قدماً وعرضه ثمانية أقدام. فقد غادرنا مسقط يوم الجمعة ٢٣ مارس حاملين معنا مائة إنجيل وكتاب، وكانت الريح لصالحنا وقد رجعنا بعد ستة أيام، في ٢٩ مارس.

وقد حصلنا على رسائل من السلطان موجهة إلى الولاة أو الحكام في الأماكن الرئيسة على الساحل تحل الإذن لنا بالتجوال. فزرنا السيب وبركاء والمصنعة والسويق وصحار. وقد اُستقبلتُ في كل مكان منها بالترحاب، وعاملني الحكام بكرم. وقد بعنا ووزعنا الأناجيل والكتب وتكلمنا عن رسالة الكتاب بحرية. إن

هناك تشابها في المدن الواقعة على طول الساحل في عمان. حيث تتكون الصورة من مدينة مسورة ومحاطة بخندق وبها قلعة بالوسط وبروج مراقبة على طول الساحل جميعها بحالة رثة، ومحاطة بعدد لا متناه من أكواخ سعف النخيل للطبقة العامة، وبعض بيوت الطوب الطيني الظاهرة التي يملكها التجار العرب. وتمتد في الخلفية ولعدة أميال حقول النخيل المزودة جيدا بالماء من الينابيع والآبار. وتتراجع إلى الشمال سلسلة الجبال الحجرية أبعد وأبعد كلما ذهبت شمالا من مسقط لتصبح على مسافة ثلاثة أيام في صحار.

والسيب مكان يسكنه ألفين من البشر تقريبا. وهنا جادلني بعض العرب لأذهب معهم إلى الداخل. وكان ذلك واضحا أنه من أجل السرقة، وهو أمر يُظهر فقط ما يحتاج إليه مكرهم من وعي دائم.

وبركاء هي المدينة التالية في المساحة والأهمية لصحار، ويقارب عدد سكانها ١٥,٠٠٠ نسمة. وقد قُدم إلينا هنا طلب من أجل طبيب. وستكون لجولة تقوم بها إرسالية طبية على طول الساحل قصة طويلة من العناء من أجل الخلاص.

وقد اُستقبلتُ كذلك بكرم في قلعة المصنعة التي كانت أيضا مقر سكن الوالي. وقد أُدخلنا إلى البهو العظيم من خلال عين أبرة الباب الثقيل الذي يحرسه مملوك نوبي أسمر طويل، والذي أزاح الحشد المتطفل بواسطة عصا قوية معقوفة بحذق على الباب الصرار. وقد تم تقديمنا بحضور جميع المسنين في المكان إلى الوالي الذي استلم منا بكل سرور قليلا من الكتب المنتقاة مقابل كرمه. وقد طلب بعض التجار الفرس نسخا من الكتاب المقدس الذي سمعوا عنه في بلادهم. وإلى جانب هؤلاء يوجد هنا بعض البانيان من الهند.

وتقع أعلى من المصنعة السويق وهي صورة طبق الأصل من المكان السابق. حيث يعيش العربي في قناعة، أمامه البحر الذي ينتج السمك وخلفه مزارع النخيل، وهذا يشبع كل أمانيه.

وقد كانت صحار هي نهاية تجوالنا، كما أنها نهاية ممتلكات السلطان. وهي المدينة التالية لمسقط في الأهمية على طول هذا الساحل. وقد أُعطيت غرفة في القلعة، وهو مبنى قديم متداع يعود إلى فترة ملك البرتغاليين. وهنا تجمع حولي عدد من العرب وأمتعوني بأسئلة مختلفة ومتباينة. فهم يريدون أن يعرفوا سبب انخفاض الفضة، وكذلك سلطة نبي الناصرة على نبي العرب. وفي هذا المكان تخلصت مما يقارب من عشرين كتابا مقدسا وهي الباقي مما حملته معي لكي أعود إلى مسقط في الوقت المناسب لألحق السفينة البخارية للذهاب إلى البصرة. وقد تهيأنا للإبحار في الصباح التالي وفي اليوم الثالث ركبنا إلى ميناء مسقط.

إن جولتي هذه أثبتت: أولا، إمكانية الوصول بالإنجيل إلى الساحل، على الأقل، في عمان، وثانيا، أظهرت بأنه لا أحد [من المسلمين] في عمان يعارض الإنجيل ولكن المعارضة للإسلام نفسه[١]"[٢]

٢. ٢. ٢. العوامل المشجعة على التنصير

و على كل حال، فإلى جانب الموقع الاستراتيجي الذي تمتاز به عمان كبوابة شرقية لشبه الجزيرة العربية، ووقوعها على طريق التجارة العالمية، والمناخ المقبول إلى حد ما لدى عناصر الإرسالية، بالإضافة إلى التقارير والتزكيات التي رفعها رواد التنصير من قبل مثل الجنرال هيج والإكزندر ماكاي بضرورة إنشاء مركز إرسالي في مسقط وجد أفراد الإرسالية العربية في عمان عوامل إيجابية خاصة تشجع على البقاء والعمل. وركز أفراد الإرسالية على عدد من النقاط بإعتبارها مميزات خاصة تتسم بها عمان من بين المواقع الأخرى وهي:

---

[1] هذا أستنتاج مبكر عن وقته للغاية خرج به هذا المُنصِّر. وقد أثبتت تجارب المنصرين بمن فيهم بتر زويمر نفسه أن المسلمين في عمان متمسكين تمسكا تاما بالإسلام. كما ثبت للمنصرين أيضا أنه توجد لدى الناس معارضة شديدة للنصرانية وعدم الرغبة في اعتناقها. وسنفصل القول حول هذا الموضوع في ٣. ١. فلينظر هناك.

[٢] Zwemer, Peter J (1894 a)، ص ٧.

١. النفوذ البريطاني القوي: فقد أشار عناصر الإرسالية العربية في كتاباتهم المتعددة إلى أن عمان تقع تحت النفوذ القوي للسلطات البريطانية. وإلى هذه الخاصية المتميزة يرجعون مقدرتهم على أداء مهمتهم وفق الطرق التي رسموها. فقد أشار السيد بتر زويمر في التقريرين السابقين، وهما أول تقريرين يرفعهما عناصر الإرسالية العربية عن أنشطتهم في عمان- ليس فقط إلى التسهيلات التي حصل عليها من السلطان عن طريق المقيم البريطاني، بل وإلى النتيجة الطبيعية للوجود البريطاني القوي في عمان التي تمثلت، حسب زعم الإرساليين، في القراءة، والخطب العلنية في الأماكن المفتوحة في الأسواق وفي مداخل المدينة وبواباتها، وحرية التنقل خلال المدينة وإلى المدن الأخرى، وفتح متجر بيع الأناجيل في وسط السوق الرئيسة بمسقط. وقد صنف السيد صامويل زويمر في كتابه "الجزيرة العربية مهد الإسلام" "Arabia the Cradle of Islam" عمان من ضمن ست مقاطعات في شبه الجزيرة العربية واقعة تحت النفوذ البريطاني[١]. وقال السيد كانتاين "أن القوى الحاكمة [في شبه الجزيرة العربية] عدوانية إما نشطة أو خاملة ويمكنك التحكم فيها فقط بتخويفهم من الأجانب أو زرع الفرقة بينهم"[٢].

٢. عدم معارضة النظام الحاكم لوجود المنصرين في عمان. فالسلطة الحاكمة في مسقط، كما يقول المنصرون، وضعت أمامهم كل التسهيلات المطلوبة من أجل البقاء والعمل. فسمحت لهم أولا بفتح متجر لبيع الأناجيل في وسط السوق، ثم سمحت لهم بشراء وتملك مقر للإرسالية في مسقط. فبالرغم من أن مركز مسقط هو ثالث مركز تنشئه الإرسالية في الخليج إلا أنه كان أول مركز يمتلك مقرا له، وذلك بشرائهم في ١٣١٤هـ/١٨٩٧م البيت الكائن خارج أسوار المدينة، والذي كانوا قد استأجروه قبل عام. ثم قدم لهم السلطان قطعة أرض هدية منه لتتم فيها توسعة

---

[١] Zwemer, Samuel (1900 a)، ص ٣٧٦.

[٢] Cantine, James (1903 b)، ص ٤.

حديقة البيت، وذلك أثناء إعادة بناء هذا البيت التي انتهت في ١٣٢٠هـ/١٩٠٣م، ليتناسب مع احتياجات الإرسالية المتجددة[١].

وقد ذكر المنصرون أن السلطان كان يزودهم برسائل إلى ولاة المناطق التي ينوون زيارتها. وكانت تلك الرسائل تعمل بمثابة المفاتيح التي تفتح لهم السبل والقلوب كما عبر عن ذلك القسيس مورديك (Rev. J. E. Moerdyk) بقوله: "لقد أعطى السلطان الإرساليين كل حرية لزيارة البلد ولحمل الإنجيل معهم. ففي الغالب يفتح أمامهم الطرقات لأي وجهة يتوجهون إليها بإعطائهم رسائل إلى الحكام المختلفين"[٢]. ويقول القسيس ويرزم (Wiersum) كذلك: "إن العرب مشهورون بكرمهم. فأينما توجهنا كنا نعامل معاملة ملكية بمجرد حملنا رسائل تعريف من أمام مسقط وعمان. فعندما نصل إلى قرية ما يقودنا الشيخ إلى السبلة حيث تقدم إلينا مباشرة القهوة التي يسبقها التمر. وفي الوقت نفسه عندما كنا نود البقاء لفترة أطول يُرسَلُ الخدم لتهيئة غرفنا، في حين يُعِدّ آخرون الأكلَ الذي يُحضَر لنا في صحون ضخمة – الأكل الذي يشبع نهم عدة رجال جوعى. وبمجرد أن ننتهي من تناول الطعام يأتي إلينا الشيخ في غرفتنا ومعه أعيان القرية يتبعهم كل الأطفال الصغار مثقلين بأقراط الأذن والأنف والأسورة والخلاخل إلى جانب العديد من الحلي، والتي تتغاير بغرابة مع وجوههم وملابسهم القذرة"[٣]. ويقول الطبيب بول هاريسون: "في تلك الأيام كان السلطان في مسقط يحكم كل عمان. وكنا نحمل منه رسائل إلى ولاة سائر المقاطعات الداخلية وكنا نُستقبل بمنتهى الحفاوة بلا استثناء. وكان كرم ضيافة أولئك الولاة مروعاً. فيقدم إلينا طبق ضخم عرضه خمسة أقدام يُملى بكومة من الرز بارتفاع ثلاثة أقدام وخروف كامل مطهي يوضع في ذلك الجبل الأبيض"[٤].

---

[١] Cantine, James (1903 a) و Zwemer, Peter (1897 b)

[٢] Moerdyk, J. E. (1904 b)، ص ٥.

[٣] Wiersum, H. J. (1900)، ص٩.

[٤] Harrison, Paul W (1943)، ص ٣٧.

٣. النشر السهل للإنجيل في وسط المجتمع العماني سواء بطريق البيع، أم الهبة، أم الإعارة. ودُعِّم هذا بافتتاح محل لبيع الأناجيل في وسط السوق في مسقط والذي بلغت مبيعاته خلال أربعة أشهر ونصف فقط- من ١٥ نوفمبر ١٨٩٣م إلى آخر مارس ١٨٩٤م، ٤٩٩ نسخة، وهو عدد مرتفع للغاية. وزاد افتتاح هذا المحل بهذه السهولة واليسر من رغبة المنصرين في إنشاء مركز دائم لهم في مسقط، هذا إذا ما أخذنا بعين الاعتبار- على سبيل المثال- أن محاولة لاستئجار متجر في مدينة الشارقة في ١٣١٨هـ/١٩٠١م قد فشلت، حيث أصدر شيخ الشارقة أوامره إلى ملاك المحلات التجارية بمنع تأجير محلاتهم إلى المنصرين[١]. وبالرغم، كما يشير تقرير القسيس بتر زويمر السابق ذكره، أن الجولات إلى المناطق الداخلية من عمان اشترطت في البداية بعدم حمل الإنجيل إليها إلا أن تردد القادمين من الداخل على هذا المتجر وشراءهم للأناجيل وغيرها من كتب الأدب النصراني أدى إلى وصول أعداد كبيرة من هذه الكتب إلى الداخل مما حقق أهداف الإرسالية بشكل أو بآخر. ثم إن أبواب العبور إلى تلك المناطق، كما يروي هؤلاء المنصرون، ما لبثت أن فتحت على مصراعيها فتوجه المنصرون إلى معظم القرى والمدن الداخلية، وانتشر الإنجيل في الداخل سواء أكان بالهبة أم البيع. وقد وضّح القسيس صامويل زويمر هذه النقطة في ختام جولة له في عمان في ١٣١٧هـ/١٩٠٠م بقوله: "لم يؤثر شيء فينا خلال رحلتنا الاستكشافية أكثر من الفرص الرفيعة المفتوحة لعمل بيع الأناجيل والجولات التنصيرية في سائر عمان. لم نقابل قط بعنف في أي مكان. ففي كل مكان كان هناك طلب على الكتب. حتى النساء كانت تترك أخبيتها لتركض وراء الرجل الذي يحمل الكتب العربية لتساومه على إنجيل بقيمة سنتين. وقد سمعنا أن طرق القوافل آمنة في الظاهرة وأيضا بطول الباطنة. وإن كان هذا صحيحا فإن هناك خمسين قرية أخرى حيث يمكن لبائعي الأناجيل المتجولين أن يحملوا إليها أناجيلهم. فابتداء من البريمي إلى عبري ومسكن كلها أراض بكر لم

---

١ Moerdyk, James E. (1901)

يلمسها أولئك الذين تغلغلوا إلى الجبل الأخضر من مسقط. كما أنه هنا وادي الجزي على الغرب من صحار المحتفل بخصوبته وبعدد سكانه الضخم هو أيضا طريق جديد للإنجيل في عمان. إنها الفرصة الآن لاستغلال هذه الفرصة الذهبية التي قد لا تدوم طويلا"[١].

٤. الحاجة إلى التعليم والطب. وبالرغم من أن الإرسالية لم تشرع مباشرة في استغلال هذين العنصرين إلا أن المناشدة بهما فتحت ثغرات للنشاط التنصيري وقَوت من موقف الإرساليين في عمان. فقد عمل السيد بتر زويمر بخطى حثيثة نحو إنشاء مدرسة تنصيرية منذ الشهر الأول لوصوله إلى مسقط، مستثمرا المطالبة المحدودة من بعض الأفراد، الذين لم يسمهم، بإعطائهم دروسا في اللغة الإنجليزية. وقد اتضح توجه السيد زويمر في تفعيل هذا الجانب من طلبه الحصول على إذن رسمي من السلطان بإنشاء هذه المدرسة، وقد حصل فعلا منه على وعد شفوي بالإذن المكتوب مباشرة بعد اكتمال النصاب اللازم من الطلبة لإنشاء هذه المدرسة. وتم فعلاً إنشاء أول مدرسة تنصيرية على يدي السيد بتر زويمر نفسه (انظر الباب الرابع من الفصل السابع). أما الطب فقد استثمر استثمارا جيدا في تحقيق الأهداف التنصيرية في وقت لاحق (انظر الباب الخامس من الفصل السابع).

ولتحقيق أهدافها التنصيرية في عمان زودت الإرسالية العربية مركزها في عمان بعدد كبير من الإرساليين النشُطين والطموحين الذين استهدفوا الشعب العماني بالعديد من الأنشطة التنصيرية التي تمثلت في التعليم والطب وتوزيع الأدب النصراني والتجوال والعلاقات الشخصية. وكما تقول إحدى المنصرات "لا يمكن بالنسبة للجزيرة العربية أكثر من أي إرسالية أخرى فصل العمل التبشيري عن الأقسام التربوية والطبية، حتى نظريا. الهدف الرئيس للمدارس هو غرس الأفكار والمبادئ المسيحية في عقول الأطفال. وهدف العمل الطبي هو معالجة أجسام وأرواح أولئك الذين يأتون إلى المستشفيات والمستوصفات"[٢].

---

[١] Zwemer, Samuel (1900 b)، ص ٧.

[٢] Chamberlain, Mrs. W. I (1925)، ص ١٨٦.

٢. ٢. ٣. ملخص

بدأ نشاط "الإرسالية العربية" الفعلي في عمان بوصول القسيس بتر جي زويمر مسقط في جمادى الأولى ١٣١١هـ/١٢ نوفمبر ١٨٩٣م ليؤسس فيها أول مركز للإرسالية في عمان والثالث في منطقة الخليج. وفور وصوله مسقط قام السيد بتر زويمر باستئجار منزل في مسقط ليتخذه مقرا للإرسالية وسكنا له ولمساعده ناعوم. كما استأجر متجرا في السوق الرئيسة في مسقط خصصه لبيع الأناجيل وغيرها من كتب الأدب النصراني. وفي إطار العمل التنصيري قام القسيس بتر زويمر بالقراءة وإلقاء الخطب في الأماكن العامة وبالتجوال في المدن والقرى المجاورة لمسقط كمطرح وسداب وغيرها. وفي رمضان ١٣١١هـ/مارس ١٨٩٤م قام بتر زويمر بجولة بحرية في خليج عمان وصل فيها إلى صحار.

وقد أثبتت زيارة القسيس بتر زويمر الاستكشافية أن مسقط تشكل مكانا مناسبا للأنشطة التنصيرية للإرسالية العربية. فقرر الإرساليون الاستمرار في نشاطهم التنصيري في عمان. وكان من بين العوامل المشجعة للعمل التنصيري في نظر أعضاء الإرسالية النفوذ البريطاني القوي في مسقط، وعدم معارضة حكومة مسقط لأنشطة الإرساليين، وحرية الحركة والتنقل إلى المناطق الواقعة خارج إطار مسقط، وطيبة الشعب العماني الذي كان لا يمتنع من استقبال المنصرين والترحيب بهم والاستماع إليهم. ولتحقيق سياستهم التنصيرية استهدف أعضاء الإرسالية العربية العمانيين بالعديد من الأنشطة التنصيرية منها الجولات الميدانية، وتوزيع الأدب النصراني، والتعليم، والطب. ولتفعيل تلك الأنشطة التنصيرية زُود مركز الإرسالية في مسقط بعدد كبير من المنصرين المتخصصين في مختلف المجالات. وستتطرق فصول الكتاب القادمة بتفصيل أكثر إلى أنشطة الإرسالية في عمان، والأفراد اللذين عملوا على تنفيذ الخطة التنصيرية فيها.

٢. ٣. الجولات التنصيرية

لا يمكن أبدا أن تُحَوَّلَ الجزيرة العربية إلى المسيحية بمبشرين يقيمون على الساحل [فقط]. يجب علينا أن ندخل إلى الداخل ونحمل رسالة المسيح إلى البلد جميعها. ويجب أن نؤكد أنه لا صولة حاكم، ولا شيخ عربياً بلدياً، ولا الوكيل التركي أو الإنجليزي يمنع دخولنا".

بول هاريسون[١]

كانت الجولات الميدانية في إطار مسقط- مقر الإرسالية- والقرى المجاورة أو إلى المدن الساحلية والداخلية من أهم الوسائل التنصيرية للإرسالية العربية في عمان. وغالباً ما يتنقل المنصرون بين مدن وقرى الباطنة والداخلية والشرقية والظاهرة والجنوبية بدون صعوبة ينشرون الإنجيل ويدعون الناس إلى ترك الإسلام والانضمام إلى النصرانية.

٢. ٣. ١. الطرق والأهداف

لقد نجح المنصرون في تفعيل منهج التجوال منذ أن وطئت أقدامهم أرض مسقط. والتجوال كأسلوب تنصيري – في حقيقة الأمر- يهدف إلى إقامة علاقات شخصية بأفراد المجتمع وكسر الحواجز بين المنصِّر والمستهدَف، وهذا بدوره يسهل بث الأفكار واصطياد الرجال، كما أشار إلى ذلك القسيس بتر زويمر، قائلا: "أحد أعظم المناهج تأثيرا للوصول إلى المسلمين هو العلاقة الشخصية المتمثلة في الحديث معهم في متاجرهم ومنازلهم. لا حكومة ولا راهب يمكن أن يمنع محادثة بسيطة بين الأصدقاء في موضوع الدين... وفي هذا الحس كل الأرض الإسلامية

---

[١] Harrison, Paul W (1924)، ص ٢٩١.

مفتوحة وبهذه الطريقة لنا الفخر أن نوصل الحقيقة - كما تمثلت في عيسى - إلى الكثيرين"[1].

وبالرغم من أن السماح للمنصرين بالقيام بجولات تنصيرية إلى مدن الداخل كنزوى والرستاق ونخل وإزكي وسمائل وما يتبعها من قرى اشترطت في البداية بعدم حمل الإنجيل إليها، إلا أن السبل إلى هذه المناطق وغيرها ما لبثت أن فُتحت أمامهم بدون قيد أو شرط، ووجد كتابهم المقدس- الإنجيل طريقه- إلى الناس سواء القابعون منهم في بطون الأودية السحيقة كقرى وادي مستل ووادي بني خروص ونحوها، أم المتسنمون قمم الجبال الشاهقة كالشريجة وسيق وغيرها من قرى الجبل الأخضر.

ودفع النجاح الباهر الذي حققه التجوال في السنوات الأولى أعضاء الإرسالية إلى رفع نداء في ختام اجتماعهم السنوي في البصرة عام ١٣١٧هـ/١٩٠٠م إلى مجلس الإرسالية مطالبين بتزويد مركز مسقط بشخص مؤهل للعمل التنصيري بين البدو في عمان[2]. وبعد دخول العنصر الطبي في العمل التنصيري في عمان أسندت الجولات التنصيرية إلى الأطباء المنصرين ويصحبهم في بعض الجولات أفراد متفرغون للعمل التنصيري.

ونتيجة لنجاحهم في الخروج من إطار مسقط حاول المنصرون فتح مراكز جديدة في المدن الداخلية من عمان. فوضعوا في ١٣١٩هـ/١٩٠٢م خطة لشراء بيت في مدينة نخل ليكون- في البداية- مقر استراحة لهم أثناء جولاتهم الداخلية، وليصبح في المستقبل مركزا دائما للإرسالية[3]. وتم شراء ذلك البيت فعلا في ١٣٢٢هـ/١٩٠٤م[4]. واضطرت الإرسالية إلى إغلاق بيت نخل عام ١٩٣١هـ/١٩١٣م، وذلك إثر المنع الذي فرض على تجول الأجانب في الداخل نتيجة للحرب التي حدثت بين

---

[1] Zwemer, Peter (1894 b)، ص ٩.

[2] Barny, F. J (1900)

[3] Cantine, James (1902 b)

[4] Mason, Alfred De Witt (1926)

العمانيين والسلطان فيصل[1]. كما حاول المنصرون كذلك إنشاء مركز فرعي لهم في كل من صور وصلالة إلا أن الوضع المالي والبشري للإرسالية وقف عائقاً وحيداً أمام تنفيذ هذه الخطط. ولم يتمكن المنصرون إلا من شراء مقر لهم في بركاء اتخذوه مأوى صيفيا لهم ومركز تجمع لهم أثناء جولاتهم في ذلك الاتجاه.

وأدخل المنصرون ابتداء من ١٣٤٦هـ/١٩٢٨م أسلوبا جديدا في عرض النصرانية على المسلمين في جولاتهم. ففي جولة الطبيبين فان بيرسم وبول هريسون في منطقة الباطنة في ربيع ١٩٢٨م قاما بتشغيل جهاز لعرض الصور الشفافة يعرض صور عن الديانة النصرانية. وقد كتب الطبيب بيرسم عن هذا الأسلوب قائلا: "كانت كل ثاني ليلة تُفرغ لعرض جهاز الشفافيات. وكلما عُرف عن هذا العرض أكثر، زاد عدد الجمهور الذي يأتي لمشاهدته. فيتجمع عليه في كل ليلة مجموعة يصل متوسط حجمها إلى مائة رجل وولد. إن هذا المنهج إلى جانب أثره في عرض الحقيقة البسيطة، كان عظيما في نجاحه في تجميع الإرسالي والناس مع بعضهم. لقد قضينا ثلاثة أسابيع في المدن الواقعة بين صحار ومسقط، وكلما كان الوقت الذي نقضيه في المدينة الواحدة أطول، كان المنهج عمليا أكثر. وفي المصنعة– على كل حال– كان حشد الناس الذين جاءوا من أجل العلاج كبيرا فقررنا المكوث خمسة عشر يوما. وقد عُرضت الصور في كل مكان. لم يكن عدد الذين شاهدوا صورة المسيح على الصليب وتلقوا الرسالة التي تحملها في هذه الرحلة أقل من ألفي رجل وولد. عما قريب سينسى الرجال الكلام الذي قيل لهم لكن الصُوَر التي رسمت في أذهانهم لا يمكن أن تستأصل أبداً"[2].

ومما أعان المنصرين على التجوال في عمان– إلى جانب سماح السلطات الحاكمة في مسقط لهم بذلك– الحفاوة والترحاب الذي كانوا يجدونه من قبل العمانيين– مع بعض الاستثناءات. فبشكل عام وجد المنصرون الاستقبال الطيب في

---

[1] Mason, Alfred De Witt (1926)

[2] Annual report of the Arabian Mission (1930)، ص ٤.

كل مكان توجهوا إليه. حتى في المناطق الواقعة خارج سلطة السلطان الفعلية كان شيوخ هذه المناطق يستقبلون المنصرين بالترحاب. وكان كرم الضيافة الذي يلاقونه في كل مكان في عمان من الأمور التي جذبت استغرابهم، كما كتب القسيس مورديك قائلا: "الضيافة خصلة مبالغ فيها في عمان، والعرب أنفسهم يتفاخرون بها. وإذ نتحدث عمليا فإن كل البيوت مفتوحة للغريب وهو يُضيف بشكل طيب للغاية"[1].

ويصف أحد المنصرين الأسلوب الذي يُستقبل به المُنَّصِرُ في القرى العمانية بقوله: "أصبح لدى الإرسالي في جولاته خبرة متواصلة بكلتا المؤسستين [المجلس والقهوة]. فأول ما يصل [بلدة مّا] يـوجه نفسه مباشرة إلى المـجلس. والشيـخ – كقاعدة – قريب وفي متناول اليد، وإن لم يكن كذلك فإن هناك دائما رسل مستعدون لإبلاغه بالوصول. فتُنَّزل الأحمال من على ظهور الحمير وتصف على طول المجلس بقرب المسافرين. ووصول الضيوف هو إشارة إلى الكل للتجمع ورؤية من حضر، فبعد قليل يحاط الضيوف بحلقة من العرب المهتمين والفضوليين. وكلما وصل أحدهم- مهما كانت حالته – ينبغي على الزائر أن يقف ويصافحه، وهي عملية كفيلة بأن تزيد هذا الزائر المنهك تعبا، ومما يضاعف ذلك أنه لا يقف من قعوده على كرسي بل من على الأرض.

وكقاعدة فإن الشيخ يعطي أوامره مباشرة بإعداد القهوة. وفي واقع الأمر، يأتي غالبا وفي يده قبضة من القهوة الخضراء لأجل ذلك الغرض. وغالبا ما تكون أواني القهوة في متناول اليد. فتوقد النار في الموقد أولا، وتغلى بقايا قهوة قديمة وتحمص القهوة الخضراء، وبعد فترة يرتفع شذى القهوة المقلية اللذيذ ليسعد حدس "ابن السبيل" كما سمى القرآن المسافر. ولديهم في عمان التقليد الوحيد وغير المتغير وهو تقديم شيء حلو قبل القهوة – وكقاعدة – يُمرر طبق من التمر على الجميع. وبعد أن ينتهي من هذا الجزء الأولي تقدم القهوة – سوداء وثقيلة في فناجين صغيرة –

[1] Moerdyk, J. E. (1904 b)، ص ٥.

مباشرة. عموما، يشرب كل واحد ثلاثة فناجين وعلى سبيل التفضل المخصوص يعزم عليك الشيخ أن تأخذ فنجاناً رابعاً. وفي بعض الأوقات فإن القهوة تقدم ثلاث مرات خلال الساعة التي تلي وصول المسافر.

وبعد أن تكون القهوة قد قُدمتْ وأخبار اليوم قد تبودلت فإن الطريق أمام عمل البائع تكون قد مُهدت. فينتهز الآن الفرصة بفتح خرج الكتب التربوية والأناجيل حيث لا يزال جمع المشاهدين في متناول اليد. ويعتمد البيع كثيرا على الموقف الذي سيتخذه مدير مدرسة القرية والملا. فإن رفض هؤلاء أن يشتروا وهزوا رؤوسهم في تحذير مشكك فإن البيع سيكون بالتأكيد صغيرا، أما إن كان على عكس ذلك، واشتروا لأنفسهم ولم يظهروا شيئاً من التشكك ضد الكتب المقدسة المسيحية، فهنا تأتي فرص أن يكون العكس هو الصحيح. وكثير من أولئك الذين يرغبون في إظهار أنهم حكماء يطلبون كل كتاب يُتخيل، ولكن يشترون شيئا قليلا للغاية في حين أن الآخرين، الأكثر هدوءا، هم أفضل المشترين. وغالبا يتظاهر الشيخ في البداية بأنه سيشتري عدة كتب ليس إلا لتشجيع الآخرين على الشراء بالرغم من أن حجم مشترياته سيصبح قليلا. وشراء الكتب التربوية يقود طبيعيا إلى شراء الكتب المقدسة"[١].

ومع ذلك فقد وقفت بعض المعوقات التي حَدَّتْ من مقدرة المنصرين على التجوال بحرية في عمان. وتمثل جزء من تلك المعوقات في عدم الاستقرار السياسي للبلاد والحروب الأهلية التي تشتعل بين الفينة والأخرى مهددة الأمن العام. وأَثَّر تقلص أفراد الإرسالية في بعض مراحلها كذلك على هذا النشاط. فكانت، على سبيل المثال، مغادرة بتر جي زويمر مسقط نتيجة مرضه وما تركه ذلك من أثر في انخفاض عدد عناصر الإرسالية العربية في الخليج أحد العوامل المؤثرة في عدم مقدرة المنصرين على القيام بجولات خارج مسقط رغم توقهم إلى ذلك. فالرحلة الثانية إلى صحار – على سبيل المثال – تمت في ذي القعدة ١٣١٧هـ/٧ مارس ١٩٠٠م أي

---

[١] Pennings, G. J. (1912)، ص ١٣.

بعد خمس سنوات من الرحلة الأولى، ولم يقم بها إرسالي أمريكي بل بائع متجول للكتب يدعى إلياس- حيث توجه بحرا إلى صحار وتوقف في طريق عودته في كل من صحم والخابورة، ولم تستمر الرحلة إلا أسبوعين، إلا أن حجم المبيعات في هذه الرحلة كان مرتفعا للغاية حيث بلغ ٢٠٨ كتبٍ[١]. كما أن الرحلات إلى الجبل الأخضر- التي طالما تاقت إليها أنفس المنصرين- لم تتكرر إلا بعد ست سنوات- قام بها جيمس كانتاين في عام ١٣١٩هـ/١٩٠٢م - من الرحلة الأولي في عام ١٨٩٧م. وحاول كانتاين في النصف الثاني من عام ١٩٠٠م الوصول إلى الجبل الأخضر عبر سمائل أولا، ثم وادي المعاول ثانيا، إلا أن كلتا المحاولتين باءت بالفشل[٢]. ولم تتحقق أول جولة للمنـــصرين إلى إزكي إلا في ١٣١٨هـ/١٩٠١م، أما أول زيارة إلى جعلان - بالمنطقة الشرقية من عمان - فلم تتم إلا عام ١٣٥١هـ/١٩٣٢م[٣]. وكذلك أول جولة في صلالة لم تتم إلا في عام ١٣٥١هـ/١٩٣٣م.

٢. ٣. ٢. الجولات الريادية[٤]

تأتي الجولة التي قام بها القسيس بتر زويمر في ١٣١١هـ/١٨٩٤م إلى منطقة الباطنة[٥] في طليعة الجولات الريادية التي قام بها أعضاء الإرسالية العربية في عمان. وقاموا بعد ذلك بجولات إلى كل من صور والرستاق ونزوى وإزكي وسمائل وجعلان وصلالة.

---

١ Cantine, James (1900 a)

٢ Wiersum, H.J (1900)

٣ Peursem, Van (1932)

٤ سنكتفي هنا بذكر الجولات الريادية التي قام بها المنصرون لأول مرة، وإذ أن جولات المنصرين إلى الأماكن التي سنذكرها قد تكررت مرارا وتكرارا.

5 أنظر ٢. ٢.

٢. ٣. ٢. ١. الجولة إلى قريات وصور

كانت هذه الجولة الريادية الثانية لعناصر الإرسالية العربية في عمان. فقد انطلق القسيس بتر زويمر في ربيع الأول ١٣١٣هـ/٢٦ أغسطس ١٨٩٥م في أول رحلة بحرية على طول ساحل بحر العرب زار خلالها قريات وطيوي وصور ورأس الحد. وكتب بتر زويمر عن هذه الجولة قائلا:

"... غادرنا مسقط في ٢٦ أغسطس، مخططين للإبحار على طول الساحل، ولنقف في المدن والقرى التي تقع في ظلال سلسلة الجبال الحجرية التي تشكل ذلك الخط الساحلي. وقد حصلنا على رسائل من صاحب الجلالة سلطان مسقط تعرفنا إلى ولاة عدة أماكن وتضمن لنا الحماية والضيافة من قبل هؤلاء الشيوخ.

ووصلنا بعد يوم من الإبحار البطئ تحت الشمس المدارية إلى قريات أول مدينة كبيرة إلى الجنوب من مسقط. وهنا يعطي خط الجبال الساحلية مكانا لسهل خصب واسع تنمو فيه أشجار النخيل والمانجو بوفرة، وترعى الماشية في العشب الطويل. ورأينا شجرة أثاب ضخمة يبلغ قطر جذعها خمسة عشر قدما. وتوجد هنا آبار غزيرة المياه تسقي السهل بواسطة الثيران التي تجر الماء بحبل طويل وعجلة صرارة لتجعل منه واحة في وسط الجبال الجرداء. وقريات بها ٢٠٠٠ نسمة جميعهم موالون لسلطان مسقط، وتعيق الممرات الجبلية الصعبة هجمات البدو الهمج. لقد استقبلنا الوالي بالكرم الكثير، وأدخلنا إلى داخل القلعة وخصص لنا حارسا يعرفنا بالقرية. وعند المغادرة أُطلقت النار تحية لنا. ثم وجدنا أن القارب قد زود بقدر وفير من الهدايا من دجاج وبيض وتمر وفواكه الموسم. وقريات بها عدد قليل من الناس القادرين على القراءة. حتى الوالي قد أرسل إلى منسقه المستأجر ليقرأ له العهد الجديد الذي أعطيته إياه. وسوف لن يكون العيش هنا لوقت أطول في فصل الشتاء البارد مستحيلا، وسيكون العمل الطبي، خصوصا، عمليا.

وقد وجدنا على مسافة قريبة إلى الجنوب من قريات أنقاض مدينة فارسية قديمة مشهورة تسمى قلهات. لقد كان هنا في يوم من الأيام مستعمرة فارسية ضخمة تمثل المركز التجاري لجنوب شرق الجزيرة العربية. وأفضل حطام متبق فيها هو معبد واضح بأنه بُني في زمن المغول.

وقد أوصلنا سيرا معاكسا للريح لمدة ليلة كاملة إلى طيوي، وهي قرية مزدوجة تحتضنها ضفتا الوادي الذي يجري خلاله نبع يكفي أن تدخل فيه السفينة الساحلية الصغيرة. وتقطن القريتين الصغيرتين قبيلتان مختلفتان ومتعاديتان. ولا تبعد هاتان القريتان عن بعضهما أكثر من مائتي خطوة إلا أن كل واحدة منهما محمية عن الأخرى بسور كامل وبوابات وقلاع. وفي هذا توضيح آخر لصدق النبوءة القائلة "ستكون يداه ضد كل رجل، ويدا كل رجل ستكون ضده"[1]. وقد بقينا هنا لمدة يوم واحد نقرأ ونوضح الكتاب بحرية في أسواقهم البدائية ومقاهيهم.

وبعد ليلة أخرى من الإبحار وصلنا صور وهي المدينة الثانية في الأهمية بعد مسقط. وصور الحقيقية هي مدينة ضخمة متفرقة على مسافة قريبة في أعلى الوادي، ومحمية بقلعة ضخمة وعدد من أبراج المراقبة. وميناؤها عبارة عن سهل واقع في نجد مكشوف يحيط بخليج صغير. والناس معظمهم أميون، وتجارتهم وأعمالهم موضع شك وريبة، وهم يرتابون في الأوربيين. ففي صور يستجلب ملاكُ مزارع النخيل الرقيقَ. ولا يزال عدد هائل من الزنوج يستوردون "سِرا" من إفريقيا. وبالرغم من أن استيراد الرقيق كتجارة غير معمول به إلا أن أسلوب إمداد العرب بالعمالة الزنجية المجانية بسيط للغاية. فإفريقيا هي المزود، والنقل يمكن اصطناعه

---

[1] عبارة توراتية المقصود بها أن عيسى بن إبراهيم عليهما السلام سيكون عدوا للناس جميعا والناس كلهم سيكونون أعداء له، ويرى هؤلاء النصارى أن هذا الوضع العدائي يصدق على ذريته الذين هم العرب، كما سنرى ذلك يتكرر في عدة أماكن خلال هذا الكتاب.

بسهولة تحت العلم الفرنسي الذي يتحدى التفتيش البريطاني. إن صور هي نقطة النهاية للعديد من الطرق إلى الداخل؛ ولأجل ذلك هي مشهد غارات البدو.

لقد واصلنا جولتنا إلى رأس الحد الذي بمجاوزته تحوِّل الرياح الموسمية الترحال بالقوارب الصغيرة إلى شيء مستحيل. إن رأس الحد هو الصنارة الرملية لعمان. وهو يتكون من ذراع طويل من الرمل لويته الرياح الموسمية، وبه قرية منفردة للصيادين، وتحصين قوي تسيطر عليه حامية للسلطان. والناس هنا لديهم اهتمام بالأوربيين. وقد وزعنا هناك مجموعة من أجزاء المخطوطات.

وتوقفنا أثناء العودة في كل قرية من أجل أولئك الذين يمكنهم أن يقرأوا – ولو بشيء من الصعوبة – جزءا واحدا من الإنجيل، ويتحدثون عن عيسى النبي، الذين يعتقدون أنه نبي ولكن لا يتقبلونه على أنه مخلص وملك"[1].

٢. ٣. ٢. ٢. الجولة إلى الرستاق ونخل وسمائل

أما أولى الجولات التنصيرية الريادية إلى المناطق الداخلية من عمان فقد تحققت للسيد بتر زويمر عندما قام في ربيع الأول ١٣١٤هـ/أغسطس ١٨٩٦م بجولة شملت كلاً من الرستاق ونخل وسمائل، بيعت أثناءها الكتب، وأُلقيتْ المواعظ، وعُرضتْ النصرانية على السكان، وتعرف الإرساليون على طبيعة المنطقة الجغرافية والسكانية.

وكتب السيد بتر زويمر عن هذه الجولة قائلا: "لقد ساد في شهر أغسطس سلام ملحوظ فتمكنت من زيارة الرستاق ونخل وسمائل التي كانت كل واحدة منها مركزاً مهماً ومأهولاً بالسكان. الرستاق لها حكومتها الذاتية. والباقي من شرق عمان يظهر كل الولاء أو بعضه لسلطان مسقط.

لقد أبحرنا بطول الساحل إلى السيب فالمصنعة لنقف في كل واحدة لمدة يوم واحد. لقد زرنا هذه المدن الساحلية من قبل، لذلك فإننا لم نتأخر فيهن، وكان

---

[1] Zwemer, Peter (1895 b)، ص ٩.

هدفنا الوصول إلى الداخل. بدأنا الرحلة على ظهور الجمال من المصنعة عند مغيب الشمس، وسرنا بطول الليل مخترقين حزاما صحراويا "سيح" يفصل ساحل الباطنة الخصب عن سلسلة الجبال الداخلية. وتختفي الينابيع الجبلية التي تروي الأودية العريضة التي يجعلها نباتها الأخضر الغني تبدو وكأنها زمرد عندما ينظر إليها الشخص من بعض المعابر الجبلية العالية في هذه الصحراء، قبل أن تجد طريقها إلى البحر.

ووصلنا بعد منتصف الليل بفترة أول قرية من خط متصل من القرى يبدأ من الصحراء وينتهي في الرستاق الواقعة في ظل الجبل الأخضر. إن هذا الوادي الضخم المتقطع تسقيه ينابيع مدهشة يُقَسَّم منها الماء بسهولة خلال مزارع النخيل الواسعة. فنمر في كل ساعة من رحلتنا تحت ظلال واحدة من هذه القرى: جما، المسفاة، الحزم، فلج الشراة، الوشيل، المزاحيط، وبل، الطيخة، الغشب، فيكون ذلك أكثر شيء إنعاشا لنا بعد الحرارة القوية في الوادي. كما نستمتع بتضييف العرب لنا على اللبن الطازج والرطب والمانجو. وكنا سعداء بالنزول من على ظهور الجمال في كل واحدة من هذه القرى عندما يأذن لنا قائد القافلة بذلك. وكنتُ أترك في كل واحدة منها بعض الأجزاء أو نسخا من الإنجيل. وحسب علمي لم تدخل قط أي من الأناجيل المسيحية إلى هذه الأماكن، وأعتقد بأنه لهذا السبب لم نلق هنا المعارضة السريعة للإنجيل التي كنا نلقاها في الأماكن الأخرى من الأرض الإسلامية.

وبعد أن أنهكتنا رحلة متعبة على ظهور الجمال لمدة أربع عشرة ساعة في درجة حرارة دائما فوق ١٠٠ درجة[1] وصلنا الرستاق عند منتصف النهار حيث استقبلنا الشيخ بكرم بالغ. وتعتز الرستاق بقلعتها الجميلة التي بناها الفرس، وهي الآن مهدمة بشكل جزئي لكونها حوصرت مرتين. وبها مساجد عديدة معتنى بها، وكل مسجد به مدرسة حيث تعين قراءة متكررة للقرآن عدداً قليلاً من الطلاب في

[1] ربما فهرنهايت وليس سلسيس.

النهاية على القراءة. وقد يوجد هنا عدد أكبر من المتعلمين من أي جزء آخر من عمان.

لقد بعنا في عصر أول يوم لنا في البلد كل مخزوننا من الإنجيل، حيث جلسنا تحت شجرة مانجو عظيمة نتحدث إلى المئات من العرب الذين جاءوا لرؤيتنا. وأخيرا أعطى رجل متدين متعصب أوامره للناس بإعادة الأناجيل التي بعناها لهم. لكن، على كل حال، ظلت غالبية الكتب مع المشترين.

وبعد زيارة لمدة يومين غادرنا الرستاق عند الشروق، ومررنا بالعوابي وهي قرية ذات حجم لا بأس به تبعد ساعتين عن الرستاق؛ لنتيمم تجاه وادي الأبيض الذي تطلب منا امتداده الصخري رحلة يوم كامل، وكانت هناك واحة واحدة فقط يوجد فيها الماء. ووصلنا في التاسعة مساء مطوي. وفي الغد أوصلتنا رحلة لمدة ساعة إلى نخل، وهي المدينة الثانية في الحجم بعد الرستاق. وباعتبار أن مخزوننا من الأناجيل قد نفذ فقد وظفنا رسولا خاصا ليأتينا بمدد جديد من مسقط، وفي التو كانت سفينة الصحراء في خدمة الملك.

ونخل أيضا بها قلعة عظيمة بناها الفرس، ولكن يوجد القليل من البيوت المبنية من الحجارة، فمعظم الناس يعيشون في بيوت من سعف النخيل. لقد انغمستْ المنطقة مرتين في حروب أهلية من أجل اعتلاء أحد الشيوخ الجدد المنصب وهناك بعض التقاتل والكثير من النقاش. وقد بعنا عدداً من الأناجيل، على كل حال. ومن هنا أوصلتنا رحلة لمدة ساعتين إلى قمة الجبل الأخضر وقد حُثثنا على الصعود إلى أرض أعلى وحرارة أقل. وبما أننا قد اخترنا زيارة وادي سمائل المأهول أكثر بالسكان فقد غادرنا الجبال على أمل أن نتجول فيها مستقبلا.

وتقع ما بين نخل وسمائل بعض أكثر القرى جمالا في عمان. فيتبع ينبوع جبلي ذو حجم مناسب مسار الوادي، وحيثما كان عرض الوادي يكفي ويتسع لزرع النخيل فإنه حُوِّل إلى مزارع جَعلتْ الأرض القاحلة مزدهرة. ويكثر في هذه

الواحات الرطب والرمان والبرتقال والموز، وكل نوع من الفواكه الاستوائية، وبالتأكيد فإن إحدى القرى تسمى سرور.

وقد توقفنا في كل من حسنات وكرى، حيث حقول النيلة، والطو والغبرة ووصلنا بوه في منتصف النهار. ثم وصلنا في المساء فنجاء وهي قرية جميلة متناثرة، يتسع فيها الينبوع ليكون بحيرة صغيرة.

وبعد يوم آخر، وتتابع آخر من القرى التي تركنا في كل واحدة منها عدداً من نسخ الإنجيل وصلنا سمائل. قد يكون وادي سمائل أكثر المقاطعات سكانا في شرق عمان كما أنه مصدر تمور مسقط الشهيرة. إنه لمن المحزن أن تسكن الوادي قبيلتان متعاديتان، الغافريون والهناويون، وفي الغالب بينهما حرب قبلية.

وقد بعنا ووزعنا هنا أيضا العديد من نسخ الإنجيل برسالته السلمية مع صلاة لتعجيل اليوم الذي يحكم عمان الذي عهده السلام. ثم أتت بنا رحلة لمدة يومين منحدرين أسفل وادي سمائل إلى مسقط"[١].

٢. ٣. ٢. ٣. الجولة إلى نزوى والجبل الأخضر

وقام القسيس بتر جي زويمر في شوال ١٣١٤هـ/مارس ١٨٩٧م بالجولة الريادية الأولى إلى نزوى حيث قطع خلالها الجبل الأخضر من الرستاق إلى الجهة الأخرى. وقال القسيس زويمر في تقريره عن هذه الجولة:

"لقد غادرنا مطرح يوم الأربعاء ١٧ مارس [١٨٩٧م] وبعد يوم ونصف على الحمير (من أساليب الانتقال ليست سهلة للغاية لكنها أكثر راحة من سفينة الصحراء) وصلنا بركاء على ساحل الباطنة. والباطنة هي أحد الأجزاء الثلاثة التي يمكن أن تُقسم إليها عُمان. وتتكون الباطنة من شريط خصب من الأرض، تقريبا حقل واحد ومتصل من النخيل، عرضه ما بين ميل وثلاثة أميال، يبدأ في الحيل وينتهي في صحار، ١٢٠ ميلا. ويقع ما بين الباطنة والجبال قطعة صحراوية

---

[١] Zwemer, Peter. (1896 b)، ص ٨.

عريضة "سيح" تبلغ ما بين ستة عشر وعشرين ميلا عرضا يقطنها بدو رعاة رُحَّل. وإلى الغرب من هذا "السيح" تقع مدن عمان الضخمة حيث تضمن لها ينابيعُ الجبال الخضرةَ دائما. وعلى الجانب الشرقي من سلسلة الجبال تقع مدن الرستاق ونخل وسمائل المهمة. وعلى الجانب البعيد نجد نفس الملامح حيث لدينا تنوف وبهلاء ونزوى، وجميعها مدن ضخمة ترويها بوفرة ينابيع الجبل الغزيرة. وينتقل الواحد ما بين هذه الواحات الخصبة في بعض الأوقات يوماً كاملاً خلال الأودية الحجرية، وعلى الصخور البركانية صاعدا الممرات الجبلية الضيقة أو قاطعا صحراء شاسعة شبيهة بالبحر بدون أن يرى سكنى أو يلتقي بكائن بشري ما عدا بعض القوافل العابرة. وتتمايل البنادق على أكتاف الركاب، وتتناغم أغنيتهم البرية مع وقع خطى الجمال البطيئة.

وكنا خلال رحلتنا مسلحين فقط برسائل تعرفنا إلى الشيوخ. وقد تمكنا من الوصول على الجانب الآخر من الجبال إلى تنوف ونزوى العاصمة التاريخية لعمان. وواصلنا رحلتنا من بركاء إلى وادي المعاول الخصب التي استغرقت نصف يوم. وخلال تلك المسافة تجلب قناة صخرية الماء من الوادي الذي يبعد ما يقارب اثني عشر ميلا. وتوجد على مسافات متقاربة خزانات مياه واستراحات وضعت من أجل راحة المسافرين. ويتباهى وادي المعاول بأربع قرى هي الواسط وحبرى وأفي ومسلمات. وتوجد إلى جانب مزارع النخيل حقول بر ضخمة، وكان العمال يجمعون محصولا وافرا بعد الموسم المطر.

وقد ضيفنا في أفي الشيخ، وباعتبار أن وصولنا كان مساء السبت فقد قضينا الأحد في بيته ذي البناء الجيد. وقد وضعت السبلة أو غرفة المسافرين تحت خدمتنا، وهي عادة لا يمكن أن تقدر قيمتها لراحة المسافر في عمان بثمن. ودُعي في يوم الأحد عدد كبير من الناس لرؤيتنا. فقمنا بأداء صلاة يوم أحد حيث قرأنا الأسفار وناقشناها مع خمسين مسلما، تقريبا، الذين اقروا بالاعتراف بها ولكن لم يقرأوها.

وكانت المسافة من وادي المعاول إلى نخل قصيرة. فتركتُ بائع الأناجيل المتجول جوسف متشا يتجول في هذه المدينة الكبيرة ثم يعود إلى مسقط، أما أنا فقد واصلت مسيري إلى الجبال. وهنا أترجم [تقرير جوسف متشا] عن رحلة العودة حيث يقول: "بعد أن بقيت يوماً ونصف اليوم في نخل حيث بعت القليل من الأسفار، ووزعت عدداً كبيراً من الأجزاء رجعت إلى حَبرى، وفي بيت الشيخ علِي وهبني الرب فرصة الشهادة له لعدد كبير من العرب الأذكياء. ثم بقيت في واسط التي أغفلناها في طريق ذهابنا بالليل. كان الشيخ يستطيع أن يقرأ فأعطيته إنجيلا. بعد ذلك توجهت إلى بركاء للتزود بالكتب. وفي طريق عودتي إلى مسقط أخذت طريقا دائريا مارا خلال الفليج وحلبان. والفليج كما يشير اسمها هي ذات نبع واحد فقط يروي تقريبا مائة شجرة نخيل، وتقع على مسافة ست ساعات من أقرب جاراتها. وهناك وجدت رجلا واحدا فقط يستطيع أن يقرأ وأضفت إلى كتابه الوحيد، القرآن، نسخة من الإنجيل.أما حلبان فهي مكان أكبر وبعت فيها عشرة أجزاء. وتلتقي في الخوض عدة طرق قادمة من الداخل مُشكِّلة طريق القوافل إلى مطرح، إلا أنني عوضا عن التوجه إلى مسقط عدت إلى فنجاء وسرور وقضيت يوما في كل منهما. ومن سرور مررت عبر الجفر ووادي الجباه وكلتاهما أماكن صغيرة للغاية ليس لهما أكثر من ثلاثين قاطنا. وأني شاكر للرب بأن أعطاني في كل مكان الفرصة للبرهنة له والصلاة في أن البذرة التي زُرِعتْ تنتج حصادا وافرا. مخلصكم في المسيح جوسف متشا."

وبدأنا من نخل رحلة يوم طويل إلى الهجار الواقعة على سفح الجبل الأخضر. وتقع قريتان جبليتان ذات موقع جميل على مقربة وهما "وكان" و"القورة". وهناك فوق الجبال تقطن قبيلة من الجبليين الأشداء، بني ريام. هذه القبيلة مختلفة في الملامح والعادات عن قبائل عمان الأخرى. ويحكمها شيخ قوي أسمه سليمان بن سيف، ويتمتعون بحياة مستقلة تفصلها عن القبائل المعادية ممرات جبلية صعبة. ويعيش هؤلاء الناس في جميع الجبال حياة سلام، وغياب الأسلحة النارية شيء

ملحوظ بالمقارنة مع القبائل التي تقطن الأودية، حيث يحمل كل رجل بندقيته، وهي في الغالب من أفضل الأنواع الإنجليزية والألمانية.

وبدأنا الارتفاع من الهجار، وبعد نصف يوم من الصعود الصعب للغاية وصلنا قمة المر في منتصف النهار، حيث سجل البارومتر ارتفاع ٧٠٥٠ قدما. وهناك تناولنا غداءنا على صخرة ناتئة مستوية هيأت لنا منظرا ممتدا رائعا لوداي مستل الذي تقطنه بنو رواحة، وكنا سعداء في أن نروي ظمأنا من قربة جلد الغنم التي حملها الدليل على كتفه.

وهنا تهبط حمير جبلية بمنتجات الجبل في أحمال صغيرة إلى الأسفل، إلا أن الطرق شديدة الانحدار والمهاوي مخيفة؛ لذلك فإنه من الأفضل للشخص أن يصعد معتمدا على نفسه. وبدأنا الانحدار من قمة المر إلى أرض مستوية السطح على ارتفاع ٦,٢٠٠ قدم. وبلغنا عند مغيب الشمس قرية الشريجة المثالية الجمال. والشريجة واد دائري عمقه عدةُ مئات يبدو وكأنه مدرج ضخم حيث تنمو، في صفوف، أشجار التفاح والخوخ والرمان والعنب وغيرها من المنتجات المعتدلة بغزارة ثرية.

وقد بقينا في هذا المكان يومين، ووجدنا الناس ودودين وكرماء. ولولا صعوبة الوصول إلى هذا المكان لكان العيش هنا خلال الأشهر الحارة ليس مستحيلا. يمكن هنا أحيانا مشاهدة الثلج والبَرَد خلال الشتاء، أما في الصيف فلا تَرصُدُ الحرارة أكثر من ٨٠. وكانت الحرارة في مارس ٤٠ وقد استمتعنا بشعلة ضخمة من النار في السبلة حيث جاء مائة عربي لرؤيتنا وإمتاعنا بتلاوة الشعر العربي. إن هذه الفرصة لم تكن لتضيع، وباعتبار أنهم مزارعون فقد أمتعهم "مثل الزراع"[1] وشرحه.

إن الشريجة وسيق أكبر قريتين على الجبال. وقد بُعتُ في كلتيهما خمسين جزءا من الأسفار تقريبا. وبعد أن وعدتهم بقبول دعوتهم العاجلة بالرجوع، أسرعنا

[1] في الإنجيل، أحد الأمثال التي تنسب إلى المسيح عليه السلام، ينظر إنجيل مرقس ٤، مثلا.

عبر أكثر الطرق الجبلية صعوبة نحو تنوف على سفح الجبل في الجانب الآخر. وهذه هي وطن شيخ بني ريام الذي بقينا في قلعته ذات البناء الجيد لمدة يومين.

وتقع على بعد ثلاث ساعات من تنوف نزوى عاصمة عمان القديمة. وتعود ملكية نصف مزارع النخيل في نزوى إلى شيخ البلد والنصف الآخر إلى سلطان مسقط، ورغم ذلك فإن هناك ارتياباً بين الجانبين، واندلاع الصراع مألوف. وبما أننا كنا دائما برفقة خمسين رجلا مسلحاً فإننا لم نستطع أن نفعل ما نشاء. لقد بعنا، على كل حال، عددا من الأسفار، وسوف نزور هذا المكان مرة أخرى في وقت أفضل.

لقد حاولنا أن نرجع إلى مسقط من خلال طريق الوادي عبر سمائل، إلا أن الأوضاع في نزوى جعلت الطريق عبر الممتلكات التي بها صراع غير آمن؛ لذلك قررنا أن نعبر الجبال ثانية مستمتعين مرة أخرى بأجوائها الباردة وطيب الناس. وبالركوب لفترات طويلة، والراحة لفترات قصيرة تمكنا من بلوغ مسقط خلال أربعة أيام منذ مغادرتنا قمة الجبال، وبذلك نكون قد غبنا واحدا وعشرين يوما.

وبالرغم من أن العيش لفترات طولية قد يكون غير محبب إلا أنه يبدو أن كل عمان يمكن الوصول إليها في المواسم المناسبة، وقد يكون عذرنا هو أننا بيد واحدة في هذا العمل. إن هدفنا وخطتنا، بمشيئة الرب، أن نزوّد كل قرية في عمان بكلمة الرب، لكننا نريد المدد الذي يعيننا في هذا العمل"[١].

٢. ٣. ٢. ٤. الجولة إلى إزكي

وفي ربيع الثاني ١٣١٩هـ/نهاية يوليو وبداية أغسطس عام ١٩٠١م قام جيمس كانتاين بأول رحلة للمنصرين إلى مدينة أزكي، التي وصفها بأنها "أغرب مدينة زارها". فإن كانت سمائل – حسب قوله – "مدينة مزدوجة" وذلك لانقسام أهلها

---

[١] Zwemer, Peter (1897 a)، ص ٤.

إلى طائفتين متناحرتين فإن أزكي مدينة "ذات ثلاثة أجزاء" متناحرة. وكتب كانتاين عن رحلته التي مرت به عبر سمائل ووادي بني رواحة، قائلا:

"لم يكن الإعداد لرحلتنا فيما وراء سمائل أمرا سهلا. فقد كان قرب انتهاء هدنة بين قبيلتين مسلحتين أمرا كفيلا باصطناع الحجة لتأخيرنا. وكان رفضنا الاستسلام للخوف من الخطر المسلح وإصرارنا على أن هذا الطريق هو الوحيد التي يمكننا أن نسلكه هو الذي أوصلنا أخيرا إلى المدينة التالية لسمائل. لم أعبر سمائل قط إلى الجهة الأخرى، لذلك كان لهذه الرحلة شيء من الجاذبية والغرابة. فقد أوصلتنا رحلة لمدة ست ساعات إلى [وادي بني رواحة] وهي القرية الرئيسة لقبيلة بني رواحة. لقد كان الترحيب بنا حارا وكرم أهل الوادي لا حد له. ... ثم غادرنا الوادي قبل إشراق ضوء النهار بزمن. وما كادت الظهر تدركنا إلا ونحن نتفيأ ظلال جدران أزكي.

إن هذه أغرب مدينة بلا استثناء زُرتها في حياتي. فإن كانت سمائل مدينة مزدوجة، فإزكي مدينة ذات ثلاث أجزاء. ففي وسط رقعة واسعة من أشجار النخيل توجد ثلاث مستوطنات. اثنتان منهما مدن محصنة لقبيلتين متناحرتين، والثالثة هي القلعة أو الحصن الهائل المسوك من قبل السلطان. وتقع هذه القلعة مباشرة بين المدينتين الأخيرتين ولا تبعد أكثر من مائة خطوة عن كل واحدة منهما، وتضم نحو مائتي شخص نصفهم جنود. وقد وُضعتْ مدافع قديمة أعلى الجدران وهي تعمل في حفظ السلام أكثر مما تعمله بنادق الجنود الذين قليلا ما يذهبون أبعد من البوابات المحكمة الحراسة. والأوضاع داخل القلعة مطابقة لما عليه حكومة عمان. وكانت الرسالة التي أعطاني إياها السلطان موجهة إلى نائبه وهو رجل شاب ينتمي إلى نفس عائلة السلطان، وقد أُستوليَ على ممتلكاته في بعض المشكلات السابقة. كان السيد سعود لطيفا للغاية معنا. وقد أشفقتُ على حاله الذي كان عمليا كحال السجين. وكان قائد القوة هو المسيطر كما يبدو، وسعود لم يخرج قط وراء البوابة، وأي اشتباه في محاولة لخروجه ستؤدي، كما

قالوا لي، إلى موته الفوري. ومأساة أخرى رايتها في القلعة تمثلت في مجرد صبي أُبقيَ خارج إطار دائرتنا الاجتماعية. لقد جذبني إلى هذا الصبي جلجلة السلاسل التي قيد بها. لقد نجا هذا الصبي من مذبحة وقعت في الجبال، وعندما فر إلى السلطان سُجن من أجل المحافظة على الأمن، ربما سجن من أجل النظر مستقبلا في القاتل، وهو شيخ الجبل الحالي الذي كنت آمل أن أستمتع بضيافته بعد زيارة القلعة.

وبما أننا قد تمكنا من النضال حتى وصلنا إلى هذا العمق، وكنا تقريبا خارج أرضية الجدل بين القبيلتين، فقد ظننت أن توغلنا للأمام أمر سهل إلا أن ذلك لم يكن كذلك. لقد رفض بنو ريام قطعيا السماح لي بدخول ممتلكاتهم. فهناك بعض الأسباب: قد يكون رغبتهم في تحدي السلطان الذي طلبتُ توصيته، أو رغبتهم في تكرار صد محاولة قام بها القنصل البريطاني للتجوال في الداخل، أو لمجرد فسادهم الطبيعي. وحين قالوا بأنهم عرب أحرار ومستقلون وأن بنادقهم معبأة لمواجهة أي رجال بيض يأتون نحوهم، لم يكن حينذاك مجديا اخبارهم بأني لم أكن القنصل، وأن خرجي ليس مليئا بالروبيات، وأني أعرف شيخهم، وعندي رسائل له. وأخيرا وبعد ساعات من الجدل غير المجدي بينهم وبين مضيفي قمت بتهدئة الهيجان المتصاعد قائلا بأنه لا شيء ذا أهمية أتى بي إليهم سوى رغبتي في أن أُقدم لبلدهم وشيخهم زيارة ودية، وإذا كانوا لا يرغبون في استقبالي فإنه من الأفضل لي أن أعود من حيث أتيت.

... لقد كان مقامي في إزكي سعيدا للغاية. وكانوا هم جميعا سعداء أن يروا شخصا ما من الساحل، وقد بعنا عددا من النسخ، وتركنا وراءنا أصدقاء في الحصن الذين آمل أن أزورهم مرة أخرى بعد أشهر قليلة... إنني أنظر إلى الوقت الذي يمكن أن تؤدى فيه مثل هذه الجولة ليس مرة واحدة في العام بل عدة مرات، وأن رسالتنا تُعرف جيدا في الجبال كما عُرفت على طول الشواطئ"[1].

---

[1] Cantine, James (1901 b)، ص ٦.

٢. ٣. ١. ٢. ٥. الجولة إلى جعلان

وتحققت أول جولة للمنصرين إلى جعلان عندما قام الطبيب هارولد ستورم (Harold Storm) في ١٣٥١هـ/١٩٣٢م بزيارة جعلان بني بوعلي ملبيا دعوة قدمها شيخ البلد إلى الأطباء العاملين في مستشفى الإرسالية في مطرح للقدوم إلى مدينته لتقديم الخدمة العلاجية. وكتب الطبيب ستورم عن تلك الجولة قائلا:

"لقد أثر في جولتنا الأخيرة إلى جعلان الجزء الذي يلعبه الخوف الدائم في حياة الناس وخاصة الحاكم، وأولئك الذين في السلطة. لا يبدو أن الأمير ولا رعيته من النوع الذين أُعطوا الرحمة الذاتية أو الوعي بالنفسْ. وعلى كل حال، ففي كل الوقت الذي قضيناه هناك كان الخوف هو المسيطر عليه وعلى تابعيه. وتذكرت مرات ومرات النبوءة في [سفر] التكوين ١٦-١٢ حيث قال ملاك الرب لساراي مشيرا إلى إسماعيل "و إنه سيكون إنسانا وحشيا. يده على كل واحد ويد كل واحد عليه. وأمام جميع إخوته يسكن". فقد كنا هنا في وسط سلالة إسماعيل المباشرة، وكان هنا صدق نبوءته أمام أعيننا مباشرة.

إن الأمير علي بن عبدالله آل حموده رجل في حوالي الأربعين من العمر وهو يحكم قسماً صغيراً من الجزيرة العربية يسمى جعلان. تقع هذه الولاية المستقلة جنوب مسقط مباشرة وتمتد على طول الساحل من صور إلى ظفار تقريبا ومن الجانب الآخر تتوغل في الصحراء الواسعة.. ويدين عدد كبير من القبائل الصحراوية بالولاء لهذا الرجل ولعائلة آل حمودة لأكثر من قرن.

لقد حصلنا هذه السنة على امتياز للقيام بأول جولة تبشيرية إلى هذا القسم. لقد أَرسل الأميرُ طالبا مجئ طبيب لمعالجة أخيه المريض المحتاج إلى عملية. لذا فقد فُتحتْ الأبواب لجولة استمرت شهرا. إن الخوف مسيطر في كل مكان، خوف من الذات، وخوف من هجوم القبائل، وخوف من القوى الأجنبية، وخوف من أجل الطبيب الزائر. في كل مكان يشعر الإنسان بالخوف. وتُبرزُ كل حركة، وتقريبا كل كلمة كيف أن المكان قد سيطر عليه الخوف.

إنه يريدنا ولا يريدنا. لقد أخذ وقتا طويلا حتى يقرر، وفعل ذلك بعد أن أكدنا له مرارا وتكرارا أن الطبيب سيلبس اللباس العربي المناسب، وتكون له لحية من الحجم المناسب، ويتحدث العربية، وليس له أي ارتباطات سياسية، وأخيرا يَعِدُ بأن لا يلبس القبعة. ويبدو أنه كان يرهب هذه الأخيرة أكثر من أي شيء آخر؛ حيث قال بأنها ستجذب كثيراً من الانتباه. لقد كان على رسولنا أن يؤكد له هذه الأشياء، ويعيد التأكيد مرات ومرات قبل أن يأمر الشيخُ القافلة بالتوجه إلى صور لحملنا. لقد أرسل إلينا دعوة لكن تبدو أنها ضعيفة لأنه كان خائفا أن تعترض القبائل الصحراوية على إيوائه لأجانب وفوق ذلك أنهم كفار (مسيحيون). لهذا السبب كان خائفا أن يحدُث لأحدنا أمر على أيدي أحد هؤلاء البدو المتوحشين.

وصلنا جعلان، وتوجهنا مباشرة للعمل معالجين أخاه وبقية العائلة. وقد رفض في البداية السماح لنا بالعمل مع أهالي البلد أو معالجتهم. وفي أحد الأيام أعلن بأنه قد أعطى الأوامر لإعداد أحد البيوت في المدينة معبرا عن ذلك بقوله "إن الضغط من قومي كبير، إنهم يطالبون بمقابلة الطبيب، وعليَّ أن اسمح لهم بذلك. أريد منكم أولا أن تعالجوا القادمين من خارج البلد، وإذا رأيتم أن أحداً منهم يحتاج إلى عملية لا تفعلوها هنا، بل أخبروهم بأن عليهم الذهاب إلى مسقط، وإذا رأيتم أنهم يحتاجون إلى الدواء فقط أعطوهم شيئا ما، أي شيء، وأمروهم أن يغادروا. عالجوهم هم أولا حيث أني لا أريد بقاءهم هنا".

واكتشفتُ أخيرا سبب هذا الطلب الغريب. إن له أعداء قبليين- قبيلة بني بوحسن- يسكنون في مقاطعته، وبالرغم من ذلك رفضوا أن يعلنوا له الولاء. إن هذا الإحساس بين القبيلتين يرجع على الأقل إلى زمن رحلة ولستد (Wellsted) الى هذا المكان نفسه في ١٨٣٥م، حيث أنه وصف زيارة لأحد الشيوخ من هاتين القبيلتين الذي طالب منه عدم زيارة الآخرين بسبب أنهم شريرون. وقبل وصولنا بفترة حدثت مقتلة قُتِل فيها أحد الغلمان من بني بوحسن على يد أحد شباب

جعلان. إنه عداءٌ لدم قديم. وأثناء وجودنا في جعلان أُحضر أبوا الغلامين أمام القاضي. وقد عَرَضَ أبُ القاتل أي مبلغ من المال يقرره الرجل الآخر. لكن هذا رفض ذلك العرض مطالبا بحياة القاتل. وبعد جدال طويل قال أب القاتل "طيب لدي ابنان خذ أحدهما وافعل به ما شئتَ". لذا فقد حسم الأمر ظاهريا، لكن في داخل النفوس ظل السبب الذي يؤدى إلى القتال بين القبائل مستمراً حتى لحظة هذه الكتابة.

إن هذا العداء القبائلي قاد إلى الخوف الحالي من أن يأتي شخص ما من القبيلة الأخرى إلى جعلان، ظاهريا من أجل العلاج، ولكن في الحقيقة لنية شريرة. إن هذا هو السبب الذي يمكن أن يفسر به طلب الأمير بأن يقوم الطبيب برؤية القادمين من الخارج أولا ثم يخرجهم من القرية في أقرب فرصة. إن الطريقة التي نُفذ بها هذا الأمر كانت محيرة. ففي صباح كل يوم وبعد الظهر يأمر الأميرُ خَدَمَهُ بتجميع كل البدو الذين لهم علاقة بالقبيلة أمام باب القصر، ويصر عليَّ بأن أقوم بإعطائهم قصاصة من الورق، وعندما يأتون إلى مكان العمل أقوم بمعالجة حاملي تلك القصاصات قبل الآخرين. وهذا يعني مضاعفة العمل، وتأخيراً طويلاً، ومضايقة لا داعي لها. إلا أن هذه الأشياء لا تهم قائداً عربياً يحمل في ذهنه الخوف من هجوم مفاجئ.

ويسألني كل يوم عن أسماء الذين أَجريتُ لهم عمليات؛ لكي يتأكد بأنني لم أقم بأي عملية لأي بدوي يثبت له في النهاية بأنه ليس صديقا له. وإجراء عملية لأحدهم يعني بأنه سيبقى هو وأصحابه لعدة أيام في جعلان. قد يكون جانب المريض آمنا بما فيه الكفاية إلا أن أصدقاءه ومن يقوم بالعناية به هم الذين يخاف الأمير من تسببهم في مشاكل في الأوقات التي تناسبهم؛ لأجل هذا قال بأنه لا يريدهم هناك.

لقد نما العمل بغزارة وكنا مضطرين للعمل إلى ما بعد مجي الظلام بفترة قصيرة لتضميد المنومين أو لتنظيف مكان الجرح بعد العملية. وقد عَلِمتُ بأن الأمير

لا يحب ذلك؛ قائلا إن بقاء الطبيب أو موظفيه خارج بوابة القصر بعد الظلام ليس آمنا لهم. وفي إحدى الليالي أرسل الشيخُ سبعة من عساكره لحماية ستة منا أثناء عودتنا إلى البيت. وجاء بنفسه في ذلك المساء ليسألني أن أُنظم عملي بحيث لا أضطر للبقاء خارج القصر بعد مغيب الشمس. ولم ير ذلك كافيا بل أرسل رسوله إلى رئيس معاوني قائلا: "يجب على الطبيب أن يعود كل ليلة قبل المغرب".

لم يبد هادئ البال أبدا. ويأتي في الغالب لزيارتي في غرفتي، ودائما يذهب كل بضع ثوان إلى النافذة، أو يصعد على السطح ليرى من آتٍ في الصحراء أو من موجود في الحوش. وغالبا ما ينادي أحد الخدم ليسأله عمن في المجلس أو من على البوابة. الخوف... الخوف... يبدو دائما خائفا من شيء ما. وكانت محادثاته في الغالب عن كيف أن أحدا ما سيأخذ منه سلطته، يعني أحدا ما من عائلته. وفي أوقات أخرى يتحدث عن خوفه من أن تأخذ قوة أجنبية أرضه منه، فقد قال له مكتشف في إحدى المرات بأن خامات ثمينة توجد في أرضه. ويبدو أنه لا يثق في أي أحد.

وعندما جاء وقت رحيلنا قام بتغيير مسار رحلتنا أكثر من مرة؛ وذلك لأن هذه الطريق تمر عبر أراضي بني بوحسن، وتلك غالبا ما يكون فيها قطاع الطرق. وأخيرا أَرْسَلنا إلى أقرب مدينة ساحلية عبر قطعة غير مأهولة من الصحراء يحتمل أن لا نلتقي فيها بأحد أبدا. وعندما كنا نُحمِّل الجمال خرج لوداعنا خارج قصره. وقد وقف هناك لمدة خمس دقائق تقريبا عندما جاء إليه أحد مساعديه وقال له أحسن لك أن تذهب إلى الداخل حيث أصبح الوقت مظلما.

إن هذه الروح ليست مقتصرة على الأمير والذين في السلطة، بل يبدو أن كل واحد ينتابه نفس الشيء. ففي أحد الأيام كنت أقوم بزيارة طبية في أحد المنازل عندما علتْ فجأة صيحة خارج المنزل– في الشارع– فقام كل رجل في البيت بسرعة كالبرق بأخذ بندقية، أو سيف، أو الاثنين معا وركض إلى الخارج تاركين الطبيب وحده. وعلمنا بعد ذلك أن المسألة كانت مجرد حريق صغير. وقد أخبرونا أنه

عندما تُسمع صيحة كمثل تلك فإنه- كما قرروا- من واجب كل رجل وولد أن يحمل بندقيته وسيفه ويسرع إلى الخارج؛ فقد تكون تلك فتنة (قتالاً) أو شجاراً قام به بعض البدو.

لقد أثبت الأمير أنه مُضيِّف مثالي، وعمل كل ما يستطيع من أجل راحتنا. لقد كان عبقريا للغاية، وبكل وضوح هو بحاجة إلى رفقاء غير أولئك البدو. لقد كان شاكرا لوجودنا عنده بالرغم من خوفه لأجل إسعادنا. إن المرء ليشعر بالأسف؛ إنه نتيجة لدينهم وحياتهم الخوف من رجالهم كان قويا بحيث لم يكن الأمير ولا أتباعه يستمتعون بالسلام والهدوء. ذلك لأن "يده على كل واحد، ويد كل واحد عليه""[1].

٢. ٣. ٢. ٦. الجولة إلى ظفار

جاءت أول جولة لأعضاء مركز الإرسالية العربية في مسقط إلى ظفار بعد جولة جعلان مباشرة. فقد غادر الطبيب هارولد ستورم مسقط في جمادى الآخرة ١٣٥١هـ/أكتوبر ١٩٣٢م وبصحبته مجموعة من المعاونين متوجها إلى ظفار في سفينة شراعية. دامت جولة الطبيب ستورم في ظفار سبعة أسابيع توجه منها برا إلى صور ومن هناك قفل عائدا إلى مسقط. وقد كتب الطبيب ستورم عن هذه الجولة قائلا:

"بما أنه يجب أن يكون لكل شيء بداية، فإنني بدأت كتابة هذا التقرير في وادي مغرب في بلاد بثارة وذلك عندما كنت في جولة برية من صلالة إلى خلوف في بلاد الجنبة، أين ومتى يمكنني أن أنهيه؟! لا أعلم.

إن هذا اليوم له حدث عظيم، فقد تمكنا من الوصول إلى أول بئر ماء منذ خمسة أيام. آه، ما أحلى أن تحصل على شربة ماء عذبة، واستحمام جيد! إن ذلك يغير وجه كل شيء ويجعلك تحس بأنك شخص آخر.

---

[1] Storm, W. H (1932)، ص ٣.

إلا أنه يجب عليَّ أن أشرع [في ذكر رحلتي هذه] منذ البداية. فقد غادرنا مطرح مساء الحادي والثلاثين من أكتوبر وبعد عشرة أيام من الإبحار وصلنا ظفار في العاشر من نوفمبر. كان اسم بومتنا "أم الطيران". واسمها صادق عندما تكون الريح مناسبة، فقد كانوا يرفعون اثنين أو ثلاثة من أشرعتها الخمسة. وعلى كل حال، عندما تسكن الريح- كما حدث لمدة يومين قرب مصيره - كان اسمها مجرد اسم. والاختلاف على متن البوم قليل، فلا يجد الفرد ما يعمله سوى القراءة والأكل والنوم - عند الاستطاعة! وعندما لا يكون أي من هذه ممكنا فإنني أترك الباقي عليكم.

ففي اليوم التاسع رأينا رأس مرباط ثم مرباط- أول المدن على ساحل ظفار. ومرباط هي المدينة الوحيدة ذات الميناء المحمي. وهنا ذهبنا إلى البر لرؤية المدينة وزيارة الوالي. وكل القوارب التي تمر بظفار إن وقفت فإنها تقف فعليا في مرباط. وهذه الحقيقة تضاف إلى حقيقة أخرى ألا وهي أنها مركز للقوافل مما يجعلها المدينة الثانية في الأهمية بعد صلالة العاصمة وكرسي الحكومة. إن هذه المدينة- بالتأكيد- تبرر بقاء طبيب فيها لفترة من الوقت. لقد اضطررنا للمجئ إلى هنا لكن الوقت ليس في صالحنا، كما أن الوالي لم يكن ودودا. ومرباط كذلك قاعدة جوية للطائرات القادمة من مسقط وعدن.

لقد بحثنا عن سوق مرباط الذي طالما سمعنا عنه الكثير لكننا لم نجده. ثم سألنا شخصا ما فذهب بنا مباشرة إلى أحد البيوت فبدأ في دخوله. وأول ما تدخل فأنك تمر عبر ممر يقودك إلى ساحة يتواصل أحد جانبيها ليصل إلى غرفة وهنا يوجد المتجر الذي يحوي كل العناصر الأساسية للعربي. وهكذا تكون الأسواق مسقفة ومحمية خوفا من هجمات رجال القبائل البدوية. وهذا النوع من الأسواق موجود في كل المدن الصغيرة - وفي الحقيقة في الكل، ما عدا صلالة.

يمتد اسم ظفار من راس مرباط إلى راس ريسوت مسافة خمسين ميلا أو اكثر وكلها تكتسحها الرياح القوية والأمواج من المحيط الهندي، ما عدا مرباط

وريسوت. وتوجد مدن على طول الساحل، وكما ذكرنا أهمها صلالة ومرباط. وعلى كل حال، ليست ممتلكات السلطان محدودة بهذه المنطقة، بل تمتد بعيدا شمالا وجنوبا. ويفسر موقع ظفار جنوب خطوط ١٦- ١٧ طبيعتها شبه المدارية. فهي لأجل ذلك تستقبل الموسم ثلاثة أشهر كل سنة. وممتع أن تسمع العربي يتحدث عن احتجاب الشمس لمدة ثلاثة اشهر. وصلالة هي كرسي الحكومة حيث تقع قلعة السلطان ومسجده بجانب بيت والي ظفار. وعدد سكان صلالة ثابت بين الألفين والثلاثة آلاف. وهنا التوزيع متفرد؛ فيقع السوق وبه مائة متجر، وقلعة السلطان ومسجده، وما يقارب أربعين أو خمسين مسكنا ووحدات تأوي خدم الحكومة والجنود جميعها في جانب البحر، وهذا المجتمع يسمى السوق. وخلف [محلة] السوق يمتد خط طويل من بساتين أشجار النارجيل، وحدائق يزرع فيها الكهرمان الأسود والقطن والتبغ وبعض الفواكه القليلة. وطول هذه الأرض الخصبة ميلان تقريبا، وعرضها ميل ونصف. وخلف هذه على بعد ميل ونصف بالضبط من السوق تقع صلالة الأصلية بمبانيها الحجرية الجميلة ذات الطابقين والثلاثة الطوابق. وتُقتلع الصخور من مقلع لا يبعد مائة خطوة من أقرب هذه البيوت. ثم يقع على بعد خمسة أميال سهل دربات المفتوح والممتد إلى جبل القرى. وظفار هي مركز جميع قبائل جنوب شرق شبه الجزيرة العربية الممتدة من صور جنوبا إلى المكلاء، لذا فإن عدد سكانها البدائيين كبير. والماء في ظفار جيد جدا وحلو، ويكون في كل مكان قريباً من السطح، ويوجد تقريبا حتى قرب البحر. لكن هنا- كما هي صفة العرب في كل مكان- يقود التراخي وعدم المبالاة الطريق، فتوجد أعداد كبيرة من الآبار غير المستثمرة منذ عدة سنوات، فقط بسبب عدم الاهتمام الحقيقي. ففي مكان كظفار يوجد حد لا نهاية له من فرص الحراثة، هذا فقط إذا زحف العربي بعيدا من تحت صدفة الإسلام القاسية التي تدفعه إلى الأسفل، والتي هي الأصل في تكاسله وعدم اهتمامه وروحه التي لا تتحمل المسؤولية. روح "الله كريم، الله...إلخ هي العائق الحقيقي والبلاء. عندما تتحدث إليهم عن ذلك

تكون إجابتهم دائما أنهم إن زرعوا أشياء وحرثوا الحدائق فسيأتي البدو من الجبل ويسرقون، ولا تعمل الحكومة شيئا لحمايتها. إن هذا إلى حد ما صحيح، لكن السبب الحقيقي هو روح اللا مبالاة وتكاسلهم الشديد.

وباعتبار أن صلالة ليست بندرا (ميناء محمية) فهي تقدم الكثير من الصعوبة للسفن المبحرة لكي تنزل ركابها وشحناتها. ولا يمكن لقوارب التجديف العادية أو الهوريات أن ترسو بسبب الأمواج. لذا فإن السلطان يمتلك قوارب تجديف خاصة مصنوعة من ألواح مثبتة ببعضها بواسطة الحبال؛ وهي تسمح بشيء من المرونة، وتمنع موج البحر من أن يسحقها إلى قطع. وتُشغَّل هذه القوارب بواسطة موظفي الحكومة. وتنص تعليمات السلطان على أن تتجه القوارب إلى كل سفينة تضع مراسيها قرب صلالة، وتوضع في خدمة قبطان السفينة.

إن أشجار النارجيل تحل محل أشجار النخيل الموجودة في بقية الجزيرة العربية حيث لا تُرى حتى شجرة نخيل واحدة هنا. وفي عقلي أن مزارع أشجار النارجيل إن نمت نموا كاملا ومستقيما فإنها تكون أكثر جمالا من أشجار النخيل. إن شاء رجل أن يكرم أحد العابرين فإنه يدعوه أن يدخل ويستريح. ثم يقوم شخص ما بطي عمامته أو ثوبه على شكل العدد ثمانية، ويستخدمه لتثبيت قدمه فيتسلق شجرة ويقطف منها عدة ثمار ناضجة. ثم يُدق وتد صغير في الأرض يكون جزء حاد منه إلى الأعلى، ويُزال الغلاف الخارجي ثم يفتح المضيف بسكينه أو خنجره أحد الأطراف ويعطيك ماء جوز الهند لتشربه ثم تُكسر الثمرة وتأكل منها اللحم. وشجرة النارجيل الجيدة تثمر على مدار العام، وتعطي مائتي نارجيلة أو أكثر سنويا. وهذا يدخل فائدة من ثلاثة إلى خمسة ريالات سنويا (الريال– ٣٠ سنتا تقريبا). وخشب أشجار النارجيل أفضل وأقوى من أشجار النخيل، لكن الأغصان عديمة الفائدة حيث لا قوة لها ولا متانة.

وتلعب الأبقار دورا مهما في الحياة في ظفار. فهي أبرز مواد الصناعة. وكل واحد يمتلك على الأقل بقرة واحدة، ويُحسب ثراء الرجل بعدد الأبقار التي

يملكها. ويمتلك الرجل الموسر من ثلاثين إلى خمسين، والثري هو الذي يمتلك من خمس وسبعين إلى مائة وخمسين بقرة. وتُشترى[1] العروس بالأبقار. ثم تصبح بعد ذلك الراعية لأبقار زوجها وأغنامه. والظفاري الذي يعيش على الساحل لديه على الأقل زوجتان. زوجة واحدة تعيش معه في المدينة، والأخرى في الجبل تهتم بماله - كما يسميه- أو البقر. وسعر البقرة يعتمد على نوعية اللبن الذي تنتجه ويتراوح بين أربعين ومائتي ريال. وسعر اللبن في المتوسط آنة واحدة للكوارت[2] الواحد أو الكوارت والنصف. وتَمُرُ على بعضهم أسابيع بدون أكل أي شيء إضافي. والأرز- بالتأكيد- غير معروف لدى سكان الجبل. وقد ظن أحد الأولاد الذي كان معنا في الجبل بأنه يأكل مأدبة سلطانية عندما أعطيناه بعض الرز الذي كان معنا، وذلك لأنه لم يتناول شيء آخر سوى اللبن لمدة عشرة أيام. والتغيير الوحيد هو اللحم، وذلك فقط في أوقات خاصة كولادة عجل حيث يذبح مباشرة أو مرض بقرة أو شاة فتقتل مباشرة أو أنها ستموت وتصبح غير ذات فائدة. وعندما يموت رجل يكون من واجب أبنائه أو إخوانه وجيرانه أن يذبحوا له لمدة أربعة أيام. وأثناء وجودنا في ظفار بلغتْ إلى مرباط أنباء موت أحد السادة (أحد سلالة محمد [صلى الله عليه وآله وسلم]) في الهند. فذُبحت في أربعة أيام أربع وثلاثون بقرة وعشرون شاة وأولم للمجتمع كله.

يُكوِن العبيدُ والمعتوقون جزءاً كبيراً من سكان صلالة. وكان عدد كبير لا يزالون على علاقة بالحكومة. ويتمركز تاريخ ظفار المعاصر حول أحد العبيد الذي كان يعزه السلطان- السيد فيصل- إلى درجة جعله والي ظفار. وتوجد مجموعة منهم، دورهم الأساس تقديم رقصة عبيد ظفار المشهورة. فيرقصون في جميع المناسبات كالزواج والختان والموت، ويكون أجرهم على ذلك في الغالب بقرة أو حقيبة من الأرز. وحقيقة أن العبيد ليس لديهم شيء يقولونه أمر يعد خرافة- كما

---

[1] لفظة غريبة استخدمها هذا الشخص للتعبير عن اسلوب الحياة الزوجية في الإسلام؛ حيث اعتبر المهر الذي يدفع للمرأة بمثابة شراء لها.

[2] ربع الجالون.

أظهرت لي تجاربي. فقد كان إيجار بيتنا أربعة ريالات شهريا، وبسبب السهو أخرتُ الأجر. فجاء الرجل [صاحب البيت] في أحد الأيام برسالة من الحكومة طالبا منا أن ندفع له. فقلت له لماذا لم تأت إلينا مباشرة وتطلب ذلك منا؟ إنني لا أحب إسراعك إلى الحكومة وكأنك تشتكي منا. فاعتذر وقال بأنهم هكذا يقومون بالأشياء في ظفار الخ. فدفعنا له أجره وظننا أن الحادثة قد أُغلقت. وبعد ذلك بفترة قصيرة جاء إليّ أحد العبيد قائلا: نحن- يقصد العبيد- لقد سمعنا بما حدث فتوجهنا مباشرة إلى الوالي وقلنا له ما كان عليه أبدا أن يسمح بتلك الرسالة أن تُكتب إليك الى آخر ما قال. فأعرته اهتماما قليلا للغاية. وفي العصر عندما كنت أقوم بعملية جراحية كان هناك هيجان كبير وبلغني أن الوالي قد جاء لرؤية الطبيب ومعه جمع من الناس. فبعثتُ لهم قائلا إنني الآن في منتصف عملية ولا يمكنني أن أقابلهم لبعض الوقت. واكتشفتُ أخيرا أن الحشد كان من ٢٥ إلى٣٠ عبدا جعلوا الوالي يأتي للاعتذار إليّ. فكنتُ سعيدا إذ كنتُ مشغولا فسلمتُ من مقابلتهم. لقد شعر الرجل بإحراج لا داعي له، لكن ذلك أظهر ما يمكن أن يعمله العبيد وكيف يجب أن يُستمع إليهم في بعض الأحيان.

لقد بَلَغَنَا ونحن في مسقط أثناء ارتحالنا أن والي ظفار السيد سعود الذي قدَّم إليّ دعوة قبل سنتين لزيارة ظفار قد مات. لقد غادرت وأنا على اعتقاد أن ذلك الخبر صحيح، وبما أنه ليس لدي تأشيرة دخول فلا مجال للحديث. وهذا يجعلنا معتمدين على أنفسنا إن استطعنا أن ندخل فقط. وبوصولنا مرباط كنا سعداء أن نعلم أن السيد سعود لم يكن ميتا، وأنه تمكن من مغادرة ظفار إلى مسقط للحصول على العلاج قبل فترة قصيرة مما يعني أننا مررنا عليه في الطريق. لم أكن أعلم نوع المقابلة التي سنحصل عليها خاصة وأن والي مرباط قد حذرنا بأنه يمكن أن لا يُسمح لنا بالرسو. لكن كانت الأمور طيبه، فبالرغم من أن دخولي كان غير رسمي، لم يحدث كلام ولو قليلا، بل حدث تعجب كثير. لقد اقتنعت أن جولاتنا الطبية يمكن أن تكون أكثر تأثيرا- خاصة من وجهة النظر التبشيرية- عندما نتجول

بأنفسنا عنه عندما نكون ضيوفا لأحد الحكام. وضيافة الحاكم بالتأكيد ضرورية في بعض الأحيان وذلك لكي نتمكن من دخول المكان كما هو الشأن في جعلان السنة الماضية. لكنني أعتقد بأنه يجب علينا أن نتجول بأنفسنا كلما استطعنا ذلك، ولو أن مثل هذه الجولات- بلا جدال - لها ثمنها الذي يجب أن ندفعه. وقد استأجرنا هنا بيتا، لذا فكان لدينا مكاننا الخاص، وكنا أمراء أنفسنا. لقد أعطانا هذا [الوضع] الفرصة للتأثير في جميع أهداف بعثتنا، وأبطل الإحساس المتعمق بأنه كانت لنا روابط من نوع ما بالحكومة، وأن لنا جذوراً سياسية عميقة مدفونة في مكان ما. لقد كان القائم بأعمال الوالي، وموظفو الحكومة، وجنود مسقط جميعهم مجاملين لنا إلى أن عرفوا بأن الحكيم ليس كريما ببنساته كمثل الوزير (توماس)[1]. وبعد ذلك أصبحوا ودودين ولكن ليسوا شديدي المجاملة - تقريبا.

---

[1] هو برترام توماس (Bertram Sidney Thomas)- ١٨٩٢- ١٩٥٠- عمل ضابطا في صفوف القوات البريطانية في العراق. عمل لدى السلطان تيمور بن فيصل مستشارا خاصا ووزيرا للمالية بين عام ٢٥-١٩٣٢م. قام بعدة جولات استكشافيه في عمان مدعومة من قبل الجمعية الملكية للجغرافيا (Royal Society of Geography) في بريطانيا. فقد قام بين عام ٢٧-١٩٢٨م برحلة برية بطول ٦٠٠ ميل على ظهور الجمال من رأس الحد إلى صلالة. وقام بين عام ٢٩-١٩٣٠م برحلة أخرى بطول ٢٠٠ميل من ظفار إلى التخوم الرملية لصحراء الربع الخالي. ثم قام في عام ١٩٣١م برحلة من صلالة إلى الدوحة بدولة قطر قطع خلالها الربع الخالي على ظهور الجمال. ونشر تقارير جولتيه في الدورية البريطانية (The Geographical Journal) على النحو التالي:

... (1929) 'The South -Eastern Borderlands of Rub Al Khali' *The Geographical Journal* Vol. 73, No. 3, pp193-215.

... (1931) 'A Journy Into Rub' Al Khali- The Southern Arabian Desert' *The Geographical Journal* Vol. 77, No.1, pp 1-37.

... (1931) ‘A Camel Journy Across the Rub Al Khali’ *The Geographical Journal* Vol. 78, No.3, pp 208-242.

و إلى جانب هاتين المقالتين له عدة مقالات أخرى منشورة عن التركيبة الجغرافية والسكانية واللهجات المتحدثة في شبه جزيرة مسندم، وبعض الجولات الأخرى في عمان. ومن الكتب التي ألفها عن عمان، ومناطق أخرى في الجزيرة العربية:

... (1939) Arabia Felix: across the empty quarter of Arabia, Readers' Union

...(1931) Alarms and Excursions in Arabia, London, George Allen & Unwin.

...(1937) The Arabs: the life-story of a people who have left their deep impress on the world, London, Thornton Butterworth.

قدم في الكتاب الأول تفصيلا أكثر لجولاته في الأجزاء الشرقية والجنوبية من عمان. أما الكتاب الثاني فضمنه مغامراته السياسية والعسكرية كعنصر بريطاني في المنطقة. وتحدث فيه عن بعض جولاته مع السلطان تيمور بن فيصل وأبنه سعيد في منطقة الباطنة. أما الكتاب الثالث فقد قدم فيه دراسة تاريخية عن العرب في شبه الجزيرة العربية، وهو مفيد للمهتمين بدراسة نظرة الغرب إلى العرب والإسلام.

لقد بدأ العمل الطبي بتأرجحه المعهود في أي مكان جديد ثم نما بسرعة ثابتة لمدة سبعة أسابيع- وهي المدة التي قضيناها هناك. لقد كان متوسط المترددين على العيادة ٧٥ حالة، وكان العمل الجراحي جيدا، وأُبقينا مشغولين خاصة وأنه كان لا يمكننا إلا أن نُأوي خمسة عشر شخصا في بيتنا أما البقية فقد وُزعوا على البيوت المجاورة. وعندما وصلتْ عملياتنا أعلاها كان لدينا مرضى موزعون على أربعة عشر بيتا مختلفا جميعها محيطة بمكاننا. وكان المرضى يَستأجرون غرفة أو جزءا من عريش (خيمة من سعف النخيل). لقد سبب لنا هذا عملاً إضافيا، وكان أحد الأثمان التي علينا أن ندفعها عندما نعمل مستقلين، لكن أثناء التجوال على الفرد أن يتقبل هذا الإزعاج بابتسامة. وكانت الملاريا والربو هي الحالات الرئيسة بين مرضى العيادة. وكان هناك عدد لا بأس به من حالات الجذام. كان بيتنا يشتمل على خمس غرف وزعناها حسب التالي: غرفة للمستوصف، وغرفة للعمليات، وغرفتان للمرضى المنومين، والغرفة الخامسة لنعيش فيها نحن الستة.

كنا هنا نسأل ونطلب من كل شخص أن يدفع أي شيء ابتداء من خمس بيسات مسقطيات- ثلث آنة- إلى عشرة ريالات وهي تعادل ٨,٩ روبية، ووجدنا ذلك عمليا. لقد احتفظت بأرقام صحيحة وسأحسبها لاحقا. لقد كان آخر حاجة أردت عملها هو إعطاء الأهمية للفلوس، لكن وجدت أن أسلوبنا الذي اتبعناه يخلق جوا أفضل بكثير- أطلب القليل في الوقت الذي تظن بأنهم قادرون على الدفع. لقد كنت مرتاحا لذلك؛ لذا فإنني سأحاول أن أجربه مرة أخرى في صور.

أليس من الصعب أن تفكر في عربي يتحدث لغة أخرى غير العربية؟ أجل، هذا ما يراه الشخص في ظفار. فالجباليون والقبائل التي تمتد إلى الخارج في الربع الخالي يتحدثون لغتهم الخاصة. إنها تمثل بعض اللغات الهندية وخاصة الهندوستانية أكثر من تمثيلها للعربية. والكثير الكثير منهم لا يفهمون كلمة عربية واحدة، وهنا تصبح الحاجة إلى مترجم ملحة. يعرف العربية منهم فقط الذين يأتون

إلى صلالة بشكل مستمر أو الذين يعملون لدى الحكومة. والجبالية- كما يطلقون عليها- لها لهجاتها القبلية أيضا، لكنهم يفهمون بعضهم. إن هذا سيكون أحد العوائق في عملنا هنا في المستقبل، حيث يشكل هؤلاء جزءا كبيرا من سكان ظفار. وهذا يتطلب منا تعلم لغة أخرى عندما نقوم بعمل مركز بينهم. وعلى كل حال، إن لم يكن عائقا فهل هو التحدي الحقيقي؟"[1]

وخلال الأسابيع السبعة التي قضيتها في ظفار انتهزت فرصة للقيام بجولة لمدة ثلاثة أيام في جبل القرى. وقد رأيت هنا إحدى الغرائب المسرة في حياتي. فبمجرد مغادرتك لسهل جربات تبدأ بصعود الجبل فتدخل في اوغال كثيفة، ثم تصعد ١٥٠٠ إلى ٢٠٠٠ قدم إلى القمة. وتنفتح أمامك فجأة حقول من العشب الأصفر الذي يرتفع إلى الركبة. وعلى جانب كل تلة توجد قطعان من البقر تتراوح بين ٢٥ إلى ٢٠٠ رأس للقطيع. وهذا يُذّكِّرني كثيرا بالخريف في أوتاكامن (Otacamun). وتكثر كذلك أشجار الليمون البري في الأودية، ويلتصق الياسمين البري بكثير من الأجمات. هذا هو جبل القرى.

إن قصص انتماء رجال الكهوف إلى الأجيال الماضية ليست صحيحة، والصحيح أنه هنا في جبال القرى يوجد كثير من البدو ليس لهم بيوت سوى الكهوف. فالتقليد الغالب هنا أن يتخذ الرجل كهفا ويبني أمامه بالعُصي والعشب ملحقا ليدل على أنه من خصوصياته فيكون بذلك لديه بيت. ولقد ضُيفنا لمدة ليلتين في أحد هذه الكهوف. لقد كان هذا الكهف بيتا للشيخ وهو تقريبا ٨×١٢ قدما وارتفاعه خمسة أقدام، ومُقسَّم بخط من الحجارة إلى ثلاثة أقسام. فغرفة الضيوف في أحد الجوانب كانت كافية لأتمدد عليها أنا وقنبر. ووُضع في مكان السجادة قش غطي بجلد البقر. وفي القسم المركزي وضعت النار وفي الجانب الآخر كومة من السردين المجفف الذي يطعم للبقر عندما تحلب. والسردين يعطى للبقر عندما تحلب فقط لأن العشب متوفر.

---

[1] Storm, W. Harold (1933 a)، ص ٣.

لقد أحسست بأننا في ظفار قد بلغنا إلى أقصى حد لحقلنا من جهة الجنوب، ولكن من المؤكد أن ظفار هي جزء من أنشطة مركز مسقط. ومن ناحية الحديث عن الطب فإن كل ما يقع جنوب ظفار يكون تحت مسؤولية مستشفى الشيخ عثمان. وقد عولج مجموعة من تجار ظفار الكبار في ذلك المستشفى وله شهرة معروفة هناك. وبسبب العلاقة السياسية بين ظفار ومسقط وذهاب الجيوش والارتال من صلالة إلى مسقط وليس الى عدن، يمكن وضع ظفارَ مع حقل مسقط التنصيري. وستكون ظفار– بالتأكيد– موقعا مناسبا لفرع من مستشفانا له علاقة بمسقط ويقيم فيه طبيب مسيحي هندي على مدار العام، على أن يزوره أحدنا كل شهرين أو ثلاثة أشهر سنويا للأعمال الجراحية. إن هذا أمر يُترك لمركز مسقط وإرساليتنا لمناقشته والصلاة الجادة جدا له. وهذا سيقود إلى فرص أكيدة ومكثفة للقسم التبشيري في مسقط.

هنا كما في جميع جولاتي أحسست بالحاجة الماسة إلى مساعد تبشيري. فالطبيب المستعجل والمشغول بمسؤوليات العيادة – كما في هذه الجولات–لا يستطيع أن يُقدِّم في مجال التبشير إلا مجرد الصلوات في العيادة وهذا أقل من المطلوب. آه، كم أحلم باليوم الذي يكون لدي فيه فريق مسيحي وأقوم بجولات فأضع التأثير الكامل للجولات في جانب المسيح. إن مساعدي الحاليين من الجانب الطبي عظماء، وأنا راضٍ عنهم للغاية، لكن المساعد المسلم مهما تشرب الكثير من روح المسيح يبقى مسلما. أحيانا يريدون أن يظهروا أنهم مسلمون. ويظهر ذلك بشكل أخص عندما يكونون في جولة في مكان غريب وبين ناس غرباء. إنني شاكر لأن يكون معي "وديه"[1] في تلك الأوقات، وإنه من السرور أن أسمعه يعطي الشهادة الفاصلة القاطعة بنفسه. على كل حال إنه لا يزال طفلا في المسيحية، ومعاق بمقدرته الهزيلة على القراءة ومعلوماته الضئيلة إلى الآن عن المسيحية.

إن الوقت هو العامل الضاغط دائما، ويجعلنا نحدد ما هي الخطوة القادمة. لقد قررت أن ننقسم إلى فريقين؛ أترك مباركاً في ظفار ليعتني بمن أجرينا لهم

[1] اسم أحد المعاونين المحليين، أنظر في ٢. ٨. ٥. "العناصر المحلية".

عمليات، وعندما ينتهي يتوجه إلى صور بواسطة البوم (سفينة بحرية صغيرة) في حين آخذُ قنبر – مساعدي في المستشفى– وأتوجه إلى صور بالطريق البري.

لقد عبرنا جبال القرى مستمتعين ومعجبين بخصوبة هذا الجزء من الجزيرة العربية وجماله. لذا فإنه لا يأخذ وقتا على المخيلة لكي تفهم لماذا تسمى في الغالب الجزيرة السعيدة (Arabia Felix). هنا التقينا بأصدقاء قدامى من الذين عالجناهم في ظفار كما اتخذنا عدة أصدقاء جدد. لقد قضينا أربعة أيام متجولين، نزور قاطني الكهوف الساكنين في هذه المنطقة الجبلية ونعالجهم.

وفي اليوم الخامس انحدرنا إلى منطقة نجد ظفار التي تحاذي الربع الخالي. ونحن الآن نتبع المسار الذي اتخذه برترام توماس في ١٩٢٨م– ما عدا أننا سنترك هذا المسار عندما نسمع عن معسكر أو قرية للبدو على الطريق ويمكننا أن نزورها. وهذا سيقودنا عبر عدد من الأودية أكثرها أهمية من الناحية التاريخية وادي أنظور. حيث توجد في هذا الوادي حديقة نخيل مهجورة وبعض الآثار العمرانية. ويقع على أحد التلال المطلة بقايا حصن عتيق يقول العرب أنه كان يملكه الشيخ بن منجو القديم. وهذا هو الدليل الحالي– وبالرغم من ضعفه– يدل على مركز قديم لحياة نشطة. وهنا أُخبرت عن القصة الشائعة عن أفضل الجمال التي يركبها النبي محمد [و أسمها] فاطمة. لقد سُرقت وقتلها بعض العرب الكفار. ثم حاولوا أن يطبخوها ويأكلوا لحمها لكن مهما حاولوا أن يضعوا لها من نار لم تنضج أبدا، [والسبب وراء ذلك إما أن اللحم] قاسي أو أنها معجزة؟[1]

إلى هذه النقطة تمكنا من رؤية عدد كبير من عرب الصحراء أغلبهم من قبائل جبل القرى. إنهم يتحدثون اللغة الجبلية أو الجبالية التي هي في حقيقتها ليست عربية أبدا. إنهم لطفاء جدا ودعونا لمعالجة عدد كبير منهم. وفي كل صباح يحدث

---

[1] هذه بكل تأكيد قصة باطلة. وكثيرا ما يتصيد المنصرون مثل هذه الأباطيل من أفواه العوام ويروجونها في كتاباتهم، ليظهروا مستوى تفكير العقلية المسلمة المتخلف، وليشوهوا بها صورة المجتمع المسلم، ويسيئوا إلى الرسول محمد– صلى الله عليه وآله وسلم.

التأخير بسبب مجيء بدوي من مكان مجهول ويختفي بمثل ما جاء تاركا إيانا مستغربين من بلدهم الغريبة.

وقد جربنا من هذه النقطة وإلى أن وصلنا شاطئ الجازر رحلة صحراوية حقيقية. فخلال سبعة أيام التقينا بمسافر واحد فقط وفي مناسبة واحدة وكان يبحث عن جمله التائه. وفي اليوم الخامس تحول الماء في القرب الجلدية إلى أصفر فاتح وساخن وعفن وكريه الرائحة. وعندما وصلنا بئر الماء في بلاد بثارة (Bauthara) عَرَضَ الجمالون الماء على الجمال، وكان مدهشا أن نراها ترفض الماء لتبقى ثلاثة أيام أخرى قبل أن تشرب.

وتابعنا شاطئ الجازر حتى وصلنا خلوف حيث يوجد أكبر مخيم للبدو بين ظفار وصور. يقع هذا البندر [أو الميناء] مباشرة مقابل جزيرة مصيرة. وخلال الرحلة على طول خليج صوقرة وخليج مصيرة يشعر الشخص بالحاجة إلى اسم أنسب ليطلقه على قرى الصيادين. وكما وصفهم توماس بذكاء: "إن أماكن سكناهم بدائية للغاية، فلا تتكون إلا من أغصان السمر الموضوعة على شكل حذاء الحصان ولا تكاد تستحق أن يطلق عليها اسم كوخ. يُتخذ الكوخ عادة تحت شجرة السمر، وتعلق بعض قرب الماء على الأغصان وتعلق سلة تمر عادة في أعلى غصن حتى لا تصل إليها الجمال. ويملأ الصورةَ امرأةٌ وبعضُ الأطفال الصغار وقطيعٌ من الشياه. وتتخذ المرأة غشاء للوجه، ليس البرقع ذاته ولكن من القطعة التي تلبسها على رأسها، وأثناء غياب رجلها تقدم لنا الماء. يوجد الكرم والطيبة العربية في كل مكان، ويجعلون الطبيب يحس بأنه في بيته. إن هؤلاء الناس يعيشون إجمالا على السمك، وغالبا لا يتناولون لعدة أسابيع شيئا آخر سوى السمك والحليب. وخور صوقرة معروف في كل ساحل جنوب شرق الجزيرة العربية بأسماكه. وتأتي السفن الشراعية الصغيرة من جعلان وصور بشكل منتظم من أجل السمك. ويوجد عدد من البنادر يلتجئ إليها الصيادون للاحتماء من العواصف التي تكتسح المحيط الهندي. إنها لحقيقة ممتعة إذا عرفنا بأنه لا يوجد سوق واحد من ظفار إلى صور-

مسافة تقارب خمسمائة ميل. وتشترى المؤن بالمقايضة من السفن العابرة. فيالها من فرصة طيبة لمغامر عربي أن يتخذ سوقا في سفينة تبحر على طول الشاطئ. وإني أظن أن بائعا متجولا للإنجيل سيجمع ثروة [من ذلك النشاط] إلى جانب بيعه للأناجيل. وبالرغم من فقر السكان المحليين فهم يصرون وبسعادة على شراء الأرز والأشياء الصغيرة الأخرى من العالم الخارجي.

لقد تجولنا لمدة ثمانية وعشرين يوما زرنا خلالها البدو وعالجناهم. إنهم بدائيون وحيث يوجد اليوم معسكر أو قرية فإنك لا ترى في الغد شيئا سوى آثار تدل على سكن سابق.

لقد وصلنا خلوف في الثاني والعشرين من يناير، وهنا حَصلتْ لنا تجربة غير عادية إذ ضيفتنا شيخة. لقد أصرتْ بكل طريقة أن تقوم مقام زوجها. لقد ضُيفنا- حقا- بمظهر ملكي، وكان ممتعا أن نرى هذه المرأة العربية تدير الموقف فتصدر الأوامر وترى بنفسها بأن أوامرها قد نُفذت في بناء عريش من البسط خاص بنا. كانت ترى بنفسها أنه تُقدم إلينا القهوة المناسبة وكل شيء يُعمل من أجل راحتنا.

ومن خلوف توجهنا بقارب شراعي إلى جزيرة مصيرة. وهناك قضينا خمسة أيام سعيدة. ومساحة الجزيرة خمسة أميال في عشرة تقريبا، وهي مسكن مؤقت لشيوخ قبائل الجنبة والشافي والوهيبة. وعرفتُ في الفترة الأخيرة بأنها مركز ذخيرة للخطوط الجوية البريطانية حيث يوجد ما يقارب ألفي صفيحة بترول- كما أُخبرت. وجاء جميع سكان الجزيرة تقريبا لرؤية الطبيب ولتلقي العلاج. وأخذنا معنا عدداً من الذين احتاجوا إلى عمليات وشجعنا البعض الآخر على المجيء إلى المركز.

ولما وجدنا أن الوقت قد ضغط علينا غادرنا مصيرة في قارب شراعي وتوجهنا إلى صور. وفي صور وجدنا بلاغا ينتظرنا بالتوجه إلى مسقط فورا. لقد فعلنا ذلك، لكننا عدنا خلال أسبوع إلى صور وباشرنا العمل فيما أؤمن بأنه سيكون أكثر حقولنا الواعدة خارج مسقط في كل عمان. لقد بقينا هناك شهرا كاملا. وهكذا حاولنا خلال

كل رحلتنا من مسقط إلى ظفار، وعودة إلى مسقط (٣٠ أكتوبر إلى ٢٠ مارس) أن نعرض المسيح بالكلمة والعمل من خلال جولتنا الطبية"[١].

٢. ٣. ٤. ملخص

كان الذهاب إلى المسلم في المكان الذي يوجد فيه سواء كان البيت أم المتجر أم مقر العمل أم غيرها من الأماكن، من أهم الأنشطة التنصيرية التي قام بها أعضاء الإرسالية العربية في عمان. فتجول المنصرون- أولا- في مسقط نفسها والقرى المجاورة لها؛ من أجل قراءة الإنجيل على الناس وإلقاء الخطب في الأماكن العامة، والدعوة الفردية إلى النصرانية. ونجحوا بعد ذلك في الذهاب إلى المدن والقرى الساحلية والداخلية. فقاموا بجولات طويلة على طول خط الباطنة شمالا زاروا خلالها كل مدينة وقرية في تلك المنطقة. وقاموا أيضا بجولات على طول بحر العرب جنوبا حتى وصلوا قريات وصور ورأس الحد ومصيرة وصلالة. وعبروا الجبل الأخضر من الرستاق إلى نزوى وبهلا وتنوف. ووصلوا إلى سمائل وإزكي وجعلان.

ويهدف هذا التجوال إلى إقامة علاقات شخصية بين المنصر والمسلم المستهدف بالنصرانية. كما يهدف إلى نشر الكتب، وبث الأفكار، والتعرف على فرص التنصير المناسبة لكل مكان. ومما ساعد على قيام المنصرين بجولاتهم التنصيرية في عمان ترحيب العمانيين بالضيوف الحالين عليهم، وإحسان معاملتهم، وعدم التعرض لهم بالأذى. وتمثلت الصعاب الأساسية التي واجهتهم في هذا المجال بعدم الاستقرار السياسي للبلد، واندلاع الحروب الأهلية المهددة للسلامة العامة، وعدم تزويد مركز مسقط بالعدد الكافي من المنصرين للقيام بتلك الجولات.

---

[١] Storm, W. Harold (1933 b)، ص ٤.

٢. ٤. نشر الأدب النصراني

"إن هدفنا وخطتنا – بمشيئة الرب – أن نزود كل قرية في عمان بكلمة الرب".

بتر زويمر[١]

كان توزيع الإنجيل والكتب الدينية النصرانية الأخرى بشتى أنواعها من الأساليب التنصيرية التي أولاها عناصر الإرسالية العربية جل اهتمامهم. فافتتحوا محلا لبيع الكتب في السوق الرئيسة في مسقط، وأنشأوا مطبعة لطباعة الأدب المناهض للإسلام، ووزعوا الإنجيل والكتب الأخرى كهدايا وهبات في كل قرية ومدينة زاروها في عمان. ورأى المنصرون أن الكتاب يستطيع أن يصل إلى حيث لا يستطيع أن يصل المنصر نفسه. فيَنقُلُ أفرادُ المجتمع الكتابَ بينهم بأيديهم. ويمكن أن يقرأ الكتاب في المجالس الخاصة، والتجمعات العامة، ويبث أفكاره بين الناس بدون ضجيج، وبطريقة سلمية لا تتأتى للمُنَصِّر نفسه.

٢. ٤. ١. أساليب نشر الأدب النصراني

تمثل اهتمام عناصر الإرسالية العربية بنشر الكتب النصرانية في عمان، بمسارعة القسيس بتر زويمر في فتح متجر لبيع الأناجيل في مسقط فور وصوله إليها في صفر ١٣١١هـ/١٢ نوفمبر ١٨٩٣م. وأول إحصائية صدرت عن حجم المبيعات في هذا المحل كانت عن الفترة بين ١٥ نوفمبر و٣١ ديسمبر ١٨٩٣م وفي هذا دليل على أن فتح هذا المتجر تم بعد ثلاثة أيام فقط من وصول السيد بتر زويمر مسقط، وهي فترة قياسية لعمل ريادي.

---

[١] Zwemer, Peter, (1897 a)، ص ٧.

ويصنف الإرساليون الكتب التي يبيعونها إلى العهود والكتاب المقدس وأجزاء وأسفار وكتب دينية وكتب تثقيفية. وهذه الكتب متوفرة بلغات مختلفة تصل في بعض الأحيان إلى اثنتي عشرة لغة، منها العربية والفارسية والعبرية والإنجليزية.

وأوكلت مهمة توزيع الأناجيل وبيعها إلى أفراد متخصصين يطلق عليهم "الباعة المتجولون" (colporteur). ويشترط أن يكون هؤلاء الباعة عربا وذلك لأن مهمتهم تتطلب منهم القراءة للذين لا يستطيعون ذلك. وتوكل المهمة عندما يتعذر الحصول على هؤلاء إلى الخدم وإن لم يكونوا قارئين. فقد قام علي وهو خادم لا يعلم القراءة في ١٣١٧هـ/١٩٠٠م بجولة لبيع الكتب في بعض القرى في الداخل[١].

ويتم توزيع الكتب بأساليب متعددة. فالمتجر في وسط السوق هدفه بيع الكتب، إلا أنه يستقبل الزوار الذين يرغبون في التصفح العابر أو المتأني. وذكر أحد التقارير الإرسالية أن رجالا من مسقط يترددون على المتجر بشكل يومي. والبيع لا يتم في المتجر فقط، فالباعة المتجولون يطوفون بنسخ من الأناجيل في الطرقات، وينتقلون بها إلى القرى المجاورة، يحملونها إلى من لا يتمكنون من المجئ إلى المحل في مسقط. كما كان باعة الكتب يعرضون سلعهم على سفن الحجيج، وركاب السفن العابرة، وسفن البحرية الملكية البريطانية التي تأوي إلى ميناء مسقط في طرق رحلاتها العالمية.

وتوزع الكتب مجانا لمن لا يستطيع الشراء، وتعطى كهبات وهدايا لمن يقدم يد العون والمساعدة لعناصر الإرسالية. فقد ذكر السيد بتر زويمر- وغيره من بعده- أنه كان يقدم نسخا من العهد الجديد إلى ولاة المناطق التي يزورها- كقريات والمصنعة وصحار وغيرها- مقابل ما يلقاه منهم أثناء زيارته مناطقهم من حفاوة وكرم وحماية وعناية. كما أنه وجد- حسب ادعائه- في أهل المناطق الداخلية الذين أقام معهم علاقات صداقة أثناء جولاته وسيلة لنشر الكتاب. فكلما جاء هؤلاء إلى مسقط كان لا بد لهم من زيارة صديقهم زويمر حاملين له الهدايا من تمور

---

١ Cantine, James (1900 b)

وغيرها، وفي المقابل يزودهم هو بأعداد من نسخ الإنجيل والكتب الأخرى لتنتشر في مناطق الداخل بطريقة آلية[1]. وما فتئ عناصر الإرسالية العربية ينظرون إلى عمان على أنها حقل واعد في مجال نشر الإنجيل والكتب النصرانية الأخرى. فقد قال جيمس كانتاين: "إن الحقل هنا يبدو مفتوحا للبيع بالتجوال إلى درجة أنه ستكون خسارة كبيرة إن لم نستغل الفرصة"[2].

وفي إطار سعي المنصرين لنشر كتبهم الدينية خارج إطار مسقط وتوصيله إلى سائر المدن والقرى العمانية، استأجرت الإرسالية في ١٣٢٤هـ/ربيع ١٩٠٦م متجرا في مدينة نخل وخصصته لبيع الإنجيل، وغيره من الكتب النصرانية على غرار متجر مسقط. وقد أُوكلت مهمة البيع في هذا المتجر إلى بائع الأناجيل إبراهيم موسخوف الذي أنتقل بأسرته لقضاء فترة صيف ذلك العام في تلك المدينة. على كل حال، لم يتمكن هذا المتجر من أداء هدفه الذي خطط له المنصرون، حيث كان مصيره الإغلاق بعد فترة قصيرة من افتتاحه بسبب معارضة أهل المدينة لوجود متجر معاد للإسلام بينهم[3].

٢. ٤. ٢. إنشاء أول مطبعة في عمان

و في إطار عملية نشر الأدب النصراني وتوزيعه حدثت نقلة عظيمة في عمل الإرسالية في مسقط، وذلك بشراء مطبعة في جمادى الأولى ١٣١٣هـ/نوفمبر ١٨٩٥م خصصت لطباعة النشرات والمقالات والكتيبات والبطاقات النصرانية[4]. وبيَّن السيد جيمس كانتاين هدف تلك المطبعة بقوله: "عندما اشترينا هذه المطبعة كانت خطتنا أن نقوم بطباعة الأدب المكتوب بالعربية، والمحظور طباعته في الأماكن الأخرى"[5].

---

١ Zwemer, Peter (1897 b)

٢ Cantine, James (1900 a)، ص ٥.

٣ Cantine, James (1906 b)

٤ Zwemer, Peter (1895 c)

٥ Cantine, James (1899 a)، ص ٤.

وكان بتر زويمر يأمل أن تكون هذه المطبعة استثمارا جيدا في مستقبل العمل التنصيري في عمان وذلك حسب قوله: "بسبب الحرية التي نتمتع بها هنا في طباعة الأدب المناهض"[1]. وقد مَنَحَ مجلس الإرسالية في اجتماعه السنوي الذي عقد في البصرة في رمضان ١٣١٧هـ/بين ٧- ١٣ يناير ١٩٠٠م الصلاحية لمركز مسقط في استخدام جزء من مخصصات المطبعة في شراء الكتب المناهضة للإسلام لنشرها محليا[2].

وصدر أول تقرير عن نشر إرسالية مسقط لمطبوعات مناهضة للإسلام في عدد أبريل- يونيو ١٨٩٦م من دورية الإرسالية (Neglected Arabia). حيث كتب بتر زويمر في ذلك العدد قائلا: "لقد استطعنا في هذا الربع أن نترجم ونطبع كتيباً مناهضاً [للإسلام]. إنها ليست عينة لمطبوعة أو للغة عربية صحيحة أكثر من كونها إثباتاً بأنه في مكان واحد على الأقل في الأرض الإسلامية توجد مطبعة لإرسالية واحدة يمكنها أن تصدر أدباً معادياً للإسلام بدون أي عائق أو إعاقة. إن الكتيب كان ترجمة لعمل القسيس روز (Rev. Rouse) "عيسى أو محمد، على من ستعتمد؟" (Jesus or Mohammed; on whom will you rely?) الذي نشرته بالإنجليزية "جمعية الأدب المسيحي"(Christian Literature Society) في مدراس. إننا نأمل أن تثبت مطبعتنا- بمساعدة واحد أو اثنين من المعاونين- أنها ذات فائدة في الطبع، خاصة، لمثل هذا الأدب المناهض الذي نحن أو غيرنا من الإرساليين بحاجة لنشره، ومحظور في الأماكن الأخرى". وأشار السيد زويمر في تقرير أكتوبر- ديسمبر ١٨٩٧م إلى أنهم طبعوا ٦٠٠ نسخة من هذا الكتاب، وتم توزيعها بعناية على من يصفهم "بأكثر العقول حرية".

إلا أن هذا المنشور قوبل بمعارضة شديدة. ورُفع الأمر إلى السلطان فطلب بدوره من القنصل الأمريكي منع السيد زويمر من توزيعه ومصادرة النسخ المتبقية

---

[1] Zwemer, Peter (1897 a)، ص ٨.

[2] Barny, F. J (1900)

وحرقها. ويقول بتر زويمر عن ذلك الإجراء: "لقد تُرجمتْ إلى العربية منذ فترة مقالة كتبها الدكتور روز عنوانها "عيسى أو محمد" وقد نجحنا في طباعة ٦٠٠ نسخة منها. إن المقالة تتحدث بوضوح عن خطيئة محمد بالمقارنة بطهر المسيح وتستشهد بالقرآن لإثبات ذلك. لقد كنا حذرين في توزيع المقالة؛ وذلك بإعطائها إلى أكثر العقول تحررا. إلا أنها أثبتت أنها صعقة قوية لبعض المتشددين من الشيعة والوهابية. وحُملتْ نسخة من المقالة إلى السلطان، وقُرأت في القصر. ونتيجة الإفصاح عن أن المقالة قد تؤدي بي إلى الخطر طلب السلطان من القنصل الأمريكي أن يحظر توزيعها، وأن يحرق نسخها المتبقية. لقد كنا مُلزَمين بالانقياد للطلب السابق، فأوقفنا توزيع المزيد منها. وبالتأكيد فإنه بمحتويات هذه المقالة قد تم إيقاظ الاهتمام العظيم، وربما لم يُبع مقال أو كتاب في متجرنا، وقرأ في كل مكان في مسقط وعمان كما قُرأت هذه المقالة المقتضبة للدكتور روز حول تفوق المسيح على محمد. قد يكون من غير الحكمة أن نجعل أول منشورة لنا تتحدث بهذه الدرجة من الوضوح، ولكن ليس لدينا شك بأن الحادثة قد أنجزت أمرا طيبا"[1].

على أي حال، لم تحقق مطبعة الإرسالية في مسقط نجاحا كبيرا في مجال طباعة الكتب والمنشورات المناهضة للإسلام كما خُطط لها؛ وذلك لأن مثل تلك المواد كانت تطبع بحرية تامة وبتكلفة أقل في مصر- الواقعة آنذاك تحت حكم المستعمر الإنجليزي. لذا فقد فضل عناصر الإرسالية الأمريكية شراء نفس المنشورات من مصر على طباعتها في مسقط. وحينئذ تقرر بيع المطبعة الكبيرة التي كان وجودها يتطلب مبنى مستقلا واستبدالها بمطبعة صغيرة تفي بالاحتياجات الإدارية للمركز[2].

---

[1] Zwemer, Peter (1897 c)، ص ١٠.

[2] Cantine, James (1899 a)

٢. ٤. ٣. التحول إلى مكتبة عامة

استمر متجر بيع الأناجيل في سوق مسقط في أداء دوره التنصيري بشكل عادي. وفي ١٣٨٨هـ/١٩٦٨م حدث تغير نوعي على متاجر الإرسالية في الخليج بشكل عام، بما فيها متجر عمان. فقد سرى في ذلك العام انطباع لدى عناصر الإرسالية بأن مكتبة عامة تباع فيها كتب ذات مواضيع عامة إلى جانب الإنجيل، وكتب الأدب النصراني الأخرى سيكون لها دور تنصيري أقوى من دور المتاجر التقليدية الحالية. وأدى إلى ظهور هذا الشعور النجاح الذي حققته "المكتبة العامة" التي أفتتحها في البحرين الإرسالي الدانماركي جان بيدرسن (Mr Jan Pedersen) صاحب الخبرة الطويلة في مجال بيع الكتب[١]. وقد طُبقت الفكرة الجديدة أول الأمر في الكويت على يد المنصر هارفي ستال (Harvey Staal) وزوجته هلدا (Hilda). وأُنشئت المكتبة الجديدة ذات الواجهة الزجاجية الكبيرة والمضاءة بمصابيح النيون في الموقع الذي كان يشغله مستشفى الإرسالية المسمى "مستشفى أولكوت التذكاري للنساء" (Olcott Memorial Hospital) في منطقة مطلة على شاطئ الخليج في الكويت. ورأى السيد ستال أن مسمى "المكتبة العامة" المستخدم في مكتبة البحرين يفتقر إلى شيء ما، فقرر بالتعاون مع زميله الكويتي يعقوب شمَاس تغيير الاسم إلى "مكتبة العائلة" على أمل أن لا يمنع هذا الاسم أي مسلم من الدخول إلى المحل. ولاحظ السيد ستال أن المكتبة الجديدة باعت في الشهر الأول من عمرها ما لم يبعه متجر بيع الأناجيل التقليدي في السوق القديمة خلال عدة سنوات[٢].

وهكذا وصلت الصيحة الجديدة إلى متجر مسقط، وهيأه لدوره الجديد التحسيناتُ التي أُدخلت عليه أثناء إعادة بنائه على يد المنصر جي كابنجا (Jay Kapenga) في ١٣٨٦هـ/١٩٦٦م، الذي كان يهدف إلى رفع كفاءة المحل كأداة

---

[١] Scudder, Lewis R (1998)

[٢] Scudder, Lewis R (1998)

تنصيرية في مسقط. ومن أجل ضمان نجاح الفكرة الجديدة أُسندت إدارة المكتبة في مسقط في البداية إلى جف جاردن (Jeff Gardn) صاحب الخبرة الطويلة في إدارة الأفكار المبتكرة. إلا أن التحول من المتجر التقليدي، الذي يجد فيه المنصر فرصة للجلوس إلى المسلم الزائر في جو غير رسمي تدار فيه أطراف الحديث، إلى جو "مكتبة العائلة" بالمواصفات الجديدة أعاق الدور المعهود للمحل. وشعر وادي وربيعي المكلفان بالبيع بخيبة الأمل والارتباك. فقد وجدا نفسيهما أمام سيل من الأعمال الكتابية، وتدوين البيانات، وعمليات العرض والصف التي تُؤدى على حساب الجلوس مع مرتادي المكان والتحدث معهم. ووجد المُنصر كابنجا الذي أُعيدت إليه إدارة المكتبة مرة أخرى في ١٩٦٩م أن الوضع الجديد لا يخدم الدور التنصيري الذي من أجله أُنشئت المكتبة. فالوجود البارز للإنجيل في المتجر التقليدي غطت عليه الآن أكوام من الكتب المنشورة باللغة الإنجليزية، وبطاقات التهنئة بعيد رأس السنة وأعياد الميلاد، وقرطاسيات من كل الأحجام والألوان التي لا تخدم إلا القارئ الأجنبي الذي يتحدث اللغة الإنجليزية. ووجد كابنجا كذلك أن المساحة التي كانت تسمح بالجلوس والتحدث داخل المكتبة قد شغلتها الآن أرفف تعرض فيها مواد لا علاقة لها بالنصرانية[1].

ومع بداية ١٣٩٤هـ/١٩٧٤م بدأت الكنيسة المصلحة الأمريكية والجمعية الإرسالية الدانمركية (Danish Mission Society)- المالكان لمجموعة مكتبة العائلة- البحث عن شريك قِطْرِيٍّ في الشرق الأوسط للتشارك معهما في مجال النشر في المنطقة. وعُرضت الفكرة على "مجلس الشرق الأوسط للكنائس" (Middle East Council of Churches) حديث الإنشاء، إلا أن المجلس أحجم عن المشاركة بسبب كثرة التزاماته. وأخيرا سُجلت المكتبة في يونيو ١٩٧٤م في لبنان كشركة لبنانية محدودة المسؤولية باسم "مجموعة مكتبة العائلة". وامتلكت "الكنيسة المصلحة الأمريكية" و"الجمعية الإرسالية الدانمركية" ٤٩ سهما لكل منهما من

[1] Scudder, Lewis R (1998)

مجموع أسهم الشركة البالغة ١٠٤ سهماً. ولكي تتأهل المجموعة لأن تكون شركة لبنانية أُعطي سهمان إلى اثنين من رجال الأعمال اللبنانيين النصارى بواقع سهم لكل واحد منهما، وامتلك السهمين المتبقين رفيق حبيب الذي أوكلت إليه إدارة الشركة[١].

وبدأ اهتمام "مجلس الشرق الأوسط للكنائس" بمكتبة العائلة عندما تسلم جبريل حبيب منصب السكرتير العام للمجلس في ١٣٩٧هـ/١٩٧٧م. وتنازلت بعدئذ كل من الكنيسة المصلحة الأمريكية والجمعية الإرسالية الدانمركية عن سبعة عشر سهما من أسهم كل منهما في الشركة لصالح المجلس. وقد أَعطى ذلك الإجراء المجلسَ السيطرة على الشركة بامتلاكه أربعة وثلاثين سهما من حصص الشركة. وتنازلت الكنيسة المصلحة الأمريكية والجمعية الإرسالية الدانمركية مرة أخرى عن أحد عشر سهما من حصصهما في الشركة لصالح المجلس. وفي ١٤٠٢هـ/١٩٨٢م تنازلت الكنيسة المصلحة الأمريكية والجمعية الإرسالية الدانمركية بالكامل عن أسهمهما لصالح المجلس[٢].

وفي الوقت الذي تخلت الكنيسة المصلحة الأمريكية والجمعية الإرسالية الدانمركية عن حصصهما في مجموعة مكتبة العائلة استمرتا في دعم المكتبة بالموظفين. كما تلقت المكتبة الدعم في سلكها العامل من كل من "الهيئة الأنجليكانية للتبشير الكنائسي" (Anglican Church Missionary Society) و"هيئة التبشير السويدية" (Swedish Missionary Society) و"هيئة التبشير الفنلندية" (Finish Missionary Society)[٣].

كما قام "مجلس الشرق الأوسط للكنائس" بمد فروع مكتبة العائلة إلى دول غير التي كانت تقوم فيها مكاتب بيع الأناجيل التابعة للإرسالية العربية. فقد أصبح

---

[١] Scudder, Lewis R (1998)

[٢] Scudder, Lewis R (1998)

[٣] Scudder, Lewis R (1998)

لمكتبة العائلة فروع في كل من دولة الإمارات العربية المتحدة وقطر والسودان ولبنان وسوريا ومصر[1].

وانتُقد مجلس إدارة المكتبة من قبل بعض الهيئات النصرانية بمحاولته منذ ١٩٨٢م الابتعاد بالمكتبة عن دورها التقليدي في العملية التنصيرية بانتهاج نهج علماني. وكما جاء في كتاب "قصة الإرسالية العربية" "The Arabian Missions Story" فإن مجلس كنائس الشرق الأوسط قد قام إثر تلك الاحتجاجات بجهود للعودة بالمكتبة إلى التزاماتها التنصيرية السابقة[2].

٢. ٤. ٤. ملخص

كان نشر كتب الأدب النصراني بمختلف مواضيعها أحد الوسائل التي اعتمدتها الإرسالية العربية في نشاطها التنصيري في عمان. واتضح الاهتمام بهذا الجانب بمسارعة المنصر بتر زويمر فور وصوله عمان في ١٣١١هـ/١٨٩٣م إلى افتتاح متجر لبيع الأناجيل في وسط السوق الرئيسة في مسقط. لم يكن دور ذلك المتجر مجرد البيع من أجل الربح المادي، بل كان يشكل بؤرة لالتقاء المنصر بالمسلم المُستهدَف في جو غير رسمي يتم فيه تبادل الحديث ونقل الأفكار. ونُشرت الكتب أيضا عن طريق الجولات التنصيرية خارج إطار مسقط، حيث كانت تُوزع بالبيع أو الهبة. وأوكلت مهمة بيع الأناجيل إلى أفراد مخصصين لهذه المهمة، ينتمون إلى النصرانية ويتحدثون اللغة العربية، يؤتى بهم من الأقطار العربية التي توجد بها مجموعات نصرانية، كالموصل وماردين. كما حاولت الإرسالية زيادة عدد متاجرها في عمان بافتتاح متجر لبيع الأناجيل في مدينة نخل في ١٣٢٤هـ/١٩٠٦م، إلا أن تلك الخطوة لم يكتب لها النجاح نتيجة اعتراض الأهالي عليها. وفي ١٣٨٧هـ/١٩٦٨م حُوِّل متجر بيع الأناجيل إلى مكتبة عامة، ثم نُقلَ تدريجيا إلى

---

[1] Scudder, Lewis R (1998)

[2] Scudder, Lewis R (1998)

ملكية "مجلس الشرق الأوسط للكنائس" حيث أصبحت هذه المؤسسة النصرانية الشرق أوسطية مع عام ١٤٠٢هـ/١٩٨٢م تمتلك جميع أسهم المؤسسة التي أصبحت تعرف باسم "مكتبة العائلة".

٢. ٥. المرأة[1]

"في أيام محمد وبعد معركة خيبر، قامت زينب اليهودية، التي ذُبح بكل قسوة عدد كبير من قومها، عندما أعدت أكلا لمحمد ورجاله بوضع السم في الشاة فكان ذلك سبب وفاة النبي. ويقول البعض إن [محمدا] لم يشف تماما من أثر السم، فكان سببا غير مباشر في موته. ويبدو لنا نحن اللائى عشنا وعملنا في أرض النبي الكاذب أن دينه سينال صفعته المميتة، فقط، عندما تَهبُّ النساء المسيحيات إلى واجبهن"

المنصرة ماريون ولز تومس (Mrs Marion Wells Thoms)[2].

أولى عناصر الإرسالية العربية العاملين في عمان المرأة العمانية جل العناية والاهتمام في نشاطهم التنصيري. وبالرغم من استهداف الإرسالية العربية المجتمع العماني بأكمله، إلا أن العمل التنصيري من أجل المرأة حَمَل بعض الخصوصيات

---

[1] أضافت الهيئات التنصيرية البروتستنتية بعدا آخر إلى البنية التنصيرية، وذلك بإدخالها العنصر النسائي في مجال التنصير. فقد دأبت الكنيسة الكاثوليكية على إمداد الحقل التنصيري بما يحتاجه من منصرين من الرجال بدون إقحام النساء في ذلك، وعندما بدأت الكنيسة البروتستنتية المشاركة في التنصير أخذ المنصرون البروتستنت زوجاتهم معهم للعمل فيما وراء البحار وكانت هذه الزوجات تشارك بشكل رسمي في العمل التنصيري. وازداد عدد النساء العاملات في مجال التنصير بشكل ملاحظ منذ عام ١٨٦٥م. وباعتبار أن النساء المتزوجات كانت تضطر لتقسيم أوقاتهن بين إدارة الشؤون المنزلية، والقيام بالعمل التنصيري المطلوب مما يؤدي إلى الإخلال بالعمل التنصيري، فإن الحاجة دعت إلى تجنيد غير المتزوجات للتفرغ تفرغا كاملا لهذا العمل. وكانت الآنسة اليزابث جي دبري (Miss Elizabeth G Depree) أول امرأة غير متزوجة تلتحق للعمل في حقل الإرسالية العربية الأمريكية في الخليج وذلك في عام ١٩٠٢م. وشكل التحاقها تغيرا في سياسة الإرسالية تجاه المنصرات غير المتزوجات. وبلغ عدد النساء البروتستنتيات المتزوجات العاملات فيما وراء البحار في ١٩٥٦م،مثلا، ٦٣٠٠ امرأة وعدد غير المتزوجات ٤٠٥٥ امرأة. وأدى إدخال المرأة في العمل التنصيري إلى سهولة الوصول إلى النساء خاصة في الشرق الأوسط وآسيا حيث لا يسمح المجتمع للرجال الأجانب بالولوج إلى النساء. وكانت المرأة المنصرة وخاصة غير المتزوجة تقوم بكل ما يقوم به الرجال المنصرون من أعمال. وساهمت بشكل خاص في مجال التعليم والطب حيث أنشئت بعض المؤسسات التعليمية التي تديرها منصرات. لذلك فإنه ليس من سبيل الصدفة، على سبيل المثال، أن تكون حتى الحرب العالمية الثانية جميع المرضات في الهند من الشابات النصرانيات و٥٠٪ من الأطباء في بعض الدول الآسيوية من النساء، Hogg, W. Richie (1977) و Mason, Alfred De Witt (1926)

[2] Thoms, Marion Wells (1903)، ص ٢١.

التي ميزته عن العمل التنصيري العام. ولعل بعض تقارير المنصرين (على سبيل المثال، تقرير عام ٣٠-١٩٣١م و١٩٤٠م) التي يفصلون فيها الحديث عن النشاط بين الرجال من الحديث عن النشاط بين النساء تبرز النظرة الخاصة التي نظرها المنصرون إلى المرأة المسلمة. لذا فقد التحق بمركز الإرسالية في مسقط عدد من المنصرات اللاتي تخصصن في العمل التنصيري في الوسط النسائي. وأنشأت الإرسالية مستشفى خاصا للنساء في مسقط.

٢. ٥. ١. المرأة المسلمة في أعين المنصرين

نبع اهتمام المنصرين البالغ بموضوع تنصير المرأة المسلمة؛ بسبب مكانتها الحساسة في التركيبة المجتمعية، ودورها الخطير في التأثير والتأثر التربوي والثقافي والاجتماعي. وقد أكد المنصرون على هذه النقطة في مؤتمر القدس العام الذي عقد في شعبان ١٣٤٢هـ/بين ٣-٦ أبريل ١٩٢٤م وجاء في التقرير النهائي منه: "بسبب الحقيقة ذات الأهمية الكبيرة وهي أن للمرأة تأثيراً على الأطفال، بنين وبنات، وحتى ما يقارب سن العاشرة،، وأن النساء يشكلن العنصر المحافظ في الدفاع عن الإيمان، فإننا نعتقد بأنه على المبشرين أن يعطوا عناية أكثر للعمل من أجل النساء المسلمات كوسيلة من أجل الإسراع بتحويل الأرض الإسلامية"[١].

لم يهتم عناصر الإرسالية العربية كثيرا بدراسة مصادر التشريع الإسلامي: القرآن والسنة، للتعرف على ما تحويه من أحكام عن المرأة. وحتى كتابات القسيس صامويل زويمر عن المرأة المسلمة كانت ضيقة ومحدودة. وما كتبه زويمر حول هذا الموضوع لم يعد أن يكون تهجما مدفوعا باعتبارات ذاتية بعيدة عن منهج الكتابة العلمية. فعلى سبيل المثال في انتقاص مكانة المرأة في الإسلام، تطرق زويمر في إحدى كتاباته إلى لفظة "النكاح" الواردة في عدة مواضع في القرآن واعتبرها مثالا

---

[١] Zwemer, Am E and S. M. (1926)

على النظرة غير السوية للعلاقة بين الرجل والمرأة في القرآن. فزويمر يرى بأن تلك الكلمة: "تعبير وقح لم يَعُد يستخدم في المجتمع المهذب، حيث أنها تعبر بشكل أساسي عن الجانب الفيزيائي للزواج"[1]. وشكل فهم المنصرين لبعض الأحكام الإسلامية التي يرونها تمارس بوضوح في المجتمع، كالطلاق وتعدد الزوجات وسهم المرأة في الإرث المدخل للطعن في الإسلام فيما يتعلق بمكانة المرأة في الإسلام.

وبشكل عام انطلقت أحكام المنصرين على المرأة المسلمة من خلال سلوكها وواقعها الاجتماعي بغض النظر عن مدى قرب ذلك السلوك والواقع أو بعده من تعاليم الإسلام وأحكامه. وفي جميع الأحوال يلقي المنصر اللوم على الإسلام إذا لاحظ من المرأة أو من المجتمع تجاه المرأة ما لا يناسب ذوقه أو ثقافته. وكثر في كتابات المنصرين النقد الموجه إلى الإسلام؛ بسبب ممارسة المسلمين بعض الأمور التي لا صلة لها بالإسلام، أو مخالفتهم للإسلام في بعض أحكامه. فعلى سبيل المثال، كتبت المنصرة فاني لتون معلقة بعد أن استجابت لدعوة قدمتها إليها بعض النساء المسقطيات لمشاركتهن في إحدى طقوس النذر التي جرت وقائعها في أحد البيوت الخربة في سداب، حيث كانت توجد ثلاثة أضرحة، قالت الآنسة لتون: "إن نبيهن ميت، ودينهن أيضا ميت، وهن كذلك ميتات في الآثام والخطايا. إني أطلب منكم أن تصلوا لأجلهن ولأجل الإرساليين الذين يعملون بينهن. عسى الرب والروح القدس أن يوقظ هذه الأرواح الميتة حتى تحيا وتعبد النبي الحي الطاهر، ابن الرب المخلص والمنقذ الذي وعد أولئك الذين يحبونه "ما سألتم شيئا باسمي إلا فعلته"[2]. لقد حرم الإسلام مثل هذه الممارسات إلا أن الآنسة لتون لم تلق اللوم على تلك النساء الجاهلات بأحكام دينهن أو المخالفات له، بل ألقت اللوم على الإسلام وتعاليمه[3].

---

[1] Zwemer, Am E and S. M. (1926)، ص ٤٠.

[2] Lutton, Fanny (1911)، ص ٦.

[3] ثم ما هو الفرق بين ما قامت به تلك النسوة، وما تريد المنصرة فاني لتون القيام به. كانت تلك النساء تقوم بدعوة صاحب الضريح أن يقضي لهن حوائجهن، وذلك بسبب ظنهن الخاطئ والفاسد بأن ذلك الميت بيده قضاء الحوائج. أما المنصرة لتون

كما ذكرت الطبيبة سارة هوسمون معلقة على الحديث الذي يدور في مجالس النساء في مسقط قائلة: " يجعلني الجلوس مع النساء في بيوتهن، والاستماع إلى محادثاتهن أشعر بالاستياء. إنهن غالبا يتحدثن عن كيف أن هذا الرجل طلق زوجته، أو أن ذلك تشاجر، ثم عن تشاجرهن أنفسهن، أو كم على هذا وهذا أن يدفع حتى يحصل على امرأة معينة زوجة له. إنه يبدو وكأنهن يضعن أسعارا للمرأة، كما نفعل نحن للحصان أو البقرة. إنه فعلا تحدث حالات هنا في مسقط حيث تُستأجر الزوجات للتوافق مع الوضع المالي للرجل. إن فسوقا قبيحا ومستمرا يتفشى في جميع طهر الحياة البيتية. وأعتقد أن الطريق الوحيد لتلخيص كل ذلك في الكلمات التالية "انحلال أبدي""[1].

وعبرت إحدى المنصرات عن انطباعها عن المرأة المسلمة في شبه الجزيرة العربية قائلة: "إن المرأة المحمدية، مع بعض الاستثناء، غير قادرة على التفكير المستقل. لقد أصيب وعيهن وأصيبت قلوبهن بالضمور. ويشكل الأكل والشرب والنوم والقيل والقال غير المفيد كل وجودهن"[2].

وكثر في مقالات المنصرات اللآتي عملن في عمان الحديث عن هذه المرأة التي طلقها زوجها، أو تلك التي زُوجت شخصا لا ترغب فيه، أو أخرى تزوجت وهي

نفسها فتريد منهن بدل سؤال ذلك الميت أن يسألن المسيح عيسى ابن مريم- عليه وعلى أمه سلام الله- أن يقضي لهن حوائجهن. فيا سبحان الله، ما الفرق بين ما يقمن به وما تدعوهن إليه المنصرة؟! أليس في ذلك تشابه بين العقيدتين؟ وهل عيسى بن مريم إلا عبد لله لا يملك لأحد نفعا ولا ضرا، مثله كمثل ذلك الشخص الذي في الضريح. فأين إذا الصلاح والهداية في ديانة المنصرة التي تدعو المسلمين إليها؟ نعم، والله إنها دعوة إلى ضلالة. وإن دلت على شيء فإنما تدل على أن الناس في هذا الزمن بحاجة إلى الإسلام أكثر من أي زمن آخر. إنهم بحاجة إلى دين الله حتى يصحح المسلمون ما علق في أذهانهم من لبس؛ نتيجة القرون المظلمة التي مرت بهم وأبعدتهم عن نور الإسلام. إنهم بحاجة إلى الإسلام؛ حتى يترك أصحاب الديانات الموضوعة والعقائد الفاسدة ما هم عليه، ويعودوا إلى طريق ربهم المستقيم. يقول الله سبحانه وتعالى ﴿قل ادعوا الذين زعمتم من دون الله لا يملكون مثقال ذرة في السموات ولا في الأرض وما لهم فيهما من شرك وما له منهم من ظهير﴾ سورة سبا الآية ٢٢.

[1] Hosmon, Sarah (1916)، ص ٥.

[2] Chamberlain, Mrs. W. I (1925)، ص ١٠٨.

لا تزال في سن الطفولة، ونحوها من المواضيع التي تعبر عن وضع اجتماعي ناتج عن مخالفة تعاليم الإسلام وقيمه، وليس العكس[1].

ومن خلال تلك الملاحظات استنتج المنصرون أن سلوك المرأة العمانية في كثير من الجوانب يعبر عن عدم رغبتها في تطبيق الإسلام وأحكامه، وبالتالي سهولة تحويلها إلى الديانة النصرانية. فقد قال القسيس ويرزم (Wiersum) "منظر مسر، بالرغم من أنه منظر يصعب فهمه في ضوء تعاليم القرآن. إنه منظر النساء غير المتخمرات. إن هذا يظهر أن الإسلام هنا لا يملك السيطرة على هؤلاء الناس كما يفعل في أماكن أخرى"[2].

٢. ٥. ٢. المُنَصِّرات

و أدرك المنصرون بعد استقرارهم في المنطقة أن تنصير المرأة المسلمة لا يتحقق إلا على أيدي النساء، وذلك بسبب الصعوبة التي وجدوها في التعامل مباشرة معها في مجتمع يضع كثيرا من الضوابط لعلاقة الرجل الأجنبي بالمرأة الأجنبية.

لذا كانت المنصرة مارجريت بارني (Mrs. Margaret Rice Barny) زوجة القسيس فرد جي بارني (Rev. Fred J. Barny) أول المنصرات اللائى انضممن إلى مركز الإرسالية في مسقط وذلك في ١٣١٦هـ/أواخر ١٨٩٨م. إلا أن المصادر لم تذكر شيئا عن النشاط الذي قامت به في تلك الفترة؛ ربما بسبب نشاطها التنصيري المحدود. فمن ناحية قضت السيدة بارني فترة قصيرة في مسقط حيث اضطرت في العام التالي، ١٣١٧هـ/١٨٩٩م، إلى المغادرة إلى الهند بسبب تدهور صحتها وصحة

---

[1] على سبيل المثال: انظر مقالي السيدة بول هارسون:
Harrison, Mrs Paul W (1933) "Finding Faith in Matrah", In Neglected Arabia No 165, pp 9-12. و (1935) Finding Faith in Matrah, No 173, pp. 8-10. و
كذلك احتوى كتاب المرضة جانييت بيورسما، (١٩٩١)(Boersma Jeanette) "Grace in the Gulf" الكثير من مثل هذه الحكايات.

[2] Wiersum, H. J. (1900)، ص ٩.

زوجها. ومن ناحية أخرى كان عليها أن تقضي فترة في تعلم اللغة العربية قبل الشروع في الأنشطة التنصيرية[1]. وإلا فإن دور السيدة بارني في مجال التنصير النسائي كان كبيرا عندما عادت مرة أخرى للعمل في عمان بين ١٣٢٩هـ/١٩١١م و١٣٤٨هـ/١٩٣٠م.

وبالرغم من أن النساء اللاتي عملن في صفوف الإرسالية كانت من المتزوجات والعازبات في آن واحد إلا أن أعضاء الإرسالية فضلوا أن تكون تلك النساء غير متزوجات؛ وذلك لكي يتفرغن للعمل التنصيري تفرغا كاملا. فقد ثبت لهم أن النساء المتزوجات لا تستطعن أن تعطين العمل التنصيري العطاء التام بسبب انشغالهن بمسؤولياتهن المنزلية. ويؤكد الإرساليون أن المنصرات غير المتزوجات لا تواجههن مشاكل ذات طابع خاص في شبه الجزيرة بسبب وضعهن الاجتماعي، بل إن الظروف أقل صعوبة للمنصرات العازبات منها للمتزوجات[2]. لذا فقد التحقت بمركز الإرسالية في مسقط في الربع الأول من ١٩٠٨م الآنسة ولتردنك(Miss. Wilterdink) أول منصِّرة غير متزوجه. إلا أنه كان على الآنسة ولتردنك أن تقضي السنة الأولى في تعلم اللغة العربية، وعليها أن تنتظر حتى العام التالي حتى يسمح لها بمباشرة العمل التنصيري. وكان عدم وجود مدرس مؤهل سبب في الصعوبة التي واجهتها الآنسة ولتردنك في تعلم اللغة العربية[3].

وبدأ النشاط التنصيري النسائي الفعلي عندما انضمت إلى مركز مسقط في الربع الأخير من ١٩٠٤م السيدة اليزابث كانتاين (Mrs. Elizabeth Cantine) زوجة السيد جيمس كانتاين. فبوصولها أُستهدفت المرأة المسلمة في عمان استهدافا مباشرة في العملية التنصيرية.

---

١ Mason, Alfred De Witt (1926)

٢ Cobb, Henry N. (1902)

٣ Cantine, James (1908)

لذا فقد رفعت السيدة كانتاين أول تقرير عن أعمالها التنصيرية في عمان في ١٣٢٢هـ/عدد أبريل- يونيو ١٩٠٥م الذي حمل عنوان "أول جولة بين نساء عمان" "A First Tour Among The Women of Oman". حيث كتبت عن الجولة التي قامت بها برفقة زوجها وبائع الأناجيل إبراهيم، وخادمهم علي، مستهدفة بعض القرى الواقعة خارج إطار مسقط. فقد بدأت الجولة بقرية الغبرة، ولاية بوشر حاليا، حيث تجولت بين بيوت القرية بصحبة زوجة أحد أصحاب باعة الأناجيل والتقت نساء القرية. ثم انتهت الجولة في قرية حمام، ولاية بوشر، حيث نزلوا ضيوفا على شيخ القرية. والتقت السيدة كانتاين بنساء قرية حمام اللاتي، حسب ما ذكرت، قد ابتعدن عنها في بداية الأمر لظنهن أنها رجل بسبب ملابسها البيضاء، إلا أنهن أبدين لها من الترحاب والقبول بعد ذلك الشيء الكثير. وقد اختتمت السيدة كانتاين تقريرها قائلة: "إن شيئا واحدا أقلقني باعتبار أن النساء لم تر امرأة بيضاء من قبل فقد يكن خائفات مني أو لا يرغبن في القيام بأي شيء معي، لكني وجدت أن منصّرينا وباعة الأناجيل قد مهدوا السبيل قبل ذلك. ففي جولاتهم السابقة فازوا بثقة الناس واحترامهم، لذا فإن النساء استقبلنني بحفاوة وأتمنى أن أزورهن مرة أخرى ليست ببعيدة"[١].

٢. ٥. ٣. النشاط التنصيري النسائي

و تمثل النشاط التنصيري الذي استهدف المرأة ابتداء من التحاق السيدة اليزبث كانتاين بمركز مسقط وحتى عام ١٣٩٠هـ/١٩٧٠م في الطب، والتعليم، وتبادل الزيارات، وعقد جلسات أسبوعية أُطلق عليها "المجلس". أما على مستوى النشاط الطبي فقد بدأ عندما وضعت السيدة كانتاين بعض المواد الطبيبة في إحدى زوايا مركز الإرسالية في مسقط، وأخذت تقدم الأدوية والخدمات العلاجية البسيطة للجيران. ثم تطور النشاط الطبي المستهدف للمرأة؛ وذلك عندما جمعت السيدة

---

[١] Cantine, Elizabeth (1905)، ص ١٠.

كانتاين وزوجها جيمس من خلال حملة قاما بها في الولايات المتحدة الأمريكية مبلغ ١٣٠٠ دولار خصصته لإنشاء مستوصف للنساء في مسقط. وافتُتح هذا المشروع الذي أُطلق عليه "مستوصف مسقط النسائي" في ١٣٣١هـ/١٩١٣م، وتكون من غرفة علاج وأدوية، وغرفة عمليات، وجناح مكون من ثمانية أسرّة بالإضافة إلى شرفة. وتمكن هذا المستشفى من البقاء كأداة تنصيرية في المدينة نتيجة تزويده بعناصر تنصيرية متحمسة للعمل بين النساء المسلمات كمثل الطبيبة سارة هوسمون، والممرضة ميري الهندية الجنسية، والممرضة جانيت بورسما، والطبيبة ألس فاندر زوانج وغيرهن. ويصعب الفصل بين الدور التنصيري للنساء اللاتي عملن في هذا المستشفى، ووظائفهن التخصصية. فالطبيبة مثلا كانت تقوم بمعالجة المريضات إلا أن دورها كان أيضا يشمل دعوة المريضة إلى النصرانية.

أما التعليم فقد بدأت نواته عندما افتتحت السيدة كانتاين في شوال ١٣٢٣هـ/ديسمبر ١٩٠٥م فصلا دراسيا لتعليم الخياطة والتطريز، استهدفت به النساء والفتيات القاطنات في مسقط. ولكي تجتذبهن أكثر وعدت السيدة كانتاين كل واحدة منهن أن تحمل قطعة الصوف التي تنتهي من تطريزها إلى بيتها لتستخدمها لحافا في فصل الشتاء. وذكر السيد كانتاين الهدف من ذلك قائلا: "في هذه الألحفة توجد مربعات تحتوي على صليب أو نجمة أو صُوَر أخرى يمكن أن تَستدعي وترسخ في أذهانهن قصص الإنجيل التي حُدّثن عنها"[1].

أما تبادل الزيارات مع نساء المجتمع المحلي فقد تمثلت في سياسة الإرسالية في فتح المنصرات بيوتهن لاستقبال المرأة المسلمة في أي وقت، والسماح لها بالاطلاع على كل محتويات البيت وجزئياته، والتعرف على الحياة الخاصة للمنصرة. كما كان على المنصرة أن تقوم بزيارة النساء المسلمات في بيوتهن. وكانت السيدة كانتاين أول من بدأ تطبيق هذه السياسة مع المجتمع النسائي في مسقط. وحسب ما ذكر زوجها في أحد تقاريره فإن السيدة كانتاين قد زارت جميع البيوت في

---

[1] Cantine, James (1905 b)، ص ١١.

مسقط ابتداء من قصر السلطان وإلى أكواخ الفقراء، وقد أُستقبلتْ فيها كلها بالترحاب.

ويصف صامويل زويمر النتائج التي تحققها زيارة المرأة المسلمة للنصرانية في بيتها بقوله: "من بين سائر الأمور التبشيرية يشكل البيت المسيحي أكثر شيء لجذب الأخوات المسلمات إلى الانفتاح. إن البيت الإرسالي البسيط شيئ مختلف للغاية من البيت أو الغرفة أو الزاوية أو الحوش الذي نشأت فيه المسلمة. وعند أول زيارة إلى البيت التبشيري المسيحي تَسألُ [المرأة المسلمة] أسئلة عن كل جزئيات البيت ويُجاب عنها. بعد ذلك تريد أن تعرف سبب الفجوة بين بيت الإرسالية والبيت المسلم. وتحاول أن تؤمن بأن المرأة المسيحية تتمتع بحياتها الدنيوية بينما المرأة المسلمة تتمتع بالحياة الآخرة. إلا أن هذا التأويل لا يحمل لها كثيراً من الأمل، فعندما تبدأ المرأة المسلمة البحث عن المعلومات في الجزاء الأخروي تجد أن لها في دينها وعداً ضئيلاً بالأوقات السعيدة في الحياة الآخرة. لذا تبدأ البحث عن النور والحياة"[1].

ووصفت السيدة إلويس بوش (Eloise Bosch) أحد تجاربها في فتح بيتها لامرأتين عمانيتين، وانطباعهن بعد التجول في بيت المنصرة، قائلة: "قُرِع في أحد الأيام جرس بيتنا في مطرح. فترددت في فتح الباب الخشبي الضخم. وكانت تقف هناك امرأتان من إحدى القبائل البدوية القاطنة في الداخل. فابتسمت وقلت صباح الخير، ودعوتهما للدخول. فسألتا إن كان ذلك هو المستشفى، حيث كانتا تريدان مقابلة الطبيب بوش. فأجبتهما أن هذا بيتنا، وأن المستشفى في الجانب الآخر من الشارع. فدعوتهما للدخول إلى صالة جلوسنا، ودعوتهما أن تجلسا على المقعد، أو الجلوس فوق السجادة الأرضية التي وفرناها، إن كانتا تفضلان ذلك. ففضلتا الجلوس على السجادة متكئتان على وسادتين كبيرتين. ولما كان الجو حارا إلى درجة غير مريحة ذهبت إلى المطبخ لأحضر لهما شراب الليمون. لم يكن لدي ثلج

---

[1] Zwemer, Am E and S. M. (1926)، ص ١٧٦.

(لأن ثلاجتنا التي تشتغل بالكيروسين تعمل الثلج في الشتاء فقط). وبعد أن أرويتا ظمأهما سألتاني إن كان بإمكاني أن أفرجهما على البيت. فشرحت لهما بأن الغرفة الطويلة التي كنا فيها هي في الواقع غرفتان؛ غرفة الجلوس (مجلس)، وغرفة الطعام. وقد فُصِلت الغرفتان بطاولة طويلة وضعنا عليها حوضا للسمك. لقد احتارتا في أمر السمك الصغير وتعجبتا لماذا نحتفظ به. فأخبرتهما أننا نحب أن نصيد السمك بأنفسنا، وأننا نستمتع بمشاهدته وهو يسبح.

وكانت هناك بعض الصحون على الطاولة فأريتهما كيف نأكل بالشوكة والملاعق. فسألتاني مباشرة "هل تأكلون كلكم جميعا؟" والسبب في هذا السؤال أنه في بعض البيوت العمانية يأكل الأب والأعضاء الذكور الآخرون قبل النساء والأطفال. وتوجهنا من غرفة المعيشة إلى المطبخ. فسألتاني كيف نطبخ، فشرحت لهما كيف يعمل موقد الكيروسين بالإضافة إلى الفرن المتنقل الذي نخبز عليه الخبز. فقالت إحدى المرأتين المتأثرة بموقد الكيروسين والثلاجة "إنكم تعيشون في الجنة!". وهي بالتأكيد لا تعلم بأنه يجب على "دون"[1] أن يحبو على الأرض بشكل دوري ليقلم الفتيلة تحت الثلاجة. ثم أريتهما غرفة صغيرة للضيوف بها سرير وملحق بها غرفة حمام بها حوض حمام ضخم مليء بالماء. فسألتاني، ما ذاك؟ ومن أين تأتون بكل ذلك الماء؟ ففي الصيف يصبح الماء المُخَزّنُ في الخزانات التي على السقف يغلي تقريبا، لذا نملى حوض الحمام بالماء لكي يبرد. وتَعوَّد دون أن يأتي إلى البيت بين العمليات فينغمس في الحوض ليبرد ثم يلبس ملابس ناشفة ويعود إلى المستشفى. وكان يعمل ذلك عدة مرات خلال فترة الصباح. وكان الماء يُضخ في الخزانات الموجودة على السقف بواسطة الطاحونتين الهوائيتين اللتين تعملان ليلا ونهارا. وكان الماء مالح قليلا لكنه صالحا للاستحمام والغسيل. وكنا في بعض الأحيان نقول بأن لدينا ماء ساخنا وباردا في الأنابيب، ساخن في الصيف وبارد في الشتاء. فأرادت المرأتان أن تعرفا كيف يأتي الماء إلى الحوض فذهبتُ

---

[1] اختصار لكلمة دونالد، وهو اسم زوجها دونالد بوش.

وفتحتُ الصنبور. وعندما رأيتا الماء يخرج من الصنبور استغربتا واتسعت عيونهما فأصبحتا كالصحن. لا عليهما، فقد تعودتا أن يأتيان بالماء على رأسيهما من البئر. فرؤية الماء يندفع من الصنبور كان أمرا كثيرا عليهما فقالت واحدة منهما على سبيل التعجب "أعلمُ الآن حقيقة أنكم تعيشون في الجنة""[1].

وقد استمرت سياسة فتح المنصرة بيتها للمرأة المسلمة حتى الستينات من القرن الماضي، عندما بدأت المنصرات يظهرن بعض التحفظ في هذا الموضوع ويطالبن الإرسالية بإعطاء بيوتهن شيئا من الخصوصية. وطُرِحَ هذا الموضوع عدة مرات للنقاش في مجالس الإرسالية. وأعطى مجلس الإرسالية المنعقد في جمادى الآخرة ١٣٨٢هـ/نوفمبر ١٩٦٢م كل مُنصر حرية تقرير الحد الذي يراه مناسبا لإظهار خصوصياته أمام المسلم[2].

وابتداء من الفترة التي عملت فيها المنصرة فاني لتون (Miss Fanny Lutton) في مسقط بين ١٣٢٩هـ/١٩١١م و١٣٤٨هـ/١٩٣٠م بدأ تطبيق فكرة إقامة جلسة أسبوعية مع نساء المجتمع المحلي أُطلق عليها اسم "المجلس". وفي الفترة التي عملت فيها السيدة دكسترا كان هذا المجلس يُعقد مرتين في الأسبوع في بعض الفترات. وكانت تساعدها في إدارة المجلس مريم أرملة مراش، اللذان يدعي المنصرون بأنهم أدخلوهما إلى النصرانية. وذكرت السيدة دكسترا عن نشاطها التنصيري في الوسط النسائي في ١٣٥٨هـ/١٩٤٠م قائلة: "إن اهتماما خاصا قد أُولي نحو تعليم النساء القراءة. ففي حين كان ومنذ فترة قريبة امرأة واحدة فقط تستطيع القراءة أصبح في الوقت الحاضر تسع نساء يقرأن الإنجيل بأنفسهن، ومن بين هؤلاء النساء تحضر أربع الصلوات العامة بشكل منتظم. لقد عُمِّدتْ امرأة واحدة... كما

---

[1] Bosch, Donald and Eloise (2000)، ص ٤٦.

[2] Scudder, Lewis R (1998)

يُولى اهتمام خاص للزيارات البيتية حيث عملنا ٣٢٧ زيارة... كما قمنا بجولات إلى بركاء والمصنعة ووادي المعاول والمزارع وحيل الغاف وقريات وقرى أخرى"[١].

وذكرت السيدة بننجز عن نشاطها التنصيري في مسقط في ١٣٥٤هـ/١٩٣٦م قائلة: "لقد طلبت النساء والبنات منا دروسا في الخياطة، وكنا سعداء أن نخدمهن بهذه الطريقة. تستمتع النساء عدة مرات في الصباح، ومرة واحدة في المساء من كل أسبوع بالاجتماع على القهوة وأعمال الإبرة. وتستمع بعضهن إلى قصص الإنجيل التي نقرأها عليهن– بصراحة– بغير تهذيب، ولكن بعضهن يستمعن بكل اهتمام واستجابة. وفي قصر السلطان تمكنا من أن نكون مفيدين بإعطاء دروس في اللغة الإنجليزية. إن البنات متشوقات لكل شيء يربطهن بالعالم الخارجي، لذا فقد طلبن وصفات للطبخ ونماذج للخياطة. وقد تمكنا من أن نُدخل أثناء زيارتنا لهن قراءة لمقطوعات قصيرة من إنجيل القديس جون. ولقد تركت عندهن نسخا بالعربية والإنجليزية من الإنجيل وهي تقرأ بعناية. وقد أخبرتني إحدى البنات أن أخاها قد قرأ الإنجيل معها، وقال إن الكتاب يحوي حكماً أكثر من غيره من الكتب"[٢].

وضم أحد المجالس الأسبوعية الذي عقدته السيدة إثل تومس، زوجة الطبيب ولز تومس، في بيتها يوم الجمعة اثنين وسبعين امرأة بعضهن من جيرانها، وبعضهن من المستشفى، وثلاث نساء من نزوى، وأربع من سمائل. وقد تحدثت عن أثر مثل هذه المجالس قائلة: "و مع ترحيبي بكل امرأة وجلوسي مع كل واحدة لفترة من الوقت أتلقى منهن الدعوات لزيارة البيوت، وأصطحب معي من أريد، والكتاب الذي أقرأ منه"[٣].

وكتبت السيدة تومس أيضا عن نشاط الإرسالية التنصيري في الوسط النسائي في مطرح قائلة: "يمكن تقسيم عملنا إلى قسمين، ما يمكن أن نسميه الاتصالات

---

[١] Annual Report of the Arabian Mission, for 1940، ص ١٠.

[٢] Annual Report of the Arabian Mission, for 1936، ص ٧.

[٣] Thoms, Ethel S (1954-55)

البيتية، والاتصالات الخارجية. إن الأنشطة التالية تجري في بيتنا: الصلوات الصباحية لموظفي المستشفى، وكل من أحب أن يحضر. وتقدم كذلك الدروس اليومية في القراءة وتعلم الإنجيل للنساء. كما توجد مدرسة يومية للإنجيل خلال العطلة في مايو ويونيو. ويوفر نادي البنات للخياطة يوم الخميس ومجلس النساء يوم الجمعة التسلية للصديقات المسيحيات والمسلمات. أما الأنشطة الخارجية فهي صلوات عيادة المستشفى، وزيارة المستشفى، وزيارة الناس في بيوتهم. إننا نقوم بزيارات للتعازي في أوقات المصائب، ونزور البيوت لعيادة صديق مريض، أو للتهنئة بمولود جديد، أو عروس. إننا نقوم بزيارات اجتماعية سواء بالدعوة أم بلقاء النساء التي تجتمع عند الجيران؛ من أجل سماع الإنجيل يقرأ"[١].

وأوضح القسيس كابنجا النمط الذي سار عليه العمل التنصيري في الوسط النسائي في مركزي عمان في ١٣٧٤هـ/١٩٥٥م بقوله: "إن نمط عمل تحويل النساء في مطرح ظل كما كان عليه في السنوات الماضية. إنه يشتمل على الصلوات الصباحية ومجلس الجمعة، ودروس الجمعة الصباحية في مستشفى الأمراض المعدية. ومساء يوم الخميس هناك نادٍ البنات، وفصول للنساء والزيارات في المستشفى والبيوت"[٢].

وكتبت المنصرة جانييت بورسما التي عملت ممرضة في مستشفى النساء في مسقط باسم خاتون نعيمة من ١٣٧٤هـ/١٩٥٥ إلى ١٣٩٠هـ/١٩٧٠م عن النشاط التنصيري الذي تقوم به في الوسط النسائي قائلة: "يوم الثلاثاء نجمع أنا وميدج (Midge) بعض الحضور وزوار المرضى مع نساء المجتمع ونأتي بهن إلى بيت الإرسالية من أجل مجلس النساء. إننا نغني ونتشارك في قصص الإنجيل ونقضي بعض الوقت في الصلاة. وبعد الجزء الرسمي من المجلس نرخي شعرنا، ونعمل شيئا من المتعة سويا. لقد تعرفنا على نساء الجوار وأولئك اللائي جئن من الداخل،

---

[١] Annual Report of Arabian Mission for 1952-3

[٢] Annual Report Spring 1955, in Arabia Calling No. 239، ص ١٦.

فنتبادل الأخبار سويا، إننا نفرح مع اللائي لديهن أخبار سارة، ونولول مع اللاتي لديهن أخبار سيئة.

وفي يوم الأربعاء والجمعة بعد الظهر أؤدي الفصل النسائي لتعلم الإنجيل، والذي يكون عادة جيد الحضور. ويكون هناك أيضا وقت للجميع للمشاركة في الصلوات. ويُدَخر يوم الاثنين للخروج إلى المجتمع وزيارة النساء في بيوتهن. وعادة يُرحبُ بي، وأُعطى الإذن في القراءة من إنجيلي. إنني أقدر الكرم الذي تقدمه لي النساء العمانيات.

وفي كل أربعاء في الساعة الخامسة بعد الظهر يجتمع المسيحيون المحليون والإرساليون للصلاة وتدارس الإنجيل. ويكون ذلك الاجتماع أسبوعا في المعبد في مطرح، والأسبوع الذي يليه في غرفة صلاتنا في مسقط. وقائد هذه الاجتماعات يحدده جي أيضا"[١].

٢. ٥. ٤. ملخص

اتصف نشاط الإرسالية العربية التنصيري بين النساء في عمان بخصوصيات ميزته عن العمل بين الرجال. فقد التحق بمركز الإرسالية عدد من المنصرات اللائي كانت مهمتهن التنصيرية تتركز على المرأة العمانية. وكان مستشفى الإرسالية في مسقط من أهم المؤسسات التنصيرية التي اُستهدفت بها المرأة في عمان. واستهدفت المرأة العمانية كذلك بالتعليم، والبرامج الاجتماعية، والزيارات البيتية. فقد نظم المنصرون دروسا في القراءة والكتابة وأخرى في الخياطة. كما نظموا برنامجا أسبوعيا تجتمع فيه نساء المجتمع المحلي في بيت المنصرة حيث تقرأُ المنصرة في ذلك الاجتماع الإنجيل، وتشرح معانيه، وتوضح دروسه. كما كانت المنصرات تقمن ببعض الجولات إلى المدن والقرى خارج إطار مسقط لتجتمع بنساء تلك المناطق، وتقرأ عليهن الإنجيل، وتدعوهن إلى النصرانية.

---

[١] Boersma, Jeanette (1991)، ص ١٠٨.

٢. ٦. التعليم

"هناك حاجة صارخة في كل البلاد الإسلامية لنظام تعليم عقلي يحل محل التعليم بالحفظ في المدارس الإسلامية"

بتر زويمر[١]

كان التعليم أحد الأنشطة التنصيرية التي أولاها عناصر الإرسالية العربية عناية بالغة في عملهم في عمان. وقام القسيس بتر زويمر منذ لحظة وصوله مسقط بمخاطبة السلطان للسماح له بإنشاء مدرسة، وحصل منه على وعد شفوي بالموافقة. وبالرغم من تعثر المحاولات الأولى، تمكن زويمر في ١٣١٣هـ/١٨٩٦م من افتتاح ما أَطلق عليه "المدرسة الصناعية للرقيق المحررين" لتدريس مجموعة من الأطفال الإفريقيين الذين حررتهم البحرية البريطانية من السفن المتاجرة بالرقيق والاعتناء بهم. وفي ١٣٢٦هـ/١٩٠٨م افتتح القسيس جيمس كانتاين ما أُطلق عليه "مدرسة بتر زويمر التذكارية" التي استمر التدريس فيها إلى ١٣٩٠هـ/١٩٧٠م. وبعد ذلك تواصل العمل تحت مسمى "مدرسة الأمانة" التي أُغلقت بشكل نهائي عام ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م.

٢. ٦. ١. المحاولات الأولى

بعد وصوله مسقط في صفر ١٣١١هـ/١٢ نوفمبر ١٨٩٣م توجه القسيس بتر زويمر بطلب للحصول على إذن رسمي من السلطان لإنشاء المدرسة التنصيرية،

---

[١] Zwemer, Peter (1895 a)، ص ٨.

بالتأكيد أن النظام التربوي الذي أراد بتر زويمر إدخاله إلى المجتمع المسلم يستهدف الإسلام بشكل أساسي. ففي المدرسة الإسلامية نجد أن التعلم القلبي– الحفظ– متطلب أساسي لتعلم القرآن الكريم والسنة المطهرة والعبادات. وبإلغاء أسلوب الحفظ عن ظهر قلب للنصوص الإسلامية حسبما يريد بتر زويمر ينمحي الإسلام من قلوب أهله فيسهل حينئذ غرس النصرانية في تلك القلوب الخاوية من الإسلام. أما النظم التربوية القائمة على إعمال العقل والمنطق كالنقد والتحليل والاستنتاج فهي بلا شك متطلب مهم لتكوين نظام تربوي متكامل، مع العلم بأن الإسلام لم يلغ هذه المناهج الأخيرة بل أعطاها نفس أهمية الحفظ. والغريب في الأمر أنه في الوقت الذي ينتقد المنصرون أسلوب الحفظ الشائع في المدارس الإسلامية كانوا هم أنفسهم يطالبون الطلبة المسلمين الدارسين في مدارسهم بحفظ مقاطع من الإنجيل، كما سيتضح خلال هذا الفصل.

وتمكن من الحصول منه على وعد شفوي بالإذن المباشر في حال اكتمال النصاب المطلوب من التلاميذ. إلا أن إنشاء هذه المدرسة لم يتحقق طوال عام ١٨٩٤م. وكما يقول بتر زويمر: "لبعض الوقت أُحبطت كل الجهود لإنشاء مدرسة في مسقط. فقد أُنجزت مرتين جميع الإجراءات: حيث وافق مجموعة من أولياء الأمور على إرسال أبنائهم، وتم جلب مدرس، وتم الحصول على إذن شفوي من السلطان. ولكن في كلتا الحالتين أحبط بعض المدرسين المسلمين الغيورين خططنا، وذلك بالتهويل على أولياء الأمور"[١]. ويرى القسيس بتر زويمر بأن المسلمين لا يتسامحون مع أي نظام تعليمي لا يبدأ باسم الله.

وفي محاولته المستميتة لكسر حاجز المعارضة، جمع بتر زويمر عددا ممن سماهم "الأولاد الأفريقيين اليتامى" الذين لا يحتاج حضورهم إلى المدرسة إلى إذن من أولياء أمورهم. إلا أن هذه المحاولة لم يكتب لها النجاح أيضا؛ وذلك بسبب تدخل أحد المسلمين الذي أمر الطلبة اليتامى بمغادرة المدرسة، قال بتر زويمر: "أرفع تقريرا لهذه الدورية- على كل حال- عن محاولة أخرى لافتتاح مدرسة في هذا المكان. إن الصعوبة التي عايشناها سابقا تمثلت في الحصول على أذن من أولياء الأمور لتعليم الأطفال. لكن ماذا إن لم يكن هناك أولياء أمور؟ لأجل ذلك فإني وجدت عددا من الأولاد الأفريقيين- أغلبهم أيتام- وأقنعتهم بالمجيء إلى بيتي لأجل التعليم. وتم تهيئة غرفة لتكون مدرسة، وتم إيواء وتغذية الأولاد الذين كان عددهم في وقت ما خمسة عشر ولدا. ولبعض الوقت لم يعرف المدرسون المسلمون عن هذا الأمر. وفيما كان الأطفال يأتون في ذلك الوقت سعداء إلى المدرسة من أجل التعليم، ويتعلم الجميع كيف يقرأون بعض الكلمات والمقاطع البسيطة. إلا أن ابتهاجي بفتح هذه المدرسة كان قصير الأجل- على كل حال. فقد علم ملا مسلم بمحاولتي، وبالرغم من أني قد وضحت له أنه لدي الموافقة من جميع

---

[١] Zwemer, Peter (1894 b)، ص ٩.

جهات الاختصاص، إلا انه أمر الأولاد بمغادرة البيت، وأن لا يعودوا أبدا إلى النصارى (المسيحيين)"[1].

٢. ٦. ٢. المدرسة الصناعية للرقيق المحرَّرين بمسقط

إلا أن النقلة العظيمة في جهود القسيس بتر زويمر بافتتاح مدرسة تنصيرية في مسقط تحققت عندما استولت السفن البحرية الإنجليزية على ثلاث سفن مبحرة في خليج عمان تقل أربعة وأربعين من الرقيق الأفريقيين أغلبهم من الأطفال الذين تتراوح أعمارهم بين السادسة والحادية عشرة. وعادة يوضع الرقيق الذين تتم مصادرتهم تحت وصاية الحكومة البريطانية فينقلون الى الهند حيث يتم تحت رعاية الشرطة إلحاقهم ببعض الأعمال المناسبة. وفي الغالب تنظر الحكومة البريطانية، في الطلبات التي تتقدم بها الجهات المتطوعة للاعتناء بالأطفال من الرقيق إلى أن يصلوا إلى السن القانونية.

وسعيا لتحقيق حلمه بإنشاء مدرسة تنصيرية في مسقط، توجه السيد بتر زويمر إلى المقيم البريطاني في مسقط بطلب تسليمه مجموعة من أولئك الأطفال. وباعتباره يمثل مؤسسة كنسية غربية عُنيت أساسا بالتنصير في المنطقة فقد وافق المقيم البريطاني في مسقط تسليمه مجموعة من هؤلاء الأطفال. ووُقعت اتفاقية بين الطرفين تنص على قيام الإرسالية العربية في مسقط برعاية هؤلاء الأطفال وتعليمهم وتغذيتهم حتى يصلوا سن الثامنة عشر، كما نصت على منع تحويل أولئك الأطفال إلى أي مكان آخر، واعتبار ذلك مستحيلا إلا بإذن المقيم البريطاني في مسقط. وهكذا تسلم السيد بتر زويمر في ذي الحجة ١٣١٣هـ/٢٧ مايو ١٨٩٦م أربعة عشر طفلا من هؤلاء الأطفال ثم أضيف إليهم أربعة آخرون ليصل العدد إلى ثمانية عشر طفلا، منهم اثنان معوقان (أحدهم أعمى، والآخر أبله)[2].

---

[1] Zwemer, Peter (1895 a)، ص ٩.

[2] Zwemer, Peter (1896 b), Zwemer, Peter (1896 a)

ووجد السيد بتر زويمر في البيت الذي استأجره في وقت سابق خارج أسوار مدينة مسقط بحديقته الواسعة مكانا مناسبا لإيواء طلبته الجدد. وإلى أن يتلقى الدعم المالي اللازم للمدرسة من المتبرعين في أمريكا، وظف السيد زويمر الأطفال في البداية في العمل بشكل يومي في صناعة السلال التي يُستخدم العائد المالي من بيعها في السوق المحلية في تلبية احتياجات الطلبة المادية.

ووجه السيد بتر زويمر الاهتمام لإكساب أولئك الطلبة المهارات الصناعية باعتبارها أكثر السبل التي سيتمكنون بها من شق طريقهم في الحياة بعد مغادرتهم المركز. ولأجل هذا أطلق على تلك المدرسة اسم "المدرسة الصناعية للرقيق المحررين" (The Industrial School for Freed Slaves). إلا أن تدريب أولئك الطلبة على الصناعات اليدوية ارتطم بمعوقات عملية مما أدى إلى تأخر إدخال هذه المادة في المنهج المدرسي إلى عام ١٣١٦هـ/١٨٩٩م، وهي فترة متأخرة للغاية. وعندما انتقل المنصرون إلى البيت الجديد الذي اشتروه ليكون مقرا جديدا للإرسالية منحهم السلطان أرضا مجاورة ليتدرب فيها الطلبة على أعمال النجارة[١].

واستأجرت الإرسالية السيد اس ام ديفد (Mr. S. M. David)– المدرس الذي يعمل في كراتشي مع "إرسالية أم إي، (M. E. Mission)– لتدريس هؤلاء الطلاب. ثم مُنح هذا المدرس تصريحا بالإقامة في عمان، وأحضر معه أسرته ليصبح المعاون الفعال في مركز الإرسالية في مسقط[٢].

وقد اشتمل المنهج الدراسي، إلى جانب المهارات الصناعية اليدوية، تدريس الديانة النصرانية– طبعا، بغض النظر عن الخلفية الدينية لأولئك الأطفال. فاشتمل البرنامج التعليمي على دراسة يومية للإنجيل إلى جانب الصلوات العائلية، وصلوات يوم الأحد. وباعتبار أن لغة الأطفال الأم كانت السواحلية فقد تعين

---

١ Cantine, James (1899 a) و Cantine, James (1907 a)

٢ Zwemer, Peter (1896 b) و Zwemer, Peter (1896 c)

تدريسهم لغة ثانية، فقرر زويمر أن يدرسهم الإنجليزية، وليست العربية وذلك كما يقول: "من أجل إبقائهم بعيدين عن مسقط وتأثير المسلمين"[١].

وفي الحقيقة لم يتم تنصير أولئك الأطفال بإبعادهم عن الوسط المسلم المحيط بهم في مسقط، وتدريسهم النصرانية واللغة الإنجليزية فحسب، بل حتى أسماؤهم الأصلية استبدلت بأسماء نصرانية إنجليزية النطق- فسمي أحدهم صامول وسمي آخر بتر وثالث جيمس[٢].

ووجه القسيس بتر زويمر في صفر ١٣١٤هـ/عدد يوليو- سبتمبر ١٨٩٦م نداء إلى قراء الدورية التي تصدر باسم الإرسالية يحمل عنوان "نداء لدعم قليل من الرقيق المنقَذين في مسقط" مطالبا القراء المساهمة المالية في توفير احتياجات المدرسة، وشارحا أسلوب تعامل الإرسالية مع أولئك الأطفال. جاء في ذلك التقرير: "لقد دعتنا فرصة خاصة لتوجيه نداء خاص في هذا الوقت من أجل مركز مسقط. ربما يكون معلوما لدى بعض أصدقاء الإرسالية العربية أنه قد استلمنا بتاريخ ٢٧ مايو ١٨٩٦م عدداً من الأولاد الرقيق المحررين وهم الآن تحت رعايتي. إن تجارة الرقيق لا تزال جارية بطول ساحل عمان، ويتم أحيانا القبض على الظو [السفينة المقلة للرقيق]، ومعاقبة الملاك، وتحرير الرقيق، وذلك كما هو مصرح به في مؤتمر بروكسل. وقد تم في شهر مايو الماضي إلقاء القبض قرب مسقط على ثلاث سفن ظو مقلة للعبيد. وكانت السفن تقل في مجموعها أربعة وأربعين عبدا غالبيتهم من الأولاد بين سن السادسة والثانية عشرة حيث يَدُرُّ هذا أعلى الأسعار في أسواق الرقيق في عمان.

وعادةً عندما يحرر أمثال هؤلاء العبيد بواسطة السفن الحربية البريطانية، فإنه يتم نقلهم إلى الهند حيث يجدون هناك وتحت مراقبة الشرطة الوظائف المناسبة. وفي بعض الأوقات عندما يتم تحرير أعداد كبيرة تقوم الإرساليات في

---

[١] Zwemer, Peter (1896 a)، ص ١٠.

[٢] Cantine, James (1906 a)

الهند بجهد لأجل تدريسهم، وتحويلهم إلى المسيحية. وخلال السنوات الماضية القليلة، تم إلقاء القبض على أعداد قليلة من سفن الرقيق، ولا يوجد أي جهد منظم من أجل تربيتهم وتدريبهم. ويكون أمثال هؤلاء الرقيق المحررين تحت وصاية الحكومة الإنجليزية التي لا تَنفُرُ من دفعهم إلى أي جهة مناسبة من أجل تدريبهم، ودعمهم حتى يصلوا إلى سن الثامنة عشرة، حيث يستلم كل واحد منهم شهادة حريته.

وبمناسبة القبض على ظو الرقيق في مايو، فقد قدمنا طلبا إلى القنصل البريطاني من أجل الحصول على الأولاد الذين هم تحت سن الثانية عشرة. فمُنحتُ ثمانية عشر، أخذا في الاعتبار أن هذا العمل متناسق مع عملنا الشرعي "من أجل المسلمين والرقيق" والشعور بالالتزام بالواجب نحو الشروع في هذا الجهد الواعد. وقد وقعتُ على ميثاق بتوفير العناية والتدريب لهم حتى سن [الثامنة عشرة].

لقد وافق مجلس أمناء الإرسالية العربية على فتح مدرسة للرقيق المحررين بشرط ضمان الحصول على تمويل خاص لدعمهم. وبعد حسابات دقيقة وجدت أن ٢٥ دولار سنويا سوف تكفي لإعالة الواحد منهم. فهل يمكنني أن أسال بعض أصدقاء عملنا أن يوفروا الدعم لهذه الحاجة الخاصة؟ قد تكون هناك مدارس يوم أحد أو جمعيات للكنيسة الإنجليزية ترغب في تقديم دعم عن طريق الهدايا الخاصة لواحد أو أكثر من هؤلاء الأولاد. إنني لا أستطيع أن أظن إلا أن هذا سيكون عملا واعدا للغاية. إن الأولاد معي الآن منذ أربعة اشهر. إنهم ألمعيون وشباب أصحاء ماعدا اثنين منهم (أحدهم مريض، والآخر تقريبا أعمى كليا).

ومنذ البداية كان هؤلاء الأولاد لا يعرفون إلا لغتهم الأم (السواحلية) وقد علمتهم الإنجليزية. إن تعليمهم الإنجليزية لا يجعلهم في منأى عن نفوذ المسلمين وحسب، ولكن سيكون أكثر فائدة لهم من تعلم العربية. إن تعليمهم السواحلية أمر مفروغ منه تماما تقريبا، أما الإنجليزية وبعد جهد فقد تمكنوا منها. لقد عُلموا أن

يقرأوا ويكتبوا، وأغلبهم مستعدون الآن للانتقال إلى المستوى التالي. لقد بدأ الكبار منهم يدرِكون معنى تحريرهم من العبودية، وغالبا ما يعبرون عن امتنانهم. وقد أخذ الجميع، حسب اختيارهم، أسماء مسيحية، وإننا نأمل أن نصل بهم بعد سنوات من العمل إلى الايمان بالقلب، والتأكيد باللسان بأنهم يأخذون التعميد المسيحي أيضا، ويصبحون شهداء له "الذي جعلهم أحرارا بحق". إننا نؤمن بأن مدرستنا للرقيق المنقَذين سوف تكون بركة ليس لهؤلاء الأولاد وحسب بل للمسلمين في مسقط كذلك. ولكننا لا نزال منتظرين هدية صغيرة خاصة لهذا العمل. مخلصكم للجزيرة العربية بتر جي زويمر"[١].

وقد اعتمدت الإرسالية في الوفاء بالاحتياجات المادية للمدرسة على المساعدات الخارجية التي يتبرع بها الداعمون في الوطن الأم. بل كانت تلك المساعدات بمثابة الشريان الذي يضمن الحياة والبقاء للمدرسة، كما عبر عن ذلك القسيس جيمس كانتاين بقوله: "إن مسألة بقاء مدرسة الرقيق المحررين أمر يقرره الأصدقاء والداعمون في أمريكا بأنفسهم"[٢].

وإن كان هؤلاء الأطفال قد وجدوا في الإرسالية ملاذا دافئا في بداية التحاقهم بها، إلا أنه بعد قضائهم ثلاث سنوات ونصف متواصلة فيها بدأوا يشكلون مصدر إزعاج، وذلك عندما بدأوا الوصول إلى سن الخامسة عشرة. فقد بدأ أولئك الطلبة يشعرون بأن المدرسة تقيد حرياتهم بقوانينها، وتحد من تمتعهم بحلاوة اتخاذهم قراراتهم الخاصة في أمورهم الشخصية. وهذه حالة طبيعية؛ فهم مُبْعَدون عن المجتمع، ولا تربطهم بالبيئة المحيطة أي علاقة، ويشكل مركز الإرسالية الضيق كل عالمهم، وعناصر الإرسالية كل المجتمع الذي يعرفون. فبيئة بهذا الصغر، ومجتمع بهذه الضآلة جدير أن يخنق الأنفاس، ويتوق أفراده إلى مد أبصارهم نحو آفاق أرحب في كون الله الواسع. فمن هنا بدأت المشكلة، وأصبح الكبار منهم

---

١ Zwemer, Peter (1896 b)، ص ١٠.

٢ Cantine, James (1898 a)، ص ٦.

يطالبون بالسماح لهم بمغادرة الإرسالية. وتمرد أكبرهم سنا– جيمس (James)– فترك مقر الإرسالية بدون إذن مما أدى إلى إحالته إلى القنصلية الإنجليزية للتأديب و– كما يقول جيمس كانتاين– "هناك تحت المعالجة الحكيمة، والعمل الجم وتأثير المسؤوليات الشخصية التي حُمِّل إياها تحول إلى خادم جيد"[1]. وقد استدعى خروج هؤلاء الطلبة عن نطاق السيطرة إلى وجود السيد جيمس كانتاين المستمر في مركز الإرسالية وهو ما أخل بالأعمال التنصيرية الأخرى وخَلَقَ، بالتالي، ضغوطا أدت إلى اتخاذ قرار بتسريحهم[2].

وهنا واجهت الإرسالية مشكلة إلحاق أولئك الطلبة بالأعمال المناسبة. فبالرغم من قضائهم ثلاث سنوات ونصف السنة في المدرسة، إلا أن مستوياتهم التعليمية متدنية للغاية. فاثنان أو ثلاثة فقط منهم أظهروا اهتماما جادا بالدراسة. ولم يصل التدريب على النجارة بهم إلى مستوى يعينهم على ممارسة هذه الحرفة بنجاح. ورُوعي في الوقت ذاته أن تتميز أماكن العمل المتوقعة بما يحافظ على التعاليم الدينية التي غرست فيهم طوال مكوثهم في مركز الإرسالية في مسقط، وأن يهيأ لهم من الظروف ما يعينهم على عدم ترك الديانة التي غرسها في عقولهم المنصرون. وقد وضع المنصرون في حسبانهم حقيقة: "أن هؤلاء الأولاد سيحصلون، طبيعيا، على كل ميزة ممكنة، لكن إن لم يرتقوا إلى رجال مسيحيين جيدين فسيكون ذلك إحباطا شديدا"[3]. لذلك تقرر إلحاقهم للعمل خدما في بيوت الجاليات النصرانية المنتشرة في الشرق، إلا أن بعضهم فضل مزاولة أعمال أخرى[4].

ورفع السيد جيمس كانتاين تقريرين عن مصير تلاميذ المدرسة الصناعية للرقيق المحررين الأول في عدد أكتوبر–ديسمبر ١٨٩٩م/١٣١٧هـ، والآخر في عدد

---

[1] Cantine, James (1899 b)، ص ٦.

[2] Cantine, James (1899 b)

[3] Cantine, James (1899 b)، ص ٧.

[4] Cantine, James (1899 b)

يناير- مارس ١٩٠٦م/١٣٢٣هـ. فذكر السيد كانتاين أن أحد أولئك الأولاد ويسمى هنري (Henry) كان يعاني من الصمم الذي أعاق مقدرته على الحديث؛ وبالتالي وضعه في المكان المناسب. لذا فقد بقي هنري في مقر الإرسالية حتى كتابة التقرير الثاني في عام ١٣٢٣هـ/١٩٠٦م، ولم يرد له بعد ذلك أي ذكر في تقارير الإرسالية. كما عمل ستيفن (Stephen) في المستوصف الإنجليزي في مسقط، وأشار التقرير الثاني إلى أنه لا يزال على رأس عمله في المستوصف. وعمل جورج (George) في البداية مع طبيب السلطان في مسقط، إلا أن التقرير الثاني أشار إلى أنه يعمل على ظهر إحدى السفن التجارية العاملة بين الهند وبريطانيا. أما أدريان (Adrian) الذي بقي الوحيد أقل من سن الثامنة عشرة فقد حُول للدراسة في إحدى المدارس التنصيرية الأمريكية في أحمدأجار في الهند. وصامويل (Samuel) وجون (John) ألحقهم السيد كانتاين للعمل على متن سفينة المدافع الإنجليزية سفنكس (phinx) المتمركزة بشكل دائم في الخليج. أما سولمون (Solomon) وألفرد (Alfred) فقد أُلحقا للعمل في مركز الإرسالية في البحرين، في حين أُلحق فيليب (Philip) وإساك (Isaac) للعمل في مركز الإرسالية في البصرة. أما بتر (Peter) فقد أخذه أحد المنصرين العاملين في بغداد لدى إرسالية تعرف اختصارا بـإرسالية أي أم أس (A.M. S). وأُلحق ديفد (David) وجوسف *(Joseph)* للعمل مع أحد التجار في بوشهر نزولا عند رغبة ذلك التاجر. أما توماس (Thomas) وجيمس فقد عملا لدى القنصلية البريطانية في مسقط، ثم عمل جيمس لدى عائلة إنجليزية في الهند. أما ناثان (Nathan) فقد ذكر التقرير الثاني أنه موجود في الهند[١].

اختار أغلب الذين تركوا مسقط الانطلاق في العالم الواسع بحثا عن سبل أخرى للحياة. ففيليب الذي عمل مع أحد عائلات الإرسالية في البحرين توجه بعد ذلك إلى الهند. أما سولمون فإنه عمل على متن إحدى سفن شركة الهند الشرقية، واتخذ له بيتا في الهند، ثم ذهب إلى نيويورك حيث انتقل من عمل إلى

---

[١] Cantine, James (1906 a) و Cantine, James (1899 b)

آخر، وكان على اتصال بأفراد الإرسالية حتى ١٣٥٩هـ/١٩٤٠م حيث بعث برسالة تعزية إلى القسيس صامويل زويمر في وفاة القسيس جيمس كانتاين[1]. في حين عمل الفرد وجورج على متن إحدى سفن التجارة التي تعمل بين الهند وبريطانيا. وآخر الأخبار عن جون أشارت بأنه موجود في الهند. أما ديفيد فإنه توجه إلى أستراليا. وأما ناثان وإساك فإن آخر الأخبار التي وصلت إلى مركز الإرسالية في مسقط أنبأت عن اعتناقهما الإسلام- أو من الصواب أن نقول رجوعهما إلى دينهما الأصلي الإسلام. وعاد جون إلى زنجبار. ولم يطل العمر باثنين من أولئك الفتية، فصامويل توفي على متن إحدى قاذفات المدافع الإنجليزية في كولومبو، وبتر على متن سفينة حربية في جنوب إفريقيا[2].

وقد توفي أثنان من الأطفال الثمانية عشر في مسقط في ١٣٢٦هـ/١٨٩٩م قبل أن يصلوا إلى السن القانونية. فمارك (Mark) توفي نتيجة سقوطه ليلا من أعلى سقف بيت الإرسالية في مسقط حيث أصيب بكسر في الجمجمة ظل بعدها فاقدا للوعي إلى أن مات بعد أيام قليلة. وتوفي أندرو (drew) بسبب الكوليرا في صيف ذلك العام[3]. وباعتبار أنه لا توجد مقبرة خاصة للبروتستنت في مسقط فقد تمكن السيد جيمس كانتاين بواسطة القنصل البريطاني من الحصول على إذن من الجالية الكاثوليكية يسمح بدفن أولئك الطلبة في مقبرة الكاثوليك في مسقط[4].

لم يتلق مركز الإرسالية في مسقط بعد هذه الدفعة المزيد من الرقيق، وذلك لرفض مجلس الكنيسة البروتستنتية السماح لمركز مسقط بذلك. لذا فقد كان مصير هذه المدرسة الإغلاق مع مغادرة آخر طفل لها. وكتب السيد كانتاين في عدد أبريل-يونيو ١٩٠١م- من دورية الإرسالية- إلى القراء الداعمين للمشروع مطالبا

---

[1] F. G. B (1940)

[2] Cantine, James (1906 a)

[3] Cantine, James (1899 b)

[4] Cantine, James (1899 a)

إياهم التوقف عن دفع المزيد من المعونات المالية المخصصة لأولئك الرقيق، وللنشاط التعليمي للإرسالية في مسقط[1].

٢. ٦. ٣. عودة النشاط التعليمي

وبدأ الحديث مرة أخرى عن النشاط التعليمي في مركز الإرسالية العربية في مسقط مع بداية عام ١٣٢٢هـ/١٩٠٤م، وذلك عندما جمع القسيس جيمس مورديك عددا من الشباب لتعليمهم اللغة الإنجليزية. وبالرغم من عدم انتظام الطلبة، وتذبذب عددهم بين اثنين وأكثر، إلا أن القسيس مورديك كان حريصا على الاستمرار معهم؛ وذلك للإبقاء على هذا النشاط التنصيري المهم حيا[2]. ثم ذكر القسيس كانتاين بعد ذلك أن أحد الأهالي الذي وصفه بقوله "أحد أكثر مسلمي مسقط نفوذا" طالبه بفتح مدرسة لتعليم أولاده في مسقط بدل أن يرسلهم إلى الهند[3]. وفي ١٣٢٣هـ/١٩٠٥م تمكنت السيدة كانتاين، المنضمة حديثا إلى سلك الإرسالية، من تجميع بعض الفتيات في مركز الإرسالية وإعطائهن دروسا في الخياطة واللغة العربية واللغة الإنجليزية[4]- أنظر الفصل التاسع. كما صاحب ذلك حضور يومي منظم لمجموعة من الأولاد، بين أحد عشر واثني عشر طفلا، الذين شكلوا خلية لإنشاء مدرسة جديدة. وجاء أولئك الأطفال من خلفيات دينية واجتماعية متباينة. فكان عدد الأطفال الهندوس يفوق عدد المسلمين ويحضر معهم طفلان نصرانيان. وكان أولئك الأطفال يتحدثون إلى جانب اللغة العربية، البلوشية والسواحلية والهندوستانية والفارسية والجوجاراتية (Gujarati)، بل كان عدد الذين لا يتحدثون اللغة العربية منهم أكثر ممن يتحدثونها. وتعاقب على تدريس هذه

---

[1] Cantine, James (1901 a)

[2] Moerdyk, James (1904 a)

[3] Cantine, James (190 4)

[4] Cantine, James (1905 b)

المجموعة من الأطفال خلال أقل من سنتين عدد من الأشخاص. فقد أوكلت مهمة تدريس الأولاد في البداية إلى امرأة تسمى رحيل وهي أرملة أحد باعة الأناجيل الذين عملوا مع الإرسالية، ودَرَسَتْ هي نفسها في مدرسة الإرسالية الأمريكية في ماردين بتركيا. وبعد موت رحيل وظفت الإرسالية أحد الهندوس المقيمين في مسقط، إلا أن هذا الشخص ترك العمل بعد بضعة أشهر نتيجة لحصوله على عمل أفضل. ثم وظفت الإرسالية أحد المسلمين الهنود لكن مرضه وضع حدا لعمله معهم. وبعد ذلك شغل المنصب نصراني تركي يسمى إبراهيم. دَرَسَ إبراهيم في مدرسة الإرسالية الأمريكية في ماردين، وعمل في مدرسة الإرسالية في بغداد قبل أن يعمل في مسقط. وكان الأولاد يُدرسون شيئا من الرياضيات والجغرافيا إلا أن التركيز كان على القراءة والكتابة والتهجي. وتبدأ الدراسة أو تنتهي بقراءة من الإنجيل، وبعض الصلوات، وفي بعض الأحيان يذهب الأطفال إلى المعبد للغناء[1].

و في ١٣٢٦هـ/١٩٠٨م افتتح القسيس جيمس كانتاين ما أُطلق عليه "مدرسة بتر زويمر التذكارية" (Peter Zwemer Memorial School) في مسقط. تكونت هذه المدرسة من مبنى بمساحة عشرين في ثلاثين قدما مكون من طابق واحد، ومُلحق بمقر الإرسالية في مسقط. وقد بُنيتْ هذه المدرسة على الأرض الجديدة التي سمح السلطان للإرسالية بامتلاكها، وخُصص الجزء الآخر منها لبناء المستشفى. وذكر القسيس كانتاين في تقرير يناير- مارس ١٩٠٨م أن السلطان طلب من المدرس الذي يعمل في الإرسالية أن يقوم بتدريس أبنائه في القصر، يقول كانتاين: "و بعد عودتنا وجدنا المدرس مهتما بعَرضٍ قَدَّمه السلطان بالقدوم إلى القصر لتدريس أولاده. وبعد أن أخذنا كل شيء في الاعتبار قررنا وبسرور أن نقبل العرض. فمنذ شروعنا في العمل التربوي جرى الحديث بشكل أو آخر عن افتتاح مدرسة عربية عليا منافسة لنا. وقد بنى السلطان غرفة لذلك، وأتى برجل متعلم متدين من أحد الأماكن في الداخل إلا أن تعليمه كان وبكل بساطة قرآنيا، ولم يجد التعاطف من

---

[1] Cantine, James (1907 a)

كثير من المتنورين من أهل مسقط لذا فقد أُمر بالمغادرة. واختيار السلطان لأحد مدرسينا الإرساليين المسيحيين لذلك المنصب يعني الكثير لنا في المستقبل"[1].

استمر نشاط مدرسة الإرسالية التعليمي يتذبذب حسب الظروف والإمكانات. وذكر القسيس بيورسم في ١٣٣٦هـ/١٩١٨م أن بعض الطلبة يعبرون إلى مدرسة الإرسالية من مدينة مطرح[2]. وفي ١٣٤٥هـ/١٩٢٦م كانت الآنسة لتون (Miss Lutton) تقوم بتدريس البنات، ويساعدها في هذه المهمة مراش وزوجته مريم، في حين كان القسيس بيورسم يقوم بتدريس الأولاد حيث كان يحضر معه بشكل يومي خمسة عشر ولدا[3]. إلا أن تقارير الإرسالية لم تشر إلى أن مركز مسقط به مدرسة بنات قائمة بذاتها، بل كانت حتى ١٣٤٧هـ/١٩٢٩م تشير إلى أن الإرسالية العربية لديها مدرستان للبنات فقط في الخليج: الأولى في البصرة، والأخرى في البحرين[4].

وفي ١٣٤٦هـ/١٩٢٨م أصبح النشاط التعليمي هو بؤرة الأنشطة التنصيرية للإرسالية في مسقط. فأطفال المدرسة هم فقط الذين يشاركون في طقوس يوم الأحد. وقد كتب القسيس بيورسم قائلا: "لقد استمرت مدرسة الأولاد في العمل كدافع للنشاط التحويلي بين الرجال. إن الأولاد يأتون بكل تأكيد لتعلّم الإنجليزية، ولكن قبل أن يرددوا درسهم الإنجليزي يطلب منهم أن يقرأوا درسا بالعربية. إننا نُصرُّ في أن يأخذوا درسا عربيا قبل كل شيء. وبهذه الطريقة نكون قادرين على تعليم الأولاد "موعظة الجبل" والذي يؤدى أغلبه حفظا"[5].

وفي ١٣٤٧هـ/١٩٢٩م افتتحت الحكومة مدرسة للأولاد في مسقط، نظر إليها المنصرون على أنها منافسة لنشاطهم التنصيري في مجال التدريس؛ بسبب

---

١ Cantine, James (1908)، ص ٨.

٢ Peursem, G. D. Van (1918)

٣ Annual Report of the Arabian Mission for 1925

٤ Annual Report of the Arabian Mission for 1929

٥ Annual Report of the Arabian Mission for 1928، ص ٨.

اجتذابها لعدد من الأولاد الدارسين في المدرسة التنصيرية. وكتب القسيس بيورسم عن خطر تلك المدرسة الحكومية على أنشطتهم، وكيف تمكنوا من مواجهة ذلك قائلا: "افتُتحتْ في شهر مارس مدرسة حكومية بشكل رسمي وأبهة كبيرة. وقد اجتذبت هذه المدرسة بعضا من أكثر تلاميذنا ذكاء. وقد ظننا لبعض الوقت بأنه أصبح لا مكان لمدرستنا الصغيرة. ولكن قد يكون غريبا إن قلنا بأننا قد عدنا إلى عددنا السابق، خمسة عشر تلميذا. لقد أحضر المدرسون لهذه المدرسة من سوريا، ودفعت لهم رواتب عالية، وتُخصص لهم إجازات كثيرة إلا أنهم بقوا غير متعاطفين ولا يحبون الاندماج مع الأهالي في مسقط، لذا يَبرُز سؤال عن مستقبل هذه المدرسة. وفي جميع الأحوال فبما أننا تمكنا من تجميع خمسة عشر ولدا فإننا سنستمر. وقد فتحنا مدرستنا في المساء للرجال. ويقارب الحضور الآن السبعة عشر، ويُعد هذا عددا مشجعا. ويُدَّرس إنجيل متّى في جميع الفصول الدراسية ويُعده الرجال والأولاد جزءاً من البرنامج اليومي. وينتهي برنامجنا الصباحي والمسائي دائما بغناء شيء من الموشحات الإنجيلية"[١].

ثم أعرب القسيس بيورسم في تقرير عام ١٣٤٨هـ/١٩٣٠م مرة أخرى عن قلقه من احتمال عدم مقدرة الإرسالية على الحفاظ على العدد السابق من الطلبة. حيث أصبح تنافس المدرسة الحكومية معهم حاميا. فقد اعتمد المنصرون سابقا على الطلبة الراغبين في تعلم اللغة الإنجليزية– الخدمة التي لا توفرها المدرسة الحكومية سابقا. أما الآن فقد تمكنت المدرسة الحكومية من إحضار مدرس لبناني لتعليم اللغة الإنجليزية. فكتب القسيس بيورسم قائلا: "لقد كان السبب في احتفاظنا بالخمسة عشر تلميذا هو أننا نعطيهم دروسا في اللغة الإنجليزية. وقد تمكنت المدرسة الحكومية الآن من الحصول على مُدرس للغة الإنجليزية من بيروت، وسيكون صعبا علينا للغاية الاحتفاظ بالعدد السابق"[٢].

---

[١] Annual report of the Arabian Mission for 1929، ص ١٦.

[٢] Annual Report of the Arabian Mission for 1929-1930، ص ١٢.

وابتداء من ١٣٤٨هـ/١٩٣٠م لم تستطع مدرسة الإرسالية للأولاد الصمود؛ ليس بسبب منافسة المدرسة الحكومية ذات "المنهج المعاصر والمدرسين المدربين" بل لأسباب مالية نتجت عن قيام الحرب العالمية. فقد حُولت الأموال المخصصة لهذه المدرسة إلى جهات أخرى، واضطر المدرس السوري إلى ترك المدرسة والمغادرة. وبالرغم من دعم مركز مسقط في عام ١٣٤٨هـ/١٩٣٠م بالسيدة والسيد دكسترا، لم تتمكن الإرسالية من تكوين مدرسة ثابتة. ولم تشر تقارير الإرسالية للفترة من ١٣٤٨هـ/١٩٣٠إلى ١٣٥٨هـ/١٩٤٠م إلى تدريس يومي، بل كانت التقارير تنصب على دروس يوم الأحد في مركز مسقط، ودروس أخرى يؤديها القسيس دكسترا مساء الثلاثاء في مركز الإرسالية في مطرح. وكان السيد دكسترا يحاول اجتذاب الاهتمام، وشغل وقت فراغه بعقد بعض دروس تعليم اللغة الإنجليزية في متجر الإرسالية الواقع في السوق بمسقط[١]. هذا إلى جانب أن هذه الدروس أيضا كانت عرضة للتغير والتذبذب وعدم الثبات.

وكان على السيد دكسترا وزوجته في ضوء غياب المدرسة إيجاد الفرص، وتكوين بؤرة جديدة لإعادة الحياة إلى هذا النشاط التنصيري. وقد تمكنا من إنشاء مجموعة من بين العاملين في مستشفى الإرسالية وغيرهم، لتكون بداية لعودة النشاط التنصيري في مجال التعليم إلى العمل مرة أخرى. وكتبت السيدة ميني دكسترا عن نتيجة ذلك الجهد قائلة: "لقد كنا جددا على المكان وكنا بحاجة إلى وقت للتعرف عليه. وأول ما جاءت هذه المعرفة كانت مع النساء. فقد كان الجهد الأول مع مجموعة، ضمت عددا من نساء القصر، من اللواتي أعربن عن رغبتهن في تعلم القراءة. فكان أول تلاميذنا المرأة المتحولة الوحيدة عن الإسلام في المركز والتي تعمل مساعدة في مستشفى النساء. كما كان هناك اثنان من الأطفال. وشيئا، فشيئا تعرفنا على عدد من الأطفال الذين كانوا يحبون المجيء للعب في ساحتنا مجذوبين بالغناء. وجاء أيضا بعض أطفال البلوش الذين كانوا يعرفون الآنسة لتون

---

[١] Annual report of the Arabian Mission for 1934

ويحبونها. وعندما سنحت الفرصة لحضور درس يومي حضر كل هؤلاء الأطفال، وشكلوا لفترة من الزمن المدرسة. ثم طَلَبتْ خادماتنا وبعضُ النساء المرتبطات بموظفي مستشفى مطرح دروسا في القراءة. وقد جاءت في تلك الفترة السيدة هاريسون فتحملت تدريس النساء في مطرح. وأصبح أولياء الأمور مهتمين بالموضوع. فطلب رئيس المساعدين في مستشفى مطرح فرصا دراسية أكثر لابنه وابنته. وطلب موظف آخر ميزة لعائلته. فشكل كل هؤلاء الأطفال تحديا لإيماننا، فقررنا المضي قُدُما في الموضوع بدون أي مخصصات مالية. وفي الوقت ذاته جاء إلى مسقط رجل متحول عن الإسلام، وكان يريد أن يؤدي عملا مسيحيا، وعلى استعداد للعمل بأجر قليل. فلم يكن لدينا مخصص من المال إلا أنا تمكنا من إعطائه راتبا صغيرا. فَدرَّس هو الأولاد، في حين كنتُ أنا أُدرّس النساء والبنات في البيت. ومع مرور الأيام أصبحت الحاجة إلى زيادة جهدنا داعية فبدأنا في ١٩٣٩م التعليم المختلط"[١].

وكتب القسيس دكسترا في العدد ١٩٢ لعام ١٩٤١م/١٣٦٠هـ/من دورية الإرسالية عن حاجة مركز مسقط إلى مدرسة ليس للمسلمين، ولكن للنصارى الذين يزداد عددهم يوما بعد يوم: "إن المجتمع المسيحي الشاب في حاجة ماسة إلى مَدْرَسة لا سيما وأن التربية الوحيدة المتوفرة في المدينة هي المدرسة الإسلامية"[٢]. وقبل ذلك كتب السيد دكسترا عن الحاجة العامة إلى نظام تعليمي في المدينة قائلا: "توجد هنا حاجة إلى التعليم إلا أن الحكومة لا تستطيع أن توفر المدارس. ولدى الإرسالية فرصة مدهشة إن استطاعت أن تضع في مسقط ومطرح تربويين لديهم الأموال والنظرة لإعطاء الناس التربية التي ستبقى معهم لتدريب الشباب المحليين، وفي بيئتهم، على حياة أفضل. كما أنه يوجد هنا مجموعة متزايدة من الأطفال المنتمين إلى من حولناهم إلى المسيحية، والباحثين عنها الذين يرغبون أن

---

[١] Dykstra, Minnie W. (1952)، ص ٥.

[٢] Report of the Arabian Mission for 1940، ص ١٠.

يكون أولادهم في مدرسة مسيحية بدلا من المدرسة القرآنية التي هم فيها الآن. إنه ينبغي توظيف الفرص التربوية هنا من أجل المملكة"[1].

وقد تمكن القسيس دكسترا من جعل هذا الحلم حقيقة، وذلك عندما انتهى في ١٣٦١هـ/١٩٤٢م من تجديد بناء وتوسعة ما كان أُطلق عليه "مدرسة بتر زويمر التذكارية" في مسقط. فقد أصبحت سعة هذا المبنى الذي أعيدت تسميته "دير بتر زويمر التذكاري" (Peter Zwemer Memorial Chapel)، ضعف مساحة المبنى السابق. وساهمت أسرة القسيس بتر زويمر، أخوه صامويل زويمر وأخواته، في تمويل هذا المشروع إلى جانب بعض المساهمات التي تَقَدم بها المقيمون الإنجليز في مسقط والمستفيدون من خدمات هذا المبنى[2].

وعبر القسيس دكسترا عن النشاط التعليمي الذي يقدمه المبنى الجديد قائلا: "لقد توجه تفكيرنا لعدة سنوات تجاه الأطفال الذين وضعهم الرب تحت رعايتنا. إن هؤلاء الأطفال هم أبناؤنا نحن المجموعة المسيحية، وأبناء أولئك الذين اعتمدوا علينا في أن نريهم الطريق الذي يجب أن يسلكوه. لا يمكننا أن نراهم ينجرفون أو يوضعون تحت مؤثرات أخرى، لذا فقد خصصنا منذ بداية العام نصف كل يوم لمدرسة ابتدائية. إن التعليم الأساسي يكون باللغة العربية؛ القراءة والكتابة والرياضيات، مع بعض الوقت الذي يُخصص للرسم والجغرافيا والتاريخ. وندرس الأطفال الأكبر سنا كذلك اللغة الإنجليزية حتى يكونوا مفيدين في المستقبل، إما بالعمل في المدرسة، أو في أحد مستشفياتنا. إن هذه المجموعة المكونة مما يقارب من درزينتين من الأطفال هي النواة لقوة أهلية للتبشير في هذه البلد، وليس مِنْ عملٍ معهم سيذهب في فراغ، بل سيظهر ذلك في عوائد غنية في الأيام القادمة. إن أسفنا الوحيد هو أننا لا نستطيع أن نعطي كل وقتنا وجهدنا لهؤلاء الأطفال؛ لذا فإننا

---

[1] Annual report of the Arabian Mission for 1937، ص ١٩.

[2] Dykstra, D. and M. (1942)

نلح مرة أخرى على الإرسالية والكنيسة بالحاجة إلى المزيد من الأفراد؛ لتحمل مسؤولية هذا الجزء من العمل المهم"[١].

ويتم التدريس في هذه المدرسة في الفترة الصباحية من يوم الاثنين إلى يوم الجمعة، ولمدة ثلاثة أسابيع في الشهر، حيث جعل السيد دكسترا الأسبوع الأخير من كل شهر للجولات التنصيرية خارج إطار مسقط[٢].

وذكرت تقارير الإرسالية لعامي ١٣٦٦- ١٣٦٧هـ/١٩٤٧م و١٩٤٨م أن مدرسة الإرسالية في مسقط تأثرت بالروح الوطنية التي سادت منطقة الشرق الأوسط إثر احتلال الصهاينة لفلسطين. فنتيجة لذلك أُغلقت المدرسة لمدة نصف عام بسبب المشاعر المعادية للغرب. وأعيد افتتاح المدرسة بإذن شفوي من السلطان شخصيا. ورأى عناصر الإرسالية في هذه الأحداث تهديدا ليس موجها إلى المدرسة فحسب بل وإلى سائر أنشطة الإرسالية في عمان لا سيما وأن الصلوات التي تقام في المستوصفات واجهت الموقف نفسه[٣]. إلا أن هذه المواقف المعادية للإرسالية وأنشطتها ما لبثت أن زالت بعد ذلك.

وكان لإمداد مركزي مسقط ومطرح بمزيد من العناصر التنصيرية أثر في فاعلية المدرسة. ففي ١٩٤٨م أقام في هاتين المدينتين أربع عائلات تنصيرية هم آل دكسترا وآل كابنجا وآل تومس وآل هوزنكفيلد، مما أعطى وقتا كافيا للاعتناء بالتعليم، وأوجد كذلك التلاميذ الذين تحتاج إليهم المدرسة.

وبعد تقاعد السيد دكسترا وزوجته في ١٣٧٠هـ/١٩٥١م تحولت إدارة المدرسة إلى رعاية القسيس جي كابنجا (Mr. Jay Kapenga) وزوجته. ويمكن اعتبار تسلم القسيس كابنجا وزوجته هذه المسؤولية بداية لحقبة جديدة في تاريخ النشاط

---

[١] Dykstra, D and M. (1942)، ص ٤.

[٢] Annual report of the Arabian Mission for 1943.

[٣] Annual Report of the Arabian Mission for 1947. و Annual Report of the Arabian Mission for 1948

التعليمي للإرسالية من حيث انتظام الدراسة، وثبات عدد التلاميذ، وتوافر المدرسين، واستخدام منهج دراسي محدد.

وأصبح لمدرسة الإرسالية في مسقط لأول مرة في تاريخهـا مدير متخصص دائم، وذلك عندما التحقت بها في ١٣٥٧هـ/١٩٥٧م الآنسة رشيل جاكسون (Miss. Rachel Jackson) التي تقاعدت في ١٣٧٩هـ/١٩٦٠م. وابتداء من ١٣٧٩هـ/١٩٦٠م تفرغت السيدة إلويس بوش للعمل بمدرسة الإرسالية بشكل دائم" وذلك بعد مغادرة أطفالها الثلاثة ديفيد (David) وبول (Paul) وبوني (Bonnie) للدراسة في الهند. ثم التحقت بالمدرسة في ١٣٨٣هـ/١٩٦٣م نانسي جاردن (Nancy Garden) لتقدم إلى المدرسة خبراتها الإدارية حتى عام ١٣٨٩هـ/١٩٦٩م.

وبلغ عدد تلاميذ المدرسة في ١٣٧٩هـ/١٩٦٠م ٦٩ تلميذا منهم ٣٧ بنتا و٣٢ ولدا. فقد جاء هؤلاء التلاميذ- كما قال المنصرون: "من العائلات المسيحية المحلية، وغيرهم من الموظفين، وبعض الطلاب المحليين، خاصة البنات التي تنتمي إلى عائلات تريد لبناتها تربية أكثر اتساعا من التي تحصل عليها في المدارس القرآنية. والمدرسة الحكومية في مسقط مخصصة للأولاد فقط، ومواردها محدودة، ومدرسوها غير مؤهلين"[١].

ومن هذه الحقبة بدأت الإرسالية توجه العناية أكثر نحو استقطاب البنات في مدارسها. فبلغ عدد البنات الملتحقات بمدرسة الإرسالية في ١٣٨٠هـ/١٩٦١م سبعين بنتا مقابل خمسة عشر ولدا. ويعود السبب في ذلك- حسب قول الإرساليين- إلى أن مدرستهم هي المدرسة الوحيدة التي توفر التعليم المنتظم للبنات في البلد كلها. ولأن كثيرا من العائلات ترغب في تعليم بناتها أيضا. فقد وفرت

---

[١] Annual Report of the Arabian Mission for 1959، ص ٤، و Annual Report of the Arabian Mission for 1960

المدارس الحكومية فرصا تعليمية للأولاد، في حين أن تعليم البنات كان لا يزال مهملا[1].

وابتداء من ١٣٧٤هـ/١٩٥٥م اشتملت المدرسة على روضة وفصل تمهيدي وفصول دراسية من ست مراحل. ويلتحق بالروضة التلاميذ من سن خمس إلى ست سنوات، حيث يتعلم هؤلاء الأطفال الأرقام والحروف والأشكال والألوان واللغة الإنجليزية وبعض الأغاني باللغة العربية والإنجليزية. وقبل أن يلتحق هؤلاء الطلاب بالفصل الدراسي الأول يقضون عاما آخر في الفصل التمهيدي حيث يتلقون المزيد من التدريب على الحروف والأعداد والرياضيات. ويشتمل منهج الفصول الدراسية الستة الأخرى على القراءة والكتابة واللغة الإنجليزية واللغة العربية. ويُدرِّس التلاميذ ابتداء من الصف الرابع إلى السادس تاريخ عمان وجغرافيتها. كما تُدرَّس مادة الأخلاق ومادة في الديانات العالمية. كما اشتمل المنهج الدراسي على مواد تطبيقية حيث تدرس، الخياطة ورعاية الأطفال، والأعمال الخشبية. واشتمل البرنامج كذلك على درس أسبوعي في الخياطة والتطريز. حيث تجتمع الفتيات أسبوعيا يوما واحدا في فترة العصر لممارسة هذا النشاط في ملعب التنس في مركز الإرسالية في مطرح. وتُنظم المدرسة رحلة أسبوعية إلى شاطئ القرم يستمتع فيها الطلاب بالسباحة في البحر. حيث ينقسم الطلاب إلى مجموعتين فيسبح الذكور في جهة والبنات في جهة أخرى. وتُنظم المدرسة سنويا يوما مفتوحا لأولياء أمور الطلاب، يزور خلاله أولياء الأمور أبناءهم في المدرسة ويتعرفون على سير دراستهم، ويناقشون مشاكلهم مع المدرسين. كما تُنظم المدرسة احتفالات سنوية بمناسبة عيد الميلاد يحضرها طلاب جميع المراحل، ويشتمل البرنامج على مسرحيات تمثل مولد السيد المسيح – عليه وعلى نبينا أفضل الصلاة والسلام[2].

---

[1] Annual Report of the Arabian Mission for 1962

[2] Bosch, Donald and Eloise (2000)

وبعد عام ١٣٩٠هـ/١٩٧٠م استمرت الإرسالية في ممارسة التعليم على عكس ما حصل للخدمة الطبية التي حُولت إلى رعاية الحكومة مباشرة. فقد استمرت مدرسة الإرسالية تقدم خدماتها في مسقط تحت اسم "مدرسة الأمانة". حيث كانت تدير هذه المدرسة السيدة ميري ماركلي (Mary Markley) وهي مصرية تنتمي إلى الطائفة البرسبيتيرية. وعينت في بداية الثمانينيات من القرن الماضي السيدة نانسي روهورست (Nancy Rouwhorst) مديرة للمدرسة، ويساعدها في السلك التعليمي إرساليات فنلنديات (Tuhkanens). وكانت هذه المدرسة تقدم التعليم الابتدائي فقط. ويقول لويس سكدر مؤلف كتاب "تاريخ الإرسالية العربية": "فإن البيروقراطية التي مارستها الحكومة مع ظهور النظام التربوي العماني الجديد في الثمانينات من القرن الماضي، والتدخلات المتواصلة من قبل الجهات المسؤولة جعل مواصلة المدرسة لدورها كمدرسة نصرانية أمرا مستحيلا فأدى إلى إغلاقها في ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م"[١].

٢. ٦. ٤. ملخص

كان التعليم أحد الأنشطة التنصيرية التي عمل أعضاء الإرسالية العربية في مسقط على تفعيله منذ لحظة وصولهم عمان من أجل تحقيق أهدافهم التنصيرية. وظهرت جهودهم في هذا الشأن بطلب القسيس بتر زويمر من السلطان الإذن له بافتتاح مدرسة لتعليم الأطفال المحليين، وحصل على إذن شفوي منه، إلا أن جهوده فشلت بسبب عدم رغبة المواطنين تدريس أبنائهم عند مُنَصِّر.

وتحقق أمل القسيس زويمر عندما ألقت القوات البحرية البريطانية المرابطة في مسقط القبض في ١٣١٤هـ/١٨٩٦م على مجموعة من السفن تحمل رقيقا إفريقيين معظمهم من الأطفال تقل أعمارهم عن ثماني عشرة سنة، فتقدم القسيس زويمر إلى المقيم البريطاني في مسقط بطلب إعطائه مجموعة من أولئك الأطفال من أجل

---

[١] Scudder, Lewis R. (1998)

تعليمهم. وهكذا أنشأ المنصرون أول مدرسة لهم في مسقط أطلقوا عليها اسم "المدرسة الصناعية للرقيق المحررين". وبعد أن بلغ أولئك الأطفال السن القانونية غادروا مسقط، وأصبح مصير المدرسة الإغلاق في ١٣١٨هـ/١٩٠١م؛ نتيجة عدم موافقة مجلس أمناء الإرسالية على رعاية المزيد من الرقيق.

ثم عاد الحديث مرة أخرى عن النشاط التعليمي في مركز مسقط في ١٣٢٢هـ/١٩٠٤م، وذلك عندما تمكن القسيس مورديك من تجميع عدد من الأطفال والشباب لتعليمهم اللغة الإنجليزية في مقر الإرسالية. واستمر نشاط الإرسالية في هذا المجال في التذبذب حتى نهاية الأربعينات وبداية الخمسينات من القرن العشرين، وذلك عندما تمكن أولا القسيس دكسترا وزوجته ولاحقا القسيس كابنجا وزوجته من تكوين مجموعة من الدارسين اتخذت ملامح مدرسة فعليه. وقد تمكنت الإرسالية طوال فترة الخمسينات والستينات من الاحتفاظ في مركزها في مسقط بمدرسة حقيقية ذات منهج دراسي ومدرسين ومديرين وعدد ثابت من الطلاب. وكانت مدرسة الإرسالية التي اشتملت على روضة وفصل تمهيدي ومرحلة ابتدائية من ستة فصول دراسية تقدم خدماتها إلى أبناء الإرساليين العاملين في مركزي الإرسالية في مسقط ومطرح، وإلى أبناء العمانيين العاملين في تلك المراكز، وعدد آخر من الأطفال المحليين الذين رغب آباؤهم في إلحاقهم بمدرسة الإرسالية.

وبعد عام ١٣٩٠هـ/١٩٧٠م استمرت هذه المدرسة في تقديم نشاطها التعليمي في مسقط تحت اسم "مدرسة الأمانة" وذلك حتى عام ١٤٠٧هـ/١٩٨٧ عندما قررت الكنيسة المصلحة الأمريكية إغلاقها.

٢. ٧. الطب

"لقد كان العمل الطبي أكثر الأساليب نفعا. لقد نزع سلاح المعارضة ومهد السبيل للأشكال الأخرى من العمل. فمن خلال المستشفى صُنعت الصداقات التي أثرت على المناطق البعيدة جغرافيا عن الإرسالية".

الطبيب هارولد ستورم[١]

بعد عدة سنوات من الاستقرار والعمل في عمان، شعر عناصر الإرسالية العربية أن الحاجة إلى خدمات طبية تنصيرية لم تصبح ضرورة ملحة من أجل التنصير فحسب، بل ولخدمتهم هم كذلك. وفي ١٣٢٢هـ/١٩٠٥م بدأ مركز الإرسالية في مسقط يقدم بعض الخدمات العلاجية للناس. ثم توسعت هذه الخدمة أولا على يد الطبيب شارون تومس الذي افتتح في ١٣٢٦هـ/١٩٠٩م مستوصفاً للإرسالية في مطرح، وثانيا بإنشاء مستوصف مسقط النسائي في ١٣٣١هـ/١٩١٣م. وتطور نشاط الإرسالية الطبي في عمان ليصبح من أهم الأنشطة التنصيرية التي تمارسها في هذا البلد، وذلك إلى عام ١٣٩٠هـ/١٩٧٠م عندما تحولت مستشفيات الإرسالية إلى الملكية الحكومية.

٢. ٧. ١. تأسيس النشاط التنصيري الطبي في عمان

عندما أسست الإرسالية العربية مركزها التنصيري في مسقط كان يوجد مستوصف تابع لشركة الهند البريطانية يقدم خدمات علاجية لأهل المدينة، أما سائر عمان فكانت مفتقرة إلى هذه الخدمات. وأشار السيد كانتاين في عدد أبريل- يونيو ١٨٩٩م من دورية الإرسالية إلى أهمية تزويد مركز مسقط بمساعد طبيب لخدمة المنصرين الذين يعانون من تدهور صحتهم في كثير من الأحيان. ورفع بعد

---

[١] Storm, W. Harold (1938)، ص ٩٣.

ذلك أعضاء الإرسالية العربية في ختام اجتماعهم السنوي لعام ١٣١٧هـ/١٩٠٠م الذي عُقد في البصرة نداء إلى أمناء الإرسالية مطالبين بتزويد مركز مسقط بطبيب منصِّر للعلاج المتجول[١].

وبدأ المركز يقدم بعض الخدمات العلاجية المحدودة للجيران خاصة النساء عندما التحقت به السيدة اليزابث كانتاين التي وضعت في ١٣٢٢هـ/١٩٠٥م صيدلية في إحدى زوايا الطابق الأرضي من مبنى الإرسالية. وذكر السيد كانتاين هدف ذلك قائلا: "كنا سعداء أن نعطي هذا من أجل إظهار الحب ومن أجل الصدقة التي كنا نخبرهم بأنها موجودة في نبيهم عيسى الذي نحن أتباعه"[٢].

ثم بدأ الجانب الطبي يلقى اهتماما أكثر عند أمناء الإرسالية في أمريكا. ففي اجتماعهم السنوي في ١٩٠٨م جعلوا من مركز مسقط بديلا تصرف إليه الستة آلاف دولار التي تم جمعها لإنشاء مستشفى في البصرة إذا لم تتوفر الشروط اللازمة له[٣].

وجاءت الخطوة المهمة في هذا المجال في اجتماع أمناء الإرسالية الذي عُقد في جمادى الآخرة ١٣٢٧هـ/٢٤ مارس ١٩٠٩م، وحضره أيضا كل من صامويل زويمر وجيمس كانتاين. فقد أصدر المجتمعون قراراً بافتتاح مستشفى للإرسالية في مطرح جاء نصه: "على الطبيب توماس، الآن، أن يفتتح عملا طبيا في مطرح القريبة من مسقط. وعليه أن يكَوِن نفسه هناك في أقرب فرصة ممكنة". وخُصص مبلغ ١٥٣٣ دولارا لهذا المشروع. وكذلك وافق الأمناء في الاجتماع نفسه على جمع ٨٠٠ دولار– كان فعلا قد جمع منها ٥٠٠ دولار– لإنشاء مستوصف للنساء في مدينة مسقط[٤].

وإثر موافقة مجلس أمناء الإرسالية في أمريكا على إضافة الطب إلى أنشطة الإرسالية في مسقط وجه مجلس الإرسالية المجتمع في البصرة ذلك العام أمرا إلى الطبيب شارون جي تومس (Sharon J. Thoms,) – الذي كان آنذاك يعمل في

---

[١] Barny, F. J. (1900).

[٢] Cantine, James (1905 b)، ص ١٢.

[٣] The Arabian Mission, Trustees' Meeting (1908)

[٤] The Arabian Mission Trustees' Meeting 1909

مستشفى الإرسالية في البحرين– بالتوجه إلى عمان لافتتاح المستشفى المنصوص عليه في مدينة مطرح. وبصدور هذا القرار الذي وصفه الطبيب شارون توماس بأنه مفاجئ، أُستهل النشاط الطبي المنظم كأداة تنصيرية في هذا البلد ليستمر حتى عام ١٣٩٠هـ/١٩٧٠م.

وذكر الطبيب شارون توماس أن السلطان (فيصل) قد رفض السماح للإرسالية بممارسة النشاط الطبي في مطرح. فقد استدعى السلطانُ الطبيبَ إلى القصر ليبلغه ممانعته إنشاء مستشفى في مملكته وأمره بالمغادرة، أو على الأقل عدم ممارسة العلاج. إلا أن الطبيب أصر على البقاء والمضي قدما في تنفيذ ما جاء لأجله. ويروي الطبيب توماس ذلك قائلا: "لقد دُعينا أنا والسيد بارني (Mr Barny)[1] للمثول أمام السلطان ليخبرنا بأن لديه عددا كافيا من الأطباء في مملكته، وأنه يجب عليَّ المغادرة أو على الأقل عدم ممارسة الطب. وقد أوضحنا له بأنه يوجد طبيب واحد في مسقط، ولا يوجد أحد أبدا في مطرح، إلا إذا كان يعد الحكماء المحليين الذين لا يستطيعون إخراج شظية من قدم إلا بتعريض المريض لتسمم الدم أطباء. وبينا له أن هناك الكثير من العمل لستة أطباء على الأقل في أي من المكانين المذكورين، والأكثر من ذلك أن اتفاقيتنا أعطت لنا الحق في ممارسة الطب هنا، خاصة وأن طبيبا من جنسية أخرى يمارس ذلك.

وقد استمرت المعارضة، لا سيما وأن الممثل الأمريكي ليس إلا نائب قنصل، وهو مسلم وبريطاني من الهند[2]. ولذا فيمكن تصور ضآلة الدعم الذي حصلت عليه من هذا القنصل. إن هذا هو الممثل الوحيد لنا من بيروت إلى بغداد، مسافة بخط

---

[1] المنصر المقيم في مسقط في تلك الفترة

[2] هو محمد فضل من مواليد الهند، ويحمل الجنسية البريطانية. وظفته في مكتبها في مسقط شركة جاك تاول (Jack Towell Company) التي كانت تعمل في مسقط كوكالة لشركة خط الهند بريطانيا (British India Line, Lloyds) وشركة مقاييس النفط (Standard Oil Company) التي كانت تقوم كذلك بتصدير التمور والرمان إلى الهند والولايات المتحدة الأمريكية. أشترى محمد فضل شركة تاول في ١٩٠٦م بأحد عشر ألف روبية (٣,٤٠٠ دولار امريكي). Joyce, Miriam (1995)

ساحلي طوله خمسة آلاف ميل. وقد أحيل الأمر الآن إلى واشنطن، حيث إني آمل أن لا تحل هذه الصعوبة فقط، بل على الأقل سيُعَين قنصل حسن التدريب لهذا الساحل على أن تكون إقامته في مسقط"[1].

نجحت مفاوضات الإرسالية مع السلطان، فاستأجر الطبيب توماس بيتا يقع على جهة البحر في مطرح. وفي ربيع الأول ١٣٢٧هـ/٨ إبريل ١٩٠٩م انتقل الطبيب شارون تومس إلى ذلك البيت وافتتح مستوصفا في الطابق السفلي منه وبدأ فعلياً في استقبال المرضى. وعمل إلى جانب الطبيب تومس عند افتتاح المستشفى زوجته ميي (Mrs. May Thoms) التي تقدم له العون في خدمة النساء. والتحق به بعد بضعة أشهر مساعد متنصر من أفغانستان تلقى التدريب في مستشفى الإرسالية الإنجليزية في شمال الهند[2].

٢. ٧. ٢. مستشفيا الإرسالية في مسقط ومطرح

مع نهاية ١٣٣٠هـ/١٩١٢م كانت الخطط والأموال جاهزة لبناء مستشفى مستقل في مدينة مطرح. حيث تمكن الطبيب تومس أثناء قضائه الإجازة الدورية في أمريكا بين عامي ١٣٢٨- ١٣٢٩هـ/١٩١٠-١٩١١م من الحصول على ٦٠٠٠ دولار كهبة مقدمة من الدكتور والسيدة دبليو بانروفت هِل (Dr and Mrs. W. Baneroft Hill) لدعم بناء هذا المشروع في مطرح. وأشار تقرير الإرسالية الصادر عن تلك الفترة إلى معارضة السلطان بيع الإرسالية أرضا لإنشاء هذا المستشفى[3]. إلا أن موت الطبيب تومس المفاجئ في محرم ١٣٣١هـ/يناير ١٩١٣م أوقف المفاوضات مع السلطان[4] وتأجل بناء المستشفى إلى عام ١٣٤٨هـ/١٩٣٠م عندما التحق

---

[1] Thoms, Sharon J (1909)، ص ١١.

[2] Thomas, Saharon J. (1910)

[3] Calverley, Eleanor T (1913)

[4] Mason, Alfred De Witt (1926)

بالإرسالية القسيس دِرك دكسترا (Dr. Dirk Dykstra) الذي تم على يديه تنفيذ هذا المشروع[1].

وفي تلك الأثناء تمكنت السيدة اليزابث كانتاين وزوجها جيمس من خلال حملة قامت بها في الولايات المتحدة الأمريكية من تجميع ١٣٠٠ دولار لإنشاء "مستوصف مسقط النسائي" الذي افتتح في ١٣٣١هـ/١٩١٣م. وفي العام التالي- ١٣٣٢هـ/١٩١٤م- عينت الإرسالية الدكتورة سارة هوسمون (Dr. Sarah. L. Hosmon) للعمل في ذلك المستشفى وبقيتْ تعمل فيه حتى تقاعدها المفاجئ في ١٩٣٨م، تاركة مستشفى مسقط بدون طبيب مقيم. ودُعم الطاقم الوظيفي لمستشفى النساء في مسقط في ١٣٣٥هـ/١٩١٧م بالممرضة الهندية ميري المتخصصة في حرفة القِبَالة.

إلا أن النشاط الإرسالي الطبي في مركزي عمان، بل وفي الخليج العربي بشكل عام، تأثر بعد عام ١٣٣٢هـ/١٩١٤م بنقص في الأطباء سواء كان نتيجة مغادرة بعضهم في إجازات إلى الولايات المتحدة، أو نتيجة عدم تعيين أطباء جدد بسبب الصعوبات المالية التي تمر بها الإرسالية. فقد غادر في تلك السنة الطبيب والسيدة وورل إلى الولايات المتحدة تاركين عيادة مطرح بدون طبيب حتى عام ١٣٢٦هـ/١٩٢٨م.

وتوالت نداءات الأطباء العاملين في مراكز الخليج الداعية إلى توظيف المزيد من الأطباء. فكتب الطبيب بول هاريسون تقريرا مطولا في عدد أكتوبر- ديسمبر ١٩١٦م من دورية الإرسالية عن الحاجة إلى مزيد من الأطباء. كما أورد الطبيب هاريسون والطبيب ستينلي ملاريا (Stanley Mylrea) نداءات أخرى في عدد أكتوبر- ديسمبر ١٩١٧م ذكر الطبيب ملاريا فيها أن مستشفى مطرح أحد مراكز الإرسالية التي ليس بها أطباء، وكتب الطبيب هاريسون في هذه السنة قائلا: "إن العمل

---

[1] Bosch, Donald , the American Mission Hospitals in Oman: 1893-1974: 81 years. (بدون سنة نشر)

الطبي في مطرح مغلق منذ أربع سنوات. أما الجهود الإرسالية الأخرى فمتواصلة وبنجاح. إلا أن أي رجل قد تجول بين الناس الودودين والكرماء وطيبي القلوب من أصحاب ذلك الجزء من عمان، ورأى واقعيا كيف أن كل مدينة وقرية مفتوحة للطبيب، سيصاب على أقل تقدير بالدهشة عندما يتفكر في حاجتهم الجسمية والروحية، وتجاهلنا الحالي لهم"[١]. كما قامت الطبيبة سارة هوسمون بتوجيه نداء في ١٣٤١هـ/١٩٢٣م مبينة فيه حاجة مسقط إلى طبيب رجل. كما بينت أن مستوصف مسقط لا يستطيع الاعتماد في استمراره على ما يتلقاه من السكان المحليين مقابل العلاج المقدم لهم، حيث أن مسقط – حسب تعبيرها– " فقيرة جدا جدا" وأنها تعمل جاهدة على جعل العائد المحلي يصل إلى الوفاء بنصف المتطلبات فقط[٢]. وعلى عكس المطلوب، قررت هيئة أمناء الإرسالية ذلك العام تخفيض حصة الإرسالية العربية من النفقات؛ وهو ما أثر سلبا على وضع الإرساليين في مراكز الإرسالية المختلفة في الخليج. وإثر هذا القرار كتب الطبيب بول هاريسون يقول: "إن مركز مسقط مزود الآن بامرأتين وكل مقاطعة عمان التي مسقط عاصمتها تنادينا طالبة المعرفة بالمسيح. إن سكانها أكثر أهل الجزيرة العربية تقبلا وكرما، إلا أنه سوف لا تكون هناك رسالة مسيحية لهم. إن التلال والأودية الجميلة في المقاطعات الجبلية ستبقى أماكن لشبح الموت، أرض عطشى لكن لا يوجد ماء لها. الأبواب هناك مفتوحة لنا والناس يريدوننا أن نأتي إليهم. وفي نهاية المطاف وبعد سنوات من الدعاء لأجل تحقيق ذلك أصبح العمال الضروريون على مرأى من المكان، إلا أن التخفيضات جاءت لتقول لنا لا، ليس لدينا شيء لهم"[٣].

---

[١] Harrison, Paul. W. M. D. (1917)، ص ٣.

[٢] Hosmon, Sarah L. (1923 a)

[٣] Hosmon, Sarah L. (1923 b)، ص ١٤.

وجاءت الخطوة المنتظرة في ١٣٤٦هـ/١٩٢٨م، وذلك عندما صدرت الأوامر إلى الطبيب بول هاريسون بإعادة افتتاح النشاط الطبي في مطرح فانتقل هو وأسرته إليها مباشرة[١]. وفي إشارة إلى عودة النشاط الطبي إلى مركز مطرح كُتب في العدد رقم ١٤٤ لعام ١٩٢٨م من دورية الإرسالية: "إننا نبتهج بإعادة افتتاح العمل الطبي في عمان الذي كان لا يزال مغلقا منذ وفاة الطبيب تومس. إن صلوات كل الإرسالية تتوجه إلى الطبيب هاريسون وعائلته في تعيينه الجديد في هذا الحقل حيث أنهم أسسوا بيتهم في مطرح ليكونوا العائلة المسيحية الوحيدة وممثلي السلالة البيضاء في المدينة ذات ١٠,٠٠٠مسلم من أصحاب الألوان القاتمة"[٢]. وابتداء من تلك السنة أصبحت الإرسالية تقوم بنشاطها التنصيري الطبي المنظم في مركزين مختلفين في عمان: الأول في مسقط، والآخر في مطرح.

واستمر تأثر الإرسالية بالتخفيضات في حصتها من الدعم المادي لسنوات عديدة. وحتى إعادة تعيين الطبيب هاريسون تلك في عيادة مطرح لم تكن بسبب زيادة المعونات المادية، بل بسبب الحاجة الملحة إلى ذلك. فقد ذكر الطبيب هاريسون ذلك قائلا: "لقد افتتحت الإرسالية العملَ الطبي في مطرح ليس بسبب حصولها على زيادة في المصادر المالية والبشرية، ولكن السبب هو أن الحاجة ماسة، والفرص عظيمة"[٣].

إلا أن وضع الإرسالية المالي والأدائي بدأ يشهد تحسنا ابتداء من ١٣٤٨هـ/١٩٣٠م. فقد تمكنت الطبيبة سارة هوسمون في ١٣٤٩هـ/١٩٣١م من الحصول على قطعة أرض مجاورة لمستوصف النساء في مسقط كهدية مقدمة من السلطان مقابل نجاحها في علاج إحدى قريباته[٤]. وفي الحال أشرفت الطبيبة

---

[١] "One more year's work for Jesus" in Neglected Arabia No 144 January-March 1928

[٢] Neglected Arabia No. 144, January-March 1928، ص ٦.

[٣] Harrison, Paul W (1928 a)، ص ١٠.

[٤] Annual Report of the Arabian Mission for 1929-1930,

هوسمون على بناء جناح جديد للمستشفى على قطعة الأرض هذه مكون من ثماني غرف وثلاث شرفات كبيرة، قام ببنائه عمال عمانيون[1].

وفي ١٣٥٢هـ/١٩٣٣م انتهى القسيس درك دكسترا من العمل في بناء مستشفى مطرح الرجالي الذي عُرف في وسط المنصرين باسم "مستشفى نوكس التذكاري" (Knox Memorial Hospital). وبالرغم من أن السيد دكسترا لم تكن لديه خبرات عملية سابقة في العمل المعماري إلا أن استعانته بكتب الهندسة المعمارية مكنته من إنشاء مبنى يُعدُّ – حسب تقرير الإرسالية– "مثالا للمستشفيات في هذا الجزء من العالم لعدة سنوات قادمة"[2]. وذلك لأن مستشفى مطرح– كما يقول التقرير– كان أول مبنى في عمان– بل وفي شرق الجزيرة العربية– استخدم في بنائه الأسمنت والحديد. فجميع الأعمدة والأسقف استخدم فيها الخرسانة المدعومة بقضبان الحديد. وبذلك يكون هذا المبنى المكون من طابق واحد، وبمساحة ١٧٠ في ٤٨ قدما، قادرا على أن يعيش أربعة أضعاف عمر المباني المبنية بالطرق والمواد التقليدية في المدينة. واللطيف في الأمر أن السيد دكسترا تمكن من توظيف قدرات العمال المحليين الذين لم يتعاملوا من قبل مع هذا النوع من الطرز المعمارية ومواد البناء في إنشاء هذا الصرح المعماري الناجح[3].

وكان تعيين الطبيب ولز تومس للعمل في مستشفى مطرح في ١٣٥٧هـ/١٩٣٩م[4]، ووصوله وعائلته إلى المدينة التي أسس فيها أبوه شارون تومس الخدمة العلاجية قبل ٣٠ عاما منعطفا مهم في تاريخ الخدمات الطبية التي تقدمها الإرسالية في عمان. فكان لهذا الطبيب دور كبير في التغيير الكمي والكيفي لأداء مستشفى مطرح خلال السنوات القادمة حتى عُرف هذا المستشفى في الوسط العماني

---

[1] "Annual Report of the Arabian Mission for 1930-1931"

[2] "Annual Report of the Arabian Mission for 1933"، ص ١٥.

[3] Dykstra, D (1935 a)

[4] "Annual Report of the Arabian Mission for 1939"

بمستشفى "طومس" ولا يزال يتردد اسم الطبيب تومس على ألسنة العمانيين الذين يحملون ذكريات مستشفى الإرسالية الأمريكية في مطرح إلى يومنا هذا.

وبالرغم من تأثر الإرسالية السلبي في مسقط بالوضع الاقتصادي العالمي الذي أعقب الحرب العالمية الثانية، إلا أن الطبيب ولز تومس تمكن من تحقيق العديد من الإنجازات التي أضافت إلى مستشفاه إمكانات جديدة، ومنحته القدرة على مواكبة التطورات المعاصرة خاصة حاجة الناس الملحة والمتصاعدة إلى خدمات المستشفى الوحيد في البلد. فقد ذكر الطبيب تومس- في تقرير عام ١٣٥٩هـ/١٩٤٠م-: "لقد زادت معدات المستشفى بإضافة ماكينة لأشعة أكس، وهي هدية مقدمة من السيد دبليو أم بونهام (Mr. W M Bonhan)، من بوستون، الذي تأثر تأثرا شديدا بقراءة مقال "طبيب الصحراء""Desert Doctor" المنشور في "ريدر دايجست" "Reader Digest". وقد تم إحياء زيارة السلطان [سعيد] لرؤية ماكينة الأشعة هذه بأخذ صورة إكس ليده ويد الطبيب في "قبضة صداقة ومتانة". وأما المولد الكهربائي الذي قُدم هدية من طلاب كلية الأمل (Hope College) فيزود المستشفى بأكمله، وسكن الأطباء، ومضخة الماء بالطاقة. كما أضيفت سكين كهربائية إلى معدات غرفة العمليات"[1].

واعتمد المستشفى فيما يتعلق بالمعدات والأجهزة والتوسعات اعتمادا كليا على التبرعات التي تقدمها المؤسسات الخيرية في إمريكا، أو يتقدم بها أفراد تربطهم بأعضاء الإرسالية علاقات شخصية أو يتأثرون بالمقالات والتقارير التي تنشر عن الوضع الصحي للسكان، وعن الخدمات التي يقدمها المستشفى للمحتاجين. فقد تبرع أحد أصدقاء الطبيب تومس الهنود- وكان صديقا لأبيه شارون تومس أيضا- في ١٣٦٢هـ/١٩٤٣م بمبلغ مالي لبناء جناح لمرضى السل، مشترطا أن يطلق عليه اسم "مستشفى شارون جي تومس للأمراض المعدية" (Sharon J. Thoms Hospital for Contagious Disease). كما تبرع أحد الأصدقاء المحليين ببناء

---

[1] "Annual Report of the Arabian Mission for 1940"، ص ١١.

سور[1] على أرض مجاورة للمستشفى بمساحة ٣٠٠ قدم مربع، كان السلطان سعيد بن تيمور قد سمح للمستشفى بشرائها. وقد خصصت هذه الأرض لإنشاء ثلاث غرف لعلاج المرضى المجذومين تبرعت ببنائهن "الإرسالية الأمريكية للمجذومين" (American Mission to Lepers). وتبرعت أيضا "منظمة كنيسة زيلاند" (Zeeland Church Organization) بمبالغ مالية لدعم هذا المشروع. وتبرعت كذلك مؤسسة كولمان (Coleman Foundation) في نيويورك بألف دولار خصصها المستشفى لشراء طقم من أدوات معالجة العيون للعلاج المتنقل. كما حصل المستشفى على العديد من الهدايا التي قُدمتْ على هيئة ضمادات للعمليات، وأغطية أسرة، ومناشف، وقناني للمياه الساخنة، ومساحيق غسيل[2]. إلا أن الحاجة إلى إضافات جديدة في مبنى المستشفى بقيت أمرا مستمرا. فقد ذكر الطبيب تومس في أحد تقاريره أن المستشفى بحاجة إلى إنشاء عدد من المطابخ يستخدمها المرضى المنومين لحفظ أمتعتهم، ويطبخ فيها المرافقون للمرضى طعامهم؛ حيث إنه قد لا حظ صعوبة في إبقاء أجنحة المستشفى نظيفة في الوقت الذي تستخدم لتخزين حاجات المرضى[3].

وكان لاعتماد مستشفيات الإرسالية على المساعدات والعطايا الخارجية بشكل أساسي، أثر على مقدرتها في تلبية الحاجات العلاجية للناس، والإبقاء على سقف الأداء خاصة في فترات تقلص العطايا، وارتفاع الأسعار. فعلى سبيل المثال، ذكر الطبيب تومس في تقرير ١٣٦١هـ/١٩٤٢م قائلا" قدم المستشفى في هذا العام عدداً أقل من الحقن عنه في العام السابق؛ بسبب نقص الأدوية وغلائها. فلم يتمكن المستشفى من الحصول على النيوسالفرسان (Neo-Salversan)؛ لذا فقد اقتصد

---

[1] عندما قارب هذا السور على الانتهاء وسويت الأرض الداخلية انهدم جزء كبير منه بسبب الفيضانات العارمة التي اجتاحت مطرح في ١٩٤٤م، وأعيد بناؤه بعد ذلك مباشرة. Annual Report of the Arabian Mission for 1944"

[2] Annual Report of the Arabian Mission for 1940.

[3] Thomas, W. Wells (1943)

في استخدام المخزون الموجود الذي كان من أصله قليلا. وقد ارتفع سعر سلفات الكوينين (Quinine Sulphate) من ثلاثين روبية للباوند إلى ثلاثمائة وخمسين روبية للباوند. وهذا هو أحد الأدوية التي لا نستطيع العمل بدونها؛ لذا فإننا نعتبر أنفسنا محظوظين للغاية إن استطعنا الحصول عليه بأي قيمة"[1].

وفي جمادى الآخرة ١٣٨٧هـ/١٥ إبريل ١٩٤٨م أزاح السلطان سعيد بن تيمور الستار عن اللوحة التذكارية "لمستشفى شارون تومس للأمراض المعدية"[2] وقص الشريط معلنا بداية حقبة جديدة في تاريخ مستشفى مطرح الرجالي، وتاريخ مرضى الجذام، والأمراض الجلدية المعدية الأخرى في البلد. ويقول الطبيب ولز تومس الذي شهد على يديه هذا القسم النور: "عندما أوكلت إليَّ في ١٩٣٩م مسؤولية مستشفى نوكس التذكاري في مطرح استوقفتني حاجتان عظيمتان. الأولى كانت الحاجة إلى مستشفى منفصل حيث يمكن عزل ومعالجة المرضى الذين يعانون من الأمراض المعدية مثل السل، والجذام، وجديري الماء. وأما الثانية فكانت الحاجة إلى التحكم في مطمر نفايات المدينة الواقع خلف منزلنا مباشرة وتنظيفه. فقد كانت الرائحة الكريهة وأسراب الذباب التي تأتي بها الريح من أكوام القمامة تجعل الحياة في بعض الأحيان لا تطاق. ولقد آمنا أنا وبث (Beth)[3] أنه إذا شاء الرب فسنحصل على تلك القطعة من الأرض. وإنه سيجعل الأمر سهلا للحصول عليها. ولقد منحنا السلطان في ١٩٤٢م تلك الأرض بعد أن ثبت أنه لا أحد لديه صك مكتوب بملكيتها[4]. ونص الصك الذي زينت الزاوية اليمنى من أسفله بالختم السلطاني وتوقيع المالك، على أنه "قد مُنِحَتْ الإرسالية الأمريكية قطعة أرض مقاسها مائتي ذراع في مائة وخمسين ذراعا تقع مطابقة للحدود الجنوبية لممتلكات

---

[1] Thomas, W. Wells (1943)، ص ١١.

[2] Annual Report of the Arabian Mission for 1948

[3] السيدة بث توماس، زوجة الطبيب ولز تومس.

[4] ذكر الطبيب ولز تومس أن تلك الأرض كانت في عهد أبيه شارون تومس مزرعة تسقى من بئر محلية، ونتيجة للجفاف ماتت الزراعة، وتحولت إلى أرض خراب.

مستشفى الإرسالية ليتم استخدامها كموقع لتشييد بنايات يعالج فيها الذين يعانون من الأمراض المعدية". وبما أننا نملك الدليل الواضح على رضا الرب عن خطتنا فقد آمنا بأن الأموال التي نحتاجها لإكمال الخطة ستأتي. لقد دعونا أن يوفر الرب الأموال التي نحتاجها لتنظيف الأرض، وبناء حائط حولها، وحفر بئر جديدة، وتشييد مبنى للمصابين بالسل، وآخر للمجذومين. لقد استجاب الرب إلى دعائنا، وما كان يُعَدُّ أدنى الأماكن جاذبية في المدينة أصبح الآن أكثرها جاذبية"[1].

ويبدو أن عدد المرضى الذين كانوا يفدون إلى مستشفى مطرح يرتفع عاما بعد عام. ففي ١٣٥٩هـ/١٩٤٠م، مثلا، وفر المستشفى ٣١٣٨٥ حالة علاج. نُوِّم منهم ٣٢١ مريضا، من بينهم ٧٤ امرأة[2]، أما عام ١٣٦٤هـ/١٩٤٥م فكان عدد الخدمات التي قدمها مستشفيا مطرح ومسقط ٥٩٤٦٧ حالة علاج منها ١٢٥٥ عملية صغرى وكبرى وعيون، وبلغ مجموع اللذين نوموا ٧٠٩ مريضا أمضوا في المستشفى ٢٠ يوما في المتوسط. كما قُدِّمَتْ ٨٨٧٣ حقنة، وعُمل ٨٣٠ فحصا مختبريا و٥٤٠ فحصا فلوروسكوبيا[3]. ولم يكن المستشفى هدفا للمرضى العمانيين الذين يأتون من المناطق الساحلية والداخلية من عمان فحسب، بل يَعبر إليه المرضى من جنوب فارس وبلوشستان، بل جاء أحد المرضى من دبي[4].

وفي أواخر حقبة الستينات (من القرن العشرين الميلادي) شهد مستشفيا الإرسالية في مسقط ومطرح تزايدا شديدا في أعداد المرضى فاق الطاقة الاستيعابية لكل منهما. فمقارنة بين عامي ١٩٦٨م و١٩٦٩م في الجدول التالي تُظهر الارتفاع الحاد في عدد الحالات التي تلقت العلاج في هذين المستشفيين[5]:

---

[1] Thomas, W. Wells (1951)، ص ٣.

[2] Annual Report of the Arabian Mission for 1940"

[3] Annual Report of the Arabian Mission for 1945

[4] Annual Report of the Arabian Mission for 1941.

[5] Bosch, Donald "The American Mission Hospitals in Oman: 1893-1974: 81 years"، ص ١٢١.

	١٩٦٨م	١٩٦٩م
مستشفى مطرح– العيادة الخارجية	٤٠,٠٠٠ حالة	٥١,٨٠٠ حالة
مستشفى مطرح– العيادة الداخلية	٢,٥٦٦ حالة	٢,٥٦٦ حالة
مجموع العمليات الجراحية	١,٩٣٧ حالة	٢,٣٨٥ حالة
عمليات العيون	٦٥٦ حالة	٩٨٥ حالة
مستشفى مسقط– الولادات	٢,١٢٠ حالة	٢,٣٢٦ حالة
مستشفى مسقط– العيادة الخارجية	٢٨,٠٠٠ حالة	٣٠,٠٠٠ حالة

الجدول رقم ١ مقارنة بين عدد المرضى في مستشفيي الإرسالية في مسقط ومطرح عامي ١٩٦٨م و١٩٦٩م.

*لم يزدد عدد المرضى المسجلين في العيادة الداخلية في مستشفى مطرح بسبب عدم زيادة الأسِرة

وقد يكون أحد أسباب تلك الزيادة المطردة هو ارتفاع عدد السيارات العاملة في البلد والتي سهلت إلى حد ما الانتقال بين مسقط وبقية المناطق.

وفي تلك الأثناء عانت مستشفيات الإرسالية من نقص العاملين. وللتغلب على تلك المشكلة وظفتْ الإرسالية عدداً من السكان المحليين. وقد زاد عدد الأفراد المحليين الذين يلتحقون للعمل بالمستشفى، حيث كان عددهم في ١٣٦٤هـ/١٩٤٥م أحد عشر مساعدا[١]. إلا أن الحاجة إلى المزيد من الأيدي العاملة كانت دائما حاجة ملحة للمستشفى. وقد ذكر الطبيب تومس في العدد رقم ٢٠١ لعام ١٩٤٣م من دورية الإرسالية أن مستشفى مطرح بحاجة ملحة لمرضة، كما عبر في العدد نفسه عن حاجة مستشفى مسقط الملحة إلى طبيبة[٢]. وقلة عدد الأطباء يعيق العمل في أي من المستشفيين في بعض الأحيان. فعلى سبيل المثال، أغلق مستشفى الأمراض

---

[١] Annual Report of the Arabian Mission for 1940، ص ١١.

[٢] Thomas, W. Wells (1943)

المعدية لمدة تسعة أشهر خلال السنوات الثلاث الأولى من عمره؛ بسبب نقص الأطباء[1]. وللسبب نفسه كان كثير من النساء يأتين إلى مستشفى مطرح للعلاج في حين ترك مستشفى مسقط النسائي للولادات فقط.

وشرعت الإرسالية أبتداءً من ١٣٨٧هـ/١٩٦٨م في وضع خطط لرفع الطاقة الاستيعابية لمستشفييها في مطرح ومسقط. فوصل مسقط في ١٣٨٨هـ/١٩٦٩م مستشارون خاصون من الولايات المتحدة الأمريكية، ومصمم مستشفيات من بريطانيا لدراسة الوضع. وقد وضعت خطة لدمج مستشفى النساء في مسقط ومستشفى مطرح في مستشفى واحد كبير يكون مقره مطرح- باعتبار أن أرض مستشفى مطرح أكبر مساحة. وهذا الدمج سيمنع بدوره الازدواجية في عدد من الأقسام مثل الصيدلية والمختبرات والأشعة. وكان عدم توفر الدعم المالي الضروري لتنفيذ المشروع هو العائق الذي أوقف تنفيذه، كما أن الإرسالية لم تحصل بعد على إذن من السلطان ببناء المستشفى. وعلى كل حال، ففي ضوء التغيرات السياسية المفاجئة التي حدثت في البلاد في ١٣٩٠هـ/١٩٧٠م أصبحت الحاجة إلى توسيع مستشفى الإرسالية في مطرح أمرا غير ضروري. وهكذا لم تشهد هذه الخطة التنفيذ أبدا[2].

٢. ٧. ٣. الجانب الصحي والخدمات العلاجية

لاقى النشاط الطبي الذي قامت به الإرسالية في عمان إقبالا شديدا من يومه الأول، إذ استقبل المستوصف الذي افتتحه الطبيب شارون تومس في مطرح في الأسبوع الثاني من افتتاحه تسعمائة مريض، منهم مائتان واثنا عشر في يوم واحد فقط[3]. وبدا الناس يفدون إلى المستشفى من الأماكن البعيدة، حتى عبر إليه المرضى

---

١ Thomas, W. Wells (1951)

٢ Bosch, ،"The American Mission Hospitals in Oman: 1893-1974: 81 years" Donald

٣ Thoms, Sharon J (1909)

من مكران على الضفة الأخرى من خليج عمان[1]. وفي ١٩١٤م وصل مجموع الحالات التي استفادت من خدمات تلك العيادة إلى أكثر من عشرة آلاف حالة، أما التحصينات فقد وصلت في أحد الأيام إلى ٩٠ حالة. كما قام الدكتور هنري وورل بجولة طبية إلى السيب. أما مستوصف مسقط فقد تلقى ٢٠٢ من الحالات خلال الأشهر الثلاثة الأولى من افتتاحه[2].

ورفع الطبيب بول هاريسون في ١٣٢٩هـ/١٩١١م أول تقرير للإرسالية عن الوضع الصحي في مطرح جاء فيه: "إن العمل الطبي في أي مكان يتحدد في الأكثر بالموقع، والناس الذين يعيشون فيه، والأمراض التي أتوا بها إليه. وهنا في مطرح كل واحد من هذه العوامل الثلاثة له أهمية ملاحظة.

لنبدأ بالموقع، فإن مطرح تقع في حزام الحرارة الشديدة الخطورة. إن المناخ لمدة شهرين في الشتاء، ما يمكن أن يسمى شبه الربيع، لطيف، وبعض الذين لديهم ذوق في الملابس الثقيلة يجدونها بحق مريحة للغاية خلال بضعة أيام. أما بقية العام فإنه حار، ولمدة ثلاثة أو أربعة أشهر في بداية الصيف يكون شديد الحرارة. وحتى العرب، إن وجدوا الأموال فإنهم ينتقلون إلى مناطق أفضل.

ويَرْجِع السبب في هذا الحر الشديد أساسا إلى طبوغرافية المكان. فمسقط وكذلك مطرح تحتلان قعر حوض ضخم. فترتفع جبال جرداء مثل العظم في كل الجهات تحجب النسيم، وإلى درجة واقعية، تُبقي الحرارة في الداخل. والنتيجة هي مناخ يكون الرجل الأبيض غبيا إن عاش فيه خلال فصل الصيف. ويكون هناك غالبا بعض النسيم قرب البحر، إلا أنه ليس ممكنا لكل واحد أن يعيش هناك. ولحسن الحظ، يقع البيت الذي استأجرته الإرسالية على واجهة البحر، وفي موقع مفضل للغاية.

---

[1] Mason, Alfred De Witt (1926)

[2] Annual Report of the Arabian Mission for 1914

والناس الذين هم مصدر كل الفرص الطبية هنا هم أيضا، وللأسف الشديد، مصدر كل الصعوبات الأساسية. لقد أَهمل التعليم الذي عُلموا إياه كثيراً من النقاط المهمة، وربما بشكل أكثر وضوحا، تلك النقاط المتعلقة بارتباط المرض بالوساخة والهواء السيء. ولقد أُسندت الأمراض في العقل العام إلى الجن، والقدر، والتركيب غير السوي لمكونات الجسم. وهكذا نجد هنا أن الإيمان الذي يهمل كل علاقة بين السبب والنتيجة في الحياة اليومية مدمرا كمثل تدميره في نطاق الدين والعقيدة. ويظهر هذا الأمر بشكل خاص في أوقات الانتشار الوبائي للكوليرا والطاعون. وأي جهود للتدخل في هؤلاء الزائرين الذين جاءوا من الرب يعتبر لدى الناس غير مجدية، إن لم تكن خسارة.

إلا أن تأثير وضع البيوت السيء والعادات القذرة ليس حكرا على أوقات الطاعون والملاريا. فقد يستنشق الجنود الرابضون في بروج وقلاع المراقبة على قمم الجبال هواء عليلا، ولكن في المدينة، وخاصة في بيوتهم يستنشقون شيئا مختلفا عن ذلك. فغرف نومهم، إن كان هذا المصطلح الرفيع يمكن استخدامه، لا يمكن أن يوجد شيء أسوأ منها حالا. فلا يوجد في هذه الغرف ضوء، ولا حتى مجرد نافذة، والباب ينفتح على قاعة شبه مظلمة. ولكي أفحص مريضا فإني أحتاج إلى مصباح حتى وإن كان وسط النهار. ولا توجد تهوية وراء ما يضمه ذلك الباب. وأما الأرضية فهي من التراب ومغطاة بالبسط. وتتكون الغرفة من كتلة بائسة من الأسرة، والأغطية، والمهود، والصناديق التي ليس منها شيء نظيف. إن القذارة تتفاوت في درجتها وهذا الوصف يمكن أن يعد سيئا عند البعض وأحسن عند آخرين.

والطعام الذي يأكله الناس متماش مع البيوت التي يسكنونها. فزيارة إلى سوق السمك في مطرح كافية بإقناع المرء كيف أن الكوليرا أول ما تبدأ لا تتوقف بسرعة. إنه ليس غريبا أن تكون أحد أفكار الناس عن سبب الكوليرا هو أكل السمك. فلا يمكن في أوقات الطاعون التفكير في أكل طعام غير مطهي من السوق، أو حتى

التفكير في أنه آمنا قط. وعلى كل حال، لا يوجد نقص في الطعام هنا أبدا؛ فالأرز، والتمر، والسمك رخيص للغاية. وإنني على حق إذ أقول أن الناس هنا يعانون من كثرة الأكل وليس من قلته.

وتوجد هنا كذلك أمراض من كل الأنواع[1]. فالملاريا، وبأشكال وأنواع مختلفة، تشغل كل الحقل الطبي. حيث يصاب كل واحد هنا بحمى خفيفة أو شديدة ولمدة أطول أو أقصر. وأما الأشكال الخطيرة كحمى الماء الأسود، والحمى الخبيثة فإنها ليست شائعة. والحماية من هذه الأمراض ممكنة في وقتها، لكن قد تكون بعد فترة طويلة منذ الظهور الأول للمرض. ويوجد قدر كبير من السل، الذي تعطيه عادات الناس الفرصة للتمكن الشديد. لذا يوجد في مطرح الكثير من ضحايا السل، إلا إنه، لحسن الحظ، ليس عدداً كبيراً. وكذلك يشيع في الشتاء التهاب الرئة. ويبدو أن الناس حساسون تجاه القر والتعرض للبرودة. وإلى جانب كل ذلك توجد هنا كل أنواع أمراض العيون. ولذا فإنه يوجد هنا فرص لتأدية قدر ليس بالقليل من العمليات الجراحية، وإن كانت هذه في الغالب مما نضعه في بلدنا الأم تحت طائفة العمليات الصغرى. والناس شديدو الخوف من العمليات الجراحية إلا أن هذا الخوف يصبح أقل كلما كانت معرفتهم بالطبيب أحسن.

إن هذه إذن هي بعض الأمور التي يضطر الإرسالي الطبي الى أدائها في عمان، وبعض الظروف التي يجب أن يعمل خلالها"[2].

وأما الطبيب شارون تومس نفسه فقد كتب تقريرا عن أهمية مطرح وسكانها، جاء فيه "إن الناس هنا من ثلاث فصائل واضحة التباين، وبالتحديد: العرب الذين هم السكان الأصليون لعمان أو زنجبار، والبلوش الذين جاءوا من بلوشستان

---

[1] كتب أحد أطباء الإرسالية قائلا "لو كنتُ طبيبا في أمريكا وأردت التخصص في كل شيء في أقل زمن ممكن لكان عليَّ أن آتي إلى الجزيرة العربية لمدة خمس سنوات. فهنا يضطر الطبيب قبل الإفطار إلى بتر ساق، ومعالجة مجذوم، وموسوس ومسلول، وقبل الغداء يستأصل فتاق، وقبل الشاي يخرج فتاق الرئة أو بعض الرصاصات، ويكون مولدا وصيدلانيا وكل شيء آخر في بضع لحظات". Essm John Van (1913)

[2] Harrison, Paul. (1911 a)، ص ١١.

التي تقع عبر خليج عمان، والخوجات[اللفظة للطبيب تومس] وهم تجار محمديون من ديكان بالهند، وبعض الأفريقيين في كل فصيلة منهم.

أما الخوجات فيسكنون في مدينة مسورة داخل مدينة مطرح. وبالرغم من أنهم هم التجار في كل من مطرح ومسقط، ويزودون معظم رسوم المستوصف الطبية، إلا أنهم من وجهة النظر التبشيرية أقل مناسبة للعمل معهم أو لهم، وذلك لأنهم منعزلون وأكثر تعصبا، ويصعب الوصول إليهم. والعرب هم أكثر الفئات يسرا للعمل معهم حيث أنهم كرماء للغاية، ويمتنون إلى درجة كبيرة لما يعمل من أجلهم. وكثير من النساء لا يلبسن الخمار المحمدي[1] المأمور به، ويبدو كذلك أنهن أكثر ذكاء وتفتحا من النساء العربيات في مراكزنا الأخرى.

أما البلوش فإنهم عمال، وهم أفقر الطبقات، إلا أن الوصول إليهم سهل للغاية. ولو كانوا جميعا يفهمون العربية لكان العمل بينهم مرضيا للغاية، إلا أن الكثير منهم لا يفهمونها. وعلى كل حال، فبالرغم من الصعوبات إلا إننا نشعر أن العمل فيه الأمل المشرق غير الاعتيادي، وليس الأقل من هذا الجولات إلى الداخل حيث أن الناس عرب أقحاح.

إن قوتنا المحلية هنا حماسية ومرضية. إن مساعديْ الطبيب اللذين يعملان في المستوصف هما متحولان من المحمدية جاءا من أفغانستان ولديهما روح الإرسالي الحقيقية. ونحن يوميا ننظر رجلاً من الداخل لكي ندربه كمساعد ثالث، وقد حاول هذا أن يعيش لبعض الوقت كمسيحي. وقد زاره مؤخرا بائع الأناجيل ووجده مضطهدا بسبب عقيدته. وباعتبار أنه لا يزال رجلا شابا فإننا أرسلنا إليه طالبين منه أن يأتي إلينا.

---

[1] لبس الخمار في الفقه الإباضي ليس واجبا على المرأة، وهو بشكل عام مختلف على وجوبه في المدارس الإسلامية الأخرى، ونحن لا نرى أن تركه مخالف لتعاليم الإسلام أبدا. ونص فتوى سماحة الشيخ أحمد بن حمد الخليلي المفتي العام لسلطنة عمان في هذا الموضوع أنه قال: "...".

إن بائع الإنجيل في مطرح شاب ذكي وعامل متحمس. وقد عاد لتوِّه من البصرة بعروسه، وهي بنت مسيحية درست في مدرسة الجمعية الكنسية الإرسالية في الموصل.

ومن وجهة النظر الطبية تعد مطرح أفضل المراكز التي عملتُ بها حتى الآن. حيث يبدو أن لدى الناس إيمان أكثر بنا وبأدويتنا. وهم أكثر رغبة في اتباع توجيهاتنا عندما يكونون مرضى. كمل أنهم يأتون إلينا في مجموعات أكبر. وفي الوقت الحاضر نحن نعالج سبعين إلى ثمانين مريضا في اليوم الواحد والعدد يرتفع بانتظام. ونتوقع أن يتضاعف العمل في بداية الصيف حيث سيأتي في ذلك الوقت الكثيرون من الداخل لتلقي العلاج"[١].

كان عام ١٣٤٨هـ/١٩٣٠م بداية لحقبة جديدة في مجال الخدمات الطبية التي يقدمها مستوصفا مسقط ومطرح. فمن ناحية، بدأ الأطباء في ذلك العام تقديم خدمة التحصين ضد جديري الماء. حيث اعتبروا اللقاح الذي تم اكتشافه مؤخرا في أمريكا ثورة طبية مهمة للغاية لحقلهم الميداني. وقد أوكل إلى أحد المساعدين في المستشفى مهمة التحصين المتنقل ضد هذا المرض[٢].

وفي ١٣٧٣هـ/نهاية عام ١٩٥٣م كان على أطباء الإرسالية التعامل مع نوع من الوباء انتشر في عمان بشكل مفاجئ يشبه في مرحلة الشدة منه شلل الأطفال إلا أنه لا يؤدي إلى الشلل. وقد افترض أن ذلك المرض الغريب الذي لم يعرف له اسم علمي وفد إلى عمان من شرق إفريقيا مع البحارة العائدين من هناك، وانتشر بانتشارهم في مناطق عمان الجغرافية[٣].

أما الاهتمام بالمرضى المصابين بالجذام فقد بدأ بحدود عام ١٣٣٠هـ/١٩١٢م. إذ تلقت الإرسالية في مسقط رسالة مما يسمى "إرسالية إلى المجذومين في الهند

---

[١] Thoms, Sharon J. (1912)، ص ٦.

[٢] Annual Report of the Arabian Mission for (1930)

[٣] Kellien, Charlotte (1954)

والشرق" (Mission to Lepers in India and the East) العاملة في الهند تتضمن رغبتها في التعاون الطبي مع الإرسالية العربية في خدمة المصابين بمرض الجذام في شبه الجزيرة العربية. وشكل عناصر الإرسالية في مركز مسقط فريقا لبحث التعاون مع تلك الإرسالية، ووضع خطط لتطوير هذا العمل في الحقل العماني[1]. إلا أن العناية الحقيقية بهؤلاء المرضى لم تدخل حيز التطبيق الفعلي إلا في ١٣٦٨هـ/١٩٤٨م على يد الطبيب ولز تومس عندما أنشأ قسم الأمراض المعدية في مستشفى مطرح.

ويتحدث الطبيب تومس عن أول المرضى الذين أُدخلوا إلى هذا المستشفى قائلا: "لم نكن قد انتهينا من العمل في وحدة المجذومين عندما ضربت امرأة بلوشية بائسة اسمها شاربانو مأوى لها أمام أحد الأشجار في مدخل مستشفى نوكس التذكاري. لقد طُردت من بيت زوجها عندما تبين أنها مصابة بالجذام، ولم يقم أحد من أقاربها في الدم بإطعامها. فحاولت التسول على الطريق الرئيس المؤدي إلى الداخل. وحصلت من الصدقات ما يكفيها للعيش لبعض الوقت، إلا أن عينيها بعد ذلك أصيبتا وأصبح الجذام في يديها وأقدامها معديا فعلا. فحَبَتْ إلى المستشفى واستلقت هنالك قائلة "لا أحد آخر يريدني، يجب عليكم أن تُدخلوني". فأعطيناها سريرا في جناح الجذام الذي لا يزال تحت البناء، وبدأنا معها بدواء السلفون (Sulphone) مدعوما بغذاء جيد التوازن. فبدأت عيناها بالتحسن مباشرة وأصبحت أطرافها أكثر فائدة لها. فكسوناها بملابس من صناديق النقابة (guild boxes) وأطعمناها من الأموال التي وفرتها الإرسالية الأمريكية للمجذومين. وقد اكتشفنا بعد فترة وجيزة أنها منظمة للغاية حيث حافظت على نظافة نفسها وغرفتها والبهو وحوش المبنى. وكانت بمثابة الحارس الليلي لذلك الجزء من

---

[1] Cantine, Elizabeth (1912)

المبنى، ومفخرتها العظمى أنه لم يسرق أي شيء من أدوات المبنى الواقع تحت مسؤوليتها"[1].

عولجت سبع حالات في هذا المستشفى في ١٣٦٩هـ/١٩٥٠م، منها خمسة رجال وامرأتان. وأظهر ثلاثة من الرجال قليلا من التحسن، وبقوا في المستشفى لأقل من شهر. وبقي رجلان أكثر من ثلاثة أشهر في المستشفى وأظهروا انخفاضا كبيرا في حجم البثور وانتشارها[2].

أما قسم السل المكون من سبعة أسرّة فقد استخدمه خلال السنوات الثلاث الأولى من عمره مائة مريض، وقد أعطوا مادة ستربتومسين منذ البداية، وحسب حاجتهم إليها. وبالرغم من أن حالات أولئك المرضى كانت سيئة إلا أن تسعة منهم فقط توفوا، أما عشرون فقد حُددت حالاتهم بأنها مستقرة، في حين تحسن منهم أربعة وتسعون، بينما لم يتحسن تسعة عشر[3].

وعلى كل حال، استمر قسم الأمراض المعدية بجناحيه: السل والجذام، يقدم خدماته بأقصى طاقة حتى تسلمت وزارة الصحة المهام الصحية في عمان في ١٣٩٠هـ/١٩٧٠م. فكان يحضر إلى العيادة الخارجية في اليوم الواحد ما يقارب من مائة شخص للعلاج أو الفحص، ٨٠٪ منهم رجال و١٠٪ نساء. وكان المستشفى يمنح المرضى المستفيدين من العلاج شهادات تثبت أن حالتهم غير معدية، وأنه يمكنهم الاختلاط في المجتمع بأمان[4].

ومن ضمن الحالات العلاجية الخطيرة التي كان على مستشفى الإرسالية التعامل معها، ضحايا الألغام والمتفجرات الذين كانوا في الغالب الأبرياء من الأطفال والنساء أثناء الحرب بين حكومة مسقط والثوار العمانيين في عهد السلطان

---

[1] Thomas, W. Wells (1951) ص ٤.

[2] Thomas, W. Wells (1951)

[3] Thomas, W. Wells (1951)

[4] Bosch, Donald T. "The American Mission Hospitals in Oman, 1893-1974 81 years"

سعيد بن تيمور. وأشارت سجلات المستشفى لعام ١٣٨٤هـ/١٩٦٤م إلى وقوع حوادث ألغام على النحو التالي: "٢٣ يناير: انفجرت قنبلة بجانب سيارة لاندروفر حكومية في مطرح. ١٢ مارس: انفجرت قنبلة بقرب محطة تعبئة الوقود في مطرح. ٢٠ إبريل: انفجرت قنبلة في البوابة الرئيسة في مطرح. ١٤ أغسطس: انفجر لغم أرضي تحت سيارة تابعة للسلاح الجوي الملكي في ريسوت. ٥ سبتمبر: انفجار في بيت في نزوى. ٢٣ سبتمبر: انفجرت شاحنة بواسطة لغم أرضي في طريق صلالة ريسوت. ٢٢ أكتوبر: انفجرت سيارة دورية بلغم أرضي في طريق ريسوت. ١ نوفمبر: انفجرت قنبلة في محطة الوقود في مطرح. ٣ نوفمبر: انفجرت شاحنة بلغم أرضي في مدرج الطائرات في إزكي. ٢٠ ديسمبر: انفجرت سيارة تابعة لقسم التنمية بلغم أرضي في إزكي"[١]. ووقعت بعض تلك الانفجارات بالقرب من سور مستشفى الإرسالية.

٢. ٧. ٤. الجولات التنصيرية الطبية

بدا أطباء الإرسالية العربية يستهدفون عمان بجولاتهم منذ عام ١٣٢٤هـ/١٩٠٦م. فتوجهت الفرق الطبية في البداية إلى المدن الواقعة على ساحل الخليج العربي كالشارقة ودبي التي كانت تُحسب سياسيا من عمان. واستهدف المنصرون هذه المدن لقربها من مركزي البصرة والبحرين اللذين أسست الإرسالية فيهما أنشطة طبية قبل مركز مسقط بفترة طويلة، وانطلقت منها الحملات التنصيرية الطبية في عدة اتجاهات في المنطقة. ففي الربع الأخير من ١٩٠٦ قام الطبيب شارون تومس بأول جولة طبية إلى مدينة الشارقة وما حولها[٢]. ثم قام

---

١ Bosch, Donald and Eloise (2000)، ص ٤٣.

٢ Thoms, Sharon M.D. (1906)

الطبيب ستينلي مليريا (Dr. Stanley G. Mylrea) بجولة طبية أخرى إلى مدينتي دبي والشارقة في صفر ١٣٢٦هـ/مارس ١٩٠٨م[١].

وانطلقت أول جولة تنصيرية طبية من مركز مسقط في شعبان ١٣٢٥هـ/سبتمبر ١٩٠٧م. فقد طلب القسيس جيمس كانتاين من مجلس الإرسالية أثناء انعقاده في البحرين السماح للطبيب بنيت (Dr. Bennett) بالتوقف في مسقط أثناء توجهه إلى البصرة عائدا من اجازته في بومبي للقيام بجولة طبية في مدن عمان الداخلية. وتقرر أن تُستهدف مدينة نخل بهذه الجولة الطبية؛ وذلك بسبب امتلاك الإرسالية آنذاك بيتا في تلك المدينة، كما كان بائع الأناجيل إبراهيم موجودا هناك حيث يقضي أشهر الصيف هو وأسرته. ومهد إبراهيم السبيل بإعلان مسبق بين أهالي المدينة عن زيارة الطبيب "بنيت". وتلقى المرضى العلاج في بيت الإرسالية في نخل، ولم يجد المنصرون أي مشكلة في تجميع الناس للصلاة قبل بدء العلاج، وكذلك في إقامة صلاة يوم الأحد[٢].

وفي ١٣٢٩هـ/١٩١١م قام الطبيب بول هاريسون بجولة طبية في المنطقة الداخلية من عمان استمرت أربعة اشهر وصل فيها إلى مدينة بهلاء[٣]. وفي ١٣٣٤هـ/١٩٢١م قامت الطبيبة سارة هوسمون بجولة طبية إلى مدينة السيب استغرقت ثلاثة أيام قامت خلالها بزيارة النساء، وعلاج المريضات منهن، وقراءة الإنجيل[٤]. ثم قامت في ١٣٤٤هـ/١٩٢٥م بزيارة طبية إلى مدينة صحار ملبية دعوة مقدمة من والي المدينة السيد حمد لعلاج أحد أطفاله. وأثناء وجودها في صحار قامت أيضا بجولة في صحم والسويق، حيث وصل عدد الحالات التي عولجت ٤٧٦ حالة[٥].

---

١ Mylrea, Dr. C. Stanley (1908)

٢ Cantine, James (1908)

٣ Harrison, Paul W (1943)

٤ Hosmon, Sarah L. (1921)

٥ The Annual report of the Arabia Mission for 1925.

وفي ١٣٤٥هـ/١٩٢٦م قام الطبيب لويس ديم (Louis P. Dame)– العامل في مستشفى ماسون التذكاري (Mason Memorial Hospital) في البحرين– بجولة طبية في عمان، أثارت ضجة سياسية صاخبة على مستوى حكومة مسقط، والإمامة، والوجود البريطاني. فقد طلب مجلس أمناء الإرسالية في الولايات المتحدة الأمريكية من الإرسالية جمع معلومات عن عمان التي أصبح جزء كبير منها ممتنعا أمام زيارات المنصرين منذ قيام العمانيين بإنشاء دولة الإمامة التي اتخذت مدينة نزوى عاصمة لها، وضمت تحت لوائها كثيراً من المناطق التي كان يستهدفها المنصرون بجولاتهم الميدانية. ولتحقيق هذا الهدف، قام الطبيب لويس ديم الذي عُين عضوا في الفريق المكلف بجمع المعلومات المطلوبة بعدة اتصالات مع الشيخ عيسى بن صالح الحارثي عن طريق المرضى العمانيين الذين يترددون على مستشفى الإرسالية في البحرين طلبا للعلاج. طلب الطبيب لويس من الشيخ عيسى بن صالح السماح له مع فريق طبي بزيارة المنطقة الشرقية من عمان. ووصل الطبيب لويس مسقط في ٣ يناير ١٩٢٦م ثم توجه إلى مدينة السيب ليقوم منها بمراسلة الشيخ عيسى للسماح له بالتوجه إلى المنطقة الشرقية. لم يتمكن الطبيب ديم من الوصول إلى المنطقة الشرقية، نتيجة للصخب السياسي الذي صاحب مشروعه، وانتهت زيارته في سمائل[١].

من الناحية الطبية قام فريق الطبيب لويس خلال خمسة وأربعين يوما قضاها في سمائل بمعاينة ٤٥٨١ حالة، وأدى ١٩٩ عملية كبرى، و٣٠٣ عملية صغرى[٢]. فقد اتخذ من أحد غرف البيت الطيني ذي الطابقين الذي استضيف فيه مسرحا للعمليات الجراحية يعمل فيها من طلوع الشمس إلى مغيبها، في حين يعمل الطبيب فان بورسم في العيادة الخارجية. وكتب الطبيب بورسم عن أدائهم في سمائل قائلا: "إن الطبيب ديم جراح نشيط، فقد عمل من طلوع الشمس إلى

---

١ Dame, Louis P (1926)

٢ Dame, Louis P (1926)

مغيبها. وقد اتضح أنه كلما أنجز عمليات أكثر كلما جاء ناس بعدد أكثر. إن متوسط الأداء اليومي هو ١٧٠ معالجة، وسبع عمليات كبرى. ويعمل الطبيب في أغلب الأحوال إلى الساعة التاسعة مساء، ومع ذلك يتساءل العرب لماذا لا يعمل إلى منتصف الليل. يبدو أنهم يظنون أن العملية الجراحية إنما هي شرطة سريعة في البطن مع لحظة من النظر، وخياطة للجلد كما يصنعون جُرب بنادقهم. إلا أن ذلك الوهم يرتفع قبل أن تنتهي العملية. ومع ذلك كان القليل منهم فقط يظهرون التألم عندما يحسون بالسكين والإبرة. وقد أحس أكثرهم بألم شديد. والعجب أنه من مجموع ٤٩٥ عملية لم يصب أحد بعدوى أبدا. ولو رأى ممرضونا النظيفون في الوطن الزنزانات المظلمة والمليئة بالروائح التي اُستخدمت كأجنحة لقالوا متقززين إن هذا أمر مستحيل. إن على الطبيب أن يتعامل مع الوضع لا مع النظريات. إن عليه أن يعمل أقصى ما يستطيع. لقد كان المرضى جميعهم سعداء ولم يعان أحد منهم من تدهور نفسي كما لو كان الحال مع الناس المتحضرين"[1]. أما خلال الواحد والعشرين يوما التي قضاها الطبيب ديم في السيب في انتظار الأذن بالذهاب إلى الداخل فكان يقدم العلاج لأكثر من ١٢٠ مريضا في اليوم. وأنجز خلال تلك الفترة ١٢٤ عملية جراحية[2].

وبعد عودته إلى مسقط توجه الطبيب ديم إلى صحار بطلب خاصِ من القنصل البريطاني لعلاج والي المدينة. ويتحدث الطبيب ديم عن ذلك قائلا: "في ساعة متأخرة من ظهر أحد الأيام جاءت ملاحظة من القنصل البريطاني قائلة بأن أخ السلطان؛ الأمير حمد عاهل صحار، قد أرسل رسالة إلى أخيه يقول بأنه يعاني من الزائدة الدودية، وأنه مريض للغاية. وهكذا فقد رجا السلطان من القنصل البريطاني أن يطلب مني التوجه في الحال لرؤية الأمير. وقد بَيَّنَتْ الملاحظة كذلك أنه بسبب الرياح الحالية فإن استخدام قارب غير ممكن أبدا، كما أن الرحلة بالجمال قد

---

[1] Peursem, Van (1926)، ص ١٤.

[2] Peursem, Van (1926)

تتطلب ثلاثة أيام. فذهبتُ إلى القنصل وأعربتُ عن رغبتي في الذهاب، ولكنني وضحت بأنه إن كان الأمير فعلا يعاني من الزائدة الدودية، فإن التأخير لمدة ثلاثة أيام إلى جانب الثلاثة التي مضت لكي تصل رسالة الأمير إلى مسقط فذلك يعني بأنه عند وصولنا إليه إما أن يكون قد تعافى أو مات. وقد اقترحت، آنذاك، بأنه نظرا للحالة الطارئة فإن استخدام حاملة المدافع الراسية في الميناء قد يكون عامل كسب للوقت. وبعد انتهاء المراسلات الضرورية بين القنصل وقبطان السفينة جاء الخبر بأن حاملة المدافع ستكون جاهزة للإبحار مع منتصف الليل، وهكذا يمكنني أنا وأحد المساعدين مع كافة الأدوات اللازمة للعملية الصعود على متن القارب، ومغادرة ميناء مسقط. وقد وصلنا صحار اليوم التالي، الساعة الرابعة مساء تقريبا، وتوجهت فورا مع اثنين من المسؤولين إلى البر. وقد قابلت الأمير على أعتاب درج قصره. وبعد الفحص والمساءلة تبين بأنه لا يعاني من الزائدة الدودية قط، وإن ما يعانيه ناتج من أكله لعدة أنواع من الغذاء البحري والبري في وجبة واحدة، وأنه سيشفى بدون أي عملية جراحية. وقد صعدنا على متن حاملة المدافع مرة أخرى، وعدنا إلى مسقط في الحال. تصور كيف كنت سأحس لو أني سافرت على ظهور الجمال ثلاثة أيام ذهابا وثلاثة إيابا من أجل ذلك فقط. وقد وصلت مسقط في الوقت المناسب لألحق السفينة البخارية إلى البحرين"[1].

أما الرحلة الطبية التالية إلى صحار فقد قام بها الطبيب القسيس فان بيورسم بصحبة الطبيب بول هاريسون في ١٣٤٦هـ/ربيع ١٩٢٨م. وقد استقبلهم السيد حمد والي صحار- كما ذكر التقرير- استقبالا حارا، حيث كانوا يتناولون العشاء معه على الطريقة الغربية في القلعة يوميا. وخلال هذه الزيارة الطبية التي استمرت ستة عشر يوما أدى الطبيب هاريسون ١٨عملية جراحية كبرى و٢٤ عملية صغرى، وعالج ٨٠٠ حالة. وقد توافد المرضى عليه من صور والبريمي ومسندم. وفي طريق عودتهم إلى مسقط على ظهور الجمال توقف الفريق الطبي في المدن الرئيسة الست

---

[1] Dame, Louis P (1926)، ص ١١.

من أجل علاج المرضى[1]. ففي كل مدينة يأتي المرضى بعد القيلولة إلى الأطباء الذين يكونون قد ملؤوا بساطا بالدواء، وفرشوه في ظل البيت الذي يعده والي المدينة لهم. واللافت للانتباه أنهم في هذه الجولة لم يتمكنوا من بيع نسخ من الإنجيل؛ وذلك لأن الناس كانوا في فقر مدقع لم يستطيعوا بسببه الشراء، وحتى العلاج لم يأخذ عليه الأطباء أي مقابل ووزعوا الأدوية على المرضى مجانا. وقد ذكر تقرير الطبيب بيورسم أن الأمراض الشائعة في صحار في تلك الفترة هي الفتاق والمثانة والأورام وتضخم الطحال؛ نتيجة الإصابة المتكررة بالملاريا[2]. وتكررت الزيارات إلى صحار، حيث أمضت الطبيبة سارة هوسمون في ١٣٥٤هـ/١٩٣٥م شهرا كاملا فيها؛ ملبية دعوة مقدمة من حاكم المدينة لعلاج زوجته[3].

وفي ١٣٤٧هـ/١٩٢٩م قامت الطبيبة سارة هوسمون بجولة طبية إلى قريات قدمت العلاج خلالها إلى نساء القرية، والنساء اللواتي قدمن من القرى المجاورة. وذكرت هوسمون أن امرأة قدمت إليها من مسافة ثمان ساعات راكبة على ظهر جمل[4].

وكان لدخول وسائل النقل الحديثة أثر في تسهيل حركة الفُرق الطبية. ففي رجب ١٣٤٨هـ/٢٦ ديسمبر ١٩٢٩م فُتح رسميا الطريق الذي يربط مسقط بمطرح وهو ما سهل انتقال المنصرين بين مركزي الإرسالية في المدينتين وجعل منهما مركزاً واحداً تقريبا. وأدى افتتاح هذا الشارع كذلك إلى ارتفاع عدد السيارات في مسقط ومطرح من خمس إلى عشرين سيارة، عملت عشر منها كسيارات أجرة لنقل الركاب بين المدينتين. كما سهل وجود السيارات السفر إلى مسافة مائتي ميل خارج إطار مسقط ومطرح بهذه الوسيلة المتطورة. وقام الأطباء بأول جولة لهم خارج مسقط ومطرح بواسطة السيارات في شهر إبريل، حيث توجه الطبيب بيورسم

---

[1] كانت الرحلة من مسقط إلى صحار عن طريق البحر.

[2] Peursem, Van (1928)

[3] Annual Report of the Arabian Mission for 1935

[4] Dame, Louis (1929)

بصحبة الطبيب هاريسون بسيارة الفورد لمسافة ٦٠ ميلا غرب مسقط ثم أكملا رحلتهما بالجمال إلى الرستاق[١]. وهكذا ارتفع عدد الجولات الدورية خارج إطار مسقط حيث قطع الإرساليون في ١٣٦١هـ/١٩٤٢م- مثلا- ٧٥٠٠ ميل في ٣٨ جولة إلى ٤٣ مكانا مختلفا[٢].

وفي ١٣٥١هـ/١٩٣٢م قام الطبيب هارولد ستورم (Harold Storm) بأول جولة طبيه إلى جعلان (بني أبو علي) حيث استمرت أسبوعين أدى خلالها ١١٤ عملية، وقدم مساعدوه الخدمة العلاجية إلى ٣٦٦ مريضا في اليوم الواحد[٣]- انظر الباب الأول. وكانت الرحلة التالية إلى هذه المدينة في ١٣٦٢هـ/١٩٤٣م، واستمرت ثلاثة أسابيع قام فيها الطبيب تومس بعلاج المرضى ستة أيام في الأسبوع من طلوع الشمس إلى بعد مغيبها[٤]. وكان الطبيب تومس قد تلقى أثناء وجوده في صور في ١٣٦١هـ/١٩٤٢م دعوة من شيخ جعلان، إلا أن نشوب صراع مسلح بين القبائل القاطنة بين المدينتين أدى إلى إلغاء هذه الزيارة[٥].

ونظم الأطباء في ١٣٥١هـ/١٩٣٢م زيارات أسبوعية كل ثلاثاء إلى مدينة السيب يقوم بها طبيب أو أحد المساعدين بتقديم الخدمة العلاجية من مستوصف مفتوح. ويتوقف الفريق العلاجي أثناء العودة في بوشر[٦]. وزاد نطاق الزيارات الدورية بعد ذلك بشكل واسع. وفي ١٣٥٥هـ/١٩٣٦م كان أحد المساعدين يمضي ثلاثة أيام من كل أسبوع متجولا في القرى المجاورة من أجل تقديم العلاج. وفي ١٣٥٦هـ/١٩٣٧م أصبحت العيادات المفتوحة تُؤدى في أربعة أماكن بشكل منتظم كل أسبوعين[٧]. وكان لهذه الجولات المتكررة أثر في الحد من هجوم الملاريا المنتشرة

---

١ Annual Report of the Arabian Mission for 1929-1930,

٢ Annual Report of the Arabian Mission for 1942

٣ Storm, W. H. (1932)و Peursem, Van (1932)

٤ Annual Report of the Arabian Mission for 1944

٥ Thomas, W. Wells (1943)

٦ Annual Report of the Arabian Mission for 1932

٧ Annual Report of the Arabian Mission for r 1937

بشكل واسع. وإلى جانب توزيع مادة الكوينين (quinine) التي لاقت قبولا لدى الناس كان مساعد الطبيب يعالج مرضى العيون، ويقوم ببعض العمليات الجراحية البسيطة، وخلع الأسنان التالفة، حيث خلع في إحدى الجولات ٨٣ سنا[١].

وفي ١٣٥٢هـ/١٩٣٣م قام الطبيب هارولد ستورم بأول جولة إلى ظفار استمرت سبعة أسابيع، زار خلالها صلالة ومرباط والقرى الواقعة في جبل القرى، وتوقف في طريق عودته إلى مسقط في كل قرية واقعة بين صلالة وصور[٢]– انظر الباب الأول.

وفي ١٣٥٤هـ/١٩٣٥م قام الدكتور بول هاريسون بزيارة لمدينة بركاء استغرقت أسبوعا. كما قضى الفريق الطبي في هذا العام شهرا كاملا في مدينة صور، وذكر في تقريره عن صور قائلاً: "إن الناس في كل مكان قد أرهقتهم الفاقة. وإن الأطفال نحيفون، وقد أعاق سوء التغذية نموهم. وإن الأطفال والنساء يموتون بالإصابات. والرجال يهرمون قبل موعدهم. وكل السكان قد أفسدتهم الملاريا وأمراض العيون"[٣].

وفي ١٣٥٥هـ/١٩٣٦م قام القسيس درك دكسترا بزيارة طبية إلى قريات استغرقت أسبوعين. ضم الفريق إلى جانب السيد دكسترا المرضة ميري، والمساعدة عزوه، ومريم لأعمال الطباخة، وشاه مراد. وأرسلت المواد الطبية عن طريق البحر، أما الفريق الطبي فقد توجه برا في قافلة مكونة من سيارتين إلى السواقم، على أن يكمل المتبقي من الرحلة على ظهور الحمير. وواجه الفريق مشقة كبيرة لإكمال الرحلة من السواقم إلى قريات، حيث لم يحصل على العدد الكافي من الحمير. وقد اضطر الخمسة إلى التناوب على ركوب حمار واحد، وكان بعضهم يمشي لمدة خمس إلى سبع ساعات[٤]. إلا أن رحلة القسيس دكسترا الثانية إلى هذه المدينة في ١٣٥٧هـ/١٩٣٩م كانت بالسيارة ولم يحتج إلى ركوب الحمير أو الجمال[٥].

---

١ Annual Report of the Arabian Mission for 1936

٢ Storm, W. H. (1933 b) و Storm, W. H. (1933 a)

٣ Annual Report of the Arabian Mission for 1935، ص ٤.

٤ Dykstra, D (1935)

٥ Dykstra, D (1939)

وفي ١٩٣٧م قرر الإرساليون بناء بيت صيفي في بركاء. ورفعوا طلبا للسماح لهم بذلك إلى السلطان. وجاءت الموافقة من السلطان على أن يكون البناء "بالزور والحطب فقط"[١]. فأصبح هذا البيت مركزا لانطلاق الجولات التي يقوم بها الإرساليون إلى عدة مناطق في ساحل الباطنة والرستاق[٢].

وزار الطبيب ولز تومس في ١٣٥٩هـ/١٩٤٠م مدينة نزوى عاصمة دولة الإمامة، والمدن المجاورة لها لأول مرة منذ وصوله عمان، مستجيبا لدعوة وجهها إليه الشيخ سليمان بن حمير طالبا منه القدوم إلى المنطقة لعلاج أحد رجال الشيخ المصاب إصابة خطيرة في أسفل بطنه. وتوجه الطبيب تومس مع فريقه المكون من مساعده قنبر، والقسيس دكسترا وميروك وبصحبة رسول الشيخ سليمان بالسيارة إلى الرستاق؛ ليعبروا منها عن طريق الجبل الأخضر الى تنوف عاصمة الشيخ، التي وصلوها في شوال/٢٨ نوفمبر. ومن تنوف توجه الفريق إلى منح لعلاج المريض المذكور فوصلوها بعد ثلاثة أيام– في ٣٠ نوفمبر. وبعد معالجة المريض، والتأكد من تحسن حالته الصحية غادروا منح بعد ثلاثة أيام– في ٣ ديسمبر– متوجهين إلى بركة الموز للقاء الشيخ سليمان بن حمير. وظل الفريق في ضيافة الشيخ سليمان في بركة الموز ثلاثة أيام عالج فيها المرضى. ومن بركة الموز توجه الفريق إلى مدينة نزوى حيث قابل الطبيب ولز تومس والقسيس دكسترا الإمام محمد بن عبدالله الخليلي– رحمه الله– في قلعة نزوى في ذي القعدة/ ٧ ديسمبر. وبعد أن قابل الإمام، وعالج المرضى غادر الطبيب وفريقه نزوى قبل مغيب الشمس متوجها إلى تنوف ليعبر منها مرة أخرى إلى الرستاق فمسقط[٣].

وذكر ولز تومس تفاصيل مقابلته للإمام محمد قائلا "لقد مررنا عبر حشد كبير من الناس واقفين خارج القلعة. ثم مررنا من خلال باب خارجي ضخم تلاه باب

---

١ Annual Report of the Arabian Mission for 1937

٢ Mylrea, G. (1943)

٣ Thomas, W. Wells (1941)

داخلي أصغر منه، لنصعد منه عبر الدرج إلى مجلس الإمام. وعندما تأقلمت أعيننا مع الضوء الخافت في الداخل رأينا رجلاً مسناً ناحلاً لابساً عمامة بيضاء كبيرة وجالساً على طرف سجادة في الطرف البعيد من غرفة طويلة، يجلس على يمينه مجموعة من الرجال كبار السن مرتدين مثل لباسه، وعلى كلا الجانبين يجلس حرسه الخاص من الرجال المسلحين. وعندما دخلنا الغرفة وقف ليصافحنا وحين ذاك تبين لنا ضعفه أكثر فقد تأرجح قليلا عندما انتصب واقفا، ولم يكن في قبضة يده شيء من القوة. وقد أشار بيده إليَّ ليجلسني بجانبه، ولكن عندما رفضت وقلت أن السيد دكسترا هو الأكبر مني وأيضا الموجه الروحي لي طلب من السيد دكسترا أن يجلس عن يمينه وأنا عن شماله. وقد مُرِّرَتْ بعد ذلك الحلوى والقهوة، ثم رُشّ علينا من ماء الورد. وحينئذ سَألنا الإمام عدة أسئلة عن الغرض من مغادرتنا لبلدنا والإقامة والسكن في مسقط. وعندما أجبناه بان عيسى المسيح الذي نحن أتباعه قد أمر أتباعه بالذهاب إلى كل الأمم ليعلموا الناس عقيدته، ويعالجوا المرضى، ويشاركوا كل الناس الأخبار الطيبة للانجيل، قال لنا "هل تعتقدون أن الرب واحد؟" وعندما قلنا له "نعم" قال: أنتم لستم مشركين وإنما أنتم أهل الكتاب، ونحن نعتقد أنكم قد ضَللتم في بعض عقائدكم، ولكننا نحترمكم لأنكم تخافون الرب العلي الحميد، لذا فإنه يمكنكم المضي بأمان في أرضنا. عسى ربي أن يعطيكم المهارة والحكمة في معالجة الرجل المريض. وسوف أرسل معكم حارسا آخر ليحملكم إلى مريضكم. لقد كان هذا اللقاء بداية معرفة طويلة وسعيدة بهذا القائد الروحي المسلم غير العادي. لقد عاش حياة بسيطة للغاية. لقد عاش هو وزوجته الوحيدة وابنته في غرفتين أو ثلاث غرف في أحد جوانب قلعة نزوى الدائرية العظيمة. وممتلكاته الواضحة هي بعض السجادات البالية وكتابا حسابات وقليل من الفرش والوسائد والبطانيات وبندقية وخنجر وقليل من الملابس. وقد عُرف عنه بأنه عادل وشديد الانضباط. والقتلة واللصوص يتم تتبعهم ومعاقبتهم. ويسلم القتلة إلى أقارب المقتول ليتعاملوا معهم، حيث تكون وسيلة العقوبة مناسبة للقاتل.

والسرقة تكون عقوبتها في الغالب السجن. وفي أكثر من مناسبة رأيت سجناء يحملون قيودا في أرساغهم مثبتة بسلسلة طولها ثلاثة أقدام، ومثبتة بكراة حديدية ثقيلة وهم جالسون مع العساكر في مدخل القلعة يشربون القهوة ويتبادلون الحديث بسرور. ولقد كان الإمام كريما وعطوفا على الفقراء واليتامى والأرامل. وكان كثير من الدخل العائد من بيع تمور النخيل التابعة للأوقاف يعطى خلال حياته إلى الفقراء والمحتاجين. أما هو نفسه فلم يكن قابلا للفساد، وقد بقي فقيرا إلى يوم وفاته"[1].

عاد الطبيب تومس إلى نزوى مرة أخرى في شوال ١٣٦٣هـ/أكتوبر ١٩٤٤م، والتقى الإمام محمداً في مجلسه في القلعة. وكانت هذه الزيارة أيضا تلبية لدعوة أخرى وجهها الشيخ سليمان بن حمير إلى الطبيب. وطلب الشيخ سليمان إلى الطبيب تومس هذه المرة أن يزور المنطقة سنويا، ويقضي فيها شهرين، وعرض عليه بيتا في الجبل الأخضر ليقيم فيه أثناء زيارته[2].

وكذلك زار الطبيب تومس مع زوجته وولديه نزوى في شوال ١٣٧٠هـ/ يوليو ١٩٥١م عابرا إليها من قرية ستال في وادي المعاول عبر الجبل الأخضر. كانت هذه أول مرة تصل فيها امرأة من الإرسالية إلى قمم الجبل الأخضر ونزوى والقرى المجاورة لها[3].

وذكر الطبيب ولز تومس في تقرير الإرسالية لعام ٥٢–١٩٥٣م أن الإمام قد وجه إليه دعوتين طالبا منه القدوم إلى نزوى لمعالجته: "لقد أرسل إليَّ الإمام مرتين طالبا مني بشكل عاجل أن أعالجه في عاصمته الداخلية نزوى، إلا أن حكومة مسقط؛ ولأسباب سياسية منعت الرحلة. أما الآن، فعلى كل حال، الحكومة هي التي أصدرت الدعوة، ونحن نأمل أن نذهب بين عيد الشكر وعيد رأس السنة. إن

---

[1] Phillips, Wendell (1967)، ص ١٨٧.

[2] Annual Report 1944

[3] Annual Report of the Arabian Mission for 1951

الإمام منزعج من تزايد عمى عينيه بسبب إعتام العدسة (Cataracts)، وأعتقدُ أن هذا هو السبب الذي غير ميله المتحفظ من الطب الغربي، وكل شيء حديث. لم يزر أحد من الباعة المتجولين نزوى بعد الحرب العالمية الأولى، وتشكل هذه الدعوة فرصة متميزة"[1].

وقد ذكرت السيدة بث تومس زوجة الطبيب ولز تومس التي كانت مرافقة لزوجها تفاصيل لقائهما الإمام في رسالة أوردها ري سكنر مؤلف (المسيحيون في عمان) "Christians in Oman". فقد كتبت السيدة بث تومس قائلة: "لم يكن ذهابي مع ولز إلى نزوى يضمن لي لقاء الإمام. فقد كان موقف العرب من المرأة معروفاً. إلا أني لم أر الإمام فحسب بل تكلم معي وصافحني. فلقد فوجئت مسرورة بسلوكه المتفتح الودود غير المتعالي. إن الشيخ سليمان يعرف ولز فلقد كان أحد مرضاه وهو يثق فيه، وفي الوقت نفسه صهر الإمام[2]. لقد طبق الاثنان العدل في الداخل متنقلين بين القرى؛ لإنهاء الصراع على الماء وغيره. وقد اشتهروا باتخاذهما للقرارات العادلة.

وقد تَكَوَّنَ لدى الإمام إعتام متطور في العين، لم يعد قادرا بسببه على قراءة القرآن. ولم يكن العلاج المحلي وعلاج الأطباء العرب ذا فائدة. وقد ألح عليه الشيخ سليمان أن يقدم الدعوة إلى ولز [ليعالجه]. لذا فقد كتب الإمام إلى السلطان سائلا إياه أن يطلب من ولز أن يعمل له عملية في مقر إقامته في نزوى. وقد قام السلطان بذلك، وهكذا أعد ولز خطة الذهاب.

وكان ذلك في نوفمبر ١٩٥٢م وكانت ابنتنا لويس، التي عمرها أربع عشرة سنه تقضي معنا الإجازة المدرسية الشتوية الطويلة. لذا فقد أُدخل اسمها واسمي ضمن قائمة موظفي المستشفى المشاركين في الرحلة. وكان ولز يعلم أن الإمام رجل مريض وهو بحاجة إلى عناية قبل إجراء العملية. وهذا يتطلب منا البقاء وقتا طويلا

---

[1] Kellien, Charlotte (1954)

[2] هذا خطأ، والصحيح أنه لم تكن هناك رابطة مصاهرة بين الشيخ سليمان والإمام محمد بن عبدالله الخليلي– رحمه الله.

قرر خلالها ولز أن ينشيء عيادة للناس. وكان علينا أن نحمل إلى جانب الموظفين كل المؤن، حيث لا توجد صيدليات أو مخازن أدوية في أي مكان هناك.

وصلنا نزوى بعد ثلاثة أيام من السفر على الجمال. وذهبنا فور وصولنا للقاء الإمام. وكان مجلسه في الغرفة العلوية من القلعة العظيمة. ووجدناه جالسا على الطريقة العربية على حصير من القش على الأرض. وقد اعتذر عن عدم الوقوف قائلا أن المرض قد أضعفه كثيرا. فصافحنا ورحب بنا ترحيبا حارا. وقال للويس التي اسمها العربي عطية "لعطية هذه العطية" وقد أخذ رمانه من صحن للفاكهة قدامه، وناولها إياها.

وقد عملنا كلنا في العيادة في الوقت الذي كان الإمام يتلقى فيه العلاج، حيث عانى من نوبات من الملاريا والإسهال. وجاء الناس إلى عيادتنا بأعداد كبيرة. وأُعطي كل مريض بطاقة ليستخدمها كل مرة يزور فيها العيادة، كُتب فيها الاسم والتشخيص والوصفة. وبعدها يدفع بعض المبالغ البسيطة، ويأخذ الدواء. وكُتب على ظهر كل بطاقة عبارة من الإنجيل. وكان لدينا أيضا كراسات من الإنجيل نعطيها للذين يقرأون.

وفي يوم من الأيام عندما كان ولز مع الإمام قال له الإمام: "إنك تعلم أن الملا [اللفظة للسيدة تومس] قد اشتكوا إليَّ منك، إنهم لا يحبون أن تكون عبارات الإنجيل على بطاقات المرضى، وهم منزعجون من توزيعك لكراسات الإنجيل. أما عن العبارات فقد سألت الملا الذي جاء للشكوى-

ماذا تقول العبارة؟

فقرأ: مخافة الرب بداية الحكمة.

فقلت: ما هو الخطأ في ذلك؟

فأجابني: هي من الإنجيل.

"لتكن كذلك" قلت له، "إنها فقط تشير إلى القرآن، فيمكنك أن تخبر الناس بذلك".

"وأما بخصوص الكراسات"، استمر في الحديث، "فإني أقترح بدل أن توزعها مجانا، أن تبيعها مقابل سعر بسيط كأي بضاعة في السوق إن اشتراها الناس فذلك اختيارهم"[1]. وكان ذلك حلا سلميا من قائد حكيم ومتسامح.

فبيعت الكراسات كل واحدة ببعض البنسات النحاسية القليلة. وكانت جذابة ومطبوعة بخط واضح مقروء. فلم يكن هناك أمر في قراءة شيء من غير القرآن. فبعناها كلها بشكل سريع. وقد وجدنا أن تلك الكتب يعاد بيعها وبقيمة أعلى في كل مرة.

وقد هُيئت للعملية الجراحية غرفة صغيرة فيها إضاءة جيدة في أعلى القلعة. وعُلق شيء من القماش على الأبواب والنوافذ للتغطية. ووضع باب على قوائم ليكون طاولة العملية، كما وفَر مصباحٌ يدوي الضوءَ عند الحاجة. ورُشت الغرفة وكل من دخل إليها "بالفليت"[2]. فلم تبق في تلك الغرفة ذبابة واحدة من بين الملايين التي تعيش في واحة النخيل المحيطة. فتمت العملية بدون مشاكل. وقد استعاد الإمام بصره، وكان قادرا على قراءة قرآنه مرة أخرى"[3].

وفي ١٣٦٣هـ/١٩٤٤م قام الطبيب ولز تومس بزيارة طبية لمدينة سمائل رافقه خلالها القسيس درك دكسترا. جاءت هذه الزيارة تلبية لدعوة وجهها والي المدينة[4].

وفي نفس العام- ١٣٦٣هـ/١٩٤٤م- استخدم الإرساليون الطائرة لأول مرة في تنقلهم في عمان. فقد توجه الطبيب ولز تومس على متن الطائرة إلى صلالة ملبيا

---

[1] لا يرى سماحة الشيخ أحمد بن حمد الخليلي، حفظه الله، صحة أحتمال أن يسمح الإمام محمد بن عبدالله الخليلي، رحمه الله، للمنصرين ببيع الكتب النصرانية كما تشير هذه الرواية. ويستند سماحة الشيخ في ذلك إلى موقف آخر للإمام الخليلي، رحمه الله، رفض فيه السماح للمنصرين بالمكوث في سمائل عندما وصله خبر قيامهم أثناء إحدى جولاتهم هناك بنشر مثل تلك الكتب بين الناس ودعوتهم إلى النصرانية. فإثر بلوغه ذلك عنهم وجه إليهم الإمام الأمر بالمغادرة الفورية والعودة إلى مسقط.

[2] اسم تجاري لمبيد حشري.

[3] Skinner, R (1995) p 69، ص ٦٩.

[4] Annual report of the Arabian Mission for 1944

دعوة قدمها إليه السلطان سعيد بن تيمور لعمل بعض العمليات الجراحية والقيام بمسح طبي للمدينة. استخدم الطبيب تومس في صلالة المستوصف الذي أنشأته الحكومة هناك. وبلغت الحالات التي عالجها ثلاثمائة حالة في اليوم. وكتب عن العمل الطبي الذي قام به في هذه الجولة، قائلا: "فقد كانت السيدة تومس تعالج العيون، أما الطبيب أحمد[١] فكان يعطي الحقن، في حين يقوم اثنان من الأولاد المحليين بتضميد الأرجل المتقرحة، ويقوم آخر بالتضميد المعقم بعد العمليات وآخر كان يخلط الأدوية ويصرفها للمرضى. لقد احتفظنا بسجل لكل حالة على انفراد مثل ما كنا نعمل في مطرح؛ وذلك لكي يتمكن الطبيب أحمد من متابعة العلاج الذي سبق تقديمه. وقد وجدنا أمراضا كثيرة التنوع. وقد قمت بتقديم تقرير عن العمل الذي قُدم، وعن النتائج التي توصلت إليها إلى معالي السلطان السيد سعيد"[٢]. ومما اكتشفه الطبيب تومس في هذه الزيارة أن أحد الآبار الأربع الموجودة في ساحة المكان الذي نزل به في صلالة خالية من البعوض ويرقاته التي تمتلئ بها الآبار الثلاث الأخرى. وقد لاحظ الطبيب تومس أن البئر التي لا يوجد فيها البعوض يعيش فيها نوع من السمك الصغير الذي يعرف محليا باسم "الصَدْ". ووجد أن البعوض قد انقرض بعد ثلاثة أيام من الآبار الثلاث الأخرى عندما أمر بوضع كمية من ذلك السمك فيها. فأبلغ الطبيب تومس السلطان بتلك الملاحظة فقام هو بدوره بإصدار الأوامر بوضع لأسماك الصغيرة في كل بئر في صلالة حتى يتم القضاء على البعوض[٣].

وفي صفر ١٣٧٠هـ/نوفمبر ١٩٥٠م زار الطبيب تومس وزوجته وأولاده بتر (Peter) ونورمن (Norman) ولويس (Lois) صلالة مرة أخرى. وعالج في هذه المرة ألفا وستمائة حالة. وقد وجد الطبيب تومس أن الملاريا تأتي في الدرجة

---

[١] الطبيب أحمد شفيق، كان يعمل طبيبا في المستشفى الحكومي في صلالة. تدرب في المستشفى الإرسالي في طهران والبحرين.
Thoms, W. Wells (1944)
[٢] Thoms, W. Wells (1944)، ص ٧.
[٣] Annual Report 1944

الأولى، تتلوها التراخوما ثم الطفيليات المعوية. وكتب الطبيب تومس عن لقائه مع السلطان سعيد قائلا: "لقد أوضحنا للسلطان بأنه إن أمكنه أن يوظف مهندسا صحيا وأخصائي أمراض عامة فإن عمل الاثنين مع بعضهم سيقضي على أغلب الأمراض التي تعصف بسكان أرض اللبان"[1].

٢. ٧. ٥. انتقال الخدمات الصحية إلى الحكومة

بعد عشرين يوما فقط من تسلمه السلطة في عمان في ٢٦ يوليو ١٩٧٠م، وجه حضرة صاحب الجلالة السلطان قابوس بن سعيد المعظم رسالة إلى الإرسالية العربية في مسقط بتاريخ ١٥ أغسطس ١٩٧٠م معربا عن شكره لما قدمته الإرسالية من خدمات طبية للبلد خلال السنوات الماضية، ومبديا رغبته في أن تنسق الإرسالية خططها المستقبلية للنشاط الطبي في عمان مع حكومة جلالته؛ لتجنب أي ازدواجية في الخدمات الصحية المقدمة.

فكانت تلك الرسالة إيذانا ببداية النهاية لدور النشاط الطبي في العملية التنصيرية في البلد، وبانتقال تدريجي لمستشفيي الإرسالية في مسقط ومطرح إلى رعاية حكومته التي جعلت توفير الخدمات الصحية المجانية للمواطنين من ضمن أولوياتها.

ولأجل مناقشة مستقبل الإرسالية في ضوء الأوضاع والمستجدات الراهنة، اجتمعت في مسقط في شوال ١٣٩٠هـ/ديسمبر ١٩٧٠م "اللجنة التنفيذية للإرسالية العربية" التي تشكلت من فريق خاص من الأطباء جاءوا لهذا الغرض من الولايات المتحدة الأمريكية بالإضافة إلى عدد من الأطباء العاملين في مستشفي مسقط ومطرح. ضمت هذه اللجنة كلاً من الطبيب جون بتين (John Buteyn)، والطبيب سبنسر سندكور (Spencer Snedecor)، والطبيب رَسل بالمان (Russell Paalman)،

---

[1] Annual Report of the Arabian Mission for 1951، ص ١٧.

والسيد جيمس مكجلفري (James McGilvray)، والطبيب دونالد بوش (Donald Bosch).

وكان على الإرسالية قبل اتخاذ أي قرار أن تضع في الاعتبار العديد من التساؤلات؛ لتقييم واقع أنشطتها الطبية ومستقبلها في عمان. ومما وضع للتساؤل، حسب ما ذكره الطبيب بوش في كتابه "مستشفيات الإرسالية الأمريكية في عمان" "The American Mission Hospitals in Oman" ما يلي:

١. شعور البعض بأن تَلقّي الإرسالية الدعم المالي من الحكومة مقابل مواصلة تقديم خدماتها الطبية، سيحُدُ من مقدرة الإرسالية على العمل المستقل.

٢. مواصلة مستشفيات الإرسالية في تقديم خدماتها كمؤسسات غير حكومية، سيؤدي إلى نوع من التنافس غير الحميد في الوقت الذي توجد فيه حاجة كبيرة إلى التنوع، وعدم الازدواجية في الخدمات الصحية.

٣. مصير الموظفين الحاليين ونوع الاتفاقيات التي ستجرى فيما يتعلق بالموظفين الأجانب. إذ هل ستستمر الكنيسة المُصلَحة في أمريكا في تزويد المستشفيين بالموظفين المتخصصين؟

٤. مصير ممتلكات الإرسالية. هل تباع أم تعاد إلى الحكومة؟

٥. في جميع الحالات يؤخذ بعين الاعتبار رأي المرضى أنفسهم؟

٦. الملاحظ من خلال تاريخ الإرساليات الطبية المسيحية أن قليلا من الفرص تتاح للإرساليات المسيحية للمشاركة في البرامج الحكومية الكبرى. والملاحظ أيضا أنه عندما تحس الدول النامية بمسؤولياتها تجاه الخدمة الطبية لمواطنيها فإن مستشفيات الإرساليات تضطر إلى رفع رسوم العلاج لأجل البقاء صامدة في مواجهة الخدمات الصحية المجانية التي تقدمها الحكومة. فالتبعات المالية لإنشاء مستشفى عصري مكلفة للغاية بحيث يرغم تنافس مستشفى الإرسالية مع مستشفى حكومي مجاني الإرساليةَ على أن تجعل خدماتها للأغنياء، أو على أن تعتمد على مساعدات ضخمة من منظمات خارجية.

٧. لوحظ أن الخدمة العلاجية التي خطط لها صاحب الجلالة لا يمكن تفعيلها في الوقت الراهن بدون الاستعانة بمستشفيات الإرسالية في مسقط ومطرح وهذه هي فرصة الإرسالية العظمى للتعاون[١].

وبعد عدة أيام قضتها اللجنة في تجميع الحقائق والمعلومات، واستشارة العديد من أصحاب الاختصاص، ولقاء السلطان ذاته توصل الجانبان إلى اتفاقية اشتملت على النقاط التالية:

١. تؤجر الإرسالية الحكومة جميع الممتلكات والأجهزة والأصول الثابتة والمعدات المستخدمة في المستشفيات بمبلغ ٢٤٠ دولاراً في العام.

٢. تتحمل الحكومة كل المسؤولية عن المستشفيات، إلا أن الإرسالية تحتفظ بكافة السلطات بما فيها التعيين والفصل من العمل، والإدارة اليومية للمستشفى.

٣. ستحول خدمة الموظفين الوافدين من أمريكا وأوربا (أعضاء الإرسالية) إلى الحكومة، إلا أن الكنيسة ستستمر في دعمهم. وتأمل الحكومة في أن تحافظ الإرسالية على العدد الحالي من الوافدين.

٤. ستدعم الحكومة البرنامج العلاجي دعما كاملا، وستخفض المستشفيات الرسوم إلى أدنى حد، وستكون هذه الرسوم فقط للحد من الزحام غير الضروري في فترة التطوير الأساسية.

٥. ستُرفع رواتب الموظفين الحاليين إلى المستوى الذي وضعته الحكومة.

٦. ستكون أي تحسينات كبرى على نفقة الحكومة.

٧. ستكون شروط الاتفاقية الحالية سارية المفعول لمدة ثلاث سنوات يعاد بعدها النظر في الاتفاقية بأكملها[٢].

---

١ Bosch, Donald T. "The American Mission Hospitals in Oman, 1893-1974 81 years"، ص ١٢٨.

٢ Bosch, Donald T. "The American Mission Hospitals in Oman, 1893-1974 81 years"، ١٢٩.

وهكذا أصدرت وزارة الصحة العمانية في ٢١ ديسمبر ١٩٧٠م وثيقة رسمية بالنقاط التي تم التوصل إليها بين الجانبين على أن توضع موضع التنفيذ في الأول من يناير ١٩٧١م. وبعد أن وقع الجانبان الاتفاقية رفعت إلى المقام السامي، فأطلق جلالته على مستشفى مسقط اسم "مستشفى السعادة" وعلى مستشفى مطرح سم "مستشفى الرحمة"[1].

كانت الفترة الواقعة بين تفعيل الاتفاقية الأولى في ١ يناير ١٩٧١م، وصدور الاتفاقية الثانية في ١٥ مارس ١٩٧٤م بمثابة مرحلة انتقالية لدور الإرسالية الطبي في عمان، وأيضا بمثابة مجس لدراسة حقيقة نوايا الطرفين- الحكومة والإرسالية وتوجهاتهما. فمن ناحية، كانت الحكومة تسعى بخطى حثيثة نحو توسيع نطاق خدماتها الصحية؛ مدركة أن صحة مواطنيها تقع على عاتقها، وليس على عاتق المؤسسات الأجنبية المحسنة. فافتتح في مسقط في ١٩٧٣م مستشفى النهضة بروي الذي شُرع في بنائه في عهد السلطان السابق سعيد بن تيمور. كما شرعت الحكومة في توسيع مستشفى خولة وتأهيله بعد أن قررت شركة تنمية نفط عمان المالكة للمستشفى تسليمه إلى الحكومة[2]. وقد أدت هذه المشاريع إلى تقليص أهمية الدور الذي تقوم به مستشفيات الإرسالية.

ومن ناحية أخرى، خلقت الجهود المشتركة في وضع خطط الحكومة الطبية موضع التنفيذ شعوراً بالطمأنينة بين الإرسالية والحكومة، ورفعت التوجس والريبة بين الطرفين. فانفتاح الحكومة على الشعب، وسعيها في تلبية الحاجات الأساسية للمواطنين دفع بأفواج من الناس المحرومين إلى المستشفيات الجديدة؛ طلبا لعلاج الأمراض التي عششت في أبدانهم طوال السنين الحالكة للعهد السابق. فقد وصل

---

[1] Bosch, Donald T. "The American Mission Hospitals in Oman, 1893-1974 81 years"

[2] أنشأت شركة تنمية نفط عمان في أواخر ١٩٦٠م في منطقة سيح المالح مستشفى بسعة عشرين سريرا لمعالجة موظفيها وأسرهم. ولم يكن هذا المستشفى مفتوحا للناس. وبعد أن استلمته الحكومة زادت من طاقته الاستيعابية إلى مائة وعشرين سريرا، وتم افتتاحه رسميا في ١٩٧٤م، وأطلق عليه اسم مستشفى خولة، هو الآن أحد المستشفيات المرجعية في عمان.

عدد المرضى الذين قابلوا الطبيب في اليوم الواحد في بعض أيام عام ١٩٧١م إلى أربعمائة شخص. يقول الطبيب دونالد بوش "أحد التغيرات التي لم نكن نتوقعها هو أن عدداً كبيراً من أولئك الناس جاءوا من الطبقة المحرومة، الذين لا يملكون قط بنسا واحدا. مجموعة منهم مصابون بفتاق عمره عشرون سنة، وأمراض أخرى مستمرة لمدى طويل. وبالرغم من أنه كانت دائما لدينا سياسة لتقديم علاج مجاني للفقراء، إلا أن مجموعة منهم لم يستطيعوا المجئ إما لكونهم خائفين من دفع قيمة العلاج، أو لأنهم لا يعلمون بأنه يمكنهم الحصول على العلاج مجانا"[1].

أما على مستوى مستشفى النساء في مسقط، فكانت نسبة المترددات على المستشفى ترتفع ارتفاعا مطردا. ففي ١٣٩٠هـ/١٩٧٠م بلغ عدد الحالات التي عولجت في المستشفى ٣٢٠٠ حالة، منها ٢٧٠٠ حالة وضع. في حين ارتفع هذا الرقم في ١٣٩١هـ/١٩٧١م ليصل إلى، ٤٧٠٠ منها ٤٠٠٠ حالة ولادة. وفي ١٣٩٢هـ/١٩٧٢م بلغت حالات الولادة ٥٢٠٠، بمعدل ١٠٠ حالة في الأسبوع[2].

فقد أدى هذا الإقبال المتصاعد على المستشفيات إلى حاجة مطردة لتجنيد المزيد من الموظفين خاصة في نطاق الأطباء والمرضين. وهذا بدوره أدى إلى دفع المزيد من الأطباء والمرضيين الإرساليين الأمريكيين والأوربيين في مستشفيات الحكومة- حسبما نصت عليه الاتفاقية. فشهد عام ١٣٩١هـ/١٩٧١م على سبيل المثال- التحاق الطبيبة العامة المتقاعدة ميري اليسون (Dr. Mary Allison)، وأخصائي العيون ديفد إندرجييت (Dr David Inderjeet) وزوجته خبيرة الأمراض (باثولوجست) ليلي (Dr. Lilly David) بمستشفى الرحمة. كما انضمت عام ١٣٩٣هـ/١٩٧٣م إلى الفريق الطبي المرضتان الأمريكيتان سندي بيكر (Cindy Byker) وميري شبر (Merry Schepper). وفي تقرير بعث به

---

[1] Bosch, Donald T. "The American Mission Hospitals in Oman, 1893-1974 81 years"، ص ١٣٢.

[2] Boersma, Jeanette (1991)

الإرساليون إلى مكتبهم في نيويورك في ٤ مارس ١٩٧١م أوضحوا بأن وزير الصحة قد طلب من الإرسالية تزويده بعشرة ممرضين. وقد وافقت "الكنيسة المصلحة" في أمريكا و"الجمعية الإرسالية الدانمركية" (Danish Missionary Socieyt) على نقل خدمات إرسالييها من الأطباء والمرضين إلى وزارة الصحة كما وافقت الكنائس في أمريكا وهولندا على دعم جهود هاتين المنظمتين في سياستهما الجديدة في عمان.

أدى الشعور بالارتياح بين الجانبين الذي ساد هذه الفترة الانتقالية إلى عهد جديد في تاريخ الإرسالية توج (أولا) بتعيين الطبيب الإرسالي دونالد بوش الذي كان يعمل في مستشفى الإرسالية في مطرح رئيسا للأطباء في مستشفى خولة فور افتتاحه في ١٣٩٤هـ/١٩٧٤م، وعُينت معه في المستشفى نفسه الآنسة جوان كووبر (Joan Cooper) رئيسة للمرضين. و(ثانيا) بتوقيع اتفاقية ١٥ مارس ١٩٧٤م التي نصت على نقل طوعي للخدمات الصحية للإرسالية إلى وزارة الصحة.

فقد نصت اتفاقية ١٥ مارس ١٩٧٤م على النقاط الأساسية التالية:

١. تُستبدل الاتفاقية الجديدة النهائية بالاتفاقية السابقة المنتهية.

٢. تَنقل الإرسالية جميع الأراضي والبنايات ومحتويات المباني والمواد في مستشفى مطرح إلى الحكومة، على أن يُتفاوض في ملكية مستشفى السعادة في وقت لاحق.

٣. تحتفظ الإرسالية بالسكن الكائن في ملكية مبنى المجذومين والمجلس الصغير الكائن في ملكية مستشفى السعادة، وستجد الوزارة مسميات مناسبة لهذه الممتلكات.

٤. تحتفظ الوزارة بخيار تحويل أي موظف يعمل حاليا لدى الإرسالية، ونقل خدماته إلى مستشفى الرحمة أو السعادة إلى خدماتها الصحية.

٥. تنظر الوزارة في مؤهلات كل موظف سواء كان وافدا أم عمانيا يعمل حاليا في مستشفى الرحمة أو السعادة وتعرض نقل توظيفه إلى خدماتها. ويقع على عاتق الوزارة مسؤولية المطالبة الشرعية بالمستحقات السابقة للخدمة، لموظفي المستشفى

العمانيين الذين يتلقون رواتبهم في السابق من الإرسالية أو من مستشفى الرحمة والسعادة[1].

أما مستشفى السعادة في مسقط فقد صدرت في حقه اتفاقية بيع لوزارة الصحة في وقت لاحق. وقد أنهى صدور اتفاقية عام ١٣٩٤هـ/١٩٧٤م ٩٦ سنة من النشاط الصحي التنصيري للإرسالية العربية في عمان[2].

٢. ٧. ٦. ملخص

بعد سنوات من الاستقرار والعمل في عمان شعر أعضاء الإرسالية العربية أن الحاجة إلى نشاط طبي للإرسالية ليس حاجة ضرورية من أجل التنصير فحسب، بل ومن أجل خدمتهم هم كذلك. وبدأ تفعيل النشاط الطبي للإرسالية على يدي المنصرة الزبث كانتاين في ١٣٢٣هـ/١٩٠٥م عندما أنشأت صيدلية ملحقة بالطابق الأرضي بمقر الإرسالية في مسقط، وأخذت تقدم بعض العلاج والأدوية البسيطة للجيران.

وفي ١٣٢٦هـ/١٩٠٨م صدرت الأوامر إلى الطبيب المنصر شارون تومس بإنشاء مستوصف للإرسالية في مدينة مطرح. وبالرغم من معارضة السلطان لذلك المشروع، إلا أن الطبيب تومس تمكن من استئجار بيت في تلك المدينة متخذا الطابق السفلي منه مستوصفا، وساعده في عمله زوجته مي ومتنصر أفغاني. وفي ١٣٣١هـ/١٩١٣م أنشأت الإرسالية مستشفى خاصا للنساء في مسقط بلغت كلفته ١٣٠٠ دولار.

توقف نشاط الإرسالية الطبي في مدينة مطرح في ١٣١٤هـ/١٩١٤م، بسبب نقص الأطباء والظروف المالية الصعبة التي مرت بها الإرسالية، ولم يعد افتتاحه

---

[1] Bosch, Donald T. "The American Mission Hospitals in Oman, 1893-1974 81 years"، ص ١٣٨.

[2] هدمت وزارة الصحة المبنى الأصلي لمستشفى الإرسالية في مسقط في ١٩٩٥م باعتباره غير صالح للاستخدام، وبني في محله عيادة صحية. وأما مستشفى الإرسالية في مطرح فقد باعته وزارة الصحة إلى القطاع الخاص. وهدم المالك في ١٩٩٧م المبنى القديم ليحل محله بناية سكنية تجارية متعددة الطوابق.
Bosch, Donald T. "The American Mission Hospitals in Oman, 1893-1974 81 years"

مرة ثانية إلا في ١٣٤٦هـ/١٩٢٨م على يد الطبيب بول هاريسون. ومنذ ذلك الحين أصبحت الإرسالية تمارس نشاطها الطبي في مكانين مختلفين في عمان: الأول في مطرح والثاني في مسقط. وفي ١٣٥٢هـ/١٩٣٣م افتتحت الإرسالية "مستشفى نوكس التذكاري" في مطرح الذي أشرف على بنائه المنصر درك دكسترا. وشهد هذا المستشفى بعد ذلك توسعات متعددة خاصة بعد أن التحق به الطبيب ولز تومس في ١٣٥٦هـ/١٩٣٨م حيث أنشيء قسم خاص لعلاج الأمراض المُعدية.

لم يقتصر نشاط الإرسالية الطبي على هذين المستشفيين، بل كان المنصرون يقومون بجولات طبية إلى أماكن أخرى خارج المدينتين. فقد زاروا سائر المدن والقرى الواقعة على خط الباطنة الساحلي. وزاروا كذلك الرستاق وعبروا الجبل الأخضر إلى تنوف ونزوى ومنح وبركة الموز. ومن الجانب الآخر وصلوا إلى بدبد وسمائل. وتوجهوا أيضاً إلى قريات وصور وجعلان وجزيرة مصيرة. كما قاموا بعدة جولات في ظفار بالمنطقة الجنوبية من عمان.

وبعد التغيير السياسي الذي حدث في عمان في ١٣٩٠هـ/١٩٧٠م رأى المنصرون أن منافسة الحكومة التي تحملت مسؤولية توفير الخدمات الصحية لمواطنيها أمرا لا تستطيع الإرسالية القيام به. فقررت الإرسالية بالاتفاق مع الحكومة الجديدة التحويل التدريجي لمستشفيات الإرسالية إلى الملكية الحكومية. فتم في ١٣٩٤هـ/١٩٧٤م الانتقال التام لمستشفيات الإرسالية إلى ملكية حكومة سلطنة عمان وإدارتها. كما انتقل عدد كَبير من موظفي مستشفيات الإرسالية للعمل في المستشفيات الحكومية. وبذلك انتهت حقبة امتدت لما يقارب من مائة عام من النشاط التنصيري الطبي للإرسالية العربية في عمان.

٢. ٨. عناصر الإرسالية العربية في عمان

"نحن موجودون في الجزيرة العربية لكي نحول الرجال والنساء إلى المسيحية".

بول هاريسون[١]

شكل الإرساليون الأمريكيون العنصر الرئيس في التركيبة البشرية لمركز الإرسالية العربية في عمان. واختلفت تخصصات أولئك الإرساليين العلمية باختلاف الأنشطة التنصيرية التي يؤديها مركزهم. فكان منهم القساوسة والأطباء والمرضون والمدرسون. وفي المراحل الأولى من عمر الإرسالية عمل إلى جانب الإرساليين الأمريكان نصارى شرقيون وظيفتهم الأساسية بيع الأناجيل وكتب الأدب النصراني الأخرى. وبعد أن اتسع نطاق الأنشطة التنصيرية وحجمها لجأت الإرسالية إلى توظيف عناصر من جنسيات أخرى للعمل في مركزيها بمسقط ومطرح. فالتحق للعمل بالإرسالية عدد من الهنود والأوربيين خاصة الهولنديين. وفي الوقت الذي كان إشراك العمانيين في أنشطة الإرسالية هدفا رئيسا من الأهداف التنصيرية ساعد رخص العمالة العمانية مقابل الكلفة المالية العالية لتوظيف عناصر أمريكية وحاجة العمانيين إلى العمل في التحاق عدد من أفراد المجتمع المحلي للعمل لدى الإرسالية وخاصة في مجال الطب.

٢. ٨. ١. الإرساليون الأمريكيون

والإرسالي هو العنصر الأساس في الهيكل البشري للإرسالية العربية في مركزها في عمان. فإليه يعود اتخاذ القرارات، وتوجيه العمل لتنفيذ الخطة التنصيرية العامة. ويختلف العمل الذي يقوم به الإرسالي باختلاف تخصصه ونوع النشاط

---

[١] Harrison, Paul W (1943)، ص ٢٧٧.

الذي يؤديه المركز. ففي الحقبة الأولى من عمر الإرسالية عندما كانت أنشطة المركز مقتصرة على جانب الدعوة إلى النصرانية بالحديث المباشر، أو القراءة أو توزيع الكتب كان الإرساليون قساوسة متخصصين في الديانة النصرانية كأمثال بتر زويمر وجيمس كانتاين خريجي كلية برنسويك اللاهوتية. وعندما دخل الطب والتعليم إلى أنشطة الإرسالية كان من الإرساليين أطباء وممرضون ومدرسون. وكل واحد من أصحاب هذه التخصصات يعمل من أجل هدف واحد وهو توصيل الديانة النصرانية إلى المسلم؛ من أجل تحويلة إلى النصرانية. فدور الطبيب إلى جانب معالجة المرضى العمل على تعريفهم بالنصرانية، وبالتالي إخراجهم من الإسلام، ودور المدرس إلى جانب التعليم غرس الديانة النصرانية في التلاميذ، وبالتالي تحويلهم إلى النصرانية.

وكانت السياسة التنصيرية للإرسالية تحتم أن يكون الإرسالي أمريكيا. ففي رد مجلس الإرسالية العربية على سؤال وجهته اللجنة المالية في مجلس الإرساليات الخارجية للكنيسة المصلحة(البروتستنتية) في ٨ أكتوبر ١٩٠١م فيما إذا كان توظيف منصرين محليين سيسد الحاجة أمام إرسال المزيد من المنصرين من أمريكا، أجاب عناصر الإرسالية في الخليج بأن المهمة القيادية التي يقوم بها المنصر تتطلب من القدرات والمهارات ما لا يتوفر في العناصر المحلية. وهذا بدوره يتطلب تزويد الحقل بالمزيد من المنصرين من البلد الأم[1]. وفي حقيقة الأمر أن عدم نجاح الإرسالية– وخاصة في السنوات الأولى من عمرها– في تنصير عناصر محلية سواء ليكونوا منصرين، أم باعة أناجيل، أم مجرد معاونين وخدم هو السبب في عدم مقدرة الإرسالية على توظيف عناصر محلية، وهو السبب كذلك في اعتمادها على الملتحقين بالعمل من الولايات المتحدة الأمريكية برغم ما كان يسببه توظيف الأمريكان من ضغوط مالية على الإرسالية[2].

---

[1] Cobb, Henry N. (1902)

[2] Moerdyk, James (1913)

وبالإضافة إلى ذلك، كان يجب أن يكون الإرسالي على قدر معين من العلوم التي تؤهله للعمل التنصيري. فجميع الإرساليين قد تخرجوا في المعاهد والجامعات ذات التخصصات المناسبة في الولايات المتحدة الأمريكية. وعند وصولهم إلى شبه الجزيرة العربية يلتحقون بدورة تأهيلية يتعلمون خلالها اللغة العربية، والدين الإسلامي، ومبادئ التعامل مع السكان المحليين. فيعين لكل منَصِّر مدرس خاص يقوم بتدريسه لمدة عامين يجب عليه أن يجتاز في نهايتهما امتحاناً في اللغة العربية تحدثا وكتابة[1]. وقد يكون شرط إجادة اللغة العربية أدخل إلى لوائح الإرسالية في ١٣١٧هـ/١٩٠٠م، حيث جعل ارتفاع عدد المنصرين الملتحقين بسلك الإرسالية ابتداء من ذلك العام قضاء المنصر أو المنصرة سنتين كاملتين في تعلم اللغة غير مخل بسير العمل التنصيري.

إلا أن التركيبة السكانية لمسقط ومطرح كانت دائما تشكل تحديا لغويا للمنصرين رغم إجادتهم اللغة العربية. فقد وجد المنصرون أن سكان مسقط ومطرح يتحدثون إلى جانب العربية الهندوستانية والفارسية والبلوشية. حيث كان يعيش إلى جانب العرب جاليات من الحيدرأباديين والبانيان الذين يأتون من الهند، والعجم من إيران، والبلوش الذين نزحوا من بلوشستان. ووجد المنصرون أنفسهم في بعض الأحيان غير قادرين على التخاطب مع بعض أفراد الجاليات غير العربية، وأنهم مضطرون إلى الاستعانة بالمترجمين وخاصة في مستشفيات الإرسالية[2]. وكتب أحد المنصرين عن التحدي اللغوي الذي يواجهه في عمان قائلا: "العمل القوي الناجح في عمان يتطلب أن تكون لغويا... فتوجد في مسقط حوالي عشر لغات أو إحدى عشرة لغة مُتحدثة، خمس لغات على الأقل تستخدم بشكل يومي في السوق. ولكن لا تستخدم حتى واحدة من هذه اللغات بشكل حذر وصحيح. فالبلوشية استعارت من الهندوستانية والسواحلية. والأفريقية كذلك استعارت [من

[1] Ess, John Van (1903) , Barny, F. J. (1908 a)

[2] Bosch, Donald and Eloise (2000)

لغات أخرى]. والعرب أنشأوا كلمات من عدة لغات أجنبية. إن اللغة العامية في سوق مسقط فريدة حقا ولا تقارن بأي لغة أخرى. فليس من المستغرب أن تمر بعرب لا يفهمون في بعض الأوقات لغتهم. واللغة العربية المستخدمة هنا تستحق أن يطلق عليها اللغة العمانية. فإلى جانب إنشائها كلمات من لغات أجنبية، لديها عدة كلمات خاصة بها لا يمكن أن تجدها في الكتب العربية، ولا يمكن إرجاعها إلى جذور أجنبية. فالعرب المنتمون إلى مجتمعات أخرى والقادمون إلى عمان عليهم أن يتعلموا لغة غريبة عليهم بسبب هذه الكلمات والتعبيرات الغريبة[1]"[2].

وكما ذكرنا في الفصل الخامس كان القسيس بتر زويمر أول من وصل مسقط من أعضاء الإرسالية العربية وذلك في جمادى الأولى ١٣١١هـ/١٢ نوفمبر ١٨٩٣م. ولد بتر في مدينة هولاند بولاية متشجان في ٢٢ سبتمبر ١٨٦٨م/١٢٨٥هـ. والتحق للدراسة في كلية الأمل (Hope college) وتخرج فيها عام ١٣٠٥هـ/١٨٨٨م ليلتحق في العام التالي بالكلية اللاهوتية (Theological Seminary)– في مدينة نيو برنسويك– التي تخرج فيها عام ١٣١٠هـ/١٨٩٢م. وغادر في السنة نفسها الولايات المتحدة الأمريكية متوجها إلى شبه الجزيرة العربية ليعمل مُنَصِرا لدى الإرسالية العربية.

وفور وصوله مسقط اشترى بتر زويمر بيتا ليكون مقرا ثابتا للإرسالية. وبعد خمس سنوات من العمل التنصيري غادر بتر زويمر مسقط في ذي القعدة ١٣١٥هـ/مايو ١٨٩٨م متوجها إلى أمريكا أثر انهيار صحته بسبب الإنهاك الشديد وحرارة الجو. وعند وصوله مدينة نيويورك حمل مباشرة إلى مستشفى بربيتيريان

---

[1] من وجهة نظري، إن هذه الفسيفساء اللغوية حالة طبيعية لتلاقح الفاظ عديدة وأناس عديدون لكنها لا ترقى أن تكون لغة (عمانية) ذات ملامح خاصة بها، فالعربية في عمان قريبة إلى الفصيحة عدا بعض التأثيرات.

[2] Moerdyk, J. E. (1904 b)، ص ٦.

(Presbyterian Hospital) ليبقى فيه ثلاثة أشهر، وتوفي مساء الثلاثاء ١٨ أكتوبر ١٨٩٨م، ودفن في موطنه بمدينته هولاند بولاية متشيجان [١].

وبعد مغادرة القسيس بتر زويمر قام بإدارة مركز مسقط مؤقتا القسيس جيمس كانتاين- أحد مؤسسي الإرسالية العربية- الذي وصلها قادما من البصرة قبل أن يغادر بتر زويمر بأيام قلائل. ولد كانتاين في ٣ مارس ١٨٦١م في مقاطعة الستر (Ulster County). والتحق في ١٨٧٩م بكلية الاتحاد (Union College) ليتخرج فيها بعد أربع سنوات مهندسا مدنيا. ثم دفعته اهتماماته الدينية إلى الالتحاق بكلية برنسويك الجديدة (New Brunswick Seminary) في ١٨٨٦م، التي التقى فيها بكل من صامويل زويمر وفلب تي فلبس والبروفسر لانسنج الذين شكلوا النواة الأولية للإرسالية العربية. عمل القسيس كانتاين بالإضافة إلى مسقط في مراكز الإرسالية في البصرة وبغداد. وتقاعد من الخدمة في يوليو عام ١٩٢٩م بسبب تدهور صحته [٢]. وتوفي في نيويورك ظهر الاثنين ١ يوليو ١٩٤٠م بعد معاناة المرض طويلا [٣].

على كل حال، خلفت مغادرة السيد بتر زويمر مركز مسقط ثم وفاته بعد ذلك مشكلة كبيرة في أنشطة الإرسالية في الخليج. فأصبحت إدارة المراكز الإرسالية الثلاثة- مسقط والبصرة والبحرين- موزعة بين اثنين فقط من الإرساليين هما جيمس كانتاين وصامويل زويمر. وأصبح مصير مركز مسقط غير واضح أثر هذه الأزمة في الرجال.

ووجد صامويل زويمر وكانتاين المخرج من هذه الأزمة في القسيس فرد جي بارني (Rev. Fred J. Barny) المنظم إلى الإرسالية في ١٣١٤هـ/خريف ١٨٩٧م. فأسندت إليه مسؤولية مركز مسقط وباشر العمل فيه في ربيع الأول

---

١ Zwemer, Samuel (1898 a)

٢ Scudder, Lewis R. (1998)

٣ Potter, F. M. (1940)

١٣١٦هـ/أغسطس ١٨٩٨م. وفي العام نفسه انضمت للعمل معه زوجته مارجريت (Mrs. Margaret Rice Barny) العضوة الجديدة القادمة لتوها من أمريكا. إلا أنه في العام القادم سقط السيد بارني طريح الفراش بسبب التيفويد، وسقطت معه زوجته مارجريت بسبب الملاريا؛ مما اضطرهما الى مغادرة مسقط إلى الهند[١]. لم يعد السيد بارني وأسرته إلى مسقط إلا في ١٣٢٥هـ/أواخر ١٩٠٧م؛ ليحلا محل السيد كانتاين وزوجته اللذين غادرا إلى الولايات المتحدة الأمريكية لقضاء الإجازة[٢]. بقي السيد والسيدة بارني في عمان حتى ١٣٣٤هـ/١٩١٦م[٣]. توفي السيد بارني في ٢٦ مارس ١٩٥١م في الولايات المتحدة الأمريكية، أما زوجته فقد توفيت في ٣ يناير ١٩٦١م في سن السابعة والتسعين[٤].

وبعد مغادرة السيد بارني وزوجته مسقط في ١٨٩٩م بسبب إصابتها بالمرض، ظهرت تحديات جديدة في توزيع الموظفين على مراكز الإرسالية في الخليج. وقد حُلت هذه المشكلة بإسناد إدارة مركز مسقط الى العضو الجديد السيد جورج اِدوين ستون (George Edwin Stone) الذي غادر ميناء نيويورك بصحبة صامويل زويمر في ١٧ أغسطس ١٨٩٨م. وصل جورج ستون مسقط في شوال ١٣١٦هـ/١٤ فبراير ١٨٩٩ قادما من مركز البصرة منفذا أوامر القسيس صامويل زويمر الذي كلفه بإدارة مركز مسقط برغم خبرته القليلة في هذا المجال، وبرغم معرفته الضئيلة بالوضع في شبه الجزيرة العربية كما أنه لم يمض إلا أربعة أشهر فقط في تعلم اللغة العربية[٥].

تركزت أعمال السيد ستون في مسقط في تعلم اللغة العربية، وتسيير أعمال مدرسة الرقيق المحررين. ولكن لم تكد تمضي فترة بسيطة من الزمن إلا وانهارت

---

١ Mason, Alfred De Witt (1926)

٢ Mason, Alfred De Witt (1926)

٣ Scudder, Lewis R. (1998)

٤ Annual Report of Arabian Mission for 1962

٥ Zwemer, Samuel (1898 b)، Stone, George (1899)

صحة السيد ستون نتيجة لحرارة الجو المرتفعة. واضطر السيد جيمس كانتاين للعودة مرة أخرى إلى مسقط. ولأجل تحسن صحة السيد ستون تقرر أن يمضي فترة من الزمن في مدينة بركاء حيث الجو أكثر لطافة والحرارة أقل التهابا. ولكن لم تكن بركاء ذات فائدة لصحة السيد ستون، فبعد ثلاث أو أربعة أيام من وصوله اشتكى من ارتفاع درجة الحرارة مرة أخرى، وفارق بعدها الحياة في صفر ١٣١٧هـ/٢٦ يونيو ١٨٩٩م ودفن في بركاء.

شكل موت السيد ستون صدمة كبيرة لأعضاء الإرسالية العربية. فهذه ثاني وفاة تحدث في مركز مسقط- بعد وفاة بتر زويمر- وفي فترة لا تتجاوز تسعة أشهر. ومما زاد الألم أن الوفيات حدثت بين أصغر أفراد الإرسالية سنا، الذين يفترض أن يكونوا أكثرهم صلابة وتحملا[1].

وبعد موت السيد ستون استمر القسيس جيمس كانتاين الراعي لمركز مسقط حتى ١٣٢٥هـ/١٩٠٧م حيث غادر هو وزوجته إلى الولايات المتحدة الأمريكية لقضاء الإجازة. عمل السيد كانتياين وزوجته في مسقط حتى مغادرتهما منها نهائيا عام ١٣٢٩هـ/١٩١١م للعمل في مركز البصرة.

انضم إلى مركز مسقط في ١٣١٧هـ/منتصف ١٩٠٠م القسيس ويرسم (H. J. Wiersum)[2]. وكان الهدف من إلحاقه بمركز مسقط تعلم اللغة العربية في دورة دراسية تستمر سنة واحدة. ثم وصل مسقط في ٢٨ نوفمبر ١٩٠٠م القسيس جي مورديك (J. E. Moerdyk)[3]. ولأول مرة في تاريخه ضم مركز مسقط ثلاثة منصرين مقيمين هم جيمس كانتاين، وويرسم، ومورديك.

---

[1] Mason, Alfred De Witt (1926)

[2] Wiersum, J. (1900). توفي ويرزم في البصرة في ٣ أغسطس عام ١٩٠١م بسبب الحمى والجديري،
Mason, Alfred De Witt (1926)

[3] Cantine, James (1900 b)

وفي اجتماع أمناء الإرسالية الذي عقد في ربيع الأول ١٣٢٧هـ/٢٤ مارس ١٩٠٩م صدر قرار بتعيين كل من السيد ديرك دكسترا (Mr Dirk Dykstra) وزوجته ميني دبليو دكسترا (Mr. Minnie W Dykstra) والطبيب شارون جي تومس (Dr Sharon J. Thoms) وزوجته بمركز الإرسالية في عمان[١]. وتكمن أهمية هذا القرار في إعطائه الضوء الأخضر لإنشاء ثاني مركز للإرسالية في عمان؛ فكانت التعليمات الموجهة إلى الطبيب شارون تأمره بإنشاء مستشفى في مطرح واتخاذها مكانا لإقامته. أما السيد دكسترا فقد صدرت الأوامر إليه بمواصلة العمل في مركز الإرسالية في مسقط.

لم يلبث السيد درك دكسترا وزوجته في عمان كثيرا؛ فقد صدرت إليهما الأوامر في الربع الثاني من ١٩١٠م بالتوجه إلى البحرين. ثم عاد القسيس دكسترا وزوجته مرة أخرى إلى عمان في ١٩١٤م، وفي العام التالي- ١٩١٥م- صدرت إليهما أوامر أخرى بالتوجه ثانية إلى البحرين، ولم يعودا بعدها إلى عمان إلا في ١٣٤٨هـ/١٩٣٠م ليلبثا فيها حتى ١٣٧٠هـ/١٩٥١م. وقد تركت إقامة السيد دكسترا وزوجته الأخيرة بصمات واضحة المعالم في النشاط التنصيري في عمان، حيث تم على يدي القسيس دكسترا إنشاء مبنى لمستشفى الإرسالية في مطرح الذي انتهى من بنائه في ١٩٣٣م[٢]. كما حققت جهودهما في مجال بعث النشاط التعليمي نجاحا استمر حتى ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م تحت مسمى "مدرسة الأمانة". إلى جانب ذلك قام السيد دكسترا وزوجته بجولات تنصيرية إلى عدة أماكن خارج مسقط. وتوفيت السيدة ميني دكسترا في ١٩٥٥م، ولحقها السيد دكسترا في العام التالي- ١٩٥٦م[٣].

---

١ The Arabian Mission Trustees' Meeting 1909

٢ Dykstra, D (1935 a)

٣ Scudder, Lewis R. (1998)

أما الطبيب الإرسالي شارون جي تومس فإنه يُعَدّ بافتتاحه مستشفى الإرسالية في مدينة مطرح في ربيع الأول ١٣٢٧هـ/١٢ إبريل ١٩٠٩م أول من أسس مستشفى تنصيريا في عمان. تخرج الطبيب شارون تومس في قسم الطب في جامعة متشجان، والتحق للعمل في الإرسالية العربية في عام ١٨٩٩م. وقبل مجيئه إلى عمان عمل في كل من البصرة والبحرين. وقد توفي في صفر ١٣٣١هـ/١٥ يناير ١٩١٣م في مطرح، وذلك عندما كان يقوم هو ومعاونوه بتمديد سلك لربط مركزي التنصير في مسقط ومطرح بخط برقي. فقد سمح له السلطان باستخدام أعمدة سلك البرق الخاص به لتمديد سلك لخدمة مقري الإرسالية. وأثناء صعوده لربط السلك في أحد الأعمدة فقد توازنه فسقط على الأرض الصخرية فأصيب برضة في رأسه توفي على إثرها. وذُكر في تقرير للإرسالية أن والي مطرح أكد بأنه كان بإمكان الطبيب شارون تومس أن يستأجر من يقوم عنه بذلك العمل إلا أنه– كما جاء في تقرير الإرسالية– كان يحب أن يقوم بالأعمال الميكانيكية بنفسه. ودفن جثمانه في اليوم التالي إلى جانب القس الإنجليزي توماس فالبي فرنش، ولُف الجثمان في العلم الأمريكي، وقد حضر الجنازة– كما يشير المنصرون– ابن السلطان الذي قدم تعازي أبيه إلى أعضاء الإرسالية كما تبرع السلطان بقاربه البخاري لحمل الجثمان إلى المقبرة[١].

وبعد وفاة الطبيب شارون تومس عادت زوجته إلى الولايات المتحدة الأمريكية. ثم رجعت في ١٩١٨م للعمل في البصرة حتى عام ١٩٢٢م. وفي ١٩٢٥م تحولت السيدة تومس للعمل لدى "الإرسالية المتحدة" (United Mission) في العراق، حيث كانت مسؤولة عن مدرسة للبنات افتتحتها تلك الإرسالية في بغداد. ثم تقاعدت في ١٩٤٤م[٢].

ولحل مشكلة الفراغ الذي خلفته وفاة الطبيب شارون تومس، قامت الإرسالية في ١٣٣٢هـ/١٩١٤م بعدد من التعيينات والتنقلات في مركزي مسقط ومطرح. فقد

---

١ Mylerea, C. Stanley G. (1913), Cantine, James (1913)

٢ Annual Report of the Arabian Mission for 1943

عُيِّن الطبيب بول هاريسون (Paul Harrison) الذي كان يعمل في الكويت للعمل وبشكل مؤقت في مستوصف مطرح. ثم عينت الإرسالية في ١٣٣٢هـ/١٩١٤م الطبيب هنري وورل (Dr Henry R. Worrall) وزوجته الطبيبة إما وورل (Mrs Emma Hodge Worrall)[1] للعمل في مطرح- لفترة مؤقتة- حيث غادرها في العام التالي- ١٣٣٣هـ/١٩١٥م. كما عينت الإرسالية- في ١٣٣٢هـ/١٩١٤م- الطبيبة سارة هوسمون (Dr. Sarah. L. Hosmon) للعمل في مستشفى النساء في مسقط.

ظلت الطبيبة سارة هوسمون في مستشفى مسقط حتى استقالتها من العمل لدى الإرسالية بتاريخ ١٢ مايو ١٩٣٨م. وامتازت الطبيبة سارة بقدرتها على الحفاظ على المستشفى في فترات عانت خلالها الإرسالية العربية من صعوبات مالية حادة هددت بقاء المستشفى وقيامه بدوره التنصيري في مسقط. ومما تميزت به فترة الطبيبة سارة، قيامها بجولات طبية تنصيرية إلى عدة أماكن من عمان في أوقات كان التنقل فيها على ظهور الدواب فقط. وتركت استقالة الطبيبة هوسمون المفاجئة مستشفى مسقط بدون طبيبة؛ فأدى ذلك إلى وقف الخدمات الطبية فيه. وعندما عادت الطبيبة سارة إلى الولايات المتحدة الأمريكية التحقت للدراسة في (Union Theological Seminary) بمدينة نيويورك. وبعد انتهائها من الدراسة التحقت للعمل بمستشفى الإرسالية الأرثوذكسية البرسبتيرية(Orthodox Presbyterians) في مدينة الشارقة بدولة الإمارات العربية المتحدة حتى تقاعدها في ١٩٦٢م. وقد توفيت في ٢٥ يوليو ١٩٦٤م[2].

أما بول هاريسون فقد أعيد تعيينه هو وزوجته رجينا (Regina Harrison) للعمل في مطرح مرة أخرى في ١٩٢٧م؛ ليعملا فيها حتى ١٩٣٨م[3]. درس الطبيب

---

[1] Mason, Alfred De Witt (1926)

[2] Scudder, Lewis (1998)

[3] Scudder, Lewis (1998)

بول هاريسون في مدرسة جونز هوبكنس للطب (Johns Hopkins School of Medicine). وقد توفيت السيدة بول هاريسون في ٤ مايو ١٩٣٠م في البحر وهي في طريقها إلى الولايات المتحدة الأمريكية لقضاء الإجازة الدورية. بعد ذلك تزوج الطبيب بول هاريسون السيدة آن مونيث (Anne Moneith) أرملة الإرسالي هنري بلكر (Mr. Henry A. Bilker) الذي قتل خطأ في عملية إطلاق نار أثناء سفره بين البصرة والكويت في ربيع الأول ١٣٥٧هـ/٢١ يناير ١٩٢٩م[١]. خلد الطبيب هاريسون تجربته التنصيرية في عمان وشبه الجزيرة العربية في كتابيه "طبيب في الجزيرة العربية" "Doctor in Arabia" و"العرب في وطنهم" "The Arab at Home" إلى جانب بعض المقالات الأخرى.

ومن الشخصيات التنصيرية التي عملت في مسقط إلمنصرة فاني لتون (Fanny Lutton). جاءت الآنسة لتون من استراليا لتعمل مربية لأطفال المنصر صامويل زويمر في مركز الإرسالية في البحرين. وطلبت بعد ذلك أن تتهيأ للعمل التنصيري، وأصبحت عضواً في سلك الإرسالية العربية في الخليج[٢]. وقد عينت في مركز مسقط ١٣٢٩هـ/١٩١١م لتعمل في النشاط التنصيري بين النساء، وبقيت في مسقط حتى تقاعدها في ١٣٤٨هـ/١٩٣٠م. وتوفيت السيدة لتون في ٨ ديسمبر ١٩٤٦م[٣]. وفي ١٣٣٥هـ/١٩١٧م عين السيد فان بيرسم (Mr Van Peursem) وزوجته جريت (Gerritt) للعمل في مسقط[٤] حيث بقيا في عمان حتى ١٣٤٨هـ/١٩٣٠م[٥].

وفي شعبان ١٣٥٨هـ/أكتوبر ١٩٣٩م التحق بمركز الإرسالية العربية في عمان الطبيب المنصر ولز تومس (Dr. Wells Thoms) وزوجته بث(Beth Thoms)[٦].

---

١ Bosch, Donald,

٢ Dalenberg, Cornelia (1983)

٣ Scudder, Lewis (1998)

٤ Bosch, Donald

٥ Scudder, Lewis (1998)

٦ Annual Report of the Arabian Mission for 1939.

كان ولز أحد الأطفال الثلاثة[1] الذين خلفهم الطبيب شارون جي تومس عندما مات في مطرح في ١٩١٣م. أما أمه ماريون (Mrs Marion Wells Thom) فكانت طبيبة، والتحقت بالإرسالية العربية في ١٣١٥هـ/١٨٩٨م، وتوفت في العراق في ١٣٢٣هـ/١٩٠٥م إثر إصابتها بحمى التيفويد[2]. وولز نفسه ولد في ٢١ يونيو ١٩٠٢م في الولايات المتحدة الأمريكية أثناء قضاء والديه للإجازة.

وعندما توفي أبوه في مطرح غادرت زوجة أبيه السيدة مي تومس (Mrs. May Thoms) بالأطفال الثلاثة إلى الولايات المتحدة الأمريكية، حيث قضى ولز ما تبقى من طفولته، وتلقى تعليمه العام والجامعي. فقد التحق ولز بمدرسة الطب في جامعة متشجان وتخرج فيها طبيبا في ١٩٢٧م[3].

أما زوجته بث فهي ابنة أل آر سكدر (L. R. Scudder) أحد المنصرين المشهورين في الهند. وهي نفسها ولدت ونشأت في الهند. وعملت هناك مُدرسة من ١٩٢٧م حتى زواجها بولز في١٩٣٠م. عندما انضم ولز تومس وزوجته إلى سلك الإرسالية العربية في ١٣٤٨هـ/١٩٣٠م التحقا بدورة لتعلم اللغة العربية في القدس ثم بأخرى في مركز الإرسالية في البصرة. وفي ١٣٥١هـ/١٩٣٢م عمل ولز وزوجته في مستشفى الإرسالية في البحرين حتى ١٣٥٥هـ/١٩٣٧م حيث انتقل للعمل في مستشفى الإرسالية في الكويت.

قَدِمَ الطبيب ولز تومس إلى عمان بروح تنصيرية عالية، ورغبة قوية في العمل الإرسالي تذكيها الذكريات التي حملها منذ أيام طفولته التي قضاها في مطرح مع

---

[1] الاثنتان الآخيرتان بنتان وهن فرانسس(Frances) ولدت في ٣ فبراير ١٩٠٠م في البصرة، والأخرى لويس (Lois) ولدت في ٣ يوليو ١٩٠٢م في البحرين.

[2] Boersma, Jeanette (1991)

خُلِد اسم أمه ماريون بإنشاء مستشفى للنساء في البحرين حمل اسمها، وهو مستشفى ماسون التذكاري حيث بدأ النشاط الطبي الإرسالي في البحرين بوصول السيد شارون تومس وزوجته ماريون في عام ١٩٠١م، Scudder, Lewis (1998).

[3] Castle, Caroline Seller (1999) The Wynkoop family http://members.tripod.com/~wynkoop/webdocs/castle.htm

أبيه شارون تومس. وكان الطبيب ولز جراحا ناجحا، وأظهر اهتماما خاصا بعمليات إزالة النزول الأسود. وتمخض حماسه للنشاط الطبي في عمان عن بناء قسم الأمراض المعدية في مستشفى مطرح في ١٣٦٨هـ/١٩٤٨م. واشتهر الطبيب ولز تومس إلى جانب ذلك بإجراء العملية الجراحية الناجحة للإمام محمد بن عبدالله الخليلي – رحمه الله– في صفر ١٣٧٢هـ/نوفمبر ١٩٥٢م وذلك في عاصمة دولة الإمامة نزوى. وقام هذا الطبيب بزيارات متعددة لمدينة نزوى والجبل الأخضر وصلالة وجعلان وصور– انظر الخامس، الفصل السابع.

وكان الطبيب ولز تومس يأمل في أن تمكنه علاقته الشخصية بالسلطان سعيد بن تيمور– التي تعود إلى فترة طفولتهما، وذلك عندما كان يتردد وهو طفل بصحبة أبيه على القصر السلطاني– على ميزات لصالح نشاط الإرسالية الطبي في عمان. وقد وعد السلطان سعيد برفع الكثير من العقبات التي كانت تمارس على أنشطة الإرسالية كالرسوم الجمركية على الأدوات والمواد الطبية، وحرية التنقل والحركة. وتبرهنت توجهات السلطان سعيد الجديدة بالسماح للإرسالية بشراء قطعة أرض لبناء التوسعات الجديدة، وبالزيارة التاريخية له إلى مستشفى الإرسالية في ١٩٤٠م. إلا أن العلاقة الطيبة بين ولز والسلطان سعيد لم تدم أكثر من عشر سنوات. فقد اتهم السلطان الطبيب ولز تومس بإقامة علاقات مع أعدائه من الزعماء العمانيين في المناطق الداخلية من عمان التي يتردد عليها في جولاته التنصيرية. ونتيجة للموقف الجديد رفض السلطان السماح للطبيب ولز تومس بمقابلته أو الحديث معه. وعندما أراد الطبيب ولز مغادرة عمان إثر تقاعده من الخدمة رفض السلطان استقباله لوداعه[1]. ثم فُرضت الضرائب الجمركية على الأدوية والمعدات الطبية الضرورية، ووضعت العوائق أمام التطورات الطبية، وحُدت مقدرة الإرساليين على الحركة،

---

[1] Allison, Mary (1994)

وروقبت تنقلاتهم، وأصبح الحصول على تأشيرات دخول الموظفين الذين يحتاج إليهم المستشفى أمراً مستحيلا[1].

أما بث زوجة تومس فقد توزعت أعمالها في عمان بين إدارة مستشفى مطرح، والمشاركة في النشاط التعليمي في مدرسة الإرسالية. وقد عمل ولز وزوجته بث في عمان حتى تقاعدهما من الخدمة في ربيع الأول ١٣٩٠هـ/مايو ١٩٧٠م. وتوفي الطبيب ولز تومس في الولايات المتحدة الأمريكية في أكتوبر عام ١٩٧١م[2] نتيجة إصابته بالسرطان. وأقام مستشفى الإرسالية في مطرح مراسم عزاء لوفاته حضرها عدد كبير من العرب والإنجليز والهنود والهولنديين، وبعث المستشفى من يخبر الناس في السوق بنبأ وفاة الطبيب ولز تومس[3].

كما التحقت للعمل بمستشفى النساء في مسقط في ١٣٧٠هـ/١٩٥١م الممرضة الأمريكية جانيت بورسما (Jeanette Boersma) التي عُرفت محليا باسم خاتون نعيمة. كان تعيين جانيت في عمان مهما، وذلك لكي تحل محل السيدة دكسترا التي كانت بصدد التقاعد من الخدمة في مركز مسقط. كما كان لنقص الموظفين في هذا المركز دور في الحاجة الماسة لنقل جانيت إليه. ولدت الآنسة بورسما في ١٩١٨م في شيكاجوا بالولايات المتحدة الأمريكية. وتنحدر من أبوين هولنديين هاجرا من نذرلاند في ١٩٠٥م. تأثرت جانيت في صغرها بالطبيب بول هاريسون الذي كان يقوم بإلقاء الخطب الداعية إلى مؤازرة الإرسالية العربية في الخليج. وزار الطبيب بول أسرة جانيت في بيتهم في ١٩٢٤م؛ لجمع التبرعات للإرسالية العربية، وهناك اقترح على أبيها أن تتخصص في التمريض حتى تخدم في المجال التنصيري. وبعد أن أنهت جانيت السنة الدراسية الثامنة في المدرسة العامة في روزلاند في ١٩٣٢م قرر والداها إلحاقها "بمدرسة شيكاجو المسيحية العليا"

---

[1] Scudder, Lewis (1998)

[2] Scudder, Lewis R. (1998)

[3] Allison, Mary (1994)

(Chicago Christian High School) لكي تتلقى تعليمها الديني والأكاديمي في وقت واحد. ثم تخرجت في هذه المدرسة عام ١٩٣٥م لتلتحق في العام التالي-١٩٣٦م- بدورة في التمريض "بمستشفى روزلاند الاجتماعي" (Roseland Community Hospital). وبعد تخرجها عملت ممرضة ومشرفة في كل من مستشفى روزلاند وقسم الولادة في" مستشفى ميري" في إفرجرين بارك (Mary Hospital, Evergreen Park). وبعد سنتين من العمل في مجال التمريض التحقت "بمعهد الإنجيل المصلح" (Reformed Bible Institute, Grand Rapids) في جراند رابيدز؛ ليؤهلها للعمل الإرسالي. اشتملت الدورة الدراسية التي استمرت لمدة أربع سنوات على أعمال ميدانية في مجال التنصير قامت خلالها بزيارات بيتية من منزل إلى آخر. وبعد تخرجها في المعهد التحقت للعمل الإرسالي في الكنيسة المصلحة في ١٣ إبريل ١٩٤٤م. وقبل أن تغادر للعمل في الإرسالية العربية أُلحقت بدورة تدريبية في العمل التنصيري في الريف الأمريكي في أشفيل شمال كارولاينا (Aheville, North Carolina). ثم التحقت جانييت بدورة لتعلم اللغة العربية في مركز الإرسالية في البصرة استمرت مدة عامين، وذلك قبل أن تباشر عملها كممرضة بمركزها التنصيري في مستشفى الإرسالية في عمارة[١].

تميزت تجربة بورسما في عمان بامتدادها إلى ما بعد عام ١٣٩٠هـ/١٩٧٠م. فقد عملت الآنسة جانيت في مستشفى صور من ١٣٩٥هـ/١٩٧٥م، وحتى تقاعدها في رمضان ١٤٠٦هـ/مايو ١٩٨٦م وعودتها إلى الولايات المتحدة. واللطيف في الأمر، أن الآنسة جانيت تقول بأن المستشفى البديل لمستشفى صور كان سمائل، إلا أن أهل سمائل رفضوا قبولها في بلدهم؛ وذلك لأنها في إحدى زياراتها السابقة إليها قامت بتوزيع نسخ من الإنجيل؛ مما أغضب أهل البلد ورفعوا أمرها إلى الجهات المسؤولة في مسقط. وأدى بهم الأمر إلى الاعتراض على تعيينها في مستشفاهم. وعادت الآنسة جانييت بورسما إلى عمان مرة أخرى في زيارة خاصة في نوفمبر

---

[١] Boersma, Jeanette (1991)

١٩٨٧م. وخلال هذه الزيارة حضرت حفل افتتاح المستشفى السلطاني ببوشر حيث حظيت بمصافحة جلالة السلطان قابوس بن سعيد المعظم وهنأته بما حققه لبلده عمان قائلة له: "إننا نحمد الله لك، ولكل ما تعمله لأجل بلدك"[١].

وقد دونت الآنسة جانيت بورسما تجربتها في عمان والخليج العربي في كتابها المعنون "الرحمة في الخليج" (Grace in the Gulf) الذي كتبت في إحدى صفحاته قائلة: "و هكذا في يوم صيفي حار في عمان أكملت اثنين وأربعين سنة من العمل الإرسالي فيما وراء البحار"[٢].

كما عمل في مركز الإرسالية في عمان القسيس المنصر جي كابنجا (Mr Jay Kapenga)، وزوجته مارجوري كابنجا (Marjory). انضم السيد كابنجا وزوجته إلى مركز مسقط في ١٣٧٨هـ/١٩٤٨م؛ ليحلا محل السيد دكسترا وزوجته اللذين كانا قد عملا في مركز مسقط لما يقارب من واحد وعشرين سنة، وقد حان أوان تقاعدهما[٣]. وبعد انتهاء دور القسيس كابنجا وزوجته في مركز الإرسالية في مسقط في ١٣٩٣هـ/١٩٧٣م انتدبته وزارة التراث القومي والثقافة ليعمل لديها في مجال تشجيع منتجات الحرف اليدوية وتسويقها حيث بقيا في هذا العمل حتى ١٤٠٢هـ/١٩٨٢م[٤].

وفي ١٣٧٣هـ/١٩٥٤م التحقت بمستشفى مطرح كل من آن دي ينج (Anne[5] De Young)، وجانيت فلدمان (Janette Veldman). كانت آن وجانيت فلدمان تعملان إرساليتين في الصين، وقد أجبرتا على الخروج منها بعد ثورة ماو تسي تنج فالتحقتا للعمل بعد ذلك لدى الإرسالية المصلحة البروتستنتية. وكان من ضمن مهام عملهما في عمان تدريب المرضين العمانيين العاملين في مستشفيات

---

[١] Boersma, Jeanette (1991)، ص ٢٧٧.

[٢] Boersma, Jeanette (1991)، ص ٢٦٩.

[٣] Bosch,

[٤] Scudder, Lewis (1998)

[٥] في Scudder, (1998) وصلت ينج في ١٩٥٨م وفي Bosch, وصلت عام ١٩٥٩م.

الإرسالية في مسقط ومطرح. وبعد عام ١٣٩٠هـ/١٩٧٠م عملت آن دي ينج- التي عرفت محليا باسم خاتون أنيسة- في مستشفى صور لمدة ستة اشهر[١].

وفي ١٣٧٩هـ/١٩٦٠م التحق بمركز الإرسالية في عمان القسيس جيم دنهام (Mr Jim Dunham) وزوجته جويس (Mrs Joyce Dunham)[٢]. عمل جيم خلال فترة الستينات من القرن الماضي قسا في مستشفى مطرح، أما زوجته جويس فقد كانت مُدرسة محترفة عملت في مدرسة الإرسالية في مسقط. وكان جيم أحد أعضاء الفريق الذي شكلته الإرسالية للتفاوض مع الحكومة لتحديد مصير مستشفيات الإرسالية بعد عام ١٣٩٠هـ/١٩٧٠م[٣]. وبقي القسيس جيم دنهام وزوجته جويس في عمان حتى تقاعدهما في ١٤٠٤هـ/١٩٨٤م[٤].

ومن الشخصيات البارزة التي عملت في مستشفى الإرسالية في مطرح الطبيب دونالد تي بوش (Donald T Bosch) وزوجته إلويس بوش (Mrs. Eloise Bosch). تخرج دونالد في جامعة الدولة (State University) في أيوا (Iowa)، وفي الحرب العالمية الثانية عمل لدى الجيش الأمريكي في ألمانيا. أما زوجته إلويس فقد تخرجت في كلية الأمل في مدينة هولاند متخصصة في التربية واللغة الإنجليزية. ثم حصلت على شهادة الماجستير في التربية من جامعة نيويورك. ووصل بوش وعائلته مسقط في جمادى الأولى ١٣٧٤هـ/يناير ١٩٥٥م. وقد درسا اللغة العربية قبل ذلك في مركز الإرسالية بالعمارة، العراق. عمل الطبيب بوش في مستشفى الإرسالية في مطرح، أما زوجته فقد تحملت مسؤولية التدريس وإدارة مدرسة الإرسالية في مسقط. وقد عملت السيدة إليوس بوش في هذه المدرسة حتى تقاعدها في ١٤٠٤هـ/١٩٨٤م.

---

[١] Boersma, Jeanette (1991)

[٢] Bosch, Donald T. "The American Mission Hospitals in Oman, 1893-1974 Scudder, Lewis (1998), 81 years"

[٣] Boersma, Jeanette (1991)

[٤] Scudder, Lewis (1998)

وأصبح الطبيب بوش بعد مغادرة الطبيب ولز تومس عمان في ١٣٩٠هـ/١٩٧٠م الشخص الأول في الإرسالية. كما كان له دور بارز في إدارة المفاوضات مع الحكومة لنقل مستشفيات الإرسالية في مطرح ومسقط إلى الملكية الحكومية. ثم أصبح أول رئيس للأطباء في مستشفى خولة عند افتتاحه في ١٣٩٤هـ/١٩٧٤م[1]، ليبقى فيه حتى تقاعده من الخدمة في ١٤٠٤هـ/١٩٨٤م. وفي ١٣٩٢هـ/١٩٧٢م كان الطبيب بوش أول أمريكي يُنعم عليه صاحب الجلالة السلطان قابوس بوسام نظام عمان. وفي ١٤٠٦هـ/١٩٨٦م منحت كلية الأمل الدكتوراة الفخرية إلى الطبيب بوش وزوجته؛ نتيجة لدورهما في عمان، وفي ١٤١٥هـ/١٩٩٥م منحهم السفير الأمريكي في عمان ديفد دنفرد (HE David Dunford) جائزة السفير لعملهم المتميز في عمان[2].

وشارك في أنشطة الإرسالية في عمان عدد من الإرساليين الأمريكيين الذين عملوا لفترات قصيرة. فقد عملت في مسقط الآنسة كارلوت كلين (Miss Charlotte Kellien) بين عام ١٣٣٧ و١٣٣٨هـ/١٩١٩م – ١٩٢٠م[3].

ومن أبرز الذين عملوا في عمان لفترات مؤقتة الطبيب هارولد ستورم (Dr Harold Storm) الذي عمل في مستشفى مسقط منذ الربع الأخير من ١٣٤٨هـ/١٩٣٠م حتى ١٣٥١هـ/١٩٣٢م بدل الطبيبة سارة هوسمون التي غادرت إلى الولايات المتحدة في شهر يونيو؛ لقضاء إجازتها الدورية. ومن أشهر أعمال الطبيب ستورم في عمان جولتاه الرياديتان إلى كل من جعلان بالمنطقة الشرقية من عمان في ١٩٣٢م وظفار بالمنطقة الجنوبية في نوفمبر ١٩٣٣م اللتان لم يسبقه إليهما أحد من منصري الإرسالية العربية[4]. كما قام الطبيب ستورم بجولة بدأها من

---

[1] Bosch, Donald. "The American Mission Hospitals in Oman, 1893-1974 81 years"

[2] Bosch, Donald and Eloise (2000)

[3] Bosch, Donald T. "The American Mission Hospitals in Oman, 1893-1974 81 years"

[4] أنظر ٢. ٣. ٢. ٥.

البحرين وقطع فيها الجزيرة العربية عرضا إلى البحر الأحمر عبر الرياض وينبع مرورا بمكة المكرمة ثم اليمن وظفار ومسقط لتنتهي في البحرين. وقد كتب القسيس بي دي هاكن عن هذه الجولة قائلا: "إن الأمور قد تحسنت كثيرا حيث كان ممكنا منذ عامين مضت لمبشر وهو القسيس جي دي فان بيرسم أن يصطحب طبيبا في جولة لمدة أربعة أشهر في الداخل. لقد زار الفريق المكون من الطبيب ديم والقسيس والسيدة جي دي فان بيرسم والولد روبرت ومساعدين حائل وهي مدينة تقع في نجد لم يزرها من قبل أي إرسالي أو امرأة أمريكية وقد زارتها امرأة أوربية مرة واحدة فقط. وكان يقام خلال هذه الرحلة كل يوم قبل العيادة الصلوات الصباحية كما أقيمت عبادة يوم الأحد التي دعيت إليها الجماهير. إننا لسنا بحاجة إلى القول أنه لم يحضر أحد من المحليين، ولكن على كل حال قد أُعطيت الشهادة، وأُسست البداية من أجل المستقبل.

وإلى جانب هذه الرحلة، يحسن أن نذكر رحلة أخرى قام بها الطبيب ستورم. لقد بدأ رحلته مباشرة عندما انتهت الرحلة السابقة، وذلك لأنه التقى الفريق الآخر في الرياض عاصمة نجد. لقد ذهب في خط مستقيم من الخليج الفارسي إلى البحر الأحمر شمال ينبع عاصمة المدينة حيث دفن محمد. وخلال هذا الجزء من الرحلة حام حول الحرم، أو المقاطعة المقدسة الممنوعة عند المسلمين. وفي الحقيقة أنه مر بضعة أميال فقط جنوب مكة- المدينة المقدسة عند المسلمين. ومن ينبع رجع أدراجه جنوبا بطول البحر الأحمر إلى أن أتى إلى جيسان- جزء من الجزيرة العربية لم يزره الإرساليون قط من قبل- حيث قضى بعض الوقت. ثم واصل جنوبا إلى حديدة ميناء اليمن، حيث قضى بضعة أيام. ومن هناك توجه إلى عدن، ثم حول الساحل الجنوبي للجزيرة العربية إلى المكلاء، حيث نزل وقام برحلة إلى الداخل من خلال وادي حضرموت العظيم، حيث زار- أيضا- أماكن من شبه الجزيرة العربية لم يزرها الإرساليون من قبل. ثم واصل مسيره على طول الساحل الجنوبي إلى ظفار- أرض اللبان- حيث قضى أيضا بعض الوقت. ومن

هناك ذهب إلى مسقط ثم إلى البحرين منهيا جولة حملته إلى ثلاثة أرباع الجزيرة العربية. لقد لقي استقبالا طيبا في كل مكان، ووجد أن عمل الإرسالية العربية معروف في أماكن تبعد فوق خمسمائة ميل من أقرب مركز للإرسالية. إن الجريدة الرسمية للمملكة السعودية- تصدر في مكة، المدينة المقدسة للمسلمين، التي يمنع دخولها على كل أحد سوى المسلمين- نشرت مقالا طويلا كتبه مريض ممتن مخبرا عن العمل الرائع الذي قام به الطبيب ستورم في الطائف. إننا نأمل أن تفتح هذه الرحلة الطرق لشغل بعض هذه الحقول المحتاجة"[1].

كما كان يتردد على مستشفيات الإرسالية في مسقط ومطرح السيد ولبر دكر (Mr Wilbur Dekker) وزوجته انا مي دكر (Mrs Anna Mae Dikker). كان السيد دكر فنيا متخصصا في الأعمال المختبرية وأشعة أكس. وكان يأتي إلى عمان من أجل صيانة مختبرات مستشفى الإرسالية في مطرح، وتدريب العاملين فيها. أما زوجته فكانت أمينة صندوق الإرسالية في الخليج.

وفي عامي ١٣٧٤هـ/١٩٥٥ و١٣٨٥هـ/١٩٦٥م ساعد في النشاط الطبي في عمان الطبيب الفرد بنينجز (Dr Alfred Pennings) الذي عمل بعد ذلك في البحرين.

كما عمل في عمان في ١٣٧٥هـ/١٩٥٦م الآنستان راشيل جاكسون (Miss Rachael Jakson) وكورنليا ديلنبرج (Miss Cornelia Jackson). عملت الآنسة راشيل جاكسون مديرة لمدرسة الإرسالية في مسقط مغطية الفراغ الذي أحدثه رحيل السيد والسيدة كابنجا اللذين كانا يقضيان إجازتهما الدورية. أما الآنسة كورنليا فقد عملت في مستشفى النساء في مسقط[2].

---

[1] Hakken, B. D. (1936)، ص ١١.

[2] Bosch, Donald T. "The American Mission Hospitals in Oman, 1893-1974 81 years"

وفي رمضان ١٣٧٦هـ/إبريل ١٩٥٧م وصل عمان الطبيب برنارد فوس (Dr. Bernard Voss) وزوجته مي (Mrs Mae Voss)؛ ليحلا محل الطبيب بوش وزوجته اللذين كانا يقضيان اجازتهما في الولايات المتحدة الأمريكية. عمل الطبيب فوس في مستشفى مطرح، أما زوجته فقد عملت في مدرسة الإرسالية في مسقط[١].

وفي عامي ١٣٧٧هـ/١٩٥٨م و١٣٨٠هـ/١٩٦١م عمل في عمان الطبيب برنارد دريبر (Dr Bernard Draper)، وزوجته جاسي (Mrs. Jaci Draper). كان الطبيب برنارد جراحا أما زوجته فكانت مدرسة، وقد عاش معهما أطفالهما الأربعة في عمان.

كما عمل لفترات قصيرة في مستشفى مطرح كل من بتر (Petter) ونورمن (Norman) ابني الطبيب ولز تومس وعائلتيهما. فقد كان نورمن جراحا، وعمل في مستشفى مطرح بين ٨٤-١٣٨٥هـ/٦٤-١٩٦٥م وقامت زوجته أنا (Mrs. Anna Thoms) بمساعدة آن دي ينج في أعمال المستشفى. أما بتر فقد عمل بين ٨٠-١٣٨١هـ/٦١-١٩٦٢م، كما عمل بعد ذلك فترة من الزمن عندما تقاعد أبوه في ١٣٩٠هـ/١٩٧٠م.

ومن الذين عملوا في عمان الطبيب موريس هوزنكفيلد (Dr Maurice Heusinkveld) وزوجته إلي (Elie)، وذلك أولا في ١٣٧٨هـ/١٩٤٨م ثم في ١٣٧٥هـ/١٩٥٦م، وأخيرا في ١٣٨٧هـ/١٩٦٧م. وقتل الطبيب موريس في جمادى الآخرة ١٣٨٧هـ/١٣ سبتمبر ١٩٦٧م في مطرح. فقد أطلق عليه النار عندما كان يحاول دخول بيته في سكن أطباء الإرسالية في مستشفى مطرح، حيث أصابته الطلقات النارية في ذراعه وجانبه الأيسر وظهره. وتوفي بعد ساعة من نقله إلى

---

[١] Bosch, Donald T. "The American Mission Hospitals in Oman, 1893-1974 81 years"

المستشفى. ولم تتمكن السلطات من التعرف على هوية القاتل، مما أدى إلى تسجيل القضية ضد مجهول[1].

كذلك وصل عمان في جمادى الأولى ١٣٨٦هـ/٢٨ أغسطس ١٩٦٦م الطبيب هارفي دورنبوس (Dr Harvey Doorenbos) وزوجته مارجريت دورنبوس (Margaret). كان هارفي جراحا أما مارجريت فكانت مدرسة.

كما عمل بالنيابة عن جي كابنجا وزوجته القسيس جاري دي جونج (Gary DeJong) وزوجته إفردين (Everdene)[2]. وعمل في مستشفى مطرح أيضاً المرضة الأمريكية ماريان ولفورد (Marianne Walvoord)[3].

وعمل في عمان بين ٨٢-١٣٨٤هـ/٦٢- ١٩٦٤السيد كيسي ديجونج (Mr. Casey DeJong) وزوجته مارج (Mrs. Marge DeJong). لم يكن دور كيسي ديجونج مرتبطاً بالعملية التنصيرية مباشرة، بل كان بنّاء محترفا عمل على تنفيذ التوسعات الإنشائية التي أُدخلت على مستشفى مطرح ومسقط في تلك الفترة. حيث تمت توسعة مستشفى مطرح؛ ليتمكن من استيعاب الزيادة المستمرة في عدد المرضى المترددين عليه. كما أضيفت وحدات سكنية للموظفين. وفي مستشفى مسقط تمت توسعة العيادة الخارجية، لتستوعب الزيادة في عدد النساء المراجعات للمستشفى[4].

كما عمل في مدرسة الإرسالية بمسقط في فترة الستينات من القرن الماضي الآنسة ميري ماركلي (Mary Markely). وقد عملت الآنسة ميري قبل ذلك في الإرسالية البرسبيتيرية الأمريكية (Presbyterian USA Mission) في مصر[5].

---

[1] Jeanette (1991)،

[2] Boersma, Jeanette (1991)، ص ١٦٧.

[3] Bosch, Donald T. "The American Mission Hospitals in Oman, 1893-1974 81 years"

[4] Bosch, Donald T. "The American Mission Hospitals in Oman, 1893-1974 81 years"

[5] Boersma, Jeanette (1991)

كما ضمت قائمة الذين عملوا لدى مركزي الإرسالية في مسقط ومطرح كلاً من الطبيبة ميري السون (Dr Mary Allison)، والآنسة كورنليا دالنبرج (Cornelia Dalenberg)، والطبيب جرالد نيكرك وزوجته (Dr. and Mirs Gerald Nykerk)، والسيد ولبر دكر (Mr. Wilbur Dekker)، والسيد جوردن بوكر وزوجته (Mr and Mrs Gordon Bosker)، والطبيب فرانك جروت وزوجته (Dr. and Mrs Frank Groat)، والطبيب هارفي دورنبوس وزوجته (Dr and Mrs Harvey Doorenbos)، والطبيب دوروثا فاندر هورست (Dorothea Vander Horst)، والطبيب رس بالمان وزوجته (Dr. and Mrs Russ Paalman)، والطبيب سبنسر سندكور(Dr Spencer Snedecor)، والطبيب الفي فان دي وا وزوجته (Dr and Mrs Alfie Van de Waa)، وميري شبر (Merry Schepper)، وبادي آتكنسون (Paddy Atkinson)، وبولين سيرلي (Pauline Searle)[1].

٢. ٨. ٢. باعة الأناجيل

لم يتكون مركز الإرسالية في مسقط أثناء افتتاحه في ١٣١١هـ/١٨٩٣م إلا من الإرسالي الأمريكي ومعاون له وظيفته الأساسية بيع الأناجيل. وباعة الأناجيل- خاصة في المراحل الأولى من عمر الإرسالية- كانوا نصارى شرقيين يجيدون العربية وتأتي بهم الإرسالية إلى مسقط من الأقطار العربية التي يعيش فيها سكان محليون نصارى. فناعوم- مثلا- نصراني عربي من البصرة، ومراد نصراني أرميني، وإلياس وإبراهيم موسخوف وأخوه سعيد[2] أتراك من ماردين ويوسف متشا من الموصل[3].

---

[1] Bosch, Donald and Eloise (2000)

[2] توفي سعيد موسخوف في البصرة في ١٩٠٤م بسبب الكوليرا. لم يكن سعيد متعلما لكن لديه معرفة بالإنجيل وقد أعانه لطف شخصيته على التجول في عمان Mason, Alfred De Witt (1926)

[3] Zwemer, Peter J (1897 a)

وبشكل عام شكلت المجتمعات النصرانية في الموصل وبغداد وماردين المصدر الرئيس للإرسالية من باعة الأناجيل ومساعدي الإرساليين المتحدثين بالعربية. وأمتاز بعض أولئك الباعة باكتسابهم خبرات في مجال العمل التنصيري نتيجة عملهم مع الإرساليات الغربية التي تعمل في بلادهم الأصلية. فسعيد موسخوف- على سبيل المثال- عمل مع الإرسالية الأمريكية في ماردين قبل أن يعمل في مركز مسقط، ويوسف متشا دَرَسَ في المدرسة الكاثوليكية في الموصل قبل أن يتحول إلى البروتستنتية، ويعمل مع الإرسالية العربية في مسقط[1].

ويأتي باعة الأناجيل لفترة من الوقت في الدرجة الثانية من الأهمية والمكانة بعد الإرسالي، ويعدون مساعدين للإرساليين أو نواباً عنهم. ودورهم المهم في العملية التنصيرية يتضح من خلال الأعمال التي يؤدونها كإدارة متجر بيع الأناجيل في مسقط والجولات بمرافقة الإرساليين أو منفردين داخل مسقط أو خارجها للبيع والقراءة للناس والمشاركة في المناقشات التي تدور بين الإرسالي والمسلمين، بل وفي بعض الأحيان عندما يضطر الإرسالي مغادرة المركز لقضاء اجازة أو المشاركة في الاجتماعات الدورية التي تعقد في مراكز الإرسالية في البصرة أو البحرين فإن البائع يتحمل مسؤولية إدارة المركز.

وذكر القسيس جون إس (Rev. John Van Ess) في مقالة نشرت ١٣٢٠هـ/١٩٠٣م ثلاث خصال يجب أن تتوفر في الباعة وهي: (١) أن يكون البائع نفسه شرقيا؛ وذلك لكي يكون مؤهلا لفهم العقل الشرقي الذي يتخاطب معه كفهمه لغته التي لا يصل المنصر الأمريكي إلى إتقان التعامل بها؛ (٢) أن يكون شديد الروحانية، فمهمته ليست جمع أكبر قدر من النقود نتيجة بيع الأناجيل، ولو كان هذا هو الغرض من البيع لأوكلت المهمة إلى شخص مسلم. فهو يستطيع نتيجة تلهفه للنقود جمع أكبر قدر منها في المرة الواحدة. بل إن البائع مطالب في الوقت ذاته بالتأثير في المسلم وإقناعه بالنصرانية؛ (٣) أن يكون ذا

---

[1] Cantine, James (1901 a)

قدرات عقليه معينة؛ وذلك لكي يتعامل مع الطبيعة المعقدة للموقف المستهدف. فهو يتعامل مع الزنجي الذي أفسد طول الرق عقله فأصبح لا يجيد إلا كلام السوق، ولا قيمة عنده إلا للمال. ويتعامل أيضا مع العربي المتفاخر، فعليه أن يحترم لحيته البيضاء وأولوياته وتقاليده. وكذلك يتعامل مع الملاه المتعصب، فعليه أن يظهر له نفس القوة والثقة بالنفس[1].

وكان الباعة يعطون عطاء عظيما، ويبذلون بذلا منقطع النظير في الأعمال التي أوكلت إليهم باذلين أقصى ما لديهم من قدرات في سبيل إرضاء المنصرين الغربيين. فيتحملون مشاق الجولات المتتالية بين مدن عمان الشاسعة وقراها ويقطعون آلاف الأميال مشيا على الأقدام، أو راكبين على ظهور الدواب، أو مستقلين السفن. فقد زار إبراهيم موسخوف في جولة استمرت خمسة وعشرين يوما إحدى وسبعين قرية، منها أربعة وأربعون لم تزر من قبل، وباع أثناءها أربعمائة وخمسين كتابا[2]. وكثيرا ما كان المنصرون يكتبون متفاخرين أو معجبين بأنشطة هؤلاء الباعة وتفانيهم وصبرهم. [3]. فقد قال السيد جيمس كانتاين معلقا أثر عودة بائع الأناجيل من جولة وصل فيها إلى مدينة الرستاق: "إن بيع الأناجيل في الأرض المحمدية يتطلب شيئا من الشجاعة والتواضع"[4].

وفي الغالب لم يكن لدى الباعة الميزات المناسبة للمهمة الموكلة إليهم. فالبعض كانت تنقصهم المهارة اللازمة من أجل عرض رسالتهم على المجتمع العماني المسلم، ولم يتمتعوا بما كان يتمتع به المنصرون من أساليب اللف والدوران، ومهارة تفادي الوقوع في المواقف الحرجة والخطرة. لذا فغالبا ما كان الباعة يواجهون مواقف متصلبة من قبل أفراد المجتمع المحلي. فقد ذكر السيد كانتاين أن سعيد مسخوف تعرض في إحدى جولاته خارج مسقط للتهديد بالسيف والسكين، ومزقت

---

[1] Ess, John Van (1903 b)

[2] Cantine, James (1907 b)

[3] Ess, John Van (1903 b)

[4] Cantine, James (1901 c)، ص ١٧.

كتبه أمام عينيه؛ وذلك بسبب "كلمات غير حكيمة" نطق بها بائع زار هذه القرية قبله[1]. لذا كان الباعة كثيرا ما يتذمرون من أعمالهم كما ذكر أحد القساوسة قائلا: "لأجل ذلك فليس غريبا أن تسمع في بعض الأحيان من بين شفاه البائع قوله: إنه عمل ضائع، فالرب لم يشأ الخلاص للمحمديين، ولكن شاء لهم أن يموتوا في جهالتهم وخطاياهم"[2].

ولأجل تفادي كثير من تلك الأخطاء، قرر أعضاء الإرسالية في اجتماعهم السنوي في البصرة في ١٣٢٣هـ/١٩٠٥ إلزام باعة الأناجيل قراءة القرآن بأكمله في تلك السنة، واستخراج السور والآيات التي يمكن أن يستعينوا بها في نقاشهم مع المسلمين[3]. وإن كان الباعة قد تعرضوا لتلك المشكلات فإن مرده في نظر السيد كانتاين إلى افتقارهم إلى ما يمتاز به المنصرون من سياج الحماية التي توفره سلالة المنصرين البيضاء، ونصرانيتهم الغربية. ويقول كانتاين في ذلك: "إنهم [الباعة] يواجهون طبيعيا الكثير من العقد الصعبة أكثر مما نواجهه نحن المحاطين بسياج من الحماية المنبعثة من كوننا ننتمي إلى سلالة راقية، وكذلك مسيحيتنا الغربية- إن كانت هي ما ندعي- فيجب أن تكون قد أعطتنا المزيد من القوة الخلقية والروحية لليقين والتغلب"[4].

٢. ٨. ٣. نصارى القارة الهندية

كما وظفت الإرسالية عدداً من نصارى القارة الهندية للعمل في مركز مسقط. وترجع بداية استعانة الإرسالية بالعناصر الهندية إلى عام ١٣٢٤هـ/١٨٩٦م، وذلك عندما وظف بتر زويمر شخصا هنديا من كراتشي يدعى أس أم ديفد، ليعمل مدرسا في مدرسة الرقيق المحررين في مسقط. واستخدمت الإرسالية الهنود في مجال

---

[1] Cantine, J. (1901 a)

[2] Ess, John Van (1903 b)، ص ١٣.

[3] Cantine, Rev. James (1905 a)

[4] Cantine James (1902 a)، ص ١٠.

النشاط الطبي أكثر من غيره من الأنشطة. فقد التحق عدد من الأطباء والممرضين الهنود للعمل بمستشفيي الإرسالية في مسقط ومطرح. وامتاز هؤلاء الأفراد بتدربهم في مستشفيات الإرساليات التنصيرية الغربية العاملة في الهند.

وأول ممرضة هندية تعمل في صفوف الإرسالية في مسقط هي رُث (Nurse Ruth) التي عملت مع الطبيبة الأمريكية ساره هوسمون في ١٣٣٢هـ/١٩١٤م في مستشفى مسقط. تلقت رُث تعليمها في لوثيانا (Ludhiana) بجنوب الهند. وكانت نشطة في التنصير بين الجالية الهندوسية المقيمة في مسقط[1].

ومن الشخصيات الهندية البارزة التي عملت في مركز الإرسالية في مسقط المرضة ميري (Mary) التي تلقت تدريبها في مستشفى إرسالية آركوت التابع للكنيسة المصلحة الأمريكية (Reformed Church's Arcott Mission) في مادانابيل (Madanapalle) في الهند. التحقت السيدة ميري بالإرسالية على يد الطبيبة سارة هوسمون لتعمل قابلة للنساء في مستشفى النساء في مسقط في ١٣٣٥هـ/١٩١٧م وبقيت فيه حتى تقاعدها في ١٣٧٤هـ/١٩٥٥م[2]. وقد قدمت المرضة ميري خدمات جليلة في مجال القبالة إلى المجتمع النسائي في مسقط ومطرح. فقد كانت هي القابلة الوحيدة في المدينة لمدة ٣٤ سنة تقريبا، وذلك حتى التحاق الأمريكية جانيت بورسما بالمستشفى في ١٣٧٠هـ/١٩٥١م. وبدأت المرضة ميري تجربتها في مسقط في وقت لم تكن النساء قد تعودت بعد الذهاب إلى المستشفى للولادة، وكانت تقوم بتوليدهن نساء محليات غير مؤهلات علميا للقيام بذلك العمل الخطير. لذا فقد كانت نسبة موت الأطفال أثناء الولادة مرتفعة. وكان على المرضة ميري أن تعمل بصبر لكسب ثقة النساء. وبدأ دورها في المجتمع يبرز عندما شرعت بعض النساء اللائي ترجع أصولهن إلى حيدرأباد بدعوتها إلى بيوتهن

---

[1] Chamberlain, W. I (1925)

[2] Bosch, Donald T. "The American Mission Hospitals in Oman 1893-1974 81 years" و Boersma, Jeantte (1955)

لمساعدتهن على الوضع. ونتيجة لنجاح الولادات التي تتم على يديها انتشرت شهرة الممرضة ميري في مسقط ومطرح وزاد عدد النساء اللائي يدعونها إلى بيوتهن. وبعد أن حازت الممرضة ميري على ثقة النساء بدأت بعضهن يتوجهن إلى المستشفى للوالدة. وكما كتبت عنها جانيت بورسما أصبحت "الممرضة ميري يعرفها كل أحد في مسقط ويحترمها الصغير والكبير على حد سواء"[1].

وفي الخمسينات من القرن العشرين كان يساعد الطبيب ولز تومس طبيب هندي اسمه جوب (Dr Job). كان الطبيب جوب يقوم بإدارة المستشفى أثناء غياب الطبيب ولز سواء في قضاء الإجازة، أو الخروج في الجولات الطبية إلى أماكن أخرى في عمان. وكان يقوم كذلك بإدارة الصلوات قبل بدء العمل الصباحي. وقام الطبيب جوب بعدة جولات في عمان منها الجولة البرية التي وصل فيها إلى دبي في محرم ١٣٥١هـ/مايو ١٩٣٢م. فقد توجه من مطرح إلى شناص- في منطقة الباطنة- بالسيارة، ومن هناك توجه في قافلة من الجمال إلى دبي التي وصلها بعد أربعة أيام [2].

وعندما غادر الطبيب جوب إلى الهند في ١٣٦٣هـ/١٩٤٤م لقضاء الإجازة عمل مكانه الطبيب الهندي لآكرا (Dr Lakra) الذي عمل في مستشفى الإرسالية في البحرين لعدة سنوات قبل أن يعمل في مطرح. وقدم معه إلى مطرح زوجته الممرضة إيونس (Eunice) التي عملت أيضا في مستشفى مطرح[3].

ودعا ارتفاع عدد المرضى المترددين على مستشفيي الإرسالية في مسقط ومطرح بعد عام ١٣٦٩هـ/١٩٥٠م إلى توظيف المزيد من الأطباء والممرضين الهنود. ففي ١٣٧٨هـ/١٩٥٨م التحقت الهنديتان إلزابث يونان (Elizabthe Yohannan) وبوناما ماثيوز (Punnanna Mathews) للعمل في مستشفى النساء في مسقط[4]. وفي

---

[1] Boersma, Jeantte (1955). ص ١١.

[2] Thoms, W. Wells (1943)

[3] Annual Report of the Arabian Mission for 1943,.

[4] Boersma, Jeantte (1991)

١٣٧٩هـ/١٩٦٠م التحق بمستشفى مطرح الجراح الهندي هبل داس (Dr Habel Dass). ويعده الطبيب الأمريكي دونالد بوش أحد الجراحين الناجحين الذين عملوا في مستشفى مطرح[1]. كذلك عمل في مستشفى الإرسالية قبل عامَ ١٣٩٠هـ/١٩٧٠م الطبيب بي أم ماثيو (DR P. M. Mathew)، والطبيبة أتشاما فارجيز (Dr Achamma Varghese)، والممرضة الهندية سمترا لازارس (Sumita Lazarus)[2].

كما وظفت مستشفيات الإرسالية عدداً من الأطباء الهنود أثناء المرحلة الانتقالية– من عام ١٣٩٠هـ/١٩٧٠م إلى ١٣٩٤هـ/١٩٧٤م. ومن الذين التحقوا أيضاً بمستشفيات الإرسالية أثناء هذه المرحلة طبيب العيون ديفد إندرجيت (Dr David Inderjeet) الذي عمل في مستشفى الرحمة وزوجته لِلي (Dr Lilly David)، والطبيب سي توماس (Dr C Thomas)، والطبيبة آني سمالسن (Annie Semalesan)، والطبيب تي بي فارجيس (Dr T. P. Varghese)، والطبيبة شيله جورج (Dr Sheela George)[3].

كما عاد بعض الأطباء الذين تقاعدوا من الخدمة في مستشفيات الإرسالية مرة أخرى بعد عام ١٣٩٠هـ/١٩٧٠م، ومنهم الطبيبة أتشاما فارجيس (Dr Achamma Varghese).

٢. ٨. ٤. الأوربيون

استعانت الإرسالية العربية بعدد من المنصرين الدانمركيين. وكان أول من عمل في عمان من المنصرين الدانمركيين الطبيبة ألس فاندر زواج (Dr Alice Vander

---

[1] Bosch, Donald T. "The American Mission Hospitals in Oman, 1893-1974 81 years"

[2] Bosch, Donald T. "The American Mission Hospitals in Oman, 1893-1974 81 years"

[3] Bosch, Donald T. "The American Mission Hospitals in Oman, 1893-1974 81 years"

(Zwaag التي التحقت للعمل في مستشفى النساء في مسقط في ١٣٧٨هـ/١٩٥٩م، لتكون بذلك أول طبيبة تلتحق بهذا المستشفى منذ أن تركته الطبيبة الأمريكية سارة هوسمون في ١٣٥٦هـ/١٩٣٨م. كان مستشفى مسقط في تلك الأثناء في أشد الحاجة إلى طبيب مقيم. لذا فقد مكن وصول الطبيبة ألس المستشفى من إجراء كثير من العمليات المرتبطة بالولادة التي كانت تُحول إلى مستشفى مطرح[١]. وقبل أن تلتحق بمستشفى مسقط كانت الطبيبة زواج تعمل في الأردن لمدة سنتين لصالح إرسالية تعرف باسم إرسالية مينونايت (Mennonite Mission)[٢].

وابتداء من ١٩٦٧م بدأت الإرسالية في مسقط الاستعانة بأفراد من عناصر "الجمعية الإرسالية الدانمركية" (Danish Mission Society)؛ للعمل في مراكز الإرسالية في كل من مسقط ومطرح[٣]. ففي ذلك العام- ١٣٨٦هـ/١٩٦٧م- أُجبرت "الجمعية الإرسالية الدانمركية" على مغادرة حقلها التنصيري في عدن. ونتيجة لذلك الإجراء وُقعت اتفاقية بين كل من "الجمعية الإرسالية الدانمركية" و"الكنيسة المصلحة الأمريكية" تم بموجبها إلحاق عناصر الإرسالية الدنمركية بمراكز الإرسالية العربية في الخليج[٤]. لذا التحقت بمركز الإرسالية في مسقط في ذلك العام ممرضتان

---

[١] Bosch, Donald T. "The American Mission Hospitals in Oman, 1893-1974 81 years"

[٢] Boersma, Jeantte (1991)

[٣] Bosch, Donald T. "The American Mission Hospitals in Oman, 1893-1974 81 years"

[٤] Scudder, Lewis R (1998)

يعود نشاط المنصرين الدانمركيين في اليمن إلى عام ١٩٠٣م تقريبا. فقد تشكلت مجموعة من المنصرين الدانمركيين أطلقت على نفسها 'الإرسالية الكنسية العربية الدانمركية' (Danish Arabian Church Mission) وتوجهت إلى فلسطين بقصد تعلم اللغة العربية، ومن ثم العمل التنصيري في منطقة الشام. وجدت هذه المجموعة أن منطقة الشام غير مناسبة لنشاطها؛ وذلك بسبب كثرة البعثات التنصيرية العاملة في تلك المنطقة، فحاولت عدت مرات عبور الصحراء إلى شمال الجزيرة العربية لكنها لم تنجح. وأثناء وجود أفراد هذه المجموعة في الشام صدرت مقالة للمنصر الأمريكي صامويل زويمر في شهر أكتوبر عام ١٩٠٢م يدعوا فيها إلى إقامة نشاط تنصيري في حضرموت. فاستجاب أفراد هذه المجموعة إلى نداء زويمر وبعثوا بأحد الأعضاء ويدعى أولف هوير (Oluf Høyer) إلى جنوب شبه الجزيرة العربية حيث قضى في ١٩٠٣م بضعة أشهر في المكلاء، وزار عدة أماكن أخرى في حضرموت، وخرج بانطباع عن إمكانية الاستقرار في ذلك الجزء من الجزيرة العربية، وإنشاء إرسالية فيه. لكن عندما عاد إليها من الشام وجد أن السلطات البريطانية والسلطان لم يسمحا له

دانمركيتان. وفي رجب ١٣٨٨هـ/٧ أكتوبر ١٩٦٨م التحقت بمستشفى الإرسالية في مطرح الممرضة الدانمركية الثالثة الآنسة إسثر بولسن (Miss Esther Paulsen) لتنظم إلى الفريق المسؤول عن تدريب الممرضين في مستشفى مطرح[١]. كما عمل في مكتبة الإرسالية في مسقط جونار راسك (Gunar Rask) وهو ينتمي إلى الجمعية الإرسالية السويدية (swedish Mission Society)[٢]. وعمل لدى الإرسالية عنصران بريطانيان، هما الطبيب جو سمث (Dr Joe Smith)، والطبيب جون باتستون (Dr John Batstone)[٣].

وفي ١٣٨٧هـ/١٩٦٨م تطوعت للعمل بدون أجر في مركزي الإرسالية في مسقط ومطرح مجموعة من زوجات الموظفين الأجانب العاملين في شركة تنمية نفط عمان (PDO). فكان من بين الملتحقات للعمل في الإرسالية السيدة بولين سيرل (Mrs Pauline Searle)، والسيدة ديانا واديا (Mrs Diana Wadia)، والسيدة بادي اتكينسون (Mrs Paddy Atkinson)، والسيدة ديانا بيتون (Mrs Diana Peyton). حيث كانت هؤلاء المتطوعات يعملن بدون راتب[٤].

بالبقاء في حضرموت فقرر الاستقرار في عدن على أمل أن تسنح الفرصة في المستقبل للعمل في حضرموت. تقاسمت الإرسالية الدانمركية العمل التنصيري في عدن مع إرسالية كيث فالكنور السكوتلندية حيث انشأتا مدرسة للأولاد وأخرى للبنات، وتجمعات نسائية، و متجرا لبيع الكتب. لم تتمكن الإرسالية الدانمركية من إنشاء مركز لها في حضرموت بسبب عدم سماح الإنجليز لها بذلك. وفي عام ١٩١٣م فتحت مركزا لهما في حديدة حيث استقرت منصرتان وبائع للأناجيل وزوجته وافتتحوا متجرا لبيع الأناجيل. وفي ١٩٤٦م اندمجت 'الإرسالية الكنسية العربية الدانمركية' مع 'الجمعية الإرسالية الدانمركية' وتوسع نشاطهما ليشمل إنشاء ما أطلق عليه 'كنيسة جنوب شبه الجزيرة العربية' (South Arabian Church)، ومدرسة للبنات، وعيادة طبية، ومكتبة لبيع الكتب. وأُجبر أعضاء الإرسالية الدانمركية إلى مغادرة عدن بين عامي ١٩٦٥-١٩٦٧م وبقي عدد قليل منهم حتى عام ١٩٧١م. التحق ما يقارب من عشرين عضوا من أعضاء الإرسالية الدانمركية بالإرسالية العربية التي وافقت على ضمهم إلى سلكها التنصيري للعمل في مراكزها في الخليج.

Scudder, Lewis R (1998)، Hoyer, Olaf (1914)

[١] Bosch, Donald T. "The American Mission Hospitals in Oman, 1893-1974 81 years"

[٢] Scudder, Lewis R (1998)

[٣] Bosch, Donald and Eloise (2000)

[٤] Bosch, Donald T. "The American Mission Hospitals in Oman, 1893-1974 81 years"

٢. ٨. ٥. العناصر المحلية

وظفت الإرسالية العربية عدداً من السكان المحليين للعمل في مركزيها في مسقط ومطرح. والملاحظ أن العناصر المحلية التي عملت لدى الإرسالية لم تكن بالضرورة من أهل البلد الأصليين. فكان منهم– إن لم يكن أغلبهم– من هاجر إلى مسقط من البلاد المجاورة كبلوشستان وإيران والهند والعراق، إلا أنهم استقروا في مسقط ومطرح وأصبحوا جزءاً من البنية الاجتماعية للمدينتين. كما كان منهم من لا يتحدث اللغة العربية إطلاقا كخميسة المرأة البلوشية التي التحقت بمستشفى الإرسالية في مسقط بعد أن هجرها زوجها الذي تزوج عليها امرأة أخرى، ولم تتعلم العربية إلا أثناء عملها في المستشفى. وقد عملت خميسة مع الممرضة جانييت بورسما في مستشفى مسقط[١].

وترجع بدايات التحاق أفراد المجتمع المحلي للعمل لدى الإرسالية عندما كان الإرساليون يستأجرون بعض الأفراد للقيام ببعض الأعمال المحدودة. أما بالنسبة للمشاركة الفعلية المستمرة في أنشطة الإرسالية، فإنني أجد أن المصادر– المتوفرة لدي على الأقل– لا تعينني على التحديد الدقيق لأول من بدأ من أفراد المجتمع المحلي في العمل بشكل دائم مع الإرساليين، أو متى كانت تلك البداية. وبرغم إشارة تقارير الإرسالية إلى وجود شخص اسمه علي كان يعمل مع بتر زويمر مؤسس الإرسالية، إلا أنه يصعب تحديد حقيقة إن كان علي هذا من المجتمع المحلي، أم أنه مثل إبراهيم موسخوف ويوسف متشا أتي به من العراق أو تركيا. والظاهر أن مركز الإرسالية في عمان لم يوظف أفراداً محليين للعمل بشكل رسمي خلال الفترة التي امتدت منذ إنشائه في ١٣١١هـ/١٨٩٣م حتى انضمت إليه كل من المنصرة فاني لتون في ١٣٢٩هـ/١٩١١م، والطبيبة سارة هوسمون في ١٣٣٢هـ/١٩١٤م. فقد ورد أول ذكر للعناصر المحلية العاملة لدى الإرسالية في

---

[١] Boersma, Jeantte (1991)

تقارير الإرسالية لعام ٢٩-١٩٣٠م، حيث ذكر أن أحد العاملين المحليين في مركز مسقط رجل يسمى مراش، وأنه كان يعمل مع الآنسة لتون كما كانت تعمل معه زوجته واسمها مريم. وبعد وفاة مراش في رجب ١٣٤٩هـ/ديسمبر ١٩٣٠م، استمرت زوجته مريم في العمل مع الإرساليين[1]. وتحدث القسيس دكسترا وزوجته، ومن بعده القسيس جي كبنجا وزوجته في عدة تقارير عن دور مريم في المساعدة في عملية التدريس بمركز الإرسالية[2].

كذلك ذكر المنصرون امرأة أخرى اسمها زنوب كانت تعمل مساعدة للطبيبة سارة هوسمون التي عملت في مستشفى مسقط بين ١٣٣٢- ١٣٥٦هـ/١٩١٤-١٩٣٨م[3]. كما عملت امرأة بلوشية اسمها نور مساعدة لمرضة ميري التي عملت في مستشفى الإرسالية في مسقط بين ١٣٣٥- ١٣٧٥هـ/١٩١٧-١٩٥٥م. وبعد أن تقاعدت المرضة ميري استمرت نور بالعمل في المستشفى مع المرضة جانييت بورسما وغيرها من الإرساليات[4].

وفي أواخر الأربعينات وبداية الستينات كان من المعاونين المحليين للإرسالية رجل يسمى جويد وزوجته. عاش جويد في فترة الخمسينات في مقر الإرسالية في مسقط، وكان يقوم بعدد من المهام في المستشفى. إلى جانب ذلك كان جويد يقوم بالبيع في متجر الأناجيل في سوق مسقط، وذهب مع الطبيب ستورم في جولته إلى ظفار في ١٣٥١هـ/١٩٣٢م. ووصفته المرضة جانيت بورسما بأنه كان اليد اليمنى للمنصر جي كابنجا في تسيير النشاط التنصيري في مسقط[5]. كما كان من المعاونين المحليين للمنصرين في مسقط رجل يسمى بدر. لم يكن بدر يستطيع القراءة حتى

---

[1] Peursem, Van (1931) و Annual Report of the Arabian Mission for 1929-1930,

[2] أنظر على سبيل المثال تقرير الإرسالية لعام ١٩٣٢م في Neglected Arbia العدد ١٦٤

[3] Boersma, Jeantte (1991)

[4] Boersma, Jeantte (1991)

[5] Boersma, Jeantte (1991)

تجاوز الأربعين. وبعد أن تعلم القراءة على أيدي المنصرين أصبح يشارك في تعليم الإنجيل. وعمل كذلك في خدمة المنصرين في مركز مسقط رجل يدعى وردي. عمل وردي طباخا لدى السيد دكسترا وعائلته. وعندما غادر السيد دكسترا عمان عمل وردي مع المرضة جانييت بورسما التي كانت تدفع له أجره الشهري من مصروفاتها الخاصة. عمل وردي في خدمة المنصرين لمدة ثلاثين عاما، وعندما تقاعد سمحت له الإرسالية أن يعيش في غرفة ملحقة بمبنى مدرسة الإرسالية في مسقط[١].

كما عمل لدى الإرسالية عدد من المرضى الذين تلقوا علاجهم في مستشفيات الإرسالية، ولم يكن لهم مكان يأوون إليه كمثل شاربانو المرأة البلوشية المصابة بالجذام التي رفض أهلها الاعتناء بها، فسمح لها الطبيب ولز تومس بالبقاء في المستشفى للقيام ببعض الخدمات[٢].

وجلب المنصرون بعض الأفراد من مراكزهم الأخرى في الخليج للعمل في مركزي الإرسالية في مسقط ومطرح. وذاب أولئك الأفراد في المجتمع المحلي وأصبحوا جزءا منه. فعندما أوكلت إلى الطبيب بول هاريسون مهمة إحياء نشاط الإرسالية الطبي في مطرح في ١٣٤٦هـ/١٩٢٨م أتى معه من البحرين بثلاثة إخوة وهم مبارك ومحمد وقنبر الماس. وتعود أصول عائلة الماس إلى بلوشستان، فهناك ولد الاخوة الثلاثة وقضوا فترة من طفولتهم. وقد هاجر بهم أبوهم إلى الخليج ليستقر أولا في مدينة دبي، حيث عمل في أحد قوارب صيد اللؤلؤ، ثم هاجر بعائلته إلى البحرين حيث توفي بعد عدة سنوات مخلفا وراءه الأبناء الثلاثة. وكان مبارك- أوسط إخوانه سنا- أول من كون علاقة مع الإرسالية العربية. فقد ضمه المنصرون للدراسة في مدرسة الإرسالية في البحرين. وبسبب فشله الدراسي ترك المدرسة ليعمل خادما لدى إحدى الأسر النصرانية. وبعد فترة ترك مبارك تلك الأسرة، وتوجه للعمل في مستشفى الإرسالية، حيث أسندت إليه مهمة تضميد

---

١ Boersma, Jeantte (1991)

٢ Thoms, Ethel S (1954-55).

الجروح، وأخذ عينات الدم من مرضى الملاريا، وقبض رسوم العلاج وتدوينها. وهيأه تعلمه السريع للغة الإنجليزية على أيد المنصرين، وإجادة استخدامها لأن يصبح معاونا فعالا لهم في كثير من الأعمال. وأنضم إليه بعد ذلك أخوه محمد- الذي كان يعمل في صيد اللؤلؤ- ليعمل ميكانيكيا لدى الإرسالية. ولحقهم بعد ذلك أخوهم الأصغر قنبر ليعمل في البداية كناسا في مستشفى الإرسالية ثم حول للعمل مضمدا ثم مسؤولا عن غرفة العمليات في مستشفى الإرسالية في مطرح[١]. واصطحب الدكتور ستورم في الجولة الطبية التي قام بها إلى ظفار في ١٣٥١هـ/١٩٣٢م مباركاً ليقوم بأعمال تضميد الجروح. أما قنبر فقد اصطحبه الدكتور ستورم في الجولة التي قام بها عبر الجزيرة العربية من الخليج العربي إلى البحر الأحمر في ١٣٥٤ و١٣٥٥هـ/١٩٣٥م و١٩٣٦م. وكذلك اصطحبه الطبيب ولز تومس في الجولة التي عبر فيها الجبل الأخضر إلى نزوى في ١٣٥٩هـ/١٩٤٠م.

وانظم إلى الإخوان مبارك ومحمد وقنبر الماس في مستشفى الإرسالية في مطرح رجل آخر يسمى نوبي. وترجع أصول نوبي أيضا إلى بلوشستان. فقد سرق عندما كان طفلا، واشتراه أحد الرجال من عمان؛ ليعيش حياة الرق حتى تجاوزه سن الأربعين. وسنحت له في أحد الأيام فرصة للهروب من عند مالكه فتوجه إلى القنصل البريطاني في مسقط فأعطاه وثيقة حريته[٢]. عمل نوبي في البداية منظفا في مستشفى مطرح، ثم انتقل إلى مضمد وذلك عندما قام بالعمل في غرفة التضميد نيابة عن قنبر الذي أعير للعمل مع أحد الأطباء الذي كان يقوم بجولة طبية خارج مقر الإرسالية[٣].

---

[١] Harrison, Paul (1943).

[٢] ذكر الطبيب بول هاريسون أن نوبي كان موثقا في قيد من حديد- بسبب ثوراته المتكررة على حياة الرق التي يعيشها- عندما مر به في أحد الليالي جمل ضال فاعتلاه بقيوده فتوجه به إلى مطرح. وتمكن نوبي أن يقطع بالجمل في تلك الليلة مسافة خمسين ميلا. وعندما وصل مطرح خلع عنه أحد الصاغة القيود الحديدية الموثق بها، فتوجه بعد ذلك إلى القنصل البريطاني في مسقط الذي أعطاه صك حريته.

[٣] Harrison, Paul (1943)

وعندما شغر منصب الكناس بسبب تحول نوبي إلى العمل في تضميد الجروح عينت الإرسالية فيه شخصا آخر يسمى والوك. كان والوك يعمل مجدفا في أحد القوارب التي تنقل الركاب بين مطرح ومسقط. وعندما شُقت الطريق البرية الرابطة بين مسقط ومطرح لتصبح السيارة هي وسيلة النقل بين المدينتين فقد والوك عمله، وانتقل بعد بحث طويل إلى مستشفى الإرسالية في مطرح؛ ليحل محل نوبي في أعمال التنظيف[1].

كذلك أتى المنصرون بفتاة تدعى شمساء للعمل في مستشفى الإرسالية في مسقط. ولدت شمساء في مستشفى الإرسالية في البحرين، وتوفيت أمها بعد اثني عشر يوما فقط من ولادتها، ورفض أبوها الاعتناء بها فنشأت في مقر الإرسالية هناك. وعندما أصبح عمرها سنتين تكفل برعايتها الطبيب المنصر برتس تيفاني (Dr Bertis Tiffany)، ثم السيدة هنك (Mrs Haencke). وبعثتها الإرسالية بعد ذلك لتتلقى تعليمها في إحدى الإرساليات العاملة في الهند. وبعد أن تأهلت للعمل في مجال التمريض طلبت العودة إلى الخليج. وكان عمر شمساء عندما التحقت بمستشفى الإرسالية في مسقط ثلاثا وعشرين سنة[2].

وقد كتبت إثل شارون تومس عن الشخصيات التالية التي كانت تعمل في مستشفى مطرح في صفر ١٣٧٤هـ/ ١٥ اكتوبر ١٩٥٤م: ميروك عامل تنظيف المستشفى واصطحبه الطبيب ولز تومس في الرحلة إلى نزوى في شهر نوفمبر ١٩٤٠م. بيبي تقوم بأعمال غسيل الفرش وكيها في المستشفى. راسون يقوم بتوزيع المؤن الطبية على أقسام المستشفى الثلاثة. مال الله فني مختبر وتشغيل لجهاز أشعة أكس كما كان يقوم بتوزيع بدل العمل على بقية العاملين في المستشفى. أما قنبر فكان مسؤولا عن غرفة العمليات الجراحية. وموسى كان مسؤولا عن الأجنحة

---

[1] Harrison, Paul (1943)

[2] Boersma, Jeantte (1991)

في قسم الأمراض المعدية. وكان سليمان طباخ المستشفى. وتيسير مزارع يعمل في حديقة المستشفى[1].

ومع بداية عقد الستينات من القرن العشرين تزايد عدد الأفراد المحليين الذين التحقوا للعمل بمركزي الإرسالية في عمان خاصة في المجال الطبي. فقد أدى إقبال العمانيين المتزايد على العلاج الذي تقدمه مستشفيات الإرسالية التي لم يكن لها أي بديل آخر في طول البلد وعرضه، إلى تزايد حاجة الإرسالية إلى توظيف المزيد من العاملين خاصة في نطاق المرضين. وأدت القوانين التي وضعتها الحكومة للحد من عدد الوافدين الذين سمحت للإرسالية بتوظيفهم في مركزيها في مسقط ومطرح، بالإرسالية إلى البحث عن البديل من داخل البلد. كذلك دفعت ندرة فرص العمل المتاحة للعمانيين بسبب التخلف الاقتصادي والتنموي للبلد إلى التحاقهم بالعمل لدى الإرسالية. وأخيرا وجدت الإرسالية في العمالة المحلية الرخيصة بديلا لجلب الموظفين من الولايات المتحدة الأمريكية الذين يطلبون أجورا عالية تفوق مقدرة الإرسالية الإنفاقية.

وبدأت الإرسالية في بداية الستينات من القرن الميلادي العشرين تنظيم دورات تدريبية للشباب المحليين الملتحقين للعمل في مجال التمريض في مستشفيي مطرح ومسقط. وأوكلت مهمة التدريب إلى المرضة آن دي ينج (Miss Ann De Young) التي وصلت عمان في ربيع الأول ١٣٧٩هـ/سبتمبر ١٩٥٩م. فقد كانت المرضة دي ينج صاحبة خبرة في تدريس جميع الفنون المتعلقة بالتمريض. وقد مكن العمانيون الملتحقون بدورات التمريض– في البداية– مستشفيات الإرسالية من تعمين الطاقم التمريضي لديها مما قلل من الاعتماد على العناصر المستوردة، وبالتالي خفض الإنفاق على العنصر البشري. وبعد أن تحولت الخدمات الصحية

---

[1] Thoms, Ethel S (1954-55)

إلى أيدي الحكومة ابتداء من ١٣٩٠هـ/١٩٧٠م، أصبح أولئك المتدربون أول من التحق من العمانيين للعمل في المستشفيات الحكومية في سلك التمريض[١].

٢. ٨. ٦. ملخص

شكل الإرساليون الأمريكان العنصر الأساس في تركيبة القوة البشرية لمركز الإرسالية العربية في عمان. وتنوعت تخصصات أولئك المنصرين بتنوع الأنشطة التي تقوم بها الإرسالية. فكان منهم أطباء وممرضون وتربويون وقساوسة.

واستعان الإرساليون الأمريكان بمنصرين من جنسيات أخرى للعمل في مركزهم في عمان. ففي السنوات الأولى لتأسيس مركز مسقط، وظفوا نصارى شرقيين يتحدثون اللغة العربية، وأوكلوا إليهم مهمة بيع الكتب في مسقط، والتنقل بها في القرى والمدن الأخرى. وبالرغم من أهمية دور الباعة في نشاط الإرسالية حيث كانوا يأتون في الدرجة الثانية بعد المنصر الأمريكي نفسه، إلا انهم لم يكونوا مؤهلين علميا للعمل التنصيري. فأدى ذلك إلى وقوعهم في مشاكل مع المجتمع المحلي لم يتعرض لها المنصرون الأمريكيون أنفسهم.

كما وظفت الإرسالية العديد من النصارى الهنود. وتركز دور أولئك على النشاط الطبي حيث عمل عدد منهم كأطباء وممرضين في مستشفيي الإرسالية في مسقط ومطرح. وعمل مع الإرسالية كذلك عدد من النصارى الأوربيين. فالتحق بمركزي مسقط ومطرح عدد من الهولنديين وبعض السويديين والبريطانيين. كما تبرعت للعمل في مركز الإرسالية عدد من زوجات موظفي شركة تنمية نفط عمان.

وكان توظيف السكان المحليين للعمل في سلك الإرسالية هدفا عمل المنصرون على تحقيقه. ووقفت بعض العوامل وراء التحاق العمانيين بالعمل لدى الإرسالية. فمن ناحية وجدت الإرسالية في العمانيين الذين يعملون بأجر رخيص بديلا عن

---

١ Bosch, Donald T. "The American Mission Hospitals in Oman, 1893-1974 81 years"

توظيف الأمريكيين الذين يطلبون أجرا يكلف الإرسالية فوق طاقتها الإنفاقية. كما أدت القيود التي فرضتها الحكومة على إصدار التراخيص للأجانب بالعمل لدى الإرسالية، والإقامة في عمان إلى عدم مقدرة الإرسالية على توظيف العدد الكافي من الوافدين مما أخل بأنشطتها؛ لذا شكل العمانيون بديلا مناسبا للإرسالية. وكذلك أدت حاجة العمانيين إلى العمل الذي قلت فرصه بسبب التخلف الاقتصادي والتنموي الذي كانت تعيشه البلاد تحت سلطة الحكومة السابقة إلى لجو عدد كبير منهم للعمل لدى الإرسالية.

٣. نتائج التنصير وملابساته وفلسفته

٣. ١. التنصير نجاح أم إخفاق؟

"سترفع المسيحية الراية عالية فوق الحقيقة الكاذبة "لا إله إلا الله محمد رسول الله"... إن ثالوثية المسيح التي يعارضها المسلمون هي التي تقرر مصير جميع ممالك العالم".

صامويل زويمر[١]

هدفت الإرسالية العربية من نشاطها التنصيري في عمان إلى تحويل الشعب العماني المسلم من الإسلام إلى النصرانية، وإنشاء كنيسة محلية تديرها العناصر المتنصرة. وبعد أن تصبح تلك العناصر أغلبية تتولى الحكم في عمان، ويتم العمل الرسمي في كل مؤسسات الدولة بمشرعات الديانة النصرانية. إلا أن الإرسالية العربية فشلت في تحقيق أهدافها التنصيرية. فمن ناحية وجد المنصرون أن تحول العمانيين إلى النصرانية أمر صعبا للغاية. وبعد التغيير السياسي الذي حدث في البلاد في ١٣٩٠هـ/١٩٧٠م قطع جميع من كانت لهم علاقة دينية بالإرسالية الصلة بها، وعاد إلى الإسلام جميع من يدعي المنصرون أنهم تنصروا. وقَدَّم المنصرون العديد من التفسيرات لفشل حملتهم في عمان حملوا فيها الإسلام والعمانيين المسؤولية العظمى. وفي واقع الأمر أن الأسباب الرئيسة تعود إلى المنصرين وفلسفتهم التنصيرية، وتعود كذلك إلى الديانة النصرانية ذاتها.

٣. ١. ١. المتنصرون

يشير المنصرون في كتاباتهم وتقاريرهم إلى تمكنهم من تحويل عدد من السكان المحليين إلى النصرانية. ويصطدم الباحث في تتبعه لحقيقة هذا الإدعاء بافتقار

---

١ Zwemer, Samuel (1900 a)، ص ٣٩٥.

مقالات المنصرين وكتبهم إلى أرقام إحصائية، فضلا عن أسماء للمتنصرين وتواريخ تنصرهم. فدورية "الجزيرة المهملة" (Neglected Arabia) التي كانت تصدرها الإرسالية، والتي احتوت على الكثير من المعلومات عن النشاط التنصيري لم تتطرق إلى ذكر أعداد المتنصرين أو أسمائهم أو زمن تنصرهم. ولا يكاد الباحث يقف في أعداد تلك الدورية على معلومات ذات فائدة تذكر حول هذا الموضوع. واستخلاص القليل من المعلومات عن المتنصرين لا يتم إلا بعد جهد جهيد، وعمل مضن بين مقالاتها. والكتب المتأخرة التي ألفها المنصرون عن أنشطتهم التنصيرية في الخليج لم تذكر كذلك أرقاما، بل وردت فيها بعض الأسماء المبعثرة بين الفصول والتي اعتمد المنصرون في ذكرها على ما تبقى في ذاكرتهم من أسماء ذات صلة وثيقة بحياتهم الشخصية، كما هو الحال في كتاب الآنسة جانيت بيورسما، وفي كتاب الطبيبة ميري ألسون، وفي كتاب الطبيبة كورنيلا دالنبرج[1]. وحتى كتاب لويس سكدر الذي يُعدُّ دراسة موسعة وتاريخية لنشاط الإرسالية في الخليج لم يورد، للأسف الشديد، أرقاما وإحصائيات، بل كانت المعلومات التي قدمها في هذا الشأن شبه عامة وغير محددة. وربما يدل هذا على عدم وجود إحصائيات عن المتنصرين في سجلات الإرسالية، أو لدى عناصرها يدعم قولهم بتحول أعداد من المسلمين إلى النصرانية، وإنشاء كنيسة محلية. وبالتأكيد، لم تكن أعداد المتنصرين بالألوف أو الملايين بحيث يصعب إحصاؤها وتدوينها وحينئذ يصبح غياب تلك الإحصائيات أمرا مقبولاً. بل كان الأمر على العكس، فقد تركز التحول على بعض الأشخاص الذين كانوا على علاقة وثيقة بالإرسالية، وأكثرهم من العاملين في مراكزها، أو ممن تلقوا العلاج في مستشفياتها، وهؤلاء لا يصلون إلى المئات فضلا عن الألوف. وعلى افتراض أن أسماء المتنصرين يُتحفظ عن نشرها حفاظا على سلامتهم، فإن وجود

---

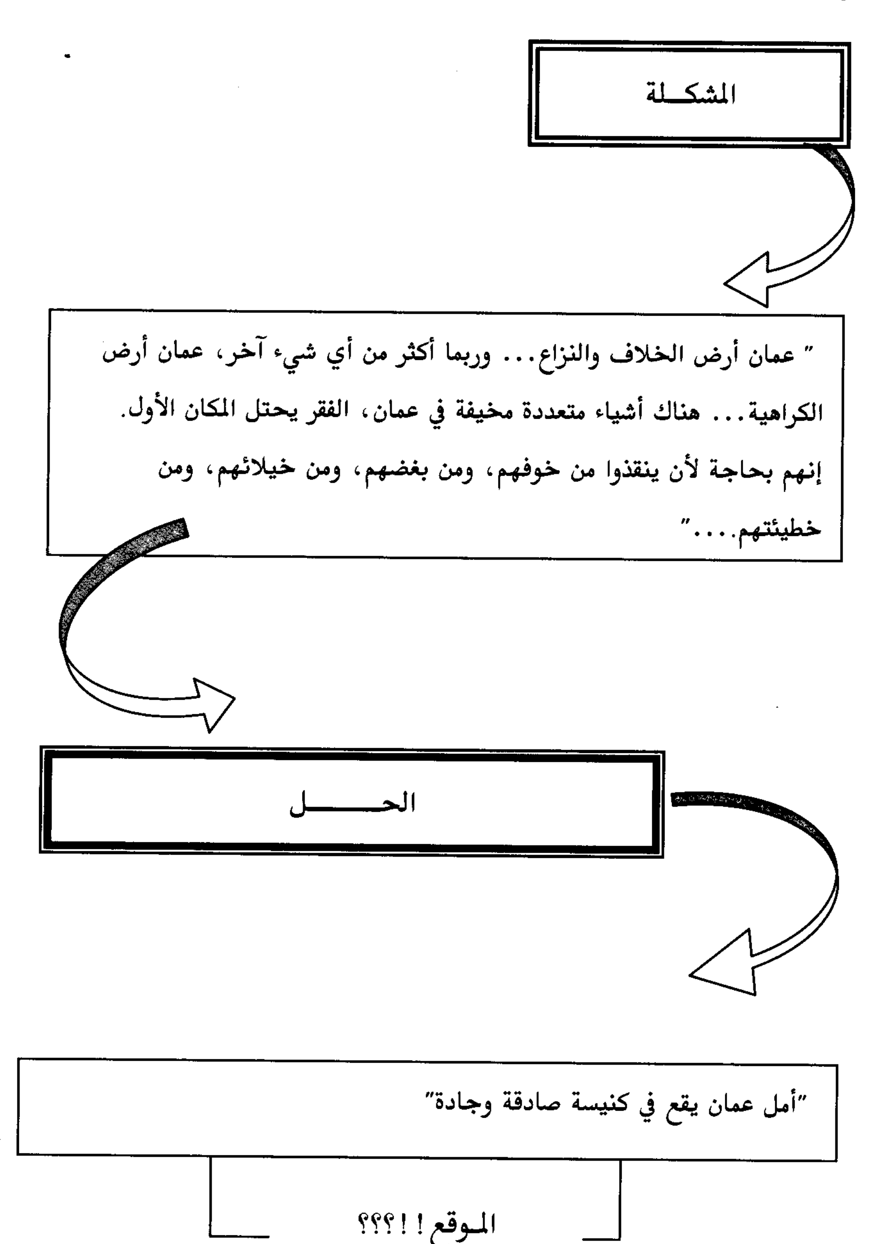
[1] ذكرت الطبيبة ميري اليسون أن الإرسالية نظمت احتفالا بعيد رأس السنة في ١٩٧٣م في مقر الإرسالية في مطرح، حضره خمسون نصرانيا عربيا وعائلاتهم.

Allison, Mary (1994) و Scudder, Lewis R (1998)

إحصائيات بأعدادهم لا يشكل بكل تأكيد خطرا عليهم، بل يدعم قول المنصرين بنجاح تنصيرهم. والغريب في الأمر أن الطبيبة ميري أليسون قد ذكرت أنه عندما سُئل القسيس جون فان إس (John Van Ess) عن عدد المتحولين أجاب قائلا: "الرب فقط يعلم" وقد علقت هي على ذلك بقولها "المقاييس والأعداد من أمور هذا العالم. [و الحياة] الخالدة لها أبعاد أخرى"[1]. وهذه إجابة غير مقنعة، فلو كانت هناك فعلا أعداد للمتنصرين لذُكرت في أدبيات الإرسالية وتقاريرها.

[1] Allison, Mary Burins (1994)

هدف التنصير على هيئة المشكلة- الحل- المنهج (أخذا من كتاب الطبيب بول هاريسون[1])



[1] Harrison, Paul (1943) Doctor in Arabia، ص ٢٥٩

"أكبر كنيسة وأقواها ستكون في مطرح، لكن ستكون هناك العديد من الفروع فسيظهر مجتمع مسيحي بين أشجار النخيل في الباطنة"

المنهـــــــج

"بلا شك سيأتي اليوم الذي سيؤدي فيه وجود أكثرية مسيحية في المجتمع إلى حكومة مسيحية حقيقية. ذلك الوقت لم يصل بعد، ولا حتى في أمريكا. والواضح أن الحكومة في مسقط ومطرح سوف لن تُسلم وإلى زمن بعيد إلى الكنيسة- الصغيرة التي تعد ربما بعشرة أشخاص، ولا حتى ستطلب مشورة الكنيسة في أي مسألة تشريعية أو اقتصادية أو تربوية... إن المسيحيين في شبه الجزيرة العربية بلا شك سيكونون عددا صغيرا للغاية لعدة سنوات قادمة، لكن، مهما كان [عددهم] صغيرا فإن إنشاء مجتمع مسيحي أهلي سيكون هو خلاص الجزيرة العربية. إن الإرسالي يعمل من أجل إنقاذ أفراد من الرجال والنساء وهو يعلم أنه من خلال هؤلاء سيتم إنقاذ السلالة كاملة"

وعلى كل حال، فإن أول من بدأ المنصرون الحديث عن تحوله إلى النصرانية رجل من سكان مسقط يسمى مراشاً- توفي في رجب ١٣٤٩هـ/ديسمبر ١٩٣٠م[١]. ولا تتوفر أي معلومات عن سنة تحوله، إلا أن علاقته بالنصرانية يُرجعها المنصرون إلى جهود المنصرة فاني لتون. وفي هذا دلالة على عدم تنصير أي شخص خلال الثماني عشرة سنة الأُول من عمر الإرسالية على أقل تقدير، وهي الفترة الممتدة من إنشاء مركز الإرسالية في مسقط في ١٣١١هـ/١٨٩٣م إلى التحاق الآنسة لتون به في ١٣٢٩هـ/١٩١١م التي عملت في المركز إلى ١٣٦٥هـ/١٩٤٦م. ويروي القسيس بيورسم قصة تحول مراش إلى النصرانية قائلا: "منذ عشرين سنة خلت حضر مراش مدرسة الأحد. وكان مستمعا منتبها في مدرسة الأحد الصغيرة التي تقيمها الآنسة لتون. وعمل الانطباع بعد الانطباع عن المسيَحية أثره في نفس مراش الذي أصبح بعد فترة وجيزة مهتما بالمسيحية، وبدأ تدريجيا يترك الذهاب إلى المسجد للصلاة. ورفض أن يصوم في رمضان. إلا أن هذه المعصية الكبرى ما كانت لتُترك بدون عقوبة، فهدده أقاربه المتشددون بالسجن، ثم القتل ليجعلوا منه مسلما. ولكن لم يستقر قلبه حتى عاد إلى الإرسالية. فوضع نفسه تحت التعليمات، وفي الوقت المناسب طلب أن يُعمَّد"[٢]. ويدعي المنصرون أن زوجة مراش واسمها مريم بنت مسعود تحولت هي أيضا إلى النصرانية، وعمدها المنصر جيريت فان بيورسم في ١٣٤١هـ/١٩٢٣م وبقيت عليها إلى موتها في ١٣٩٢هـ/١٩٧٢م[٣]. وورد ذكر مريم في عدة تقارير ومقالات جاء في أحدها: "فيما يتعلق بمسقط يجب أن لا ننسى ذكر مريم، أحدى من حولناهم منذ سنوات عدة. فبالرغم من التوبيخ الذي وُجه إليها أثناء جنازة زوجها منذ خمس سنوات، فإنها بقيت مسيحية صامدة. وفي السنة

---

[١] Peursem, Van (1931), Annual Report of the Arabian Mission for the Year 1929-1930,

[٢] Peursem, G. D. Van (1931)، ص ٧.

[٣] Scudder, Lewis R (1998)

الماضية تزوجت مرة أخرى. وزوجها الجديد هو أيضا مسيحي متحول. وفي الشهر الماضي ولدت لهم بنت، وهي أول طفل يولد للمتحولين في المركز"[1].

وإذ شكل مراش وزوجته مريم النواة الأولى من المتنصرين المحليين في مركز الإرسالية في عمان، فإن أي إضافة في عدد المتنصرين لم تحدث إلا ابتداء من منتصف الثلاثينات من القرن العشرين الميلادي- ١٩٣٠م. فقد ضم الطبيب بول هاريسون أولا مبارك الماس- الذي جاء به من البحرين عندما أعاد افتتاح النشاط الطبي في مطرح في ١٣٤٦هـ/١٩٢٨م- إلى قائمة المتنصرين ثم أتبعه نوبياً وزهرة ومحمداً[2] ولحقهم قنبر الماس الذي تعمد على يدي الطبيب ولز تومس[3]. وهكذا بدأ عدد المتحولين عن الإسلام إلى النصرانية في عمان يرتفع في تقارير الإرسالية العربية خاصة بعد التحاق القسيس درك دكسترا وزوجته ميني بمركز مسقط. فقد بذل هذان المنصران جهودا ملموسة في المجال التنصيري أثمرت- على سبيل المثال- في رفع عدد الذين يحضرون الصلوات في مصلى الإرسالية في مسقط من خمسة عند وصولهما في ١٣٤٨هـ/١٩٣٠م إلى اثنين وأربعين شخصا في ١٣٦٩هـ/١٩٥٠م[4].

وورد في تقرير الإرسالية لعام ١٣٥٥هـ/١٩٣٦م أن ثلاثة قد عُمِّدوا في مسقط واثنين آخرين في طريقهما إلى التعميد: "إن الحدث العظيم هذا العام هو تعميد ثلاثة مسيحيين جدد جاء أحدهم من موظفي المستشفى. ويوجد شخص آخر جاهز للتعميد الآن، وآخر مسيحي منفتح سوف يُعمّد قريبا. إننا نرى يد الرب في هذا العمل. لقد تعلمت هذه الكنيسة الصغيرة الكثير من الدروس، ويمكن لأفرادها أن يعملوا ويصلوا سويا للحصول على رفيق من بين المشاكل. إنهم يشكلون النواة

---

[1] Annual Report of the Arabian Mission for the Year 1936، ص ٨.

[2] Harrison, Paul W (1943)

[3] Scudder, Lewis R (1998)

[4] Dykstra, Minnie W. (1950)

ليس جميع الذين يحضرون الصلاة كانوا متنصرين، فقد فرض على جميع العاملين في المستشفيات النصارى وغيرهم أن يشاركوا في الصلاة الصباحية التي تقام في المصلى الملحق بالمستشفى.

لمجموعة أكبر هي المجتمع المسيحي النامي في مطرح. لقد حصلت هذه المجموعة المسيحية على نفوذ كبير في المدينة بأكملها"[١].

وذُكر في تقرير الإرسالية لعام ١٣٦٦هـ/١٩٤٧م ان عدد الذين يحضرون صلاة يوم الأحد أربعة وعشرون نصرانيا، منهم ثلاثة عشر متحولا عن الإسلام واثنان متحولان عن الهندوسية[٢]. وذكر تقرير عام ١٣٧٧هـ/١٩٥٨م "أن اثنين من المتحولين عن الإسلام قد عُمِّدا في عيد الفصح، عام ١٩٥٧م، ليصل مجموع المتحولين إلى تسعة وعشرين معمدا. ويوجد خمسة عشر طفلا مسيحيا، وهم يمثلون كنيسة المستقبل، ويفسرون اهتمامنا العميق بتعليمهم"[٣].

ونتيجة لزيادة عدد المنضمين إلى قائمة المتنصرين بدأت تقارير الإرسالية الحديث عن وجود كنيسة محلية في عمان يتكون أعضاؤها من السكان المحليين المتنصرين على أيدي أعضاء الإرسالية العربية. فقد جاء في تقرير عام ١٣٨٢هـ/١٩٦٢م: "كنيسة المسيح موجودة في مسقط أيضا. وهي الجماعة الوحيدة في المنطقة المكونة تماما من متحولين عن الإسلام"[٤]. وشرع المنصرون في الحديث عن توسيع دور هذه الكنيسة؛ لتصبح كنيسة عاملة على النطاق الوطني، حيث جاء في أحد التقارير: "إن الإرسالية تنظر إلى اليوم الذي توجد فيه كنيسة المسيح الوطنية الحقة في عمان. كنيسة مكونة من المسيحيين العرب، ومدعومين بمسيحيين عرب يعملون مع الكنيسة على مستوى العالم في إرسالية الكنيسة"[٥]. ورشح المنصرون قدامى المتنصرين كأمثال موسى وجمعة وودية وربيعه وخودى رسون وغيرهم للاضطلاع بالدور القيادي لهذه الكنيسة الوطنية[٦].

---

[١] Annual Report of the Arabian Mission for the Year 1936، ص ١٨.

[٢] Annual Report of the Arabian Mission for the Year 1947

[٣] Annual Report of the Arabian Mission for the Year 1958، ص ١٣.

[٤] Annual Report of the Arabian Mission for the Year 1962، ص ٨.

[٥] Annual Report of the Arabian Mission for the Year 1962، ص ٨.

[٦] Scudder, Lewis R (1998)

ومن أجل دعم المتنصرين معنويا، ومحاولة ربطهم بالعالم النصراني الخارجي نظمت الإرسالية زيارات متبادلة بين المتنصرين في مراكزها في الخليج وكذلك زيارات إلى مراكز خارج المنطقة. ففي ١٣٧٩هـ/١٩٦٠م زار مسقط أربعة من المتنصرين يمثلون مراكز الإرسالية في الكويت والبحرين. وكتب المنصر دي ينج عن الأثر التي تركته تلك الزيارة قائلا: "كم أحس مسيحيو مسقط بالسعادة والامتنان في أنفسهم، عندما قبلهم إخوانهم في البحرين والكويت للزمالة في كنيسة المسيح في منطقة الخليج"[١]. كما قام متنصرون من مركز عمان بزيارات مماثلة إلى مراكز الإرسالية الأخرى في الخليج[٢]. واستمر التعاون بين المتنصرين في مركز الإرسالية في مسقط ومراكزها الأخرى في الخليج على عدة مستويات. فقد شارك المتنصرون في مراكز الإرسالية في الخليج في دعم المتنصرين في مسقط ماليا لبناء مجلس في مركز الإرسالية في مطرح، بلغت التبرعات التي قدمها المتنصرون من مركز البحرين فقط ألف ريال[٣]. وعلى صعيد الحضور الخارجي للمتنصرين في مركزي عمان، شارك خودى رسون في مؤتمر عُقد في اسمرة في ١٣٧٩هـ/١٩٦٠م. توقف خودي في طريق رحلته الجوية في عدن حيث زار الكنيسة هناك، وفي أسمرة التقى متنصرين من إيران والكويت والبحرين[٤]. كما شارك ممثلون عن المتنصرين في مسقط في مؤتمر عقد في أصفهان تحت رعاية الطبيب جراج (Dr Cragg). لذا فقد قال المنصر كابنجا: "لقد كانت مسقط دائما قوية في إرسال أناس إلى المؤتمرات، ودعوة القادة المسيحيين الآخرين لزيارتنا. لقد أصبحنا أقوياء فيما بين أعضاء مجموعتنا كما نحن في علاقتنا مع المجموعات الأخرى"[٥].

---

[١] Annual Report of the Arabian Mission for the Year 1960، ص ٤.

[٢] Annual Report of the Arabian Mission for the Year 1961

[٣] Annual Report of the Arabian Mission for the Year 1961

[٤] Annual Report of the Arabian Mission for the Year 1960

[٥] Annual Report of the Arabian Mission for the Year 1961، ص ١٠.

وعلى كل حال، فبعد التغيير السياسي الذي حدث في عمان في ١٣٩٠هـ/١٩٧٠م تحول مسار المجموعة المحلية التي تحدث المنصرون عن تحولها عن الإسلام إلى النصرانية إلى اتجاه غير الذي رسمه المنصرون. فقد لاحظ المنصرون- حسب قول أحدهم: "أن الأمور كانت تتغير وسط المسيحيين العمانيين الذين عاشوا وعملوا معنا لعدة سنوات. ظل بعضهم صادقين ومخلصين رغم التغييرات العظيمة. ولكن آخرين- من بينهم بعض المقربين من الإرسالية- انجرفوا بعيدا"[١]. وأعلن المنصرون أخيرا أنه: "مع ١٩٧٧[م]- على كل حال- بدأت المجموعة المسيحية العمانية في الاختفاء عن الأنظار. فقد رجع رسميا عدد من أعضائها القياديين إلى حظيرة المسلمين. وفي النهاية (مع ١٩٨٤[م]) لم يتبق شيء منها تقريبا"[٢].

فهذه هي النهاية التي آل إليها مصير المتحولين عن الإسلام إلى النصرانية في عمان- كما بينها عناصر الإرسالية العربية أنفسهم. وكانت هذه هي نهاية ثمانين عاما تقريبا من النشاط التنصيري الغربي المعلن والمنظم بين أبناء هذا البلد المسلم. وبهذه النهاية لم تتحقق نبوءة المنصرين التي عبر عنها السيد كابنجا في قوله: "فبالنسبة للمستقبل، ستعيش الكنيسة في مسقط بالرغم من أن الإرسالية ستخرج. وسيخرج عدد من المسيحيين أيضا، لكن بقية من العمانيين سيبقون، يقفون بثبات، راسخين في إيمانهم ومخلصين للمسيح"[٣].

٣. ١. ٢. بحث المنصرون عن أسباب الإخفاق

و قد عني المنصرون المتأخرون بالبحث عن الأسباب، وتقديم التفسيرات لما وصلت إليه جهودهم التنصيرية، كما فعل قبلهم المنصرون السابقون في تفسير

---

[١] Boersma, Jeanette (1991)، ص ١٩١.

[٢] Scudder, Lewis R (1998)، ص ٢٢٧.

[٣] Annual Report of the Arabian Mission for the Year 1961، ص ٩.

إعراض العمانيين عن قبول دعوتهم، والتمسك الشديد بالإسلام، ورفض التحول إلى النصرانية.

فقديما حدد القسيس صامويل زويمر- مهندس نشاط الإرسالية العربية في عمان والخليج- أربعة أسباب تقف دون تحول المسلم إلى النصرانية. فهو يرى:

١. تشكل الغطرسة الضارية الموروثة في النفسية المسلمة خصما راديكاليا لروح الإنجيل اللطيفة والمتسامحة.

٢. قانون الردة.

٣. الافتراق التام بين الدين والأخلاق [في الإسلام]. لقد رُبِّي المسلم الطائع على نظام جَعل التصديق بالرب مرتبط بالرق والحرب والقسوة وتعدد الزوجات والتسري والطلاق غير المنظم وعزل المرأة وظلمها. وهو لا يستطيع أن يدين هذه الأشرار المعاكسة للمسيحية بدون إنكار محمد وتعاليم وحيه المقدس.

٤. السياسة [في الإسلام] متحدة مع الدين بشكل لا ينفك[١].

وكان حكم الردة أكثر المسائل التي ركز عليها المنصرون لتبرير فشلهم في تنصير المسلمين خاصة في المراحل الأولى للعمل التنصيري. إلا أنه يمكننا أن نوقن ببطلان هذه الدعوى وعدم صحتها إذا علمنا أن حكم الردة لم يطبق أبداً على أحد ممن يدعي المنصرون تنصرهم. وقد أقر الطبيب بول هاريسون بهذه الحقيقة، في قوله: "كان خوفنا أن يُقتل بعضُ العرب المسيحيين لكن إلى الآن لم تحدث مثل هذه المأساة"[٢].

وأُضافَ المنصرون عاملا خامسا إلى تلك الأربعة وهو "الاضطهاد" الذي يلاقيه المتنصر على يد المجتمع الذي يعيش فيه بعد تحوله إلى النصرانية. وقد ذكر صامويل زويمر ذلك قائلا: "في مسقط وقف المتحولون عن الإسلام بثبات في وجه

---

[١] Zwemer, Am E and S. M. (1926)، ص ١١٨.

[٢] Harrison, Paul W (1924)، ص ٢٩٨.

الاضطهاد الأليم"[1]. ويتكرر المبرر نفسه على لسان المنصرة جانيت بورسما، لتفسر به اضمحلال مجموعة المتنصرين بعد عام ١٣٩٠هـ/١٩٧٠م. تقول الآنسة بورسما "إنني أومن بأن بعض المسيحيين بقوا صادقين للمولى في قلوبهم، لكن بسبب تقوية الإسلام ما بينهم، وجب عليهم أن يكونوا مؤمنين سريين. كانوا سيواجهون الاضطهاد لو أنهم اتخذوا موقفا من أجل المسيح. ومن هؤلاء كان يوجد أكثر مما نظن"[2].

ودعوى تعرض المتحولين للاضطهاد متضاربة مع أقوال كثيرة نافية له ذكرها المنصرون في هذا الشأن. فقد جاء على لسان الطبيب بول هريسون في معرض حديثه عن إحدى مراسيم التعميد التي جرت في مطرح في ١٣٥٥هـ/١٩٣٦م قوله "ازدادت طيبة الناس. فلم ينقصها بأي طريقة الإعلان المفتوح عن أن ثلاثة من المساعدين في المستشفى مسيحيون. وهذه الطيبة يبدو أنها تضم كل الطبقات"[3].

والظاهر أن التحول إلى النصرانية- أو إعلان الإرسالية عن تحول بعض الأفراد إلى النصرانية- لم يقابل بردود فعل ضد المتنصر من قبل المجتمع المحلي منذ التصعيد الذي صاحب وفاة مراش في ١٣٤٩هـ/١٩٣٠م، وإعلان أرملته مريم عن تحولها إلى النصرانية. فقد أراد عناصر الإرسالية دفن جثمان مراش وفق الطقوس النصرانية بينما أصر أقاربه على دفنه حسب الشريعة الإسلامية، غير مقرين بتحوله عن الإسلام. ورُفعت القضية إلى الحكومة التي حكمت بدفن الجثمان وفق الشريعة الإسلامية. وبقيت مشكلة الأرملة، فقد أصر المنصرون على أن مريم نصرانية ولا يجب عليها أن تَعمل بأحكام الشريعة الإسلامية المتعلقة بأحكام العدة الشرعية. إلا أن الجهات الحكومية حكمت بأن مريم مسلمة ويجب عليها أن تعتد. وتوصل الطرفان في النهاية إلى اتفاق يقضي بأن تبقى مريم في البيت مدة

---

[1] Zwemer, Samuel (1950)

[2] Boersma, Jeanette (1991)، ص ٢١٥.

[3] Annual Report of the Arabian Mission for the Year 1936

أربعة اشهر وعشرة أيام تكون خلالها تحت عناية الطبيب بول هاريسون، وبعد ذلك يحق لها أن تتصرف في نفسها كيفما تشاء[1]. وحدث التدخل قبل ذلك عندما أعلن المنصرون عن تعميد مريم حيث رفعت القضية إلى السلطات الحاكمة، وبعد أن أعلنت مريم أمام القضاء تنصرها حكم عليها بالسجن[2].

ويمكن التعرف أكثر على ما يطلق عليه المنصرون عبارة "الاضطهاد الذي يواجهه المتنصر من مجتمعه المسلم" من خلال كلام الطبيب بول هاريسون الذي يقول: "إن الاضطهاد للمتحول المحمدي قاس، ولا يستطيع أحد ينقصه الإيمان الأكيد القوي تحمل العاصفة... لا أحد سيشتري من مثل هذا الرجل، أو يبيع له. لا أحد يعرض عليه أي عمل. ينغلق المجتمع آليا أمام المسيحي سيء الطالع، وبدون المساعدة النشطة من الإرسالي قد يموت جوعا. هذا ليس لأنه توجد مؤسسة محمدية قوية تعمل من أجل مقاطعته، إنما يحدث ذلك لأن أهل المجتمع بالإجماع لا يقرون عمله، فيصبح هو منبوذا"[3].

وفي واقع الأمر، إني لأعجب كيف يسمي المنصرون هذا التصرف المجتمعي اضطهادا. إن هذا السلوك يثبت أن هذا مجتمع حي قادر على إصلاح ذاته، والمحافظة على مكوناته العضوية، ولا يسمح لأحد بتفسيخ بنيته. لقد أثبت المجتمع العماني بتلك المواقف أنه مجتمع لا يتنازل عن أفراده لمجرد أن المنصر تمكن من زرع تلك الأفكار الغريبة المدمرة في عقولهم. وهي ظاهرة اجتماعية صحية وسليمة، ولا يعاب على المجتمع اتصافه بها. لم يتخذ المجتمع ذلك الموقف عقوبة لذلك المرتد بل علاجا له. فعلى سبيل المثال، كانت إحدى المشاكل التي

---

[1] Annual Repcrt of the Arabian Mission for the Year 1930-31

[2] Dykstra, Minnie W. (1950)

ما هي الفترة التي قضتها مريم في السجن؟ لا تشير تقارير الإرساليين إلى شيء. وقد أُطلق سراحها بعد ذلك- هذا إن كانت العقوبة فعلا قد طبقت. وقد شاركت مريم في أنشطة الإرسالية، وورد اسمها في العديد من التقارير والمقالات التي كتبها المنصرون من مسقط.

[3] Harrison, Paul W (1924)، ص ٢٩٩.

تواجه تلك المجموعة التي يدعي المنصرون أنهم أخرجوها من الإسلام الى النصرانية أن عدد الإناث فيها أكثر من الذكور. وكانت تلك النساء تواجه مشكلة العنوسة إذا لم تتزوج برجال مسلمين من أفراد المجتمع. فتزوج عدد من المسلمين بتلك الفتيات وعملوا جاهدين على إرجاعهن إلى الإسلام، وكانت جهودهم الإصلاحية يكتب لها التوفيق في أغلب الأحيان. فقد تحدثت الطبيبة ميري اليسون عن عدد من النساء في مسقط قائلة "كان أبوا شريفة مسيحيين لكنهم زوجوها إلى مسلم قَسَّم ولاءها... ومريم تزوجت سلسلة من المسلمين ولكن أبقتْ على شيء من العلاقة مع المؤمنين. عواش تزوجت زوجا مسلما، وحصلت على منصب جيد في الحكومة، وسمعت بأنها أصبحت بالتأكيد مسلمة"[1].

وللمنصرة جانيت بورسما تفسير آخر لما آل إليه وضع تلك الفئة بعد عام ١٣٩٠هـ/١٩٧٠م. تقول الآنسة بورسما: "بعض العمانيين بنوا بيوتا من طابقين بها أحدث منتجات الأثاث، وستائر جميلة، وحمامات حديثة، ومياه مسلكة، وكهرباء وثلاجات، ومكيفة الهواء (التي لم يكن قط لدينا منها وليس لدينا منها الآن). واستوردوا الخدم، والتحق أولادهم بأحسن المدارس. كنا سعداء لأجلهم. لكنهم مثل إسرائيل القديمة نسوا الرب الذي أعطاهم تلك البركات. لقد نسوا أن يحمدوا الرب. لقد أقر المسيحيون بعيسى أنه الرب والمخلص الذي شربوا من إنائه، وأكلوا خبزه في ذكرى موته وبعثه، لكنهم نسوا كل ما فعله عيسى المسيح لأجلهم، والذي هو أعظم من كل سلع العالم التي يتمتعون بها"[2]. إذن فالمشكلة كما تراها المرضة بورسما كانت كفران أولئك العمانيين بنعمة (المسيح)- معبود النصارى- بعد أن انفتحت أمامهم النعم التي جاءتهم مع التغيرات التي حدثت في البلد. وقد يتضمن تساؤل الطبيبة ميري اليسون اتفاقا مع هذا التفسير الذي قدمته المرضة بورسما. فقد قالت الطبيبة اليسون متحدثة عن وضع المتنصرين بعد عام

---

[1] Allison, Mary Bruins (1994)، ص ١٩٧.

[2] Boersma, Jeanette (1991)، ص ٢١٥.

١٩٧٠م: "لكن عندما أُعطيت المستشفياتُ للحكومةَ مُنحوا مناصب جيدة الرواتب. وكثير من الرجال توقفوا فورا عن حضور الكنيسة. فهل خداع الثروة هو الذي غير عقولهم؟"[١].

أما المنصرة مارجورجي كابنجا فلها رأي آخر في الموضوع. فهي ترى بأن المتنصرين ينتمون إلى جماعات عرقية مختلفة تعيش في مسقط ومطرح، وكل واحدة منها تحتقر الأخرى، وتنظر إليها نظرة متعالية. ولم تشكل تلك المجموعات بذلك مجتمعا نصرانيا حقيقيا في عمان. تقول السيدة كابنجا: "جميع مسيحيي مطرح ما عدا واحدا كانوا فارسيين أو بلوشا أصحاب خلفية شيعية. وكان هؤلاء عاطفيين ومتقلبين وخرافيين، وبشكل أقل أو أكثر غير أخلاقيين، وهم يفهموننا نحن الإرساليين أفضل من فهمنا نحن لهم. ولديهم مصادر لا تنضب في الحصول على ما يريدون، ويستطيعون بسهولة التحايل على المنصرين الذين ليس لديهم خبرة، أو حتى المنصرين الأقدمين الذين دائما يريدون أن يصدقوا الأفضل من كل إنسان.

وفي مسقط كان العكس من ذلك، فمعظم المسيحيين كانوا عربا قدامى ممن ينتمون إلى الإسلام الأباضي. أما أصحاب الخلفية الفارسية فقد قللوا من عواطفهم، وتكيفوا أكثر مع طريقة الحياة العربية. وعمل جميعهم في مدرسة الإرسالية والكنيسة أو مستشفى النساء... وكان مسيحيوا مسقط أكثر هدوءاً ووقارا واحتراما وتمسكا بالأخلاق. وكانوا أيضا أكثر ميلا لأن يفعلوا ما يعتقدون أنه صواب بدون استشارة الإرساليين، فكانوا بذلك مستقلين. وإن لم يريدوا المجيء إلى الكنيسة، فلا يهتمون بما يظنه فيهم الإرساليون. وهم يحتقرون أهل مطرح الذين دائما يفعلون ما يراد منهم، وفي الوقت نفسه كانوا مستائين من حقيقة أن أهل مطرح يأخذون أجورا أكبر.

---

[١] Allison, Mary Bruins (1994)، ص ١٩٧.

لم تتحد هاتان المجموعتان ولم تجتمعا أبدا. لقد حاولنا أن نجعل منهم مجتمعا واحدا، لكنا لم ننجح أبدا. كانت الأمور تبدو على السطح جيدة، لكن في الداخل كان لدينا دائما مجموعتان كل واحدة تعتبر نفسها الأفضل"[١].

ويرى بعض المنصرين أن تغير الوضع داخل الكنيسة نفسها بعد عام ١٣٩٠هـ/١٩٧٠م هو الذي أدى إلى ابتعاد المسيحيين العمانيين عنها. فحسب أصحاب هذا الرأي، أحدث رحيل فئة المنصرين القدامى الذين اعتاد عليهم المتنصرون، واستبدالهم بقساوسة جدد تمشيا مع الظروف المعاصرة للكنيسة فجوة بين المتنصرين العمانيين والمسؤولين الجدد في الكنيسة. ولاحظ المنصر جيم دنهام: "أنه عندما جاء ألفرد صامويل من مصر ليتحمل مسؤولية الخدمة باللغة العربية في سبتمبر ١٩٨٤م أصبحت الفجوة الثقافية بين المسيحيين العمانيين البسطاء والمصري الأجنبي الغريب المترف أكبر من أن تردم. لم تكن بينهم مشادات بالعربية المتعثرة ولكن كانت تتبادل بينهم أفكار مترفة"[٢]. إلا أن لويس سكدر لا يوافق على إلقاء اللوم على ألفرد صامويل مبينا أن ابتعاد المتنصرين عن الكنيسة بدأ يحدث قبل وصول صامويل عمان بفترة طويلة. وفي رأي سكدر أن الفجوة بين العمانيين المتنصرين والكنيسة يعود إلى النظام المعقد الذي انتهجته الكنيسة بشكل عام أكثر من عودته إلى تغير قيادات معينة في الكنيسة[٣].

ويضيف سكدر إلى ما تقدم ثلاثة عوامل آخرى. فيرى أولا أن أولاد المتنصرين بتعلمهم في المدارس الحكومية ذات المنهج الإسلامي كان لهم دور في إبعاد آبائهم عن التوجه إلى الكنيسة. وثانيا أن البرامج الاجتماعية التي خلقتها المؤسسات الثقافية الحكومية أوجدت بديلا يتوجه إليه أولئك الأفراد فتركوا البرامج الاجتماعية والترفيهية التي كانت تديرها كنيسة الإرسالية، مثل مجالس يوم

---

[١] Scudder, Lewis R (1998)، ص ٢٢٢.

[٢] Scudder, Lewis R (1998)، ص ٢٢٨.

[٣] Scudder, Lewis R (1998)

الأحد وغيرها. وأخيرا كان لتغيير الإجازة الأسبوعية من يوم الأحد إلى الجمعة أثر في مشاركة أولئك الأفراد في برنامج الكنيسة الديني الذي يقام يوم الأحد، إلا أن سكدر بَيَّن هنا أنه حتى عندما جعلت الكنيسة البرنامج الديني يوم الجمعة تمشيا مع الظروف الجديدة، لم يشارك أولئك في تلك العبادة لأسباب لم يذكرها[1].

وفي حين أن النصرانية الغربية تهاوت في بيتها، وتركها سدنتها بعد طول عناء، واستبدلوا بها شعارات أخرى مثل الحرية الشخصية واللادينية (العلمانية) والديمقراطية وغيرها، لم يغفل المنصرون تحميل مجتمعهم الغربي المعاصر جزءا من المسؤولية في فشل حملتهم التنصيرية في شبه الجزيرة العربية. فالمنصر صامويل زويمر يرى بأن الغرب يخالف تعاليم النصرانية في كثير من الأمور مما جعل المسلمين يعرضون عن التحول إليها. فقد صرح زويمر بأن الحروب التي تثيرها الدول الغربية النصرانية مخالفة لتعاليم النصرانية التي يعتبرها دين سلام. وأشار أيضا إلى مخالفة المجتمعات الغربية لتعاليم النصرانية فيما يتعلق بالزواج والطلاق مدعيا أنه يجب أن يكون الغرب مجتمعا نزيها جنسيا، إلا أن السائد الآن هو عدم تنظيم هذين الجانبين. واعتبر السيد زويمر الشعب الأمريكي الذي تأسس- حسب قوله- على النصرانية أكثر الشعوب افتقارا إلى القانون في الوقت المعاصر. وانتقد زويمر المجتمعات الغربية النصرانية التي تعيب بدورها على المجتمعات الشرقية امتهانها لمكانة المرأة، فهو يرى أن المجتمعات الغربية أعطت المرأة الحرية التي أخرجتها عن طور الأخلاق[2].

إلا أن الطبيب بول هاريسون يرى بأن المنصرين تمكنوا من خلال حياتهم الأسرية في مراكز الإرسالية في الخليج من تقديم صورة عن الحياة الأسرية النصرانية مخالفة لتلك التي يقدمها المجتمع الغربي. يقول هاريسون: "لقد تحدثتُ مع كثير من العرب ووجدتهم مفرطين في النفور من الإقرار بأن أي شيء غربي متفوق على

---

[1] Scudder, Lewis R (1998).

[2] Zwemer, Am E and S. M. (1926)

نظامهم، لكن أعتقد بأني لم أتحدث مع أي عربي لا يعترف بتفوق نظامنا الأسري وحياتنا الأسرية على نظامه وحياته"[1]. وذلك لأنه- كما يقول الطبيب هاريسون- يرى المسلم في أسرة المنصر امرأة لم يضربها زوجها قط، ومع ذلك هي مخلصة له، ورجلا يحسن تنظيم بيته، له امرأة واحدة وعدد من الأولاد، وزوجته تمشي معه في الطرقات بل قد تمشي أمامه في بعض الأحيان.

إلا أن عضوا آخر من أعضاء الإرسالية أشار إلى موضوع خطير فيما يتعلق بتأثير التيارات الغربية على المجتمعات الإسلامية، وعدم مقدرة المنصر تصحيح الوضع. فقد أشار المنصر هنري بلكرت (Henry Bilkert) إلى الإلحاد الذي دخل إلى المجتمعات الإسلامية قادما من الغرب مع دخول العلوم الطبيعية، يقول: "إن الأولاد الذين وصلوا إلى المدرسة العليا، ذاقوا ولأول مرة طعم العلوم الطبيعية. وفي عدد من الحالات حطمت عالمهم بأجمعه، ومن بين الحطام ظهر آلهة غريبون. "الرب؟" قال أحد الأولاد في متجرنا لبيع الأناجيل في أحد الأيام. "ليس لدينا رب. دارون هو ربنا!""[2].

٣. ١. ٣. أسباب تجاهلها المنصرون

إن كنت لا استبعد قطعا أثر أي عامل من العوامل السابقة في فشل الحملة التنصيرية، إلا أنه من وجهة نظري هناك عوامل أخرى جوهرية تجاهلها المنصرون تفاعلت مجتمعة لتصل بالعملية التنصيرية إلى ما وصلت إليه، يعود بعضها إلى فلسفة التنصير ذاتها، والبعض الآخر إلى المنصرين وأخرى إلى المجتمع العماني المستهدف بتلك العملية.

فقد قَدِمَ المنصرون إلى المنطقة وهم يحملون تصورا مغلوطا عن الإسلام والمسلمين، ولما اصطدم تصورهم بالواقع المخالف، لم يعملوا على تصحيح ما في

---

[1] Harrison, Paul W (1924)، ص ٢٩٢.

[2] Bilkert, Henry A (1926)، ص ٩.

أذهانهم بل عمدوا إلى تفسير الواقع وتأويله بما يتناسب مع أفكارهم الخاطئة. وهذا بدوره ساقهم إلى المزيد من المفاهيم المغلوطة، والإجراءات الخاطئة وبالتالي النهاية المعروفة. لم يحسن المنصرون ترجمة العديد من السمات الفردية والاجتماعية التي امتاز بها العمانيون كحسن الاستقبال، وكرم الضيافة، وأدب الاستماع، وإعطاء المنصر الفرصة للحديث. لقد غرت تلك الصفات المنصرين حتى قال أحدهم في تفسير خاطئ لها: "...عرب عمان ربما يشكلون أعظم فرصة تواجه الإرسالية العربية اليوم"[1].

فقد جاء المنصرون وفي أذهانهم أن المجتمع العماني يعاني من مشكلات اجتماعية واقتصادية وأخلاقية يعود سببها إلى تعاليم الدين الإسلامي، والمخرج من تلك المشكلات هو تحويل العمانيين إلى النصرانية. يقول بول هاريسون " وربما أكثر من أي شيء آخر، عمان أرض الكراهية... هناك أشياء متعددة مخيفة في عمان، الفقر يحتل المكان الأول... إنهم بحاجة لأن ينقذوا من خوفهم، ومن بغضهم، ومن خيلائهم، ومن خطيئتهم. عمان أرض الخلاف والنزاع..."[2].

وبعد أن عرض بول هاريسون تصوره للمشكلة التي تعاني منها عمان يقدم الحل الذي يراه مثاليا لعلاجها. ففي نظره الديانة النصرانية هي الحل الأول والأخير للمشكلة العمانية، يقول: "أمل عمان يقع في كنيسة صادقة وجادة"[3]. ويتم تفعيل ذلك الحل- حسب أطروحة السيد هاريسون- من خلال تحويل المجتمع إلى النصرانية، ثم إنشاء حكومة نصرانية تصوغ قوانينها وفق مشرعات هذه الديانة الجديدة. يقول: "بلا شك سيأتي اليوم الذي سيؤدي فيه وجود أكثرية مسيحية في المجتمع إلى حكومة مسيحية حقيقية. ذلك الوقت لم يصل بعد، ولا حتى في أمريكا. والواضح أن الحكومة في مسقط ومطرح سوف لن تُسلم وإلى زمن بعيد إلى

---

[1] Harrison, Paul W (1922)، ص ١٥.

[2] Harrison, Paul (1943) Doctor in Arabia، ص ٢٥٩.

[3] Harrison, Paul (1943) Doctor in Arabia، ص ٢٧٧.

الكنيسة- الصغيرة التي تعد ربما بعشرة أشخاص، ولا حتى ستطلب مشورة الكنيسة في أي مسألة تشريعية أو اقتصادية أو تربوية... إن المسيحيين في شبه الجزيرة العربية بلا شك سيكونون عددا صغيرا للغاية لعدة سنوات قادمة، لكن، مهما كان [عددهم] صغيرا فإن إنشاء مجتمع مسيحي أهلي سيكون هو خلاص الجزيرة العربية. إن الإرسالي يعمل من أجل إنقاذ أفراد من الرجال والنساء وهو يعلم أنه من خلال هؤلاء سيتم إنقاذ السلالة كاملة"[1]. وهذا الكلام يتفق مع كلام القسيس صامويل زويمر الذي قال: "كل شيء تقريبا تحتاج إليه الجزيرة العربية يمكن أن يعطى لها فقط بواسطة المسيح. إنه يحب الجزيرة العربية أكثر من أي أحد موجود هناك من أجله. إننا نعلم بأنه سيعمل الكثير من أجل الجزيرة العربية. إنه غرض الرب المطلق أن تكون هذه الأرض جزءاً من مملكة المسيح. إن الأمر لنا بالزحف يتضمن الجزيرة العربية. إن رحمة الرب ستفتح الجزيرة العربية، وأخيرا نحن عندنا الوعد لهذه الأرض في كلماته المقدسة"[2].

وحسب الخطة التي وضعها الطبيب هاريسون، فإن المركز الرئيس للكنيسة العمانية يقع في مطرح، وتكون لها فروع في كل أنحاء عمان. يقول: "أكبر كنيسة وأقواها ستكون في مطرح، لكن ستكون هناك العديد من الفروع. فسيظهر مجتمع مسيحي بين أشجار النخيل في الباطنة"[3].

إن هذه الفلسفة التنصيرية التي حملها عناصر الإرسالية العربية تشكل خطرا عظيما لا يهدد عمان فحسب، بل يهدد الحياة الإنسانية بأكملها. إنها فلسفة قائمة على مبدأ تحطيم كل ثقافة إنسانية غير تلك الثقافة التي يؤمن بها المنصر نفسه، وعدم الاعتراف بأي حل سوى الذي يضعه المنصر نفسه. فالمنصر يرى في نفسه وفي دينه تفوقا على كل شيء مخالف له. لقد نصب المنصر نفسه محللا

---

[1] Harrison, Paul (1943) Doctor in Arabia، ص ٢٦٢.

[2] Zwemer, Samuel M. (1914)، ص ٢١.

[3] Harrison, Paul (1943) ص ٢٨٠.

لمشكلات المجتمعات، وواصفا للعلاج الذي يجب عليها تناوله حتى تتخلص من مشكلاتها. وهذه هي إحدى المعضلات التي يعاني منها الرجل الأبيض الذي أمتنع عن الاعتراف بأي شيء مفيد على سطح الأرض إلا ما يتماشى مع عقليته، وإن كان ما في عقله لا يقود إلا إلى الدمار، وتفكيك المجتمعات، وهدم الثقافات.

وبعد أن حدد المنصرون أن الإسلام هو مشكلة المجتمع العماني، وأن المخرج من تلك المشكلة يكمن في التحول إلى النصرانية، كونوا في أذهانهم تصورا خاطئا آخر. فقد جاءوا إلى المنطقة وهم يتصورون أن الإسلام فقد وجوده لدى فئات معينه من المجتمع– إن لم يفقد وجوده لدى المجتمع كله– وأن تلك الفئات أصبحت بعيدة عن الإسلام، وبمجرد أن تعرض عليها النصرانية ستهرول إليها تاركة دين الله وراءها. وراجت هذه الأفكار على أيدي بعض المنصرين الرياديين مثل الجنرال هيج في ندائه الذي رفعه إلى الكنيسة، والذي اعتبر فيه أن البدو في شبه الجزيرة العربية بشكل عام أصبحوا غير مسلمين[1]. وصدر الكلام نفسه أيضا من المنصر بتر زويمر في قوله: "لا أحد في عمان يعارض الإنجيل، ولكن المعارضة للإسلام نفسه"[2].

وقد اصطدم المنصرون خلال تجربتهم الطويلة في عمان بواقع مختلف عن تلك الفكرة الخاطئة. فقد ثبت لهم أن العمانيين بمختلف فئاتهم متمسكون بالإسلام وليس لديهم أي استعداد لتركه من أجل الدخول في دين المنصر. وكانت جهود المنصرين تتحطم أمام العقيدة الإسلامية الثابتة الراسخة في قلب العماني المسلم. ونطقت ألسن المنصرين معترفة بذلك، فقد قال المنصر بننجز (Mr Pennings): "لقد لوحظ مرارا أن أهل عمان أكثر احتراما، وأقل تعصبا من المحمديين الموجودين في مراكزنا الأخرى. إن ذلك صحيح، لكنه لا يعني أن مشكلة التحول هي أسهل. قد يكونون محترمين لكنهم متمسكين بدينهم بنفس العناد، والمتحولون

---

[1] انظر تفاصيل ذلك ١. ٢. ٣. ١. ٢. تحت عنوان "العامل الديني"

[2] انظر ٢. ٢. ١.

يواجهون الاضطهاد نفسه. في كل مكان تقدم المحمدية المشكلات نفسها، ولديها الدفاعات نفسها، وتنتج النتائج نفسها"[1].

لكن ما هو تفسير المنصرين لما رأوه من ثبات المسلم العماني على دينه؟! لقد كان تفسيرهم لذلك الأمر غاية في الغرابة، وأبعد ما يكون عن العقل، وأصعب ما يكون على الفهم! فقد جاء تفسيره على لسان الطبيب هارولد ستورم الذي قال: "إن قلب المسلم قلب من حجر، وكل نداء إلى المسيحية يرتد منه بدون أن يعمل كثيرا- إن عمل أي شيء- من الأثر"[2]. إذن فقلب العماني المسلم في نظر المنصر قلب حجري لا أحاسيس، ولا مشاعر، ولا عاطفة. هذا لأنه رفض أن يؤمن بأن المسيح ابن مريم هو الله، أو ابن الله أو إله مع الله! نعم، في نظر المنصر قلب المسلم من حجر لأنه رفض أن يشاركه في عقيدته التي تدعي أن محمدا- صلى الله عليه وآله وسلم- نبي كاذب، وأن الله سبحانه وتعالى كما وصفه القرآن ليس هو رب الكون، بل الرب كما وُصف في الأناجيل المحرفة. ويقدم المنصر درك دكسترا الحل لمشكلة قلوب العمانيين الصخرية، بقوله: "العلاج الوحيد لهؤلاء الناس الثابتين في طرقهم، وإيمانهم أن يخرج الرب القلب الصخري من أجسادهم، ويعطيهم قلبا من لحم"[3]. فيا لها من عقلية يتعامل بها المنصر مع من يخالفه في فكره، ويرفض الانجراف وراء دعوته.

وتصور المنصرون- كذلك- أن الإسلام قد غرس في المسلمين فكرة أن النصارى بل وكل أتباع الديانات الأخرى، لا حق لهم في الحياة، بل تقطع رؤوسهم وتراق دماؤهم. فقد قال الطبيب ستينلي ملاريا متحدثا عمَّا أسماه الروح الإسلامية الشائعة في شبه الجزيرة العربية: "الجزيرة العربية هي المكان الذي ولد فيه الإسلام، وروح البلد الحالية هي الروح العنيدة نفسها التي اتسم بها العربي في زمن

---

[1] Annual Report of the Arabian Mission for the Year 1936، ص ٧.

[2] في Joyce, Miriam (1995)، ص ٢٧.

[3] Dyksta, D (1935 a)، ص ٦.

محمد... إنها روح التفوق المطلق وعدم التسامح مع كل الأديان الأخرى التي يوضع أتباعها تحت العنوان الازدرائي، كفار... إنها روح قسوة القلب، وقد تكون أكثر السمات بروزا في الشخصية السامية- وهي الروح نفسها التي اضطهدت وقتلت الأنبياء القدامى- الروح نفسها التي أخيرا صلبت رب الكل... الروح التي قتلت ريموند لول، وهي الروح المسؤولة عن مقتل مئات الآلاف من الأرمينيين. إنها روح ازدراء الإرسالي المسيحي..."[1]. وقد يكون هذا التصور المغلوط هو الذي دفع المنصر بتر زويمر إلى تفسير الدعوة التي وجهها إليه أحد العمانيين لزيارته في قريته الواقعة في المناطق الداخلية بقوله: " هنا جادلني بعض العرب لأذهب معهم إلى الداخل. وكان ذلك واضحا أنه من أجل السرقة، وهو أمر يُظهر فقط ما يحتاج إليه مكرهم من وعي دائم"[2].

لكن تجربة المنصرين في عمان أثبتت لهم عكس هذه الأفكار المغلوطة. فقد وجد المنصر أنه أينما توجه في عمان، يعمل العمانيون على صون حرمته، وإحاطته بالعناية، وإحسان استقباله وإكرامه. كما وجد المنصرون أن العمانيين لا يحملون العداء لذات المنصر، وإن لم يتفقوا معه في دينه وعقيدته. ويتأكد هذا من قول الطبيب ديم (Dr. Louis P. Dame): "لكن قدم لي العماني لمودته وطيبته. فإني لا أعرف أياً من العرب يمكن أي يقارن به. سيثب ويبدأ تحيته من بعيد. وتحيته ليست كلمات غبية تكرر، ولكن لها حقيقة. إنك تُحس أنها تأتي من قلبه، وأن أمامك رجلاً ودوداً طيباً بطبيعته"[3]. وقال القسيس مورديك: "الكرم فضيلة مبالغ فيها في عمان، والعرب أنفسهم يفتخرون بهذا. ولنتكلم بالتحديد، فإن جميع البيوت مفتوحة للغريب ويحسن إضافته"[4].

---

[1] Mylrea, C. Stanley (1917)، ٩.

[2] Zwemer, Peter J (1894 a)، ص ٨.

[3] Dame, Louis P. (1923)، ص ١٠.

[4] Moerdyk, J. E. (1904 b)، ص ٥.

ومن تصورات المنصرين الخاطئة أن المسلمين يرفضون الاطلاع على الإنجيل، ويعرضون عن قراءته بسبب منع الإسلام لهم من ذلك، وتحريمه عليهم، ونتج عن ذلك جهلهم بحقيقة السيد المسيح وبالديانة النصرانية. فالمسلم - في نظر المنصرين- ضحية الإسلام في عدم معرفته النصرانية، ونفوره من المعرفة بها.

لكن المنصرين وجدوا أن العماني لا يمانع أن يسمع المنصر يقرأ عليه الإنجيل، ولا يتردد في شراء نسخ من العهد القديم أو العهد الجديد؛ من أجل الاطلاع على محتواها. وكتب الطبيب بول هاريسون عن موقف العمانيين من قراءة الإنجيل، والاستماع إلى كلام المنصر قائلا: "لكن عمان أكثر من مجرد واحدة من المقاطعات المحمدية. قد لا يوجد مكان في شبه الجزيرة العربية الناس فيه صادقون في المحافظة على الصلاة وأوامر الإسلام وقواعده الأخرى. لكن هؤلاء الناس أنفسهم طيبون تجاه الإنجيل، والعديد منهم راغبون في شرائه وقراءته. وهم قادرون كذلك على قراءته. فعلى سبيل التقدير نصف السكان قادرون على القراءة والكتابة، وفي بعض الأماكن- فعلا- الأكثر من النساء لا من الرجال. هذا الوضع يشكل فرصة نادرة للغاية ما بين المسلمين. وأشك في أنه يمكن أن يتكرر في كل بلاد الإسلام"[١]. وقال المنصر درك دكسترا معلقا على توزيع نسخ من الإنجيل بين النساء في مدينة قريات: "لقد كنت مندهشا من رؤية كم امرأة تستطيع أن تقرأ، بل وتقرأ جيدا. أعطيتُ لامرأة شابة إنجيل مرقس. فقالت مباشرة بعد أن نظرت إلى الجزء: "أليس لديك شيء آخر؟ لدي مرقس ويوحنا". إن هذا الإلمام بالإنجيل أمر غير عادي ومشجع. وبسعادة كان بإمكاني أن أعطيها نسخة من لوقا، ومن أعمال الرسل. وفي البيت زارنا العديد ممن يرغبن في القراءة أو الاستماع إليها، وأظهرن تقديرا ملاحظا ورغبة في المزيد"[٢]. وكذلك قالت الطبيبة سارة هوسمون معلقة على جولة تنصيرية بين النساء في مدينة السيب قَرأتْ خلالها الإنجيل: "لقد وجدنا أن نساء

---

[١] Harrison, Paul W (1911 b)، ص ٣.

[٢] Dykstra, D (1935 b)، ص ١٠.

السيب متفتحات جدا وطيبات جدا، حيث لم نجد أي معوق للقراءة لهن. فمباشرة بعد أن قرأتُ مقاطع قليلة من الفصل الأول من يوحنا، كنقطة تواصل، تحولت مباشرة لقراءة الفصل الثالث من يوحنا لكي أريهن أن "كلمة الرب" هذه جاءت لتعطينا حياة جديدة بمولد جديد. ثم قرأت مرقس ٧: ٢١ و٢٢ لكي أريهن حاجتهن إلى مولد جديد. ومن هذه المقاطع عُدتُ إلى الفصل الثالث من يوحنا لأشرح الفصل خطوة، خطوة. لقد بارك الرب في اجتماعنا بانتباه رائع من النساء. لقد اتضحَ أن بعضهن جائعات روحيا، وكانت سعادة عظيمة أن يكون لنا الفخر أن نخبرهن عن منقذنا المذهل"[١].

لم يحسن المنصرون تأويل هذه الصفة أيضا، بل رأوا فيها ميل العماني المسلم للإيمان بالإنجيل، وفرصة ثمينة لتنصيره. فقد قال الطبيب بول هاريسون: "لكن استغاثة عمان الكبيرة ليست في حاجاتها الطبية، ولا قدرتها التجارية، ولا حتى كرمها وطيبتها. إن عمان هي المقاطعة الوحيدة في شبه الجزيرة العربية حيث لدى الناس عقل متفتح للإنجيل. إنني لا أعلم قسما آخر في الجزيرة العربية يمكن فيه بسهولة شد الانتباه للرسالة. لقد طُلب مني فعلا خدمة يوم الأحد، حيث إنه يمكن أن يأتي أولئك العرب متفتحي العقول ويستمعوا"[٢].

وبالتعرف على مواقف غيره من المنصرين يمكن رؤية أن تحلي العماني بآداب الاستماع، والإنصات أثناء قراءة الإنجيل عليه، أو إلقاء الخطب التنصيرية أمامه لا تعني بأي حال من الأحوال التسليم للمنصر فيما يدعي، أو عدم الاعتراض عليه فيما يقول. فقد قال المنصر ويرسم معقبا على مناقشة دارت بينهم- المنصرين- وبين أحد العمانيين الذي قرأوا عليه إنجيلهم: "إن العرب على استعداد للدخول في جدال. فقد كان هذا واضحا بشكل أخص في المسفاة[٣]. ففي تلهفه لإثبات نقطته

---

[١] Hosmon, Sarah L. (1921)، ص ٧.

[٢] Harrison, Paul W (1922)، ص ١٥.

[٣] أحد القرى التابعة لولاية بوشر حاليا، وتعد الآن إحدى ضواحي مسقط العاصمة. وقد ذكر المنصر ويرسم ذلك أثناء جولة له إلى هذه القرية بصحبة جيمس كانتاين وباعة الأناجيل في ١٩٠٠م.

أحضر عربي إلينا القرآن. وكانت نقطة الحوار هي أن جميع الأنبياء معصومون من الخطيئة لأنهم أنبياء. وبما أن محمدا كان نبيا فهو كذلك كان بدون خطيئة. وخلال النقاش أصر على أن اسم محمد قد ذكر في الإنجيل. وأحالنا إلى يوحنا ١٦:١٤ حيث أن "المعزّي" بتغيير حاذق للكلمة في اليونانية قيل بأنه يعود إلى محمد. وعندما أُخبر بأنه على خطأ، أحضر القرآن وأخذ يتلو فقرة ذات صلة بهذا. إلا أن بائع الأناجيل أصر على أن محمداً لا يمكن أن يوجد في أي مكان في الإنجيل. فقال "فإذن إنجيلكم قد غير. لا بد أن يكون ذلك في الأصل، لأن القرآن قد قال ذلك، وبما أن القرآن قد نزل مباشرة من السماء، فإن محتواه لا يمكن أن يجادل فيه". ثم أخذ في الثناء على محمد والقرآن قائلا انه نور، وانه آخر الأنبياء، وأن اسمه مكتوب على أبواب الجنة، إلى آخره. إننا نرى من هذا أن المسلم لا يمكن أن يدخل إلى مملكة الرب عن طريق المناقشة. إن إيمانهم بالقرآن قوي للغاية بحيث لا يمكن لشيء أن يزعزعه. إن إيمانهم أعمى. إنهم يرون أن أي شيء ورد في القرآن فهو صحيح؛ لأن القرآن قد قال ذلك"[١].

وذكر الطبيب بول هاريسون نفسه أن أحد الناس قد اعترض عليهم في كون الكتب التي يبيعونها لا تبدأ بـ"بسم الله الرحمن الرحيم". وقال كذلك: "جاء مدرس آخر من قرية مجاورة مصرا على أن القرآن قد ألغى كل الكتب المقدسة السابقة، فجعل بيعنا في تلك القرية منخفضا إلى سبع نسخ"[٢].

لم يستطع المنصرون أن يفهموا أن قراءة كتب الديانات الأخرى ليست محرمة، ولا محظورة في الإسلام- إذا كان الهدف من تلك القراءة العلم فقط، وليس الإيمان العقدي بما فيها. لقد فهمنا نحن المسلمين ان التعرف على الثقافات الإنسانية المختلفة ليست حراما في الشريعة الإسلامية، بل يأمر الإسلامُ المسلمين بالعلم بكل ما توصل إليه العقل الإنساني من معارف- وليس العلم بالشريعة

---

[١] Wiersum, H. J. (1900)، ص ١٠.

[٢] Harrison, Paul W (1911 b)، ص ٤.

الإسلامية فحسب. وإذ بين الإسلام للفرد المسلم ما تحويه ما تسمى بالتوراة والإنجيل المعاصرين من مغالطات وأخطاء، فإنه لا يمانع أن يقف المسلم على ذلك بنفسه من تلك المصادر، بل يشجع الإسلامُ الناس على إعمال عقولهم لتمييز الصحيح من السقيم والصواب من الخطأ. ذلك لأن الإسلام يحترم العقل الإنساني، ويقر بمقدرة الإنسان على التوصل إلى الحقائق الصحيحة والنتائج السليمة، إن توفرت له الأرضية المناسبة. وما فعله المسلمون في عمان من إطلاع على ما يدعي المنصرون أنه الإنجيل، والاستماع إلى ما يقوله المنصر ليس خطأ في حد ذاته. وإدعاء المنصرين أن العمانيين كانوا يقدمون على ذلك لأنهم يؤمنون- أو لديهم القابلية على الإيمان- بمحتوى الإنجيل أمر لا يمكن التسليم به مع غياب الدليل من أرض الواقع. فهل أهل سمائل أو أهل الرستاق أو نزوى أو صحار أو صور أو صلالة- على سبيل المثال- أصبحوا نصارى لأنهم اشتروا نسخا من الكتب التي باعها لهم المنصرون، واستمعوا لحديثهم عن السيد المسيح وعن الخلاص وعن الخطيئة وعن الصلب والبعث؟! لا، لم يكن أولئك الناس نصارى، ولا حظ للنصرانية في قلوبهم. واطلاعهم على الإنجيل والتوراة واستماعهم لحديث المنصرين ليس دليل تنصرهم، بل- إن شاء الله- دليل إسلامهم وإيمانهم، بل إنه دليل أيضا على ثبات الإسلام في قلوبهم ثباتا لا يخافون عليه من دعاوي النصرانية المحرفة، والأباطيل التي يدعوا إليها المنصرون.

وكانت كتب النصرانية واليهودية بالذات تجذب القراء المسلمين من مختلف العصور الإسلامية؛ بسبب احتوائها على مواضيع لها صلة باهتمامات العقلية المسلمة. وقد امتلأت بعض الكتب الإسلامية بمعلومات مستقاة من الأدب النصراني والأدب اليهودي بدون أن يَخرج مؤلفوها من الإسلام إلى النصرانية. وحتى بعض الكتب التي عنيت بتفسير القرآن الكريم ضمت الكثير من القصص التي تعود إلى مرويات يهودية أو نصرانية وهي ما يعرف في الأدب الإسلامي بالإسرائيليات. فهل فهم المنصرون أن المسلمين ليسوا منغلقين عن الثقافات العالمية؟ ما فهمه

المنصرون هو العكس، لذلك فقد اندهشوا- أولا- لما رأوا أن العمانيين يقرأون كتب الأدب النصراني بما فيها التوراة والإنجيل، ثم أساءوا تفسير ذلك، وجعلوه دليلا على ميل هؤلاء الناس إلى ترك الإسلام، واعتناق النصرانية.

وبشكل عام، لم يكن العمانيون غافلين عن دسائس المنصرين وأنشطتهم التي يهدفون بها إلى تحطيم الإسلام. وقد عَبرتْ معارضة المجتمع نشاط الإرسالية التنصيري في عمان عن نفسها بأشكال مختلفة. فكان للعالم الجليل نور الدين عبدالله بن حميد السالمي رحمه الله مراسلات مع المسلمين في زنجبار يحذرهم فيها من مكائد المنصرين، ويبصرهم بالطرق والوسائل التي تمكنهم من التصدي للأعمال التنصيرية. وبلا شك فإن لكتابه "بذل المجهود في مخالفة النصارى واليهود" الذي عني بهذا الموضوع دور في توعية العمانيين بأهداف المنصرين وأساليبهم التنصيرية[١]. وذكر تقرير الإرسالية السنوي لعام ١٩٣٠-١٩٣١م بأن المجتمع تسوده روح من المعارضة لنشاط الإرسالية التنصيري، وقد جاء فيه "تنشط في المجتمع أفكار جديدة، روح استقلالية. فالأخبار والسياسات العالمية تدرس وتناقش وتلاحظ روح من القومية ومناهضة الأهداف الغربية والمسيحية... وقد هوجمت الحكومة بعنف لكونها متعاطفة مع الإرسالية، وهي الآن تبحث عن فرص لتثبت بأنها ليست متعاطفة معنا قط"[٢]. وذكر التقرير السنوي لعام ١٣٦٦هـ/١٩٤٧م أيضا عن ظهور معارضة في مسقط موجهة مباشرة نحو نشاط الإرسالية التنصيري. فقد جاء في ذلك التقرير "حينما كانت المعارضة في مسقط موجهة ظاهريا نحو المدرسة، فقد اتضح لنا الغرض منها؛ إنه ليس غلق المدرسة فقط، ولكن لقطع جهودنا التبشيرية داخل المدرسة وخارجها على حد سواء"[٣].

---

[١] السالمي، عبدالله بن حميد (١٩٩٥) بذل المجهود في مخالفة النصارى واليهود، مكتبة الإمام نور الدين السالمي.

[٢] Annual Report of the Arabian Mission for 1930-1931، ص ٨.

[٣] Annual Report of the Arabian Mission for 1947، ص ٥.

٣. ١. ٤. هل حدث تنصير فعلا ؟!

إن الوقوف عن كثب على مجريات النشاط التنصيري قبل عام ١٣٩٠هـ/١٩٧٠م يجعلنا ننظر بعين الشك إلى مسألة التحول الحقيقي والجاد لمن يدعي المنصرون تحولهم عن الإسلام إلى النصرانية من أهل عمان. فنلاحظ أن رجوع من يدعي المنصرون تحولهم عن قرار تنصرهم ظاهرة موجودة حتى قبل عام ١٣٩٠هـ/١٩٧٠م[١]. فقد أشار المنصرون في تقرير عام ١٣٦٤هـ/١٩٤٥م إلى رجوع امرأة إلى الإسلام مذكرين بحادثة مماثلة في العام السابق- ١٣٦٣هـ/١٩٤٤م[٢]. وفي تقرير عام ١٣٦٦هـ/١٩٤٧م ذكروا مرة أخرى رجوع امرأتين من اللائي عمدتا إلى الإسلام مرة أخرى. وقال التقرير: "إن امرأتين- عمدتا منذ عامين وأربعة أعوام- قد تركتانا وعادتا مرة أخرى إلى الإسلام، إحداهما بسبب عدم الصدق، فهي لم تترك الإسلام أبدا. والأخرى عادت إلى الحياة غير الأخلاقية التي يسمح بها الإسلام"[٣]. وهذا يجعلنا نشك في حقيقة تحول المسلمين إلى النصرانية التي يدعيها المنصرون. لا سيما وأن المنصرين أنفسهم يشكون في صدق تنصر بعض أولئك الأفراد. فقد ذكرت السيدة ميني دكسترا مثالا على ذلك قائلة: "منذ عامين مضت تقريبا، عُمدت امرأة لم نكن نحن واثقين فيها. كانت مُدرسة قرآن. لقد طَلَبتْ وبإصرار لمدة طويلة أن تُعمد. لقد كانت هناك أمور محددة تثير الشك فيها إلا أن إجماع الرأي استقر على أن تقبل. ولمدة سنة استمرت كما هي ولكن بدون أي تقدم. وفي السنة الماضية بدأت تظهر بواعثها وذلك عندما لم تحصل على كل

---

[١] ولم تكن هذه الظاهرة مقتصرة على مركز مسقط فحسب، بل أورد المنصرون في عدة تقارير أحداثا مشابهة في مراكز الإرسالية الأخرى في الخليج. فقد ورد في مقالة للمنصر كالفرلي (Eleanor T. Calverley)- الذي كان يعمل في مركز الإرسالية في الكويت- عن رجوع ستة- بينهم امرأتان- ممن أعلنوا تنصرهم إلى الإسلام مرة أخرى. وذكر المنصر الفرد بارني (Fred J. Barny) في ١٩٠٨م عن رجوع اثنين من المتنصرين في مركز البحرين أحدهما من المعمدين.
Calverley, Eleanor T (1913) و
Barny, Fred J. (1908 b)

[٢] Annual Report of the Arabian Mission for the Year 1946

[٣] Annual Report of the Arabian Mission for the Year 1947، ص ١٠.

المساعدة المالية التي توقعتها. لقد حاولت أن تمشي في طريقين، وأخيرا رجعت نهائيا"[1]. ففي كلام السيدة دكسترا دليل على أن بعض أولئك المتحولين لم يكونوا صادقين في تحولهم إلى النصرانية، وإظهارهم الدخول في دين المنصر ليس أمرا حقيقيا، بل يوهمون به المنصر من أجل حاجة شخصية.

وبعيدا عن أهداف المتنصرين، تثير بعض الأساليب التي يَدفع بها المنصرُ الشخص المسلم إلى إعلان تنصره الشك في حقيقة إقدام ذلك الشخص على التنصر بقناعة شخصية ثم ثباته على نصرانيته. فطريقة اتخاذ أحد الأفراد واسمه ودي سليمان لقرار تعمده مثال واضح للأسلوب غير السوي الذي يتبعه بعض المنصرين لحمل الأشخاص على قبول النصرانية. فقد ذكرت السيدة مارجوري كابنجا أن ودي كان يعمل طباخا لدى المنصرة سارة هوسمون، وكان مترددا في اتخاذ قرار تعميده. وفي أحد الأيام أدخلته الطبيبة هوسمون في إحدى الغرف، وقفلت عليه الباب آمرةً إياه أن يتخذ قرارا محددا في الموضوع. ثم تقول السيدة كابنجا: "عندما خرج من ذلك السجن كان قد قرر أن يكون نصرانيا، ولم ينحرف أبدا عن إيمانه الجديد"[2]. فهل قرر هذا الرجل أن يعمد نتيجة قناعة شخصية، أم أن الفترة التي قضاها محبوسا في تلك الغرفة– مهما كانت قصيرة– كانت تجربة خرج منها بفهم آخر مختلف عن الفهم السابق لعلاقته بالمنصرة، وأدى به في النهاية إلى التعميد. لا أقول أن أغراض جميع الذين تنصروا كغرض تلك المرأة التي تنتظر المساعدة المالية الموعودة، ولا جميعهم تنصروا بالطريقة نفسها التي تنصر بها ودي سليمان، ولكن في هذه أمثلة على أن تحول بعض الناس إلى النصرانية في مركزي الإرسالية في عمان أمر يثير الشك والتساؤل.

وإلى جانب ذلك كان بعض ممن يدعي المنصرون تحولهم إلى النصرانية يتمسكون بأمور مخالفة لأساسيات الديانة النصرانية وتعاليمها. فنوبي الذي وصفه

---

[1] Annual Report of the Arabian Mission for the Year 1944، ص ٥.

[2] Scudder, Lewis R (1998)، ص ٢٢١.

الطبيب بول هاريسون بقوله: "هو أحد أعمق المسيحيين وأكثرهم صدقا لدينا"[1] كان متزوجا من أكثر من امرأة[2]. فهل كان هذا الشخص نصرانيا حقيقيا كما يدعي المنصرون؟! هل الزواج بأكثر من امرأة من شريعة النصارى؟ وكان بعض الأشخاص متقلبين غير ثابتين على حال معين، ففي مرة يدعون النصرانية وفي أخرى ينفون ذلك. وذكرت المرضة جانيت بورسما ذلك عن إحدى النساء تسمى زنوبة ونعتتها بأنها كانت المساعدة الخاصة للطبيبة سارة هوسمون. تقول الآنسة بورسما "في بعض الأوقات كانت تُعِد نفسها مؤمنة، ولكن في أوقات أخرى كانت تعود إلى الطرق الإسلامية. ثم عندما كبرت في السن، كان عليها أن تقرر إن كانت ستذهب للحج إلى مكة أم لا. وأجبر زنوبة أخوها على المشاركة في الحج، وعندما عادت كان واضحا أنها لا تعتبر نفسها بعد ذلك من ضمن المؤمنين. كانت خائفة من المشاركة معنا"[3].

وتروي الطبيبة المنصرة ميري أليسون (Mary Allison) أنها وبعض أطباء مستشفى الإرسالية في مطرح قد أجابوا في ١٣٩٢هـ/١٩٧٢م دعوة وجهها لهم أحد المتنصرين المعمدين واسمه سعيد بن ناصر لزيارته في قريته الواقعة في وادي السحتن لقضاء إجازة عيد الفطر في ذلك العام. وذكرت الطبيبة ميري أنه في يوم العيد ذهب سعيد إلى مسجد القرية للصلاة، وذهب معه الطبيب دونالد بوش وأبنه بول، وتقول الطبيبة ميري "لقد سَمعتُ بأن سعيدا قد قرأ القرآن"[4]. فهل احتفال سعيد هذا- الذي يدعي المنصرون بأنهم نصَّروه وعمَّدوه- بمناسبة عيد الفطر، ومشاركته مجتمعه المحلي أفراحه بهذه الشعيرة الإسلامية العظيمة دليل خروج عن الإسلام

---

[1] Harrison, Paul (1943)، ص ٩٥.

[2] Harrison, Paul (1943)

[3] Boersma, Jeanette (1991)، ص ١٦١.

[4] Allison, Mary Bruins (1994)، ص ٣٠٣.

عولج في مستشفى الإرسالية في مطرح من مرض الجذام. وحسب ما ذكرت الطبيبة ميري فإنه قرأ الإنجيل أثناء فترة العلاج في المستشفى ثم أصبح نصرانيا وعُمد، وكان يشارك في إلقاء المواعظ باللغة العربية. وقد استقر سعيد هو وعائلته في مطرح حيث سكن في بيت بقرب مستشفى الإرسالية.

أم دليل انتماء إليه؟! إني أرى أن تَحمُّل سعيد عناء الرحلة مع أسرته من مطرح إلى وادي السحتن لمشاركة أهله أفراح تلك المناسبة، وإعداده الوجبة التي أكلوا جميعهم منها قبل الذهاب إلى المصلى وارتداءه هو وأسرته للحلل البهية في ذلك اليوم دليل على أن مياه التعميد التي صبها عليه المنصرون لم تغسل من قلبه التعلق بدينه الذي نشأ في كنفه، وتدلنا أيضا بأن تنصيره قصة لم تسبك فصولها بإتقان.

وفي الوقت الذي حَمَّل المنصرون الإسلام، والمجتمع المسلم، وأسلوب التنصير السبب في فشل حملتهم التنصيرية في عمان، لم يتطرقوا إلى ذكر عامل مهم يمكن أن يضاف إلى تلك الأسباب. إذ لم يطرح المنصرون النصرانية كدين على أنها أحد عوامل الفشل، أو ربما عامل رئيس من بين العوامل.

وإني أعتقد أن الديانة النصرانية ذاتها هي أحد عوامل فشل المنصرين في الحقل العماني. فالنصرانية تعاني من خلل كبير في فلسفتها ومفاهيمها وعلاقتها وتصوراتها، تجعل الإنسان لا يستسيغها بفطرته السوية، وعقليته الصحيحة. وفشلها في عمان مرده إلى افتقارها إلى تلك الميزات والخصائص التي تجعل المسلم يترك دينه- الإسلام- ويتخذها دينا بديلا.

لقد عجزت النصرانية عن مخاطبة العقل الإنساني. ويبرز ذلك واضحا في مفهومها عن الإله والرب، حيث نزلت برتبة الألوهية إلى المستوى البشري؛ وذلك بإشراكها عيسى بن مريم الكائن البشري في ذلك المنصب الحساس المتميز. ثم عجزت النصرانية عن تقديم تفسير عقلي لرفع منزلة عيسى الإنسان إلى درجة الألوهية. وعجزت عن تقديم تفسيرات عقلية لموضوعات شائكة في عقيدة التثليث التي تنادي بها. فأسئلة مثل كيف يمكن أن يكون الواحد ثلاثة، والثلاثة واحداً لا تجد لها أي إجابات عقلية في الديانة النصرانية أبدا.

وإذ فشلت النصرانية أمام تحدي العقل فلسفتها، فقد لجأت إلى العاطفة لتسويغ أفكارها. لذا كثرت في أدبيات النصرانية المصطلحات العاطفية مثل الأبوة، والبنوة، والحب، والتضحية. وحتى هذه المصطلحات لم تَرْقَ في أدبيات النصرانية

فوق مستوى الحس الآدمي، والاستخدام البشري. فالحب، على سبيل المثال، ليس حبا إلهيا ولكنه حب أبوي. والفرق بين الاثنين بلا شك هو أن الأول تحكمه ضوابط العدالة الإلهية المطلقة التي تعطي كل ذي حق حقه، أما الآخر فتُصَرِفه العاطفة المتقلبة وفق المؤثرات التي تعصف بها. لذا فليس غريبا أن يكون مفهوم الخلاص المرتبط بهذه المصطلحات العاطفية هو أحد أسس الديانة النصرانية. فالرب وبسبب شغله منصب الأبوة تحمل عن الناس، الذين هم أبناؤه في مفهوم النصرانية، عبئا ثقيلا هو الخطيئة التي خلصهم منها بواسطة المسيح، ابن الرب، أو الرب نفسه، وذلك باستسلامه لأعدائه ليقتلوه على الصليب. حدث ذلك لأن الرب، في مفهوم النصرانية، لا يعاقب المسيء؛ لأنه، أي الرب، أب؛ والأب بالمفهوم البشري تربطه عاطفة بأبنائه تمنعه من معاقبتهم بل يتحمل المشاق عنهم ويعمل على تخليصهم مما يزعجهم. فهكذا التهمت العاطفةُ الإنسانية العدالةَ الإلهية. وإن طُرِح أمام النصرانية تساؤل، بأن العدالة ستضيع وسط فلسفة "الخلاص" ويتساوى في الميزان المسيء والمحسن، فما هو تفسير ذلك؟ سيقف عقل النصرانية حائرا لا يقدر على جواب؛ وذلك لأن هذا السؤال وإجابته ليس من اختصاص العاطفة بل هو من خصوصيات العقل الذي يكاد لا يكون له وجود في مفردات النصرانية وقواميسها.

إلى جانب ذلك، تخاطب النصرانية الفرد العربي بمنطق عنصري عدواني يستحيل عليه الاستجابة لندائها. ولا يكون اعتناق العربي للنصرانية في ضوء ذلك الخطاب إلا خطوة عمياء ومجازفة خطيرة بالحياة والكرامة. فيوجد في العهد القديم، ما يدعوه المنصرون، بالنبوءات التي نظروا من خلالها إلى العمانيين والعرب بشكل عام، وجعلوها قواعد ذهبية في حملتهم التنصيرية في عمان وشبه الجزيرة العربية، وهي في حقيقتها ليست إلا دعوة عنصرية حاكتها قلوب مليئة بالحقد[1]. فقد جاء في سفر التكوين الإصحاح السادس عشر الجملة ٩- ١٢" وقال

[1] انظر ٣. ٣. ٥. ١. حول ما كتبه صامويل زويمر عن تلك النبؤات.

لها ملاك الرب ها أنت حُبلى فستلدين ابنا. وتدعين اسمه إسماعيل لأن الرب قد سمع لمذلتك. وإنه يكون إنسانا وحشيا. يده على كل واحد، ويد كل واحد عليه". من هذا المقطع في سفر التكوين فهم اليهود ثم تبعهم النصارى أن العرب أبناء إسماعيل أعداء لكل الأمم، وكلُ الأمم عدوة لهم. وبهذا المنطق فسر الطبيب المنصر ستورم سُلوكَ العمانيين أثناء زيارته التنصيرية لجعلان في ١٩٣٢م[1].

وجاءت نبوءة خطيرة أخرى في سفر اشعياء (الإصحاح الستون، الجملة ٥-٧) في خطاب الرب لمدينة أورشليم: "حينئذ تنظرين وتنيرين ويخفق قلبك ويتسع. إنه تتحول إليك ثروة البحر ويأتي إليك غنى الأمم. تغطيك كثرة الجمال بكران مديان وعيفة كلها تأتي من شبا. تحمل ذهبا ولبانا، وتبشر بتسابيح الرب. كل غنم قيدار تجتمع إليك. كباش نبايوت تخدمك. تصعد مقبولة على مذبحي وأزين بيت جمالي". وبكران ومديان وعيفة وشبا وقيدار ونبايوت الواردة في هذه المقاطع يرجعها اليهود والنصارى إلى أماكن وقبائل في الجزيرة العربية. إن شبا كما يدعون هي سبأ التي تُعرف الآن باليمن، أما اللبان فإنه لا يأتي إلا من أرض واحدة فقط في شبه الجزيرة العربية وهي ظفار. لقد أعطت هذه النبوءات اليهود والنصارى المشروعية في الاستيلاء على ثروات الجزيرة العربية، وأعطتهم حق الاعتداء على العرب لأنهم أبناء إسماعيل الذي "يده على كل أحد، ويد كل أحد عليه" كما قال ملاك الرب! إن ما يكتنف تلك النبوءات من غلو وفحش يجعلها ليست خطرا على الأمة العربية فحسب، بل وعلى الإنسانية بأكملها. إن في هذه النبوءات تفسيراً للحملة التنصيرية على عمان والعالم الإسلامي، وفيها تفسير للحروب الصليبية، والحملات الاستعمارية التي وجهها الغرب النصراني إلى العرب والمسلمين الأبرياء، المسالمين وقُتلت فيها أنفس، وسُلبت أموال، وهُدمت مدن وقرى. وفي هذه النبوءات تفسير لإقامة اليهود لدولتهم في فلسطين، وما يقومون به من جرائم في حق المسلمين والعرب من أهلها. وفيها أيضا تفسير لما تقوم به

---

[1] أنظر ٢. ٣. ٢. ٤.

الولايات المتحدة الأمريكية من مساندة للصهاينة في اعتداءاتهم على المسلمين العرب، وفرض الحصار الاقتصادي على المسلمين، وشن الحملات الإعلامية المغرضة على الإسلام، ووصف الإعلام الغربي المسلمين بالإرهاب والأصولية والتطرف. وذلك لأن هذه النبوءات لم تجعل للعرب أي قيمة إنسانية لدى أتباع اليهودية والنصرانية على حد سواء. ومع ذلك يريد منا النصارى الغربيون أن نعتنق معتقدهم وأن نتبع ديانتهم!

ألا تخجل النصرانية، التي تدعي أنها دين سلام، من وجود أمثال هذه القواعد المدمرة في مصادرها التشريعية؟ ألا يخجل النصارى من استشهادهم بمثل هذه العبارات التي تقود إلى الدمار والحرب والسيطرة بالباطل على حياة الناس وممتلكاتهم؟ هل يدخل في عقل أي عاقل أن الرب الذي خلق الناس اختار لهم الحرب والعداوة في الدنيا؟ وهل يتوقع منا المنصرون أن نقبل الدخول في دينهم، وهو يخبرنا بواسطة نبوءاته- المقدسة!- أننا أعداء لكل أحد، وأن كل أحد عدو لنا، وأن أملاكنا حق مباح لليهود في "أورشليم"؟ أين هذه النبوءات العدوانية من تعاليم الإسلام الحضارية التي تدعو إلى بناء حضارة إنسانية قائمة على التفاهم والاحترام المشترك. أين هذه الديانات الباطلة من دين الله سبحانه وتعالى الذي يخاطب البشرية بقوله: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوباً وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾[1]. نعم شعوبا وقبائل؛ لتتعارف، وليس لتكون يدها على كل أحد، ويد كل أحد عليها كما تدعي خرافات العهد القديم.

وبالإضافة إلى ذلك، فقد فشلت النصرانية في البروز كدين حضاري يتوافق مع متطلبات الشخصية الإنسانية. فالنصرانية لم تمس في الإنسان إلا بعض جزئياته، ولم تنظر إلى المجتمع إلا من بعض زواياه. لذا فقد كانت استجابة الإنسان إلى نداء النصرانية في جميع العصور والأماكن جزئية. ففي أوربا فُرضت النصرانية أولا على

---

[1] سورة الحجرات، الآية ١٣.

الناس بحد السيف، ثم سجنتهم ردحا من الزمن بقيود أحكامها القاهرة. وعندما أرادت أوربا الخروج من ظلمات قرونها الوسطى ثارت أولا على الكنيسة. وكانت النتيجة أن أخرج الأوربيون الكنيسة من كل شيء في حياتهم، وأصبحت معظم المجتمعات الأوربية لا علاقة لها بمفهوم الدين، بل أصبح الدين مرتبطا في العقلية الغربية بالكنيسة القاهرة الظالمة المسيطرة. وفي إفريقيا التي غرتها الكنيسة الأوربية بالخبز والخداع يعيش الأفريقي المسكين ضحية ثقته بالمنصر القادم من الغرب. وفي أمريكا الوسطى والجنوبية يدفع الناس ثمن تصديقهم لشعارات الكنيسة بالخلاص والحرية. لذا كان في عمان استجابة العمانيين بقدر طبيعة الدعوة الموجهة إليهم. أو بعبارة أكثر صراحة، لم يجد العماني في نداء المنصر دينا يترك من أجله الإسلام فتمسك بإسلامه، وخرج المنصر الغربي المغرور بسراب أوهامه من عمان يقول "قلب المسلم من حجر"!.

وأود أن أختتم هذا النقاش حول سبب فشل العملية التنصيرية في عمان بكلام لسماحة الشيخ أحمد بن حمد الخليلي- حفظه الله- قال سماحته: "سببها لأن هذه الحملة نفسها متصادمة مع دلائل العقل، ومع سلامة الفطرة، ومع البصيرة الواعية، فضلا عن كونها ليست إلا من أجل أغراض دنيئة لا يراد بها شيء من إبراز الحقائق الكونية، ولا يراد بها تقديم خدمة للإنسانية بخلاف دعوة الإسلام. ومن أدلة ذلك ما يقوله القس زويمر "إن مهمة التبشير التي ندبتكم من أجلها الدول المسيحية للقيام بها في البلاد المحمدية ليست لتنصير المسلمين، فإن في ذلك هداية لهم وتكريما، وإنما هي في إخراج المسلم من الإسلام، وجعله مخلوقا لا صلة له بالله، وبالتالي لا صلة له بالأخلاق التي تعتمد عليها الأمم في حياتها. وبهذا تكونون بعملكم هذا طليعة الفتح الاستعماري في الممالك الإسلامية"، إلى آخر ما قاله. بينما دعوة الإسلام على خلاف ذلك. فدعوة الإسلام يجسدها قول ربعي بن عامر "إن الله قد ابتعثنا لنخرج من شاء من عبادة العباد إلى عبادة الله ومن جور الأديان إلى عدل الإسلام ومن ضيق الدنيا إلى سعة الدنيا والآخرة". هذا هو الفارق

بين الأمرين. أما كون هذا المرتد يخشى أن يطبق عليه حكم الردة فكثيرا ما وقعت هذه الحملات التنصيرية إبان انحسار إقامة الحدود الشرعية"[1].

٣. ١. ٥. ملخص

هدفت الحملة التنصيرية التي قامت بها الإرسالية العربية في عمان إلى تحويل الشعب العماني المسلم من الإسلام إلى النصرانية، وإنشاء حكومة نصرانية تحكم بمشرعات الديانة النصرانية. ويدعي المنصرون أن حملتهم قد نجحت في تحويل عدد من الرجال والنساء إلى النصرانية، ونجحت كذلك في إنشاء كنيسة محلية في مطرح. إلا أن تلك الدعوى تفتقر إلى الأرقام والإحصائيات والتواريخ، فضلا عن الأسماء. وبعد التغير السياسي الذي حدث في البلاد في ١٣٩٠هـ/١٩٧٠م قطع كل الذين اجتذبتهم الإرسالية العربية خلال فترة نشاطها الصلة بها. وقَدَّم المنصرون العديد من التفسيرات للصعوبة التي واجهوها في إقناع العمانيين بالدخول في النصرانية، ولرجوع من يدعون تنصرهم إلى الإسلام مرة أخرى بعد عام ١٣٩٠هـ/١٩٧٠م. وقد وجه المنصرون اللوم إلى الإسلام، وحملوا الفرد المسلم والمجتمع بشكل عام القدر نفسه من المسؤولية في فشل حملتهم التنصيرية. وفي واقع الأمر فإن للتصورات الخاطئة التي حملها المنصرون عن الإسلام والمسلمين، والتأويلات غير الصائبة التي فسروا بها سلوك المسلم غير المتفق مع تصوراتهم دورا كبيرا في ذلك الفشل. ومن وجهة نظرنا فإن المسلمين في عمان قد أعرضوا عن النصرانية بسبب عجزها عن الاستجابة الكاملة لمتطلبات الشخصية الإنسانية، وعدم مقدرتها على الوفاء بشروط الحضارة الإنسانية التي يجب أن تكون من أهم مقومات أي ديانة إلهية. فكانت استجابة العمانيين إلى المنصرين استجابة

[1] من مقابلة شخصية مع سماحة الشيخ يوم السبت ٢٩ ربيع الثاني ١٤٢٢هـ الموافق ٢١ يوليو ٢٠٠١م، وهي محفوظة ضمن الوثائق الخاصة بالمؤلف.

صحيحة وطبيعة تتفق مع المنطق والعقل. وهكذا كان الإسلام هو البديل الصحيح والمناسب للمجتمع العماني المسلم.

٣. ٢. التنصير والنفوذ البريطاني في عمان

نظر المنصرون، ابتداء من الجنرال هيج الذي هو أول من طالب الكنيسة الغربية بتنصير عمان وشبه الجزيرة العربية إلى الإكزندر ماكاي صاحب النداء الشهير الذي بعثه من المستنقع الأوغندي، فصاويل زويمر مؤسس الإرسالية العربية ومهندس نشاطها التنصيري في عمان والخليج العربي، وبتر زويمر مؤسس مركز الإرسالية العربية في مسقط، وغيرهم، نظر هؤلاء إلى النفوذ البريطاني في عمان على أنه من العوامل المهمة– إن لم يكن أهمها– في إنجاح العملية التنصيرية في هذا القطر الإسلامي العريق[1]. والسؤال الذي يطرح نفسه في هذا المقام هو، ما حقيقة النفوذ السياسي البريطاني في عمان الذي علق عليه المنصرون آمالهم وطموحاتهم؟ وهل حقق ذلك النفوذ خطط المنصرين في عمان، أم كان عائقا لهم؟

٣. ٢. ١. حقيقة النفوذ البريطاني في عمان

جاءت بريطانيا إلى الشرق كقوة استعمارية تنافس القوى الاستعمارية الغربية الأخرى، مثل البرتغال وهولندا واسبانيا وفرنسا وروسيا وألمانيا وإيطاليا، الفوز بثروات العالم، والسيطرة على طرق التجارة العالمية. وانطبعت علاقة بريطانيا بعمان بالروح الإمبريالية التي كانت آنذاك تسود علاقة الدول الغربية ببعضها وببقية دول العالم. وكُتب على عمان أن تعيش ردحا من الزمن ضحية الهيمنة الإنجليزية الاستعمارية، وهو ما يطلق عليه المنصرون في كتاباتهم "النفوذ البريطاني في عمان".

فقد بدأت علاقة بريطانيا بمنطقة الخليج في الوقت الذي كانت تقع فيه عمان تحت الاستعمار البرتغالي. وما أن تحررت عمان من قبضة ذلك الاستعمار في عهد الدولة اليعربية وأصبحت قوة إقليمية ذات وجود بارز حتى نظرت إليها بريطانيا

---

[1] أنظر ١. ٢. و١. ٣. و٢. ٢. ٢.

على أنها قوة منافسة يجب التخلص منها. فقد كتب السيد فرانسس واردن (Mr. Frances Warden) أحد أعضاء مجلس بومبي مشيرا إلى الموقف البريطاني من عمان، قائلا: "ربما تعود هيمنة عرب مسقط على مياه الخليج الفارسي ابتداء من عام ٩٥-١٦٩٤ وذلك عندما أصبحوا قوة ضاربة أثارت الإنذار بخطر سيطرتها على الخليج الفارسي. لقد أصبحت الملاحة في الخليج صعبة في العام التالي بسبب تصاعد قوتهم، وهو ما جعل ممثلنا في جمبرون (Gombroon) يتنبأ قائلا "سيثبتون أنهم بلاء عظيم على الهند كما كان الجزائريون على أوربا"[١].

وبالرغم من أن أول معاهدة تجارية بين عمان وبريطانيا كانت قد وقعت في ذي القعدة ١٠٥٥هـ/فبراير ١٦٤٦م في عهد الإمام ناصر بن مرشد مؤسس الدولة اليعربية[٢]، إلا أن بريطانيا لم تستشعر أهمية الجانب العربي من الخليج إلا حول نهاية القرن الثامن عشر[٣]. فإلى ذلك الحين كانت فارس هي اللاعب الإقليمي في جذب اهتمامات بريطانيا. فقد أقامت بريطانيا علاقات مع الدولة الفارسية تحولت من مجرد اتصالات فردية في البداية إلى إصدار الشاه في ١٦١٧م فرمانا بتعيين سفير لبريطانيا في إيران ثم قيام تحالف متين بين البلدين توج بحصول شركة الهند الشرقية البريطانية في ١٦١٨م على امتياز لشراء كل أنواع الحرير الفارسي، ثم بتحالف عسكري فارسي إنجليزي لإخراج البرتغاليين من هرمز في ٢٣ أبريل ١٦٢٢م. وشكلت بندر عباس التي أسسها الشاه عباس في ١٦١٠م، نتيجة لوقوعها على مدخل الخليج همزة وصل، ومركز توقف رئيس للسفن المبحرة بين العراق ومنطقة شرق إفريقيا والهند وشرق آسيا. واجتذبت فارس إلى جانب الإنجليز الهولنديين ثم بعد ذلك الفرنسيين. وكان على بريطانيا في جميع الأحوال العمل على إزالة خصومها الأوربيين من خريطة التنافس في الخليج. وقد تمكنت في

---

[١] Warden, Francis in Thomas, Hughes (ed) (1985)، ص ١٦٨.

[٢] Skeet, Ian (1975)

[٣] Landen, Robert Geran (1967)

١٦٨٨م من انتزاع السيطرة على مضيق هرمز من منافسيها الجدد الهولنديين واقتلعوهم منه نهائيا في ١٧٩٨م[١]. أما التنافس بين بريطانيا وفرنسا في المنطقة فقد استمر فترة أطول، ليلقي بعد ذلك بظلاله على الساحة العمانية، ويصبح مدخلا للنفوذ الاستعماري البريطاني في عمان.

وكانت العلاقة الفرنسية العمانية المتنامية، وظهور عمان كمركز اقتصادي ذي ثقل إقليمي يعَّد من أهم الأسباب التي دعت بريطانيا إلى زيادة اهتمامها بعمان مع نهاية القرن الثامن عشر[٢]. فعلى الصعيد الأول، تعود الاتصالات بين عمان وفرنسا إلى ما قبل القرن الثامن عشر الميلادي، إذ كانت عمان الممول الرئيس لجزيرتي موريشوس والريونيون الفرنسيتين الواقعتين في الزاوية الجنوبية للمحيط الهندي بالمؤن. ومع تولي الإمام أحمد بن سعيد (١٧٤٩–١٧٨٣م) الحكم في عمان وطد علاقته التجارية والدبلوماسية مع فرنسا. ففي المحيط الهندي، كما يقول حسين غباش "لعب الإمام الورقة الفرنسية، لا سيما في علاقته مع جزيرة موريس (Maurice)، جزيرة فرنسا (Ile de France) سابقا، وجزيرة الريونيون (Reunion) جزيرة بوربون (Bourbon) سابقا، ومع الهند، وعلى الأخص مع تيبو (Tibu) زعيم منطقة ميسور (Mysore) خصم بريطانيا الشهير"[٣]. وقد نظرت بريطانيا إلى تقارب عمان مع خصمها اللدود فرنسا بعين الحذر، حيث كانت سياسة بريطانيا في منطقة الخليج في نهاية القرن الثامن عشر تتمحور حول مراقبة علاقة فرنسا بدول هذه المنطقة وعرقلتها من أجل الحيلولة دون وصول بونابرت إلى الهند. يقول فرانسس وارن "لقد كانت سياستنا في تلك الفترة [١٧٨٣– ١٧٩٧] موجهة بشكل نشط نحو إبطال مكائد بونابرت في فارس والخليج من أجل القضاء على نظرته إلى الهند، وقد حامت الشكوك بأن حكومة مسقط ميالة للتحالف مع

---

[١] لوريمر، جي جي (١٩١٥) ج ١.

[٢] Risso, Patricia (1986)

[٣] غباش، حسين عبيد غانم (١٩٩٧)، ص ١٣٢.

فرنسا وليس مع بريطانيا، فالعلاقة التجارية التي يقوم بها الإمام مع موريشوس تجعله في حالة اتصال مباشر مع فرنسا"[1].

وذهب الإمام أحمد بن سعيد إلى أكثر من ذلك في إقامة العلاقات مع خصوم بريطانيا التقليدين. فقد تحالف الإمام أحمد مع السلطان العثماني في حربه مع فارس، حليف الإنجليز، أثناء فرض الأخيرة حصارا على البصرة (١٧٧٥-١٧٧٦م). حيث أرسل الإمام قوة بحرية تتكون من عشر سفن حربية تقل عشرة آلاف جندي يقودها ابنه هلال تمكنت من رفع الحصار عن البصرة. الأمر الذي وطد علاقة عمان بالدولة العثمانية أحد خصوم الإنجليز في المنطقة. كما حظيت علاقة عمان بميسور في الهند بمكانة خاصة توجت بتقديم الإمام أحمد السفينة الرحماني التي خاضت معركة شط العرب ضد الفرس هدية للسلطان تيبو. واتخذت ميسور مركزا لمثلها السياسي في عمان سمي "بيت النواب"[2].

ويمكن أن يضاف عامل آخر إلى أسباب اهتمام بريطانيا بالجانب العربي من الخليج. فقد عانت الوكالات التجارية الإنجليزية في فارس من خسائر مادية كبيرة؛ نتيجة شروع موظفي الشركة العاملين هناك في معاملات تجارية شخصية سواء بأسمائهم، أو تحت المسمى الرسمي للشركة، مما أضر بمصالحها في فارس، ودعاها إلى البحث عن مواقع بديلة. كما كانت مصالحها في بغداد تعاني من هزات متتالية نتيجة عدم الاستقرار السياسي التي تعانيه الإمبراطورية العثمانية.

وفي ضوء تلك الأحداث كانت بريطانيا تنتهز الفرصة للقضاء على قوة عمان الإقليمية بل والدولية. وقد هيأت الأحداث على الساحة العمانية الداخلية التي تلت وفاة الإمام أحمد بن سعيد في ١٧٨٣م الفرص المناسبة لبريطانيا؛ لتلعب دورها المنتظر الذي لم تتمكن منه أثناء حياة الإمام. فقد اتسمت الفترة التي تلت وفاة الإمام بصراع على السلطة في أروقة القصر، بل بدأ الصراع فعليا قبل وفاة الأمام

---

[1] Warden, Francis in Thomas, Hughes (ed) (1985)، ص ١٧٢.

[2] غباش، حسين عبيد غانم (١٩٩٧)

بفترة عندما ثار عليه أكثر من مرة ولداه سلطان وسيف[١]. وقد عمل الإمام أحمد أثناء حياته على النأي بنظام الحكم بعيدا عن نظام الشورى الإسلامي المعهود في عمان القائم على الانتخاب الدستوري للحاكم، وذلك بإعلانه المتكرر لتفضيل ابنه الرابع سعيد ليكون وليا لعهده. إلا أن تفضيل أحمد لابنه سعيد لم يجعل أمر خلافته محسوما بشكل قاطع بين أبنائه المتنافسين على كرسي العرش. وفعلا كان سعيد (١٧٨٣– ١٧٨٤م)، رغم أنه لم يكن رجل دولة، هو وريث عرش أبيه. إلا أنه ما كادت تمضي سنة واحدة على حكمه حتى ثار عليه اخوته قيس وسلطان ومحمد وسيف لينصبوا في محله أخاه قيسا. وفي تلك الاثناء أعلن ابنه حمد (١٧٨٤–١٧٩٢م) نفسه حاكما بدل أبيه واستولى على مسقط[٢]. ظل سعيد في الرستاق يحمل لقب إمام في حين استمر ابنه حمد في مسقط، وهو وضع يفهم منه أن سعيدا لم يتخل عن منصبه كإمام، بل تنازل فقط عن السلطة السياسية لابنه حمد[٣]. وهذا الوضع كان له نتائج ترتبت عليه عند وفاة حمد في ١٧٩٢م وكان من ضمنها نشوب النزاع على السلطة بين سعيد الإمام السابق وأخويه قيس وسلطان. انتهى ذلك الصراع باتفاق بين الاخوة الثلاثة على تقاسم عمان فيما بينهم. فبقي سعيد الإمام الرسمي في الرستاق، بينما استولى سلطان على مقاليد السلطة في مسقط (١٧٩٢–١٨٠٤م) التي كانت قد حُولت إلى عاصمة في عهد السلطان المتوفى، حمد، أما قيس فاتخذ صحار مقرا لسلطته[٤].

لم يكن هذا الاتفاق بداية لفصل بنية عمان إلى سلطتين دينية وسياسية، أو تقسيم اجتماعي وطبوغرافي لها إلى عمان الداخل وعمان الساحل، أو مسقط وعمان فحسب، بل كان بداية تحويل نظام الحكم في عمان من نظام المؤسسة إلى الفردية الدكتاتورية وإيذانا بنقل صياغة القرارات الحاسمة والمصيرية من المجالس الشورية

---

[١] Wilkinson, John C (1987)

[٢] Wilkinson, John C (1987)

[٣] غباش، حسين عبيد غانم (١٩٩٧)

[٤] Peterson, J E (1978)

إلى سلطة فردية، واجتهادات شخصية. وكان في ذلك بداية حقيقية لأن يصبح مصير عمان يتحدد بقرارات ارتجالية يتخذها فرد واحد ليس له ما يؤهله لذلك سواء تربعه على عرش سلطة ورثه ممن سلفه، وهذا ما حدث ابتداء من حقبة الحاكم الجديد سلطان بن أحمد.

لقد شهد عصر السيد سلطان بن أحمد توقيع أول اتفاقية فتحت للإنجليز بابا واسعا لفرض سيطرتهم الاستعمارية على عمان. فقد وقع السيد سلطان في جمادى الأولى ١٢١٣هـ/١٢ أكتوبر ١٧٩٨م معاهدة مع مهدي علي خان ممثل شركة الهند الشرقية في بوشهر، الذي عُين في ذلك المنصب خصيصا من أجل العمل ضد النفوذ الفرنسي في عمان وإيران[١]. وفتحت تلك الاتفاقية ثغرة لبريطانيا للتدخل المباشر في شؤون عمان، وصفها دنكان حاكم الهند في رسالة بعث بها إلى ويلسلي الحاكم العام للهند بقوله "لقد حصل مهدي علي خان بهذا الاتفاق على أكثر مما كنا نأمله"[٢].

اشتملت معاهدة ١٢١٣هـ/١٧٩٨م على سبعة بنود، نص البند الأول على تعهد سلطان بعدم مخالفة نصوص تلك الاتفاقية. ونص البند الثاني على إنشاء صداقة مع بريطانيا، وأن أي صديق لبريطانيا صديق لسلطان، وأي عدو لها عدو له. ونص البند الثالث على عدم سماح سلطان للفرنسيين والهولنديين باستخدام أراضي مملكته ما دامت الحرب بينهم وبين شركة الهند الشرقية قائمة. ونص البند الرابع على قيام سلطان بتسريح الطبيب الفرنسي الذي كان يعمل لديه لعدة سنوات ويأمره بمغادرة البلد بمجرد عودته من الرحلة التي كان يقوم بها أثناء توقيع تلك الاتفاقية لصالح سلطان إلى موروشيس. ونص البند الخامس على عدم السماح للسفن الفرنسية بالرسو في مياه مسقط التي يسمح للسفن الإنجليزية بدخولها. وفي حال اندلاع حرب بين السفن الإنجليزية والفرنسية في المياه الإقليمية

---

[١] لوريمر، جي جي (١٩١٥) ج ١.

[٢] العقاد صلاح، في غباش، حسين عبيد غانم (١٩٩٧)، ص ١٤٧.

لمسقط يسخر الإمام قوات بلده البحرية والبرية ويسخر شعبه للحرب مع السفن البريطانية، لكن ليس عليه شيء إن وقعت تلك الحرب في أعالي البحار. ونص البند السادس على أنه في حال تحطم أي سفينة بريطانية فإن سلطان يقدم المساعدة لإنقاذها، ولا تصادر محتوياتها. ونص البند السابع على أن سلطان لا يعترض إن أرادت بريطانيا بناء مصنع في بندر عباس، وإن أرادت وضع مدافع هناك وإنشاء حامية[1]. ولتأكيد عدم تنصل سلطان عن بنود هذه الاتفاقية قام القبطان جون مالكولم (John Malclolm) مبعوث الحاكم العام للهند في ٢١ شعبان ١٢١٣هـ الموافق ١٨ يناير ١٨٠٠م بتوقيع معاهدة أخرى مع سلطان تؤكد على أن الاتفاقية التي وقعت مع علي خان ثابتة. كما نصت المعاهدة الجديدة على تعيين مقيم دائم للحاكم العام في الهند في مسقط، وأن العلاقة بين عمان وبريطانيا لا تتغير إلى آخر الدهر، وحتى تنتهي الشمس والقمر من الدوران. وصادق الحاكم العام للهند على هذا الاتفاق الأخير في ٢٦ إبريل عام ١٨٠٠م[2].

كان هدف بريطانيا الأساسي من هذه الاتفاقية وضع نهاية للعلاقة العمانية الفرنسية التقليدية. وقد سهرت بريطانيا بعد توقيع تلك الاتفاقية على التأكد من تنفيذ مسقط لبنودها. تقول باتريشا ريسو (Patricia Risso) "كان الإنجليز معاندين لوجود أي رجل فرنسي في مسقط، ولأي سبب كان"[3]. وهكذا تخلص السيد سلطان من طبيبه الفرنسي، ووجه طلبا إلى الحكومة الإنجليزية في الهند بواسطة دلال شركة الهند الشرقية في مسقط فشنو داس (Vishnu Das) للحصول على طبيب انجليزي. وقد بادرت الهند بالاستجابة الفورية لهذا الطلب، وقررت أن يعمل الطبيب المعين أيضا كمقيم سياسي لبريطانيا في مسقط. وبتعيين الجراح آرتشبالد بوجل (Artichbald Bogle) في شعبان ١٢١٤هـ/يناير ١٨٠٠م طبيبا

---

[1] غباش، حسين عبيد غانم (١٩٩٧)

[2] Skeet, Ian (1974).

[3] Risso, Patricia (1986)، ص ١٥٠.

خاصا للسيد سلطان بن أحمد وجدت بريطانيا موضع أول خطوة لها في بلاط الحكم في مسقط. وأثناء سنة الخدمة الوحيدة التي قضاها بوجل في مسقط، وقبل أن يتوفى في ١٢١٤هـ/١٨٠١م أرسل إلى بومبي مطالبا بتعويض سلطان بعشرة جنود بدل الجنود الفرنسيين الذين كانوا يعملون في جيشه وتم تسريحهم تنفيذا للاتفاقية مع الإنجليز. كما طالب بوجل أن ترسل شركة الهند الشرقية بعض السلع المتكونة من الملابس والحديد والرصاص والقصدير للمتاجرة بها مع التجار العمانيين. إلا أن حكومة الهند التي لم يكن هدفها إقامة علاقات تجارية مع مسقط لم ترسل الجنود ولا السلع، وطالبت بوجل بمواصلة مهمته في مراقبة تحركات السفن في ميناء مسقط، والتأكد من عدم وجود عناصر فرنسية أو هولندية في البلد[1].

إثر وفاة بوجل عينت بريطانيا ديفد سيتون (David Seton) وكيلا سياسيا، وأرسلت معه طبيبا خاصا للسيد سلطان. وصل ديفد سيتون مسقط وبصحبته الطبيب وخدم وحراس يصل عددهم إلى خمسة وثلاثين فردا الأمر الذي أثار شيئا من الاعتراض في البداية على موضوع استقبالهم في مسقط، لكن فيما بعد حلت المشكلة بطريقة مرضية للطرفين بقي فيها السيد سيتون وكيلا سياسيا. وواصل سيتون مهمة تزويد بومبي بالمعلومات المطلوبة عن علاقة عمان الدولية، وأنشطتها البحرية والعسكرية. وبقيت العلاقة بين مسقط وبومبي في تلك الفترة بدون تتطور على الصعيد الاقتصادي أو العسكري.

بعد ذلك بدأ سلطان يشعر بأن علاقته مع الإنجليز لم تكن لصالحه بل أصبحت تهدد مصالحه العسكرية والاقتصادية. فبريطانيا لم تعوضه عن الجنود الفرنسيين الذين سرحهم، وقد أضعف ذلك من مقدرته على مواجهة خصومه العتوب والوهابيين الذين أصبحوا يهددون مملكته. فأرسل سلطان مبعوثا خاصا إلى ماجالون (Magallon) حاكم جزيرة فرنسا يشتكي من الصعوبات التي تواجهها مسقط مع الإنجليز. وعرض سلطان في رسالته استعداد مسقط لاستقبال مقيم فرنسي

[1] Risso, Patricia (1986)

فيها. وكان سلطان بالتأكيد يريد بذلك موازنة نفوذ القوى الغربية في عاصمته حتى تستعيد مسقط حيادها في صراع القوى[1].

وفعلا عين القنصل الأول الفرنسي كافانياك (Cavaignac) قنصلا لفرنسا للإقامة في مسقط، وأرسل معه موظفا خاصا ليكتب تقريرا عسكريا عن عمان. إلا انه عندما وصل المبعوث الفرنسي مسقط في ١٢١٧هـ/١٨٠٣م وجد أن موقف العمانيين قد تغير تجاههم ولم تعد مسقط راغبة في الوصول بعلاقتها مع فرنسا إلى مستوى تواجد قنصل فرنسي مقيم فيها، وقد اعتذر السيد سلطان عن استقبال المبعوث الفرنسي. وكان التبرير الذي قدم لذلك هو أنه كان لمسقط في تلك الفترة عشرين سفينة كبيرة في المناطق التي يسيطر عليها الإنجليز في المحيط الهندي؛ لذا فإن سلطان لا يستطيع التضحية بتلك السفن مقابل قبول إقامة مقيم فرنسي في مسقط. وهكذا عاد الوفد الفرنسي من مسقط، ولم تنجح عملية إنشاء علاقة توازن القوى في عمان. [2].

لقد نجحت اتفاقية ١٢١٣هـ/١٧٩٨م في إفشال إقامة أي تحالف عماني فرنسي، وكانت الخطوة التالية التي اتخذتها بريطانيا هي القضاء على عمان كقوة إقليمية من خلال محاربتها عسكريا وتجارياً. وكان لسقوط جزيرة فرنسا في أيدي الإنجليز في ديسمبر ١٨١٠م– أعيد تسميتها باسم جزيرة موريشوس– أثر في مَيَلان ميزان القوى في المحيط الهندي لصالح بريطانيا، وفرض هيمنتها على عمان ومنطقة الخليج[3].

فقد شرعت بريطانيا منذ بداية القرن التاسع عشر التدخل العسكري المباشر في شؤون منطقة الخليج العربي. وتوج ذلك التدخل بتوقيع ما سمي بـ"المعاهدة العامة مع قبائل الخليج العربية" في ١٢٣٦هـ/١٨٢٠م التي وقعها شيوخ القبائل القاطنة

---

[1] غباش، حسين عبيد غانم (١٩٩٧)

[2] Risso, Patricia (1986)

[3] غباش، حسين عبيد غانم (١٩٩٧)

في المنطقة الواقعة شمال غرب عمان فيما يعرف تاريخيا باسم جلفار أو ساحل عمان. والمهم في هذه المعاهدة أنها أعطت الصلاحية لبريطانيا أن تصبح السلطة التشريعية والتنفيذية العليا في المنطقة. فأصبح لبريطانيا حق مراقبة السفن التجارية في منطقة الخليج، وحق التدخل في الشؤون الداخلية للقبائل من أجل حل الخلافات الناشئة بينها. كما همشت علاقة مسقط التاريخية بهذه المنطقة. وأدى هذا كله في النهاية إلى انهيار الاقتصاد المحلي في منطقة الخليج، وتكريس الوضع القبلي المتبعثر، وسد السبل أمام أي مشروع للوحدة الوطنية ولم شتات التجمعات القبلية الصغيرة في إطار مركزي موحد. واتبعت بريطانيا هذه المعاهدة بتوقيع ما سمي "الهدنة الدائمة" في ١٢٦٩هـ/ ١٨٥٣م ثم "التعهد المانع" في ١٣١٠هـ/ ١٨٩٢م، وهذا الأخير ينص على منع الشيوخ من أن يتخلوا أو يبيعوا أو يرهنوا أراضيهم أو يتركوها تحتل من طرف غير الحكومة البريطانية، وأن يلتزم الشيوخ هم وورثتهم وخلفاؤهم بهذا التعهد. كما يتعهد الشيوخ بأن يصبح أصدقاء الإنجليز منذ ذلك الحين أصدقاء الشيوخ، وأعداء الإنجليز أعداء الشيوخ. وتتعهد بريطانيا بحماية الشيوخ من كل تدخل أجنبي[١].

وبعد ذلك تعاظم نشاط بريطانيا العسكري في عمان. فقامت في جمادى الأولى ١٢٣٦هـ/فبراير ١٨٢١م بشن حملة عسكرية بالتعاون مع السلطان سعيد بن سلطان (١٨٠٦-١٨٥٦م) على منطقة جعلان بالجزء الشرقي من عمان أطلق عليها "الحملة التأديبية"[٢].

كما وجدت بريطانيا في موضوع تجارة الرقيق مدخلا آخر لفرض هيمنتها على عمان. فوقعت مع السلطان سعيد بن سلطان في ١٢٣٥هـ/١٨٢٠م تعهدا تعتبر بموجبه تجارة الرقيق من أفعال القرصنة. وفي ١٢٣٧هـ/١٨٢٢م وقعت معه تعهدا ثانيا يمنع تصدير الرقيق إلى كل الممتلكات البريطانية أو الأوربية ومنع نقلهم على

---

[١] لوريمر، جي جي، (١٩١٥) ج ١.

[٢] لوريمر، جي جي (١٩١٥) ج ١.

سفن عربية إلى ممتلكات أوربية. وقد سخرت بريطانيا أسطولها البحري لمراقبة تنفيذ تلك التعهدات. وأتاح لها هذا الإجراء الفرصة لممارسة الضغوط على السفن التجارية العربية العاملة في المحيط الهندي؛ وهو ما هدد الوضع التجاري والاقتصادي في المنطقة بشكل مخيف. فقد لجأت السفن البريطانية إلى أعمال بوليسية من تفتيش للسفن العربية ليست تلك التي تحمل عبيدا فحسب، بل حتى التجارية منها واحتجازها ومصادرة حمولاتها وحتى إحراقها. فبلغ عدد السفن العربية التي دمرتها بريطانيا بهذه الحجة في عامي ١٢٨٤- ١٢٨٥هـ/١٨٦٨-١٨٦٩م فقط ٧١ سفينة. ووجدت بريطانيا في موضوع تجارة الرقيق سبيلا لفرض هيمنتها على شرق إفريقيا، ومدخلا لضرب الآلة الاقتصادية العمانية هناك[1].

كما وجدت بريطانيا في تجارة الأسلحة مدخلا آخر لممارسة نفوذها الاستعماري في عمان. فكان الإنجليز يعدّون مسقط أحد المراكز النشطة في مجال تجارة الأسلحة في المنطقة. فأجبرت مسقط على توقيع عدد من التعهدات التي تمنع المتاجرة في الأسلحة. وعمدت بريطانيا إلى ذلك بالرغم من أنها نفسها كانت المصدر الرئيس للأسلحة إلى عمان. فقد بلغت قيمة صادرتها المسجلة من الأسلحة إلى مسقط بين ١٣١٣- ١٣١٠هـ/١٨٩٦- ١٩١٢م ٨٤٩,٦٥٠ جنيها إسترلينيا، مقارنة بفرنسا التي بلغت قيمة صادراتها لنفس الفترة ٢٣٢,٢٥٠ جنيها إسترلينيا. ولتنفيذ هذه الخطة طالبت بريطانيا السلطان فيصل بتوقيع اتفاقيات يمنع بموجبها تجارة الأسلحة المصدرة إلى ممتلكاته. فوقع السلطان في ١٣٠٨هـ/١٨٩١م تعهدا يمنع بموجبه تصدير الأسلحة إلى جواذر. ثم في رمضان ١٣١٥هـ/يناير ١٨٩٨م وقع اتفاقية أخرى يخول بموجبها السفن البريطانية توقيف السفن العمانية المبحرة في الخليج والمحيط الهندي وتفتيشها للاشتباه في متاجرتها بالأسلحة. فكان هذا الاتفاق بداية لحقبة طويلة أخرى من عمليات التوقيف والتفتيش والمصادرة للسفن العمانية المبحرة في المياه الدولية من قبل الإنجليز. وكانت السفينة "بلوشستان"

[1] غباش، حسين عبيد غانم (١٩٩٧)

التي تحمل شحنة من الأسلحة البريطانية المتوجه إلى مسقط أول سفينة تُلقي السلطات البريطانية القبض عليها حيث صودرت منها خمسمائة حقيبة من الذخيرة[1].

قرر السلطان سعيد بن سلطان في ١٢٥٥هـ/١٨٤٠م بناء على نصيحة الممثلين الفرنسيين نقل عاصمة دولته من مسقط إلى زنجبار؛ وذلك بقصد الابتعاد عن النفوذ الإنجليزي المباشر وليكون قريبا من أصدقائه الفرنسيين. فقد بدأت مسقط الشعور مرة أخرى بأنه لا مخرج من الهيمنة الإنجليزية عليها إلا بالعودة إلى معادلة علاقاتها مع دول التنافس الغربي. وكانت فرنسا هي محط أنظار السيد سعيد بن سلطان لتحقيق هذه الغاية لا سيما وأن فرنسا قد عادت إلى المحيط الهندي بعد أن استردت جزيرة بوربون (الريونيون) في ١٨١٤م. وبالفعل فقد وقع حاكم جزيرة بوربون في ١٨٢٨م قرارين للتفاهم التجاري مع سلطان عمان. وفي ذي القعدة ١٢٦٠هـ/١٧ نوفمبر ١٨٤٤م وقعت معاهدة عمانية فرنسية تنص الفقرة الخامسة منها على الحق المتبادل للطرفين المتعاقدين في تعيين قناصل ووكلاء في بلديهما، عينت على إثرها فرنسا وكلاء في كل من مسقط وزنجبار[2].

لم تنظر بريطانيا إلى هذا التقارب بين عمان وفرنسا بعين الارتياح. ولاستعادة سيطرتها على الموقف فقد وقعت بريطانيا اتفاقية ثالثة مع السلطان لمنع تجارة الرقيق في منطقة زنجبار وليس في عمان فقط هدفت منها إلى موازنة معاهدة عام ١٢٦٠هـ/١٨٤٤م مع فرنسا. ووُقع الاتفاق في شوال ١٢٦١هـ/٢ أكتوبر ١٨٤٥م، واحتوى على تعهد للإمام بمنع تصدير العبيد خارج ممتلكاته الإفريقية، وبمنع استيراد عبيد من أصل إفريقي إلى مملكته في آسيا، ونص البند الثالث على أن "تُمنح سفن صاحبة الجلالة البريطانية، وسفن حكومة الهند الحق في تفتيش كل السفن التي تمارس تجارة العبيد، سواء أكانت ملك سمو السلطان أم ملك

---

[1] Busch, Briton Cooper (1967)

[2] غباش، حسين عبيد غانم (١٩٩٧)

رعاياه..."[1]. أعطى هذا الاتفاق بريطانيا الحرية المطلقة في ممارسة نشاطها البوليسي في المحيط الهندي؛ فزاد في تدهور الوضع التجاري والاقتصادي في عمان.

خلقت وفاة السيد سعيد بن سلطان في ربيع الأول ١٢٧٣هـ/٣٠ أكتوبر ١٨٥٦م فرصة عظيمة لبريطانيا لزيادة هيمنتها ونفوذها الاستعماري في عمان. فقد أقام ماجد وهو أحد أبناء سعيد نفسه حاكما على زنجبار مدفوعا بدعم من بعض الوجهاء، الأمر الذي لم يرض ثويني (١٨٥٦-١٨٦٦م) الابن الآخر لسعيد الذي أعلن نفسه وريثا لمنصب السلطة في مسقط. وفشل الاتفاق الودي الذي توصل إليه بينهما محمد بن سالم على أن يدفع ماجد لثويني مبلغ ٤٠ ألف كورون، وهو المبلغ الذي كان أبوهما سعيد قد خصصه لمسقط. فدشن ثويني جيشا في ١٢٧٤هـ/١٨٥٧م مكونا من عشر سفن تحمل ألفين وخمسمائة جندي، إلا أن الأسطول الإنجليزي أوقفه قرب رأس الحد[2] وأمره بالعودة وتوقيع تعهد بأن لا يقوم بأي عمل ضد أخيه في زنجبار، وأن يقوم بتحكيم الحكومة البريطانية في خلافه مع أخيه، وأن يخضع لقرار الحكومة الإنجليزية في ذلك النزاع مهما كان ذلك القرار. وفي المقابل وقع ماجد على إقرار مشابه فوض فيه الحاكم العام في الهند حل النزاع مع أخيه، وتعهد بقبول الحكم مهما كان[3].

وهكذا وُضع مصير عمان مرة أخرى بقرارات فردية وارتجالية لأفراد لم يفكروا في أكثر من مصالحهم الشخصية في أيدي المستعمر الإنجليزي الذي أصدر بواسطة اللورد كاننج (Canning) في رمضان ١٢٧٧هـ/٢ أبريل ١٨٦١م قرارا بفصل زنجبار عن مسقط، واستقلالها التام عنها، على أن تدفع زنجبار لمسقط مبلغ ٤٠ الف إيكو سنويا (حوالي ٨٠ ألف روبية هندية)[4] دون أن يكون لذلك أي مضمون للارتباط أو التبعية. يقول حسين غباش في تعليقه على إثر هذا التحكيم "و إذا

---

[1] غباش، حسين عبيد غانم (١٩٩٧)، ص ٢٠٠.

[2] لوريمر جي جي (١٩١٥) ج ٢.

[3] غباش، حسين عبيد غانم (١٩٩٧)

[4] حولت هذه الأربعين ألف إيكو ابتداء من ١٨٧٣م إلى معونة تقدمها بريطانيا إلى حكومة مسقط.

كانت اتفاقية بركاء لعام ١٧٩٣م قد قسَّمت عمان ووضعت حداً لإمامتها الموحدة، فإن هذه الاتفاقية الأخيرة أزاحتها نهائيا عن المسرح السياسي، مدمرة موقع السلطنة القوي والنافذ. وهكذا ارتدت الدولة العمانية، وقد خنقتها الوصاية الاستعمارية بسبب وضعها الملتبس، دولةً مُستَعمَرَةً بصفة غير رسمية"[١].

وعلى كل حال، فعلى مستوى التدخل البريطاني فتح فصل زنجبار عن عمان أبوابا أوسع؛ لتمارس بريطانيا دورها الاستعماري في عمان. فلم يلق قرار التقسيم قبولا لدى العمانيين، ولا حتى لدى اخوة ماجد وثويني. ففي إفريقيا ثار برغش أخ ماجد على أخيه في ١٨٥٩م مدعوما من قبل قبائل الحرث والمساكرة والبراونة في إفريقيا. طلب ماجد النجدة من بريطانيا لوقف ثورة أخيه، مما أدى إلى إرسال برغش إلى الهند ونفي المساند الرئيس له عبدالله بن سالم البرواني إلى لامو[٢]. أما في عمان فقد ثار تركي على أخيه ثويني، وكان للإنجليز الفضل الكبير في إخماد ثورته. واستمر الوضع السياسي والأمني في عمان في التدهور، ولم تقف الثورات عند تركي، بل أطلق قيس بن عزان أحد أفراد الأسرة ثورة من الرستاق، كما ثارت قبيلة آل سعد في الباطنة. وفي ذلك الجو الثائر انتهز الوهابيون الفرصة لتحقيق مطامعهم، فغزوا عمان حتى وصلوا إلى صور[٣].

وفي نهاية العقد السابع من القرن الثامن عشر كان النفوذ الإنجليزي في عمان أمام تحد جديد لم يسبق له أن تعامل مع مثيل له. فقد تمكنت الحركة الأباضية في ١٢٨٥هـ/١٨٦٨م من بعث الإمامة مرة أخرى وتنصيبها الإمام عزان بن قيس البوسعيدي إماما على عمان[٤]، وخلال فترة قياسية للغاية استولت على العاصمة مسقط- جمادى الآخرة ١٢٨٦هـ/بداية أكتوبر ١٨٦٩م. لم تكن الثورة الجديدة موجهة ضد حكومة مسقط المستسلمة للمستعمر الإنجليزي فحسب، بل كانت

---

[١] غباش، حسين عبيد غانم (١٩٩٧)، ص ٢٠٦.

[٢] Wilkinson, John C (1987)

[٣] غباش، حسين عبيد غانم (١٩٩٧)

[٤] Wilkinson, John C (1987)

موجهة ضد الاستعمار الإنجليزي بأكمله. فقد تمحور برنامج الإمامة حول أربع نقاط. عنيت النقطة الأولى منها بالوضع الداخلي، والنقطة الثانية بتحرير منطقة البريمي من الاحتلال الوهابي، أما النقطتان الأخيرتان فكانتا حول السياسة البريطانية في عمان، على النحو التالي:

- "وضع حد للنفوذ البريطاني وسيطرته، والعمل على إلغاء الالتزامات والاتفاقات التي فُرضت على عمان خلال عهد السلطنة. وكذلك محاولة الحصول من بريطانيا على الاعتراف بإمامة عزان، مع إعادة تأكيد استقلال عمان وسيادتها دون تحفظ.
- استعادة زنجبار ومعالجة قضيتي جوادر وبندر عباس اللتين كانتا خاضعتين لعمان قبل الثورة"[1].

تمكن الإمام المنتخب عزان بن قيس (١٨٦٨-١٨٧١م)- رحمه الله- من تنفيذ النقطة الأولى والثانية من مشروع الإمامة. فقد توحدت عمان تحت مظلة الإمامة، وأُلغيت القوة القبلية، وتحقق السلام والاستقرار الداخليان. وتمكن أيضا في شوال ١٢٨٥هـ/١٨ يناير ١٨٦٩م وبعد أربعة أيام من القتال الشديد من تطهير البريمي من الغزو الوهابي. كما قام بزيارة لساحل عمان للتذكير بالروابط التاريخية، والمصالح المشتركة وقع أثناءها اتفاقية دفاع مشترك ضد الوهابيين مع زايد بن خليفة رئيس قبائل بني ياس في أبوظبي. وعين الإمام ولاة له في كل من جوادر وبندر عباس[2].

وفيما يتعلق بموضوع العلاقة مع بريطانيا، فقد تعامل الإمام مع هذه القضية كرجل دولة. فأرسل وفدا عمانيا إلى الهند هدفه دراسة مستقبل العلاقة العمانية البريطانية في ضوء الأوضاع الراهنة، ومحاولة الحصول على اعتراف من بريطانيا بالحكومة الجديدة. وبكل تأكيد، لم يحصل هذا الوفد على شيء إيجابي من

---

[1] غباش، حسين عبيد غانم (١٩٩٧)، ص ٢٢١.

[2] غباش، حسين عبيد غانم (١٩٩٧)

حكومة الهند. فلم تكن بريطانيا على استعداد للاعتراف بحكومة تريد أن تضع أهدافها الاستعمارية في المنطقة في خطر. وكانت بريطانيا ترى بأنها قادرة على خنق الإمامة سواء بفرض الحصار البحري عليها، أو إثارة القلاقل في كل من جواذر وبندر عباس. إلا أن الإمام تمكن من فرض نفسه على بريطانيا. فانتصارات الإمام على الساحة الداخلية هيأت عمان للبروز من جديد كقوة إقليمية صاعدة. كما أنه تمكن من الحصول على اعتراف الحكومة الفرنسية والهولندية بدولته. وأقلقت اتصالات الإمام مع الحكومتين الفرنسية والهولندية بريطانيا كثيرا؛ مما دفعها إلى إصدار الأوامر إلى الكولونيل لويس بيللي (Lewis Pelly) المقيم البريطاني في بغداد بالإسراع والاعتراف بدولة الإمامة[١].

وقبل أن يصل الاعتراف البريطاني إلى الإمام تمكن تركي بن سعيد (١٨٧١-١٨٨٨م) من إقناع الحكومة البريطانية بمقدرته على قلب حكومة الإمام عزان إن حصل على الدعم اللازم من بريطانيا. وقد وافقته بريطانيا على ذلك، إن هو تخلى عن أفكاره القديمة بمعارضة تقسيم عمان وزنجبار، وتخلى عن خططه بإعادة توحيد شقي الدولة العمانية. وكما يقول جون ولكنسون مؤلف كتاب "تقاليد الإمامة في عمان": "عمل الإنجليز كل ما استطاعوا لدعم المعارضين وإعادة الدمى التي تتبعهم"[٢]. وهكذا تهيأت الظروف لوأد مشروع الشعب العماني بالوحدة والاستقرار، وقُضي على الإمامة باستشهاد الإمام في شوال ١٢٨٧هـ/يناير ١٨٧١م، وبعد ذلك باستشهاد المحرك الروحي للإمامة الشيخ سعيد بن خلفان الخليلي- رحمه الله- الذي أُعلن موته في ذي القعدة ١٢٨٧هـ/١٦ فبراير ١٨٧١م. وهكذا كتب لعمان أن تعود مرة أخرى إلى الحرب الأهلية والتمزق، والاستعمار والنفوذ البريطاني الغاشم. ولكي تحمي السلطان الجديد من غضب الشعب، أعلنت بريطانيا حمايتها على

---

[١] غباش، حسين عبيد غانم (١٩٩٧)

[٢] Wilkinson, John C (1987)، ص ٢٣٧.

مدينتي مسقط ومطرح، ما دام السلطان تركي يتعهد بالحكم بطريقة تقبلها حكومة الهند[1].

خرجت بريطانيا من أحداث الثورة العمانية بتجربة واسعة، ستُحْسِنُ استخدامها في التطورات القادمة التي يمكن أن تعد صدى لدوي الأحداث السابقة على الساحة العمانية. فقد عمدت بريطانيا في ١٣٠٧هـ/١٨٩٠م إلى إعلان الحماية على سلطنة زنجبار، وهو تحويل رسمي لزنجبار إلى مستعمرة بريطانية. إن هذا الإجراء كفيل بأن يلجم أفواه العمانيين عن المطالبة بتوحيد شقي البلد بأي حال من الأحوال، لا سيما وأن السلطان تركي لم يقف عند تعهده بعدم السعي إلى لم شمل عمان وزنجبار. ففي ١٢٩٧هـ/١٨٨٠م اقترح تركي على برغش الذي خلف ماجد على كرسي العرش في زنجبار في ١٨٧٠م، أن يصبح برغش سلطانا لزنجبار وعمان معا. كما أن فيصل بن تركي (١٨٨٨ - ١٩١٣م) الذي خلف أباه على كرسي السلطنة في مسقط في ١٣٠٥هـ/١٨٨٨م كان رجلا وطنيا فلم يتوان عن التعبير عن نواياه في تكوين عمان موحدة ومستقلة في اتخاذ قراراتها، وإقامة علاقاتها الدولية. لذا بذل منذ أن تولى العرش جهودا في سبيل الاستقلال من التبعية لبريطانيا، فكان قراره الاستغناء عن خدمات سعيد بن محمد الموالي لبريطانيا والذي شغل منصب وزير لدى أبيه تركي وطرده من مسقط، أول إجراء له في هذا الشأن[2]. كما قام فيصل بعد ذلك باتصالات مع فرنسا، واستقبل في مسقط لأول مره في جمادى الآخرة ١٣١١هـ/سبتمبر ١٨٩٣م وفدا من روسيا وهي بلد معاد لبريطانيا، وحليف لفرنسا[3]. كما أن الشعب العماني لم تخمد في روحه شعلة الغيرة على بلده؛ إذ استمرت الثورات الشعبية قائمة ضد حكومة مسقط سقطت خلالها

---

[1] غباش، حسين عبيد غانم (١٩٩٧)، ص ٢٣٨.

[2] Landen, Robert Geran (1967)

[3] لوريمر، جي جي (١٩١٥) ج ٢.

مطرح عدة مرات في أيدي الثوار، وكادت تسقط كذلك في ١٢٩١هـ/١٨٧٤م في أيدي الثوار الذين قادهم صالح بن علي الحارثي[١].

وأمام هذه الأحداث المستجدة والملتهبة عمدت بريطانيا إلى اتخاذ إجراء آخر، من شأنه أن يمنع عمان من إقامة أي علاقة خارجية. لذا فقد أعدت الحكومة البريطانية في ١٣٠٨هـ/١٨٩١م تعهدا عرف بـ"التعهد المانع"[٢] فرضته على فيصل جاء فيه "...يتعهد السيد فيصل بن تركي بن سعيد سلطان مسقط وعمان، ويلزم نفسه وورثته ومن يخلفه بأن لا يتخلى أو يبيع أو يرهن أو يتنازل أو حتى يؤجر أراضي مسقط وعمان، أو أي من توابعهما إلا للحكومة البريطانية..."[٣]. لقد كان هذا تعهدا مصيريا لا يقل في أهميته من معاهدة عام ١٢١٣هـ/١٧٩٨م، أو قرار انفصال زنجبار في ١٢٧٧هـ/١٨٦١م. وعلق عليه الكاتب الإنجليزي بترسون (Peterson) بقوله: "بمصطلح هذه الاتفاقية اتخذ الإنجليز موقعا رسميا عاليا في عمان، وأصبحت عمان أقرب ما يمكن أن تصبح جزءا رسميا من الإمبراطورية البريطانية"[٤]. ولأن بريطانيا تعرف بأن القرارات المصيرية يتخذها شخص واحد فقط في النظام المسقطي؛ لذا فقد أحاطت حصولها على هذا التعهد بالسرية الكاملة، ولتمويهه وقعت مع السلطان في الوقت نفسه معاهدة تجارية أعلنت عنها رسميا[٥].

يعبر السيد أوتافي (Ottavi) نائب قنصل فرنسا عن نتائج هذا التعهد في تقرير رفعه إلى وزارة الخارجية الفرنسية عن الوضع السياسي لعمان بقوله "لم يعد الخليج الفارسي سوى بحيرة إنكليزية؛ فعلى مدخله مسقط المملوكة سراً، وفي

---

[١] لوريمر، جي جي ج (١٩١٥) ج ٢.

[٢] غباش، حسين عبيد غانم (١٩٩٧)

[٣] Lorimer, J. G (1915)، ص ٦٢٨.

[٤] Peterson, John E. (1978)، ص ١٤١.

[٥] غباش، حسين عبيد غانم (١٩٩٧)

وسطه البحرين المملوكة علناً"[1]. وعبر عنه اللورد جورج كورزون[2] (Lord George Nathaniel Curzon) نائب الملك في الهند في مقال نشر في جريدة التايمز البريطانية في عام ١٨٩٢م بقوله "يمكن أن تعد عمان- بحق- تابعة لبريطانيا، فنحن نعطي معونة لرئيسها، ونحن نملي سياستها... ولا ينبغي لنا التسامح مع أي تدخل أجنبي. وليس لديَّ شخصيا أي شك في أنه سيأتي يوم نرى فيه العلم البريطاني يرفرف فوق أسوار مسقط"[3].

لم تكن بريطانيا تنظر إلى عمان بعد ذلك كدولة مستقلة عنها، ولم تنظر إلى السلطان بأن له الحق أو القدرة على اتخاذ قرارات مخالفة لما تريده. وكان اتخاذ السلطان قرارا في ١٢١٥هـ/١٨٩٨م بالسماح لفرنسا بإنشاء مستودع للفحم في منطقة الجصة القريبة من مسقط فرصة لبريطانيا "لتلقين السلطان درسا هاما، ووضعه في مكانه الصحيح"- كما قال اللورد كورزون حاكم الهند[4]. وقد جرت في تلك الأثناء مناقشات بين حكومة الهند ولندن لإعلان الحماية على عمان، إلا أن الاتفاقية البريطانية- الفرنسية لعام ١٨٦٢م التي تعهد فيها الطرفان باحترام استقلال عمان

---

[1] غباش، حسين عبيد غانم (١٩٩٧)، ص ٢٥٠.

[2] (١٨٥٩- ١٩٢٥م) بعد أن أنها اللورد كورزون دراسته في كل من وكسفورد(Wixford) وايتون (Eton) واكسفورد (Oxford) قام بعدة رحالات عالمية معظمها في آسيا. وكتب عن تلك الرحالات في عدد من الكتب والمقالات التي نشرها. وفي ١٨٨٦م أصبح عضواً في البرلمان لحزب المحافظين عن ساوثبورت (Southport). وقد عمل بين عامي ١٨٩١- ١٨٩٢م بمنصب وكيل وزارة بوزارة الشؤون الهندية. ثم عمل في وزارة الخارجية بين ١٨٩٥- ١٨٩٨م. وفي ١٨٩٨م عين نائبا للملك في الهند. وقد استقال من منصبه في ١٩٠٥م إثر خلاف مع اللورد كيتشنر (Lord Kitchner) حول بعض المواضيع العسكرية. إلا أن إهتمامه بشؤون الهند بقي مستمرا بعد استقالته. لم يحمل اللورد كورزون أي منصب حكومي بين عامي ١٩٠٦- ١٩١٥م ولكنه تقبل عددا من المناصب التكريمية. فقد أصبح مستشار جامعة أكوسفورد، ورئيسا للجمعية الجغرافية الملكية (Royal Geografical Society) (١٩١١- ١٩١٤م) وأمين سر المتحف الوطني (National Gallery) (١٩١١- ١٩٢٥م). وفي ١٩١٦م أصبح عضوا في مجلس الحرب. ثم اصبح في ١٩١٦م رئيسا للجنة الجوية وذلك حتى تأسست على يديه في ١٩١٩م وزارة الجوية (the Air Ministry).

[3] غباش، حسين عبيد غانم (١٩٩٧)، ص ٢٥١.

[4] غباش، حسين عبيد غانم (١٩٩٧)، ص ٢٥٤.

منعت بريطانيا من المضي قدما في تنفيذ تلك الخطوة[1]. لذا قررت حكومة الهند اتخاذ خطوات من نوع آخر.

ففي شوال ١٣١٦هـ/فبراير ١٨٩٩م وصل مسقط الكولونيل ميد (Meade) المقيم البريطاني في الخليج يحمل لائحة تعليمات من كورزون يطلب من السلطان تنفيذها. كان من بين تلك الأوامر الرجوع عن قرار منح فرنسا مستودع الفحم، وإعفاء الشيخ عبدالعزيز الرواحي الذي كان يشغل منصب مستشار عند السلطان من منصبه. حاول السلطان عدم تنفيذ الطلب المتعلق بمستودع الفحم إلا أن البريطانيين وجهوا إليه إنذارا مدته ٤٨ ساعة لتنفيذ الأوامر، فما كان من السلطان إلا أن أصدر في رسالة الى الممثل السياسي الفرنسي بتاريخ ١٣ فبراير قرار بإلغاء الامتياز الممنوح لهم. لم يكن ذلك كافيا في نظر الإنجليز، فطالبوا السلطان بالإلغاء العلني للامتياز. ولحمل السلطان على الإذعان التام للمطالب البريطانية، وصلت مسقط خصيصا لهذا الشأن السفينتان الحربيتان البريطانيتان إكلبس (Eclipse) وردبريست (Redbreast) تحت قيادة الأميرال دوجلاس (Douglas). وأرغم ميدُ السلطانَ على الصعود على متن السفينة إكلبس، وأخبر بأنه إن لم يتراجع عن إعطاء فرنسا مستودع الفحم؛ فإنه سيرى بأم عينية تدمير مدينته، وقصره بمدافع السفينة إكلبس. وفعلا "أبعدت كل السفن التجارية عن خط النار، واُتخذت الإجراءات الخاصة بتحذير سكان المدينة، وممثلي القنصليات الأجنبية فيها"[2]. وأمام هذا التهديد، وجد السلطان فيصل نفسه في ١٦ فبراير ١٨٩٩م مرغما على القبول غير المشروط بالمطالب البريطانية، وتلا السلطان في اليوم التالي في مؤتمر حضره كل وجهاء مسقط القرار الذي تَسلم نصه من الأدميرال دوجلاس، وتضمن سحبه للامتياز الذي منحه لفرنسا، وتجديده لعلاقة الصداقة ببريطانيا[3].

---

[1] Peterson, John E. (1978)

[2] Lorimer, J. G (1915)، ص ٥٥٩.

[3] لوريمر جي جي (١٩١٥) ج ٢.

ولمنع السلطان من اتخاذ أي إجراءات مستقبلية لا تتوافق مع سياسة بريطانيا في عمان، وُجهت إليه الأوامر بأن يرجع إلى المقيم السياسي البريطاني في مسقط قبل أن يتخذ أي قرار، سواء أكان ذلك على الصعيد الداخلي، أم على صعيد العلاقات الخارجية. وهكذا أصبحت سلطات المقيم السياسي البريطاني في مسقط أعلى من سلطات السلطان نفسه[1]. ومن المعلوم، فإن الأوامر نفسها قد وجهت إلى خليفتيه من بعده السلطان تيمور- عام ١٣٣١هـ/١٩١٣م- والسلطان سعيد- عام ١٣٥١هـ/١٩٣٢م- اللذين طلب منهما أن يوقعا على تعهد بالرجوع إلى المقيم البريطاني في اتخاذ القرارات[2].

وبلا شك فقد أثار قرار التراجع عن منح فرنسا امتياز مخزن الفحم استياء شديدا على المستوى المحلي والدولي. أما فرنسا فلم تعد بعد ذلك تعامل عمان كدولة مستقلة عن النفوذ البريطاني. أما السلطان فيصل فقد فهم بأنه تلقى إهانة كبيرة من بريطانيا، وأن ذلك الإجراء ليس إلا استسلاما لها، فما كان منه إلا أن طلب التنحي عن الحكم والتنازل لابنه تيمور. إلا أن بريطانيا الموقنة بأن وجود فيصل في الحكم لا يشكل خطرا على سياستها في عمان، رفضت طلب تنحيه وخاصة وأن ابنه تيمور كان صغيرا على تولي منصب السلطة[3].

دخلت بريطانيا القرن العشرين الميلادي وهي أكثر إصرارا على تقوية قبضتها الاستعمارية في عمان، ومنطقة الخليج التي ترى فيها امتدادا لوجودها الاستعماري في الهند وشرق آسيا. أما عمان نفسها فقد دخلت القرن الجديد، وقد سلم سلطانها كل شؤون بلاده تقريبا إلى السلطات البريطانية. وضيقت السيطرة البريطانية على مراكز التجارة في شرق إفريقيا والهند وإيران والعراق، ومراقبتها للطرق البحرية في

---

[1] غباش، حسين عبيد غانم (١٩٩٧)، ص ٢٥٩.

[2] Peterson, John E. (1978)

[3] غباش، حسين عبيد غانم (١٩٩٧)

المحيط الهندي الخناق على الاقتصاد العماني، وعاش الشعب العماني أقسى حقبه التاريخية.

وفي ضوء تلك المحنة التي كانت تمر بها عمان، لم يجد الشعب العماني بدا من الثورة العامة. فجاءت "حركة النهضة العمانية" التي هندس قيامها الشيخ الجليل نور الدين عبدالله بن حميد السالمي- رحمه الله- وانتخبت النهضة في ١٣٣١هـ/١٩١٣م سالم بن راشد الخروصي- رحمه الله- إماما لها. وفي تفسيره لسبب هذه الثورة، يقول جون ولكنسون: "تجمع سائر المصادر بما فيها البرقيات الرسمية البريطانية أن إحياء الإمامة في ١٩١٣ نبع من السأم الكامل من فساد حكم السلاطين وعدم كفاءته، والغياب التام للاستقرار في الداخل"[1]. حددت الإمامة برنامجها النهضوي في إسقاط نظام السلطنة، وإنهاء النفوذ الإنجليزي، وتوحيد البلاد، وبسط سلطة الإمامة على كل البلاد. ومن الجدير بالذكر أن الإمامة لم توجه عداء لذات أشخاص السلطة الحاكمة في مسقط. فقد وجه الإمام سالم رسالة رسمية إلى السلطان يطلب منه التنازل السلمي عن السلطة. كما كان الشيخ السالمي قد بعث برسالة إلى فيصل قبل تنصيب الإمام يطلب منه تغيير مواقفه من البريطانيين[2].

ومن المؤكد أن الإنجليز لم ينظروا بارتياح إلى هذه الثورة العمانية العارمة التي تمكنت خلال فترة قياسية من ضم معظم أجزاء عمان تحت لوائها، بحيث لم يبق في قبضة السلطان سوى مسقط ومطرح، وبعض المدن الساحلية. فأرسل المقيم البريطاني في مسقط رسالة تحذير وتهديد إلى الإمام. ثم قامت السفن الحربية البريطانية في ١٩١٤م بضرب معاقل الإمامة على طول ساحل الباطنة، إلا أن نشوب الحرب العالمية الأولى وتوجيه بريطانيا اهتمامها نحو الملف الألماني حد من تأثير هذه الضربات التحذيرية على قوة الإمامة ونفوذها. غير أن المواجهة

---

[1] Wilkinson, John C (1987)، ص ٢٤٢.

[2] غباش، حسين عبيد غانم (١٩٩٧)

العسكرية كانت حتمية، فقد جمعت بريطانيا قواتها حول مسقط في محاولة لمنع سقوطها في أيدي قوات الإمامة الزاحفة نحوها. والتقت في يناير ١٩١٥م جيوش الإمام المكونة من ٣٠٠٠ مقاتل مع الجيوش البريطانية المكونة من ٧٠٠ جندي في ضواحي مسقط؛ وبسبب نقص خبرة جنود الإمامة مقابل الجنود البريطانيين والهنود المدربين والمجهزين تجهيزا جيدا انهزم جيش الإمام[1] الذي خسر ٣٥٠ رجلا مقابل ٧ قتلى و١٥ جريحا في صفوف الجيش الإنجليزي[2].

بعد هذا اللقاء العسكري قررت بريطانيا التفاوض مع الإمامة، فانعقد لقاء في مدينة السيب في شوال ١٣٣٣هـ/أغسطس ١٩١٥م بين الوفد البريطاني الذي ترأسه القنصل البريطاني في مسقط الكولونيل روبرت آرثر بين (Baine)، ووفد الإمام المكون من الشيخ عيسى بن صالح الحارثي، وقاضي الإمام الشيخ سعيد بن ناصر. لم يخرج الطرفان من هذا الاجتماع باتفاق معين. فقررت بريطانيا أن تخضع ارض الإمامة للحصار الاقتصادي، ولعب ورقة القبلية، وكسب الوقت. فرفعت مسقط بناء على أوامر المقيم الإنجليزي الرسوم على المنتجات الزراعية الواردة من الداخل من ٥٪ إلى ٢٥٪ على التمور، و٥٠٪ على الرمان، ومنعت خروج الأموال من البلاد. لم تؤثر هذه الإجراءات على مناطق الإمامة فحسب، بل عم تأثيرها البلاد كلها. فزاد التضخم، ونقصت الأموال وبلغ العجز التجاري ٣٠٠,٠٠٠ جنيه إسترليني تقريبا، وأغلق تجار مسقط الهنود متاجرهم وغادروا البلاد[3].

في خضم أحداث مواجهة مسقط "لحركة النهضة العمانية" توفي السلطان فيصل في ذي القعدة ١٣٣١هـ/٤ أكتوبر ١٩١٣م، وخلفه على كرسي السلطنة ابنه تيمور الذي كان عمره آنذاك سبع عشرة سنة. كانت السلطات البريطانية راضية عن شخص الزعيم الجديد، إلا أنه كان عليه أن يواجه وضعا متأزما. وكما جاء في

---

[1] Wilkinson, John C (1987)

[2] غباش، حسين عبيد غانم (١٩٩٧)

[3] غباش، حسين عبيد غانم (١٩٩٧)

تقرير المقيم البريطاني "ورث السيد تيمور عرشا لا تصل سلطته إلى أبعد مما تصل إليه مدافع الأسطول البريطاني (...) وهو يقيم مقطوعاً عن القبائل العربية؛ بسبب تمرد اندلع قبل تسلمه السلطة في عاصمة معظم سكانها بريطانيون وهنود وبلوش وسود وليس فيها زعيم واحد يمثل الرأي العام العربي (العماني)"[1].

كان هذا الحال شديد التأثير على نفسية السلطان تيمور؛ لذلك قرر بعد ست سنوات من توليه الحكم- تحديدا في جمادى الآخرة ١٣٣٧هـ/مارس ١٩١٩م- الذهاب إلى الهند، ولم يعد بعدها إلى عمان برغم الضغوط والتهديدات التي مارسها عليه الإنجليز[2].

وصل النفوذ البريطاني في عمان ذروته في عهد السلطان تيمور بشهادات الكاتب الإنجليزي جون بترسون (John Peterson). ففي الفترة الممتدة منذ رحيل السلطان إلى الهند وحتى تسلم ابنه سعيد مقاليد الحكم، لم يكن للموظفين الإنجليز الكلمة الأخيرة في شؤون الدولة فحسب، بل كانوا هم الذين يتخذون القرارات. ولم يكونوا ينفذون السياسة البريطانية فقط بل كانوا يمارسون نفوذهم الشخصي على المجتمع، ويستغلون مواقعهم لتحقيق مكاسب شخصية. فبرترام توماس (Bertram S. Thomas) استغل منصبه كمستشار اقتصادي (١٩٢٥-١٩٣٠م)؛ ليقوم بجولات استكشافية في جنوب عمان. أما خليفته هدكوك (S. E. Hedgcock) فقد استغل منصبه إلى درجة أساءت غيره من الإنجليز؛ فأجبروه بالتالي على تقديم استقالته، ومغادرة مسقط في ١٣٥٠هـ/١٩٣١م[3].

وأثناء وجود السلطان تيمور في الهند دخلت السلطات البريطانية في مفاوضات مع الإمامة التي رأى قائدها الجديد الإمام محمد بن عبدالله الخليلي- رحمه الله- أن الدخول في معاهدة سلمية مع مسقط، من شأنه أن يجنب العمانيين الذين

---

[1] غباش، حسين عبيد غانم (١٩٩٧)، ص ٢٨١.

[2] Peterson, J. E (1978)

[3] Peterson, John E. (1978)

أنهكهم الحصار الاقتصادي الطويل المزيد من الضنك والعناء، ويجعل البلاد تعيش شيئا من الاستقرار الأمني. لذا توصل في ذي الحجة ١٣٣٨هـ/سبتمبر ١٩٢٠م وفد الإمام والوفد البريطاني الذي يقوده الميجر وينجيت (Wingate) القنصل والمقيم السياسي العام في مسقط الذي كان يمثل في الوقت نفسه السلطان تيمور إلى معاهدة عرفت بـ "معاهدة السيب" أدت إلى تثبيت الوضع القائم منذ قيام الإمامة في ١٣٣١هـ/١٩١٣م. صادق الإمام محمد على نص المعاهدة، وأعيدت إلى وينجيت في محرم/٧ أكتوبر ١٩٢٠م، كما أرسلت نسخة أخرى إلى السلطان في الهند للمصادقة عليها، وردت إلى وينجت في ١٨ أكتوبر من العام نفسه[١].

وفي ١٣٥١هـ/١٩٣٢م أخبر المقيم السياسي البريطاني في بوشهر السيد سعيد بن تيمور بقرار أبيه التنازل وتعيينه خلفا له على العرش. و"قد أُجبر على التوقيع على رسالة شبيهة بالرسالة المذلة التي طلبت من أبيه"[٢]. فرد السلطان سعيد بن تيمور في ١٠ فبراير ١٩٣٢م على المقيم البريطاني برسالة مكتوبة قائلا: "تلقيت بسرور كتابكم المبجل المؤرخ في ٩ يناير ١٩٣٢ الذي تعلمونني فيه بأن والدي تنازل عن عرش دولته، وعينني خليفة له. لقد ذكرتم بأنكم أعلمتم حكومة صاحب الجلالة بهذا، وأن الحكومة العالية مسرورة بالاعتراف بي سلطانا على مسقط وعمان. إنني أطلب منك أن تُبلغ شكري إلى الحكومة العالية. وإني أكتب إليك لأعلمك بأني قد أطعت التعليمات التي صدرت من والدي بأن أرتقي اليوم عرش السلطنة، وقد أَلَمحتُ إلى أسرتي بقرار والدي باستخلافه على العرش. وقد أقروا ذلك وقبلوني حاكما للبلد. إني أطلب منك أن تبلغ الحكومة العالية أنه ليس خافيا عليَّ بأنه سأظل مستعينا في حكمي بعونهم ومساعدتهم المستمرة بنفس الطريقة التي استعان بهم أسلافي. وإنني آمل أن تُطَمئِن الحكومة الآنفة الذكر بأنني قد قبلت جميع الالتزامات التي أوصاني بها أبي تجاه الحكومة العالية، وإنني

---

[١] غباش، حسين عبيد غانم (١٩٩٧)

[٢] Peterson, John E. (1978)، ص ٥٢.

بصدد اتّباع سياسته في جميع علاقاتي بالحكومة العالية، وسأعتمد على مساعدة الحكومة وأعلن بأنه اطاعة لما تمناه أبي؛ فإنني سأسترشد بوجهات نظرها في الأمور المهمة، فأنا متأكد أن الحكومة لا يسرها إلا ما ينفع دولتي، وترغب في تحقيق الاستقلال للحكومة والسلطنة. وباعتبار أنه لا يوجد في مسقط في الوقت الحاضر ممثلون للقوى التي تربطنا بها معاهدات، فإننا نطلب من حكومة صاحب الجلالة أن تخبر حكومات الولايات المتحدة وفرنسا وهولندا بأمر اعتلائنا العرش"[1].

استمر النفوذ الإنجليزي بقوته المعهودة في حكومة العاهل الجديد، وكانت أول التعليمات التي نفذها السلطان سعيد هو حل المجلس الذي شُكِّل لإدارة شؤون البلاد أثناء غياب والده في الهند؛ وتعيين كل من الكابتن الإنجليزي البان (Alban) وزيرا للدفاع والخزانة، والحاج زبير وزيرا للعدل[2].

لقد تزامن عهد السلطان سعيد مع بروز تطورات جديدة على الساحة المحلية والإقليمية والدولية. فمع بداية الثلاثينات من القرن العشرين ظهرت اكتشافات نفطية ضخمة في الخليج العربي؛ مما فتح المنطقة أمام صراع جديد بين القوى الدولية على هذا الكنز العظيم، ظهرت فيه الولايات المتحدة الأمريكية كلاعب جديد. ولم تكن المملكة المتحدة التي علمت بأول اكتشافات نفطية في منطقة مسجد سليمان في جنوب فارس عام ١٩٠٨م[3] لتغفل عن هذا الجانب في صراعها الاستعماري في عمان. فتعود حساباتها في هذا الشأن إلى عام ١٣٤١هـ/١٩٢٣م عندما أمرت السلطان السابق تيمورا وهو نافٍ نفسه في الهند، بالتصريح قائلا "لن نستثمر النفط الذي يمكن أن يكتشف في أي نقطة من أرضنا، ولن نمنح الإذن باستثماره دون استشارة المقيم السياسي في مسقط، ودون موافقة حكومة الهند

---

[1] Peterson, John E. (1978)، ص ٢٢٤.

[2] غباش، حسين عبيد غانم (١٩٩٧)

[3] الخصوصي، بدرالدين عباس (١٩٨٨)

العليا"[1]، والملاحظ أن هذا التصريح جاء قبل فترة طويلة من اكتشاف النفط في عمان. وفي ١٩٢٥م منح السلطان تيمور شركة دي آرسي للاستكشافات (D'Arcy Exploration Company) التابعة لشركة النفط البريطانية-الفارسية (Anglo-Persian Oil Company) امتيازا لمدة سنتين قابلتين للتمديد لسنتين إضافيتين للتنقيب عن النفط في عمان. فقام الماسحون الجيولوجيون التابعون للشركة يصحبهم الكابتن إكلس (Captain Eccles) قائد قوات مسقط وبرترام توماس وزير مالية السلطان تيمور بمسوحات جغرافية في ساحل الباطنة وبعض أودية الحجر الغربي[2].

شكلت منطقة البريمي إحدى النقاط الساخنة على صعيد الصراع على مصادر النفط الذي كان للنفوذ البريطاني فيه يد طولى. ففي ١٣٥٢هـ/يوليو ١٩٣٣م منح ابن سعود امتيازا نفطيا للشركة الأمريكية "ستاندرد أويل اوف كاليفورنيا" (Standard Oil Of California) للتنقيب عن النفط في المنطقة الشرقية من المملكة. ولما لم يكن لدول المنطقة حدود واضحة المعالم في تلك الفترة، فقد طلبت الولايات المتحدة من بريطانيا تزويدها بتصور عن الحدود السياسية للمنطقة. لم تقبل المملكة العربية السعودية بالرد البريطاني الذي رسم حدود السعودية على بعد مئات الكيلومترات من واحة البريمي التي تعدها حكومة الرياض جزءا من ممتلكاتها. وبعد فشل المفاوضات بين الجهات المعنية أرسلت المملكة العربية السعودية في ١٣٧٢هـ/أكتوبر ١٩٥٢م مدعومة من شركة أرامكو الأمريكية تركي بن عطيشان مع قوى عسكرية إلى البريمي، وأعلن نفسه حاكما فيها مما قاد بريطانيا إلى تشكيل قوة شاركت معها قوات من مسقط وأبو ظبي فرضت حصارا على القوات السعودية في البريمي استمر حتى ١٣٧٤هـ/١٩٥٤م عندما وافقت السعودية وبريطانيا على طرح هذا الموضوع أمام المجتمع الدولي. ولم تخرج المفاوضات التي تشكلت من أجلها لجنة ضمت ممثلي كوبا وباكستان والمملكة العربية السعودية

---

[1] غباش، حسين عبيد غانم (١٩٩٧)، ص ٣٠٥.

[2] Wilkinson, John C (1987)

وبريطانيا ممثلة لعمان وإمارة ابوظبي، وعقدت في جنيف في ١٩٥٥م بحل سلمي للمشكلة. فقررت بريطانيا حينئذ حل المشكلة عسكريا[1] خاصة بعد أن تأكد لها آنذاك اكتشاف النفط في منطقة فهود العمانية.

من جانب آخر، شكلت الإمامة عقبة أمام المطامع الإنجليزية في توسيع الاكتشافات النفطية في عمان. فالتنقيب عن النفط في الأراضي الواقعة تحت نفوذ السلطان لم تؤد إلى اكتشافات هامة، وحينئذ كان لابد من التنقيب في أراضي الإمامة. وكانت بريطانيا قد قامت بعملية تجسس ضخمة لمعرفة الولاء السياسي للقبائل العمانية التي تقع خارج سلطة مسقط. وقد أوكلت هذه المهمة إلى المستكشف البريطاني ولفرد ثسيجر (Wilfred Thesiger) المعروف محليا باسم مبارك بن لندن[2]. قام ثسيجر في شوال ١٣٦٤هـ/أكتوبر ١٩٤٥م بجولة في المنطقة الجنوبية من عمان. ثم قام بعد ذلك بجولات مشابهة في الأراضي الواقعة تحت سلطة الإمامة، وفيما كان يعرف بالساحل المتصالح. ولما كانت بريطانيا على يقين بممانعة السلطان سعيد دخول أي عنصر غربي إلى الأراضي الواقعة تحت سلطة الإمام، فقد تجنبوا إعلام السلطان بذلك، وكان الجواب الذي وضعته وزارة الخارجية البريطانية في حال معرفة السلطان بما يقوم به ثسيجر هو بأن ثسيجر يقوم بجولاته بدون علم المسؤولين البريطانيين. لذا فقد قام ثسيجر في ١٣٦٤هـ/١٩٤٥م برحلة برية من مغشين في ظفار إلى دولة الإمارات العربية حاليا. وفي ذي الحجة ١٣٦٨هـ/أكتوبر ١٩٤٩م قام بجولة برية أخرى من دولة الإمارات

---

[1] Joyce, Miriam (1995)

[2] ولد السير ويلفرد ثسيجر في عاصمة الحبشة أديسا بابا في ١٩١٠م– حيث كان أبوه يعمل مفوضا ساميا لبريطانيا–، وتوفي في بريطانيا في ٢٠٠٣م. وحين عادت اسرته الى بريطانيا عام ١٩١٩، تعلم ثيسيجر في ايتون وفي اوكسفورد. وفي ١٩٣٤م انضم الى هيئة السودان السياسية التي أوفدته للعمل في منطقة نائية تسمى "كتوم". وعمل خلال الحرب العالمية الثانية في كل من مصر وإمارة شرق الأردن. وعمل أيضا مستشارا للإمبراطور الإثيوبي هيلا سلاسي.

و قد دون ثسيجر رحلاته في عمان في كتابه "رمال شبه الجزيرة العربية". كما أن له كتابا آخر بعنوان "عرب الأهوار" صدر عام ١٩٦٤م. وكتب أيضا عن حياة الناس في العراق وكردستان وبلاد فارس والباكستان وأفغانستان وكينيا. يعد ثيسيجر من عظماء الرحالة في القرن العشرين وقد نال رتبة فارس في عام ١٩٩٥م.

إلى الشواطئ المقابلة لجزيرة مصيرة. وكان بصدد القيام بجولة إلى الجبل الأخضر، إلا أنه منع من قبل الإمامة. وعندما عاد ولفرد ثسيجر إلى لندن في ١٣٦٩ـ/١٩٥٠م قدم تقريرا إلى وزارة الخارجية البريطانية عن جولاته في عمان بَيَّن فيه أن القبائل الواقعة في جنوب غرب وشمال غرب الجبل الأخضر ليست موالية للسلطان، بل تعلن ولاءها للإمام وهي تعارض الوجود الوهابي والإنجليزي على حد سواء، ولا يحتمل بأنها ستسمح للشركات البريطانية بالتنقيب عن النفط في أراضيها[1].

واضعة في الحسبان جميع التطورات التي يمكن أن تحدث، أمرت بريطانيا في ١٣٧٤هـ/١٩٥٤م شركة النفط العراقية- البريطانية بالتنقيب في منطقة فهود الواقعة تحت حكم الإمامة. جعل هذا الأمر الإمام غالب بن علي الهنائي الذي تم انتخابه إثر وفاة الإمام الخليلي في ذلك العام يحتج على هذا العدوان الذي اعتبره مساً بسيادة الإمامة، وخرقا لمعاهدة السيب التي وقعت في ١٣٣٨هـ/١٩٢٠م. وأمام تحدي الإمامة وصمودها الشجاع في وجه الاستكبار البريطاني بالرغم من بنيتها الضعيفة كدولة، لم تر بريطانيا بدا من تصفية الإمامة عسكريا، وسحقها نهائيا. فدخلت بريطانيا في ذلك العام- ١٣٧٤هـ/١٩٥٤م- في حرب معلنة ضد الإمامة. ووافق مجلس الوزراء البريطاني على استخدام قواته الجوية في هذه الحرب، فاحتلت القوات البريطانية في ١٣٧٤هـ/نهاية ١٩٥٤م مدينة عبري، ثم سقطت مدينة نزوى عاصمة دولة الإمامة في أيدي القوات البريطانية في ١٣٧٤هـ/١٩٥٥م. وبعد فترة من الحرب بين العمانيين والقوات البريطانية الغازية دامت حتى ١٣٧٨هـ/١٩٥٩م، تركز الجزء الأكبر منها في منطقة الجبل الأخضر، انهارت قوات الإمامة نتيجة ما تكبدته من خسائر في الرجال والممتلكات، وخرجت بريطانيا منتصرة عسكريا من الحرب[2].

---

[1] Joyce, Miriam (1995)

[2] غباش، حسين عبيد غانم (١٩٩٧)

لم تكن هزيمة الإمامة في ميدان القتال نهاية الحرب مع الاستعمار البريطاني، فقد تحولت الحرب من الميدان العسكري إلى الميدان الدبلوماسي، وتمكنت الإمامة من نقل الصراع من الساحة العمانية إلى الوطن العربي، ثم المجتمع الدولي. والطريف في الأمر أن الهجوم البريطاني على عمان تزامن مع هجومها على قناة السويس؛ مما وحد النظرة العربية إلى الأمرين في وقت كانت تسود العالم العربي صحوة الضمير، ووعي بقضايا الأمة. فعلى المستوى العربي لم تعد قضية عمان مختلفة عن القضية الفلسطينية أو الجزائرية أو غيرها من النضالات الثائرة، لا سيما وأن الإمامة– بعكس سلطة مسقط– بدأت منفتحة على الأمة العربية، وشرعت في مد جسور بينها وبين الوطن العربي الكبير. فكان الإمام قد أرسل رسالة إلى جامعة الدول العربية بعد تأسيسها في ١٣٦٤هـ/١٩٤٥م يطلب انضمام عمان إليها. وتبنت عدد من الدول العربية منها مصر وسورية والمملكة العربية السعودية القضية العمانية داخل الجامعة العربية. وشكلت جامعة الدول العربية في ١٣٧٥هـ/١٩٥٦م لجنة ثلاثية لدراسة القضية العمانية قَدَّمتْ للسلطان في ١٣٧٥هـ/يوليو ١٩٥٦م طلبا للسماح لها بدخول عمان لاستقراء الوضع فيها. إلا أن السلطان الذي لم يكن أساسا يعترف بالجامعة تجاهل الطلب، وردت بريطانيا بأن السلطان غالبا لا يتحدث بنفسه، لكنه يطلب أن يتحدث أحد باسمه. ثم قررت الجامعة في مؤتمر الدار البيضاء في ١٣٧٩هـ/١٩٦٠م تخصيص ميزانية ثابتة لدعم عمان[١].

وفي محرم ١٣٧٧هـ/أغسطس ١٩٥٧م، عُرضت قضية عمان أول مرة أمام الأمم المتحدة بطلب تقدمت به إحدى عشرة دولة عربية لدراسة "عدوان المملكة المتحدة وايرلندا الشمالية المسلح على استقلال عُمان وسيادتها وسلامة أراضيها"[٢]. وحَمَلت الهجمات التي قامت بها بريطانيا في ١٣٧٨هـ/عام ١٩٥٩م الأمين العام للأمم

[١] غباش، حسين عبيد غانم (١٩٩٧)

[٢] غباش، حسين عبيد غانم (١٩٩٧)، ص ٣٢٠.

المتحدة على التصريح بأن "القضية العمانية ليست مسألة تتعلق بالعرب فقط، بل بالإنسانية كلها، بسبب المجازر، وأنواع التدمير التي تحدث هناك"[1]. وفي ١٣٧٩هـ/١٩٦٠م أرسل الإمام وفدا عالي المستوى إلى الدورة السادسة عشرة، حيث تحدث مبعوث الإمام في الجلسة رقم ثلاثمائة للجمعية العمومية لمجلس الأمن.

كانت تلك فترة يعيش فيها الاستعمار الغربي التقليدي المراحل الأخيرة من عمره. وكان الضمير العالمي بدأ يشعر بالآلام التي تعانيها الشعوب المستعمرة؛ لذا فقد لاقى العدوان الإنجليزي على عمان إدانة دولية امتدت إلى الساحة البريطانية نفسها. وللالتفاف على الإدانات والضغوط الدولية عقدت بريطانيا في عام ١٣٨٠هـ/١٩٦١م ثلاثة اجتماعات مع ممثلي الإمامة، طالب العمانيون خلالها بريطانيا بثلاثة أمور: عودة الوضع في عمان إلى ما كان عليه قبل عام ١٣٧٤هـ/١٩٥٥م، وتحرير كل الأسرى العمانيين من المعتقلات البريطانية، ودفع البريطانيين تعويضات عن كل أنواع الدمار التي تسببوا فيها. إلا أن هذه الاجتماعات لم تخرج بنتيجة مع بريطانيا. كما لم تسفر التحركات الدولية عن نتيجة لصالح الشعب العماني المناضل ضد الاستعمار[2].

وقبل إشعال بريطانيا الحرب ضد الإمامة، أثارت باكستان المنفصلة عن الهند في ١٩٤٧م قضية ضم جزيرة جواذر التي كانت جزءا من عمان إلى سيادتها. لم تكن لبريطانيا أي اهتمامات بتلك الجزيرة؛ لذا فإن أمر انفصالها عن محميتها غير المعلنة عمان لم يكن يقلقها كثيرا. فجواذر ليس بها مخزون نفطي مهم، وقد غادرتها لذلك السبب شركة بورما للبترول (Burma Oil Company) في ١٩٣٩م. وبسبب صغر مساحتها، وتلالها المحيطة كف سلاح الجو الملكي البريطاني منذ فترة عن استخدامها كقاعدة جوية استراتيجية. وأثار المقيم السياسي البريطاني في مسقط الميجور ستوارت (Stewart) مسألة مطالبة باكستان بجواذر

---

[1] غباش، حسين عبيد غانم (١٩٩٧)، ص ٣٢١.

[2] غباش، حسين عبيد غانم (١٩٩٧)

مع السلطان سعيد لأول مرة في ١٣٦٨هـ/١٩٤٨م. وقد رد السلطان على المقيم السياسي بأنه تحكمه اتفاقية تُحتم عليه أن لا يتخلى عن أي جزء من أراضيه إلا لبريطانيا، وكان في ذلك دلالة على عدم رغبة السلطان في التخلي عن الجزيرة. إلا أن إصرار باكستان على ضم الجزيرة إلى سيادتها أدى إلى استمرار اللقاءات والمراسلات العالية المستوى والسرية بين كراتشي ولندن ومسقط. وفي ١٣٧٥هـ/نوفمبر ١٩٥٥م عرض السلطان على السير برنارد باروز (Sir Bernard Burrows) المقيم البريطاني شروطه للتخلي عن الجزيرة، والتي تضمنت أن تدفع باكستان للسلطان خمسة ملايين جنيه إسترليني، يكون جزء منها مدفوعا بالدولار الأمريكي، ويكون للسلطان حصة في فوائد الصادرات المتوقعة من النفط، وتشهد بريطانيا على كل الوثائق التي ستوقع بينه وبين باكستان، وتوقع باكستان اتفاقية بإعادة تزويد السلطان بالموظفين والفنيين الذين يحتاج إليهم، وأن تعامل باكستان عمانَ في بيع الرز كأي دولة أخرى، وأخيرا أن يُتجنب استخدام لفظة "بيع" في أي تصريحات علنية مستقبلية.

لم ترض باكستان بهذه المطالب- خاصة الثمن المطلوب- واستمر الجدل في الموضوع حتى عام ١٣٧٦هـ/١٩٥٧م عندما أثارت الدول العربية موضوع العدوان البريطاني المسلح على عمان في المحافل الدولية، فخشيت بريطانيا حينئذ من عدم مساندة باكستان- حليفة بريطانيا في تلك الفترة- لها في الأمم المتحدة. لذا قررت بريطانيا في ١٣٧٨هـ/١٩٥٨م أن تضع حدا نهائيا للقضية، فتنازل السلطان عن جواذر مقابل مليونين وسبعمائة ألف جنية إسترليني دُفع منها ثلاثمائة ألف بالدولار الأمريكي، وإن أكتشف النفط في جواذر فيكون للسلطان حصة ١٠٪ من الفوائد لمدة خمسة وعشرين سنة. ومن جانبها تعهدت باكستان أن ترفع الحظر الذي فرضته على توظيف مواطنيها في مسقط، وأن تواصل تزويد مسقط بالرز،

والتقنيات اللازمة، بالإضافة إلى السماح لمن يرغب من سكان جواذر في حمل الجنسية العمانية[1].

أدت السياسة البريطانية في عمان إلى تصاعد الثورات المحلية خاصة في العقد السادس من القرن العشرين. فإلى جانب نشاط أنصار الإمامة الذين عرفوا حركيا باسم "جيش تحرير عمان"[2]، ظهرت في المنطقة الجنوبية في ٧٩-١٣٨٠هـ/٦٠-١٩٦١م ثلاث فرق ثورية اتحدت في ١٣٨٤هـ/١٩٦٤م لتشكل ما أطلق عليه "جبهة تحرير ظفار"[3]. وظهر التحدي حتى من أسرة السلطان نفسه، وذلك عندما خرج السيد طارق بن تيمور أخو السلطان سعيد من عمان في ١٣٨٢هـ/١٩٦٢م، فأعلن بعد أربع سنوات من خروجه مناداته بالإطاحة بنظام الحكم، وتشكيله جيشا خاصا به لتحقيق ذلك كما أعلن أنه يتعاون لتحقيق الغرض نفسه مع مجموعات ثورية أخرى[4].

في ضوء الثورات المشتعلة على الساحة العمانية، والمواجهات التي تتعرض لها في المحافل الأمنية قامت بريطانيا بمراجعة ذاتية لعلاقتها بعمان، وضعت أثناءها عددا من الاحتمالات لما يجب عليها اتخاذه منها: ١- إعلان الحماية على مسقط وعمان، ٢- عدم مساعدة السلطان إلا في المناطق الساحلية فقط، ٣- المحافظة على مستوى العلاقة الحالية مع إدخال بعض التحسينات. وقد استقر رأي بريطانيا على الخيار الأخير باعتبار أن الخيار الأول لا يتماشى مع روح العصر، والخيار الثاني يزعزع ثقة السلطان وحكام الخليج الآخرين في الثقة بها[5].

وفي هذا الإطار تقرر إدخال تحسينات لتغيير الصورة الخارجية والداخلية لعمان. فطالبت بريطانيا السلطان سعيد على لسان جون بروفمو (John

---

[1] Joyce, Miriam (1995)

[2] Peterson, J E (1978)

[3] Kelly, J. B. (1980)

[4] Peterson, J E (1978)

[5] غباش، حسين عبيد غانم (١٩٩٧)

(Profumo وزير الدولة البريطاني لشؤون الحرب في زيارة قام بها لعمان في ١٣٨٢هـ/١٩٦٢م بإرسال ممثل له إلى الأمم المتحدة، لإبراز اسمه في المواجهات التي تثيرها ضده الدول العربية وممثلو الإمامة. كما أقترح بروفمو على السلطان الانضمام إلى بعض المؤسسات الدولية مثل "منظمة الصحة العالمية" و"منظمة الغذاء العالمية". وفي البداية اشترط السلطان الموافقة على الانضمام إلى تلك المحافل قبول بريطانيا دفع رسوم الاشتراك عنه. وفي النهاية وافق على الانضمام إلى منظمة الصحة العالمية، إلا أن هذا المشروع قوبل بمعارضة شديدة من التحالف الذي شكله العراق ومالي والسودان ويوغسلافيا والاتحاد السوفيتي والسعودية. وكان الهجوم على السلطان في اجتماع المنظمة الذي طرح فيه طلب السلطنة للنقاش في مايو ١٩٦٢م شديدا إلى درجة صعب على الرئيس إعادة الهدوء إلى قاعة المؤتمر.و طالبت بريطانيا السلطان كذلك بتحسين العلاقات مع العربية السعودية؛ حتى يتمكن من وقف الدعم الذي تقدمه للثوار[١].

وفي هذا المنحى كذلك، اقترح بروفمو على السلطان سعيد تغيير العناصر الأجنبية الكبيرة التي تتشكل منها قوات السلطان المسلحة بعناصر محلية. وعمدت بريطانيا إلى هذه الخطوة لوقف الهجوم الذي تتعرض له في المحافل الدولية، واتهامها بأنها دولة غازية. وأكد بروفمو للسلطان استعداد بريطانيا ورغبتها في تدريب عناصر من أهل مسقط للعمل بالجيش السلطاني[٢].

أما على الصعيد الداخلي، فقد قررت بريطانيا أن تشمل التغييرات عددا من المجالات. وكان المقيم السياسي البريطاني في البحرين قد أشار على وزارة الخارجية البريطانية أن القضاء على المناهضين للسلطان لن ينهي مقاومة الشعب له. ولكي يكسب شعبه فعلى السلطان أن ينفتح على الشعب، وعليه أن يصرف الأموال في المشاريع المفيدة للناس. وكان الشيخ صقر بن راشد حاكم الشارقة وهو

---

[١] Joyce, Miriam (1995)

[٢] Joyce, Miriam (1995)

أحد من تربطهم بالسلطان علاقة حميدة، قد قال للإنجليز قبل ذلك أن السلطان يكرهه كل الشعب وبقاؤه مرهون بمساعدة بريطانيا له. لذا انصب اهتمام بريطانيا على تنفيذ عدد من المشاريع التي سيكون لها تأثير نفسي على الشعب؛ حتى يتغير موقفه تجاه سلطانه. لذا طالبت بريطانيا السلطان سعيد الخروج من عزلته والظهور لشعبه في المناسبات، والقيام بجولات في ربوع الوطن. وضربوا له المثال بالملكة البريطانية اليزابث التي كثيرا ما تظهر لشعبها في لندن. كما طالبوا السلطان بالاهتمام بالصحة والتعليم والعفو عن المعارضين السياسيين[١].

إلا أن السلطان الذي وصفه ولتر سشوين (Walter K. Schwinn)- القنصل الأمريكي العام في السعودية آنذاك- بقوله "إن يقظة السلطان، وبريق عينيه، ولغته الإنجليزية السلسة تخفي وراءها عقليةَ القرون الوسطى ومفاهيمهاَ "[٢]، لم يكن قادرا على التحول إلى الصورة الجديدة التي يُطَالبه الإنجليز الظهور بها. وربما تكون الأفكار والمبادئ التي زرعها في عقليته الإنجليز أثناء دراسته في مدرسة الأمراء في مايو (Mayo) في مقاطعة أجمير (Ajmere) بالهند لمدة خمس سنوات، والسنوات التي قضاها برفقة البريطاني برترام توماس (Bertram Thomas) في العراق من القوة بحيث حالت بينه وبين التحول إلى كل مفيد وصالح لعمان، وعززت لديه النزعة لممارسة النهج الإمبريالي الذي طبقه الإنجليز في البلد.

فعكس ما طلب منه ألغى السلطان عفوا كان أصدره عن المستسلمين من القوات المناهضة. وطال حقده السجناء في سجونهم. ورد على الكولونيل ديفد سمايلي (David Smiley) الذي طلب منه الإذن بنقل السجناء السياسيين في قلعة الجلالي إلى مستشفى الإرسالية الأمريكية بعد أن تدهورت صحتهم بشكل مخيف

---

[١] Joyce, Miriam (1995)

[٢] Joyce, Miriam (1995)، ص ٨٤.

قائلا "أنه يفضل أن يموتوا في السجن، وأنهم يموتون في وقت أقرب؛ حتى يكون لديه متسع في القلعة ليسجن غيرهم"[1].

كما رد السلطان سعيد على الكولونيل سمايلي عندما ناقشه في أمر بناء مستشفيات للمواطنين في عمان قائلا "إننا لا نريد مستشفيات هنا. هذه بلاد فقيرة للغاية، تستطيع فقط أن تمون عدداً قليلاً من السكان. في الوقت الحاضر يموت عدد من الأطفال في سن الطفولة، وهكذا لا يزيد عدد السكان. فإذا بنينا عيادات فسيحيا الكثير منهم– لكن لأجل ماذا يحيون؟ لكي يجوعوا؟"[2].

وعندما اقترح عليه هُوُ بوستد (Hugh Boustead) بناء مدارس لتعليم الشباب حتى لا يذهبوا للدراسة في الخارج، رد السلطان سعيد قائلا "لذلك السبب خسرتم الهند، لأنكم علمتم الناس"[3]. وفي رد مماثل على الكولونيل سمايلي، قال السلطان سعيد: "من أين سيأتي المدرسون؟... سيأتون من القاهرة، وسينشرون بين تلامذتهم أفكار ناصر الثورية. وماذا لدينا هنا من أجل شاب متعلم؟ سيذهب للدراسة في الجامعة في القاهرة، أو إلى جامعة لندن للاقتصاد، أو سينهي دراسته في موسكو ثم يعود إلى هنا ليثير المشاكل"[4].

وفي نهاية المطاف قد يكون كيلي صادقا عندما قال: "لكن يحسن بنا أن نضع في الاعتبار عندما نصدر الحكم على سعيد بن تيمور أن محنته، ومحن شعبه لم تكن كلها من صنعه هو. إن مشكلاته في عمان تولدت بدرجة كبيرة من تهرب وزارة الخارجية [البريطانية] في الخمسينات والستينات من التخلص من مسؤولياتها التي ورثتها في الخليج من [شركة] الهند البريطانية"[5].

---

[1] Joyce, Miriam (1995)، ص ٦٠.

[2] Kelly, J. B. (1980)، ص ١١٩.

[3] Kelly, J. B. (1980)، ص ١١٩.

[4] Kelly, J. B. (1980)، ص ١١٩.

[5] Kelly, J. B. (1980)، ص ١٤٢.

هذه كانت صورة "النفوذ البريطاني" الذي علق عليه المنصرون آمالهم في تحقيق أهدافهم التنصيرية في عمان. لقد كان نفوذا استعماريا مزق عمان كدولة، ودمر قدراتها الإنسانية والاقتصادية، وحطم آمال شعبها في العيش ككيان ذات وحدة وسيادة وماض عريق وحاضر مزدهر، وحكم على العمانيين بالسجن في زنزانته الاستعمارية يفنيهم الجوع والمرض والجهل والفاقة، حتى كاد الزمن أن ينساهم، وكاد التاريخ أن يلغيهم من ذاكرته. فهل كان هذا النفوذ عند حسن ظن المنصرين به، أم خيب آمالهم وطموحاتهم؟ هذا سؤال سيلقي عليه القسم التالي الضوء.

٣. ٢. ٢. المنصرون والنفوذ البريطاني في عمان

عندما وصل المنصرون عمان في عهد السلطان فيصل بن تركي (١٨٨٨-١٩١٣م) كان النفوذ البريطاني قد وصل إلى ذروته. فكانت معاهدة عام ١٢١٣هـ/١٧٩٨م التي تحكمت في علاقة عمان مع الدول الأخرى قد وُقعت. وكانت زنجبار قد فصلت عن عمان بموجب حكم اللورد كاننج في رمضان ١٢٧٧هـ/٢ أبريل ١٨٦١م. كما وقعت عدد من الاتفاقيات التي تسمح لبريطانيا بتوقيف السفن العمانية وتفتيشها؛ بدعوى مكافحة تجارة الرقيق والأسلحة. كما وقعت عدد من التعهدات التي تلزم سلاطين مسقط الرجوع إلى المقيم السياسي البريطاني قبل اتخاذ أي قرار. وبعد فترة قصيرة من وصول المنصرين أَجبرت بريطانيا سلاطين مسقط على توقيع تعهد عام ١٣١٨هـ/١٨٩١م الذي يُعدّ بمثابة استعمار رسمي غير معلن لعمان. وبين عامي ١٣٤٠- ١٣٥٠هـ/١٩٢٠م و١٩٣١م كان يدير شؤون مسقط مجلس على رأسه إنجليز. كما وقع السلطان سعيد بن تيمور في ١٠ فبراير ١٩٣٢م عند اعتلائه العرش على تعهد بأنه "سيظل مستعينا في حكمه بعون الإنجليز ومساعدتهم المستمرة بنفس الطريقة التي استعان بهم أسلافه".

أما المنصرون فقد عملوا في المنطقة مستظلين بغطاء الحماية الذي وفره لهم الوجود الدبلوماسي المسيطر لدولهم. وقد عزى المنصرون مقدرة بتر زويمر على تأسيس نفسه بدون صعوبة في مسقط عندما وصلها أول مرة في ١٣١١هـ/ديسمبر ١٨٩٣م إلى وجود قنصل أمريكي فيها[1]. وقال القسيس جيمس كانتاين في السياق نفسه: "و في مسقط مركزنا الثالث لم يُعارض حقنا في البقاء بنفس الشدة التي عورض بها في المركزين الآخرين. فقد وجدنا هنا القنصلية الأمريكية الوحيدة في الحقل كله، وربما لهذا السبب لم يكن عداء سلطان مسقط– وهو حاكم مستقل– لنا نشطا"[2].

أما المنصر الإنجليزي توماس فالبي فرنش فقد استعان بالوجود السياسي لبلده للوصول إلى السلطة الحاكمة في عمان. فبعد شهر من وصوله مسقط قرر السيد فرنش لقاء السلطان فيصل، فاُتخذت الإجراءات بواسطة المقيم البريطاني في مسقط الكولونيل موكلر (Colonel Mockler) الذي حضر المقابلة أيضا. كما استعان السيد فرنش بالمقيم البريطاني مرة أخرى عندما قرر الذهاب في جولة تنصيرية إلى الجبل الأخضر، فرفع الكولونيل موكلر الأمر إلى السلطان الذي عين اثنين من رجاله لمرافقة المنصر في جولته[3].

ومن جانبها لم تنظر الحكومة في مسقط إلى المنصرين إلا أنهم رعايا للدول الأجنبية، وأن علاقتها بهم تقع في إطار المعاهدات التي تربط مسقط بكل دولة من تلك الدول. ومن الملاحظ أن أغلب الاتصالات بين السلطان والإرساليين كانت تتم في الغالب بواسطة المقيم البريطاني. فعلى سبيل المثال، في ١٣٢٤هـ/١٩٠٦م طلب السلطان فيصل من القنصل البريطاني أن يطلب من المنصرين التخلي عن متجر بيع الأناجيل الذي افتتحوه في مدينة نخل، وذلك بعد أن أبلغ أهالي تلك المدينة

---

[1] Al-Tamimi, Abdal-Malik (1977)

[2] Cantine, James (1909)، ص ١٤.

[3] انظر ١. ٤.

السلطان معارضتهم لذلك المشروع[1]. كما ذكر الطبيب لويس ديم أثناء وجوده في عمان عام ١٣٤٥هـ/١٩٢٦م أن المقيم البريطاني أخبره أن السلطان يطلب منه أن يتوجه إلى صحار لعلاج أخيه المريض[2]. ويمكن تفسير لجوء السلطان إلى المقيم الإنجليزي عند مخاطبة الإرساليين بنزول السلطان عند الأوامر الصادرة إليه من السلطات البريطانية بعدم القيام باتصالات مع جهات أجنبية إلا بواسطة بريطانيا. وقد يعود ذلك- أيضا- إلى أن السلطان كان يرى بأن المقيم البريطاني الذي كان يرعى المصالح الأمريكية فعلا مسؤول عن عناصر الإرسالية؛ لذا فإنه كان يجري الاتصال بهم عن طريقه. وبلا شك فإن وقوع السلطة الحاكمة في مسقط تحت نفوذ الاستعماري البريطاني الذي حد من قدرتها على اتخاذ القرار كان عاملا مساندا للإرسالية العربية لمواصلة نشاطها التنصيري في عمان. والطريف في الأمر أن يكتب القسيس جيمس كانتاين في أحد مقالاته أن السلطان فيصل سُمع يردد بعد مقابلة أحد المنصرين له في القصر عبارة "أعوذ بالله من بلد فيها منصرون"[3].

ويظهر دور الوجود الدبلوماسي بجلاء في دعم وجود المنصرين ونشاطهم في قضية تأسيس النشاط الطبي للإرسالية الأمريكية في مطرح في ١٣٢٦هـ/١٩٠٩م الذي عارضه السلطان فيصل، وتدخل فيه نائب القنصل الأمريكي في مسقط مباشرة. فقد طلب الطبيب شارون تومس من نائب القنصل الأمريكي في مسقط التدخل لدى السلطان للسماح لهم بالعمل في مسقط. وبدوره قام نائب القنصل بمخاطبة السلطان. وقد حدد السلطان فيصل أسباب معارضته لذلك المشروع في رسالة وجهها في بداية مارس ١٩٠٩م إلى نائب القنصل الأمريكي في أربع نقاط- كما ذكر البروفسر عبدالملك التميمي- وهي:

[1] Cantine, James (1906 b)

[2] Dame, Louis P (1926)

[3] Cantine, James (1909)، ص ١٥.

١. لم يأخذ المنصرون إذنا مسبقا من السلطان، وفي نظره أن أي نشاط أجنبي في أرضه يجب أن يكون عن طريقه.

٢. خوف السلطان من أن يؤدي النشاط الطبي إلى تنصير المسلمين، وهو بلا شك كان هدف الإرساليين.

٣. خوف السلطان من أن يؤدي السماح لهم بالعمل في مطرح إلى توسيع نشاطهم في داخل عمان؛ مما سيسبب مشاكل للسلطان.

٤. خوف السلطان من أن تؤدي المخاطبات الدبلوماسية بينه وبين الولايات المتحدة في هذا الموضوع الى إثارة مشاكل مع السلطات البريطانية.

لم تكن تلك الأسباب مقنعة لنائب القنصل الأمريكي الذي عمد إلى ممارسة الضغط على السلطان مبينا بذلك الدعم المباشر، والحماية التي توفرها حكومة الولايات المتحدة الأمريكية للمنصرين. ففي رسالة وجهها إلى السلطان في ٢٣ مارس ١٩٠٩م ذكر القنصل الأمريكي "...أن الإرساليين الذين تنتدبهم الطوائف الدينية في الولايات المتحدة إلى الأراضي المحمدية أو الوثنية، يقعون تحت كل الحماية التي سمح القانون الدولي لحكومة الولايات المتحدة بتعميمها على مواطنيها العاملين في الدول الأجنبية"[١].

رد السلطان فيصل على تلك الرسالة برسالة مؤرخة في ٢ أبريل ١٩٠٩م مبينا فيها عدم تخليه عن حماية المواطنين الأمريكان الموجودين في مسقط، وتوفير الرعاية لهم، إلا أن عدم سماحه للطبيب تومس بممارسة نشاطه في مطرح، مرده إلى أن السلطان بصدد إنشاء مستشفى يقدم خدماته للمواطنين. لم يؤد ذلك الرد الذي قدمه السلطان فيصل إلا إلى المزيد من الإصرار من جانب نائب القنصل الأمريكي الذي كتب في رسالة مؤرخة في ٣ أبريل ١٩٠٩م قائلا "... يجب علي

---

[١] Al-Tamimi, Abdal-Malik (1977)، ص ٢٤١.

أن أعترض وبشدة على أي تمييز انتقاصي ضد الأطباء الأمريكان وحقوقهم في أراضيكم السامية"[1].

رد السلطان فيصل على رسالة نائب القنصل برسالة في ٣ أبريل ١٩٠٩م يعبر فيها عن إصراره على ممانعته افتتاح مستشفى للإرسالية في مطرح، ويعرب فيها أن الولايات المتحدة ليس لها الحق في إجباره على التصرف في بلاده بما لا يرضاه. إلا أن الرد الذي تلقاه السلطان من الولايات المتحدة والمؤرخ في ١٥ نوفمبر ١٩٠٩م أعرب عن إصرار الولايات المتحدة على السماح للأطباء بممارسة نشاطهم في مطرح، ومطالبة السلطان توفير الحماية للإرساليين الأمريكيين العاملين في أراضيه، فقد جاء في ذلك الرد: "...تؤكد حكومة الولايات المتحدة أن حق المواطنين الأمريكان في ممارسة الطب في أراضي جلالتكم قد ضُمن بمعاهدة ١٨٣٣م بين حكومة جلالتكم والولايات المتحدة الأمريكية... يجب أن يحظى المواطنون الأمريكيون بالحماية في عمان... والإرساليون لهم الحق في الحماية نفسها كأي مواطنين آخرين للولايات المتحدة الأمريكية"[2]. ولسنا بحاجة إلى التذكير بأن الطبيب تومس قد افتتح مستشفى الإرسالية في مطرح بتاريخ ٨ إبريل ١٩٠٩م بالرغم من عدم رضا السلطان فيصل عن ذلك- انظر الباب الخامس، الفصل السابع.

وعلى كل حال، ففي ١٣٣٣هـ/مارس ١٩١٥م أغلقت الولايات المتحدة الأمريكية قنصليتها في مسقط، وتحولت رعاية المنصرين الأمريكيين إلى القنصلية البريطانية حسب التعليمات التي وردت إليها من وزير الخارجية البريطاني السير ادورد جيري (Sir Edward Grey) الذي أمر القنصل البريطاني في مسقط برعاية المصالح الأمريكية فيها خلال غياب المسؤولين الأمريكان[3].

---

[1] Al-Tamimi, Abdal-Malik (1977)، ص ٢٤٢.

[2] Al-Tamimi, Abdal-Malik (1977)، ص ٢٤٣.

[3] Joyce, Miriam (1995)

وكانت الاتصالات بين المنصرين الأمريكان والسلطات البريطانية قد نشأت بعد وصول القسيس بتر زويمر مسقط في ١٣١١هـ/ديسمبر ١٨٩٣م مباشرة. فقد سمح المقيم البريطاني لبتر زويمر استخدام الكتب النصرانية المحجوزة في مقر القنصلية البريطانية لافتتاح متجر لبيع الكتب النصرانية في السوق العامة في مسقط[١]. ثم قامت السلطات البريطانية بتسليم عدد من الأطفال الذين حررتهم البحرية البريطانية من السفن المتاجرة بالرقيق إلى القس بتر زويمر في ذي الحجة ١٣١٣هـ/٢٧ مايو ١٨٩٦م الذي انشأ لهم ما عرف بمدرسة الرقيق المحررين في مسقط، وهذا مؤشر آخر على رضا السلطات الإنجليزية ومساندتها لوجود المنصرين في مسقط.

وإجمالا فإن السلطات البريطانية لم تعارض وجود الإرسالية الأمريكية في عمان، إلا أنها مارست عليها بعض الضغوط التي لم تسمح للمنصرين التصرف بحرية كاملة على الساحة وفق الطريقة التي يشاءونها؛ وذلك حتى تضمن بريطانيا عدم منافسة أي جهة أجنبية لها في عمان. وقد عبر لويس سكدر المؤرخ المعاصر للإرسالية العربية بصراحة عن تدخل الإنجليز ضد الإرساليين لدى سلطان مسقط في قوله: "لكن الإنجليز حضّوا السلاطين على معاملة الأمريكان بحذر"[٢].

وبالرغم من تعاون السلطات الإنجليزية مع المنصرين والسماح لهم بمزاولة عملهم التنصيري في عمان، فقد لاحظ المنصرون أن زيادة النفوذ السياسي البريطاني في مسقط لا يخدم نشاطهم التنصيري. فلم يكن الوجود الإنجليزي بزخمه السياسي والعسكري مقبولا لدى الشعب العماني. لذا يقول القسيس جيمس كانتاين: "يبدو أن النفوذ الإنجليزي قد قوى نفسه...، وإن كان هذا لا ينفعنا مباشرة، إلا أنه يعني تحطيما لبعض الأحكام المسبقة، وتهيئة للأرضية حتى تتقبل الحقيقية.

---

١ Zwemer, Peter (1893)

٢ Scudder, Lewis (1998)، ص ١٢٥.

ولكن بعيدا عن الساحل، تقابل بواعث الإنجليز وأساليبهم بسوء الفهم والكراهية، وفي بعض الأوقات نشعر بأنها ميزة جليلة لنا أن ندعوا أنفسنا أننا أمريكيين"[١].

ومن جانب آخر، فقد أدى قيام الثورة العمانية في ١٣٣١هـ/١٩١٣م التي نتج عنها انقسام عمان إلى سلطنة مسقط ودولة عمان، إلى تصادم بين سياسة الحكومة البريطانية، وأنشطة الإرسالية الأمريكية. ففي الوقت الذي كانت بريطانيا تريد أن تعزل الإمامة في الداخل، وتقطع الصلة بينها وبين العالم الخارجي وتمنع المنصرين من الذهاب إلى المناطق الواقعة تحت سلطة الإمام، أراد المنصرون الاحتفاظ بالعلاقات التي بنوها مع سكان تلك المناطق والتي تعود إلى عشرين عاما مضت. ولتبرير سلوكها ادعت السلطات البريطانية أن ذهاب المنصرين إلى تلك المناطق يشكل خطرا على حياتهم؛ بسبب العداء الذي يكنه أنصار الإمامة للنصارى الغربيين وبسبب عدم استتباب الأمن فيها. ولكن حتى عندما كان المنصرون يتلقون الدعوات من زعماء القبائل في تلك المناطق لتقديم العلاج للمرضى مع ضمان أمن وسلامة الطبيب وتوفير الحراسة له، كان المقيم البريطاني لا يأذن للمنصرين بالذهاب[٢].

والغريب في الأمر، أن ممارسة السلطات البريطانية لتلك الضغوط على المنصرين تأتي في الوقت الذي كان المنصرون يتفقون في رؤيتهم للأحداث العمانية مع جوهر السياسة الإنجليزية في البلد. فقد كتب المنصر بيورسم معلقا على معاهدة ١٣٣٨هـ/١٩٢٠م التي لعب القنصل البريطاني في مسقط السيد وينجيت (Wingate) دورا رئيسا في ظهورها قائلا: "لقد تلقى المقيم السياسي السيد وينجيت برقيات من بوشهر والهند مهنئة إياه على نجاحه في توحيد تلك القبائل

---

[١] Cantine, James (1904)، ص ٦.

[٢] Joyce, Miriam (1995)

للسلام. لقد عمل لأجل ذلك خلال الاثني عشر شهرا الماضية بدون توقف. ونحن كإرساليين نشكر الرب كثيرا من أجل رجل كأمثاله"[1].

وفي الواقع ان تقييد السلطات البريطانية لحرية المنصرين في التجوال لم تقتصر على مناطق الإمامة، بل شملت المدن والقرى الخاضعة لسلطة مسقط، كما أنها امتدت إلى ما بعد سقوط الإمامة، وخضوع عمان بأكملها لسلطة السلطان. ولم تقتصر الضغوط التي مارستها السلطات البريطانية على حرية الحركة والتجوال بل امتدت إلى جوانب أخرى كمعارضة شراء الإرسالية لأراضي لتوسعة مرافقها في مسقط ومطرح.

فأثناء سفر القنصل الأمريكي في بغداد جون راندولف (John Randolph) في ١٣٥١هـ/١٩٣٢م على متن إحدى السفن البريطانية توقف لفترة قصيرة في مسقط التقى خلالها بالطبيبة سارة هوسمون التي رفعت إليه شكوى ضد سلوك السلطات البريطانية التي قيدت حريتها في التجوال ومنعتها من شراء قطعة أرض في مسقط. وخلاف لذلك، فقد شكرت سارة هوسمون البريطانيين على ما يقدمونه من مساعدات أخرى خاصة إعفاء الأدوية الواردة إلى الإرسالية من الضرائب الجمركية[2].

وأمام تقييد السلطات البريطانية لتحركات الإرساليين، عمد الإرساليون إلى مخالفة الأوامر، والقيام بزيارات بدون طلب إذن من الإنجليز. ففي ١٣٥١هـ/١٩٣٢م قام الطبيب هارولد ستورم بجولة طبية إلى ظفار بدون أذن؛ مما أثار حفيظة السلطات البريطانية وغضبها، فكتب المقيم البريطاني في مسقط إلى السلطان قائلا: "إني على ثقة بأن الإرساليين الأمريكيين سيدركون حماقة أساليبهم، وسيندمون على سلوكهم السيء"[3]. وفي ١٣٧٩هـ/١٩٦٠م قامت الآنسة

---

[1] Peursem, G. Van (1920)، ١٣.

[2] Joyce, Miriam (1995)

[3] Joyce, Miriam (1995)، ص ٢٧.

جانيت بورسما التي تعمل في مستشفى الإرسالية في مسقط بزيارة إلى قرية الحزم برفقة إحدى العائلات العمانية بدون الحصول على موافقة السلطات البريطانية. وتقول الآنسة بورسما "و لهذا السبب كان كل شيء سريا للغاية. وعندما وصلنا نقطة التفتيش في روي، حبسنا أنفاسنا متمنيين أن لا يروني جالسة في مقدمة السيارة. فجلوس شخص أبيض بين العمانيين واضح للغاية ولكن حَوَّلَ الربُ أنظارهم إلى الجنود والأسلحة الموضوعة في الخلف... وبمجرد خروجنا من نقطة التفتيش كانت رحلتنا سالمة"[١].

٣. ٢. ٣. ملخص

اعتبر المنصرون أمثال الجنرال هيج والاكزندر ماكاي وصامويل زويمر الوجود السياسي البريطاني في عمان أحد العوامل التي ستساعدهم في نجاح حملتهم التنصيرية فيها. والنفوذ الإنجليزي في حد ذاته كان نفوذا استعماريا تمكن من تمزيق عمان كدولة، وكبلها بعدد من التعهدات والالتزامات، ووقف في وجه رغبة شعبها في تقرير مصيره. وعندما وصل المنصرون إلى عمان كان النفوذ البريطاني قد بلغ ذروته. وعمل المنصرون تحت الغطاء الذي وفره لهم ذلك النفوذ السياسي والدبلوماسي. وفي الوقت الذي لم تعارض السلطات البريطانية وجود المنصرين في عمان، فإنها لم تسمح لهم بحرية التصرف إلا بالقدر الذي يضمن لها عدم منافستهم لها، ولا يهدد بقاءها على الساحة العمانية. فلم تكن الاتصالات بين السلطان وأعضاء الإرسالية تجري مباشرة، بل كانت عن طريق المقيم البريطاني. وقد أعاق البريطانيون حرية المنصرين في التنقل خارج إطار مسقط بدعوى أن ذلك يشكل تهديدا لحياتهم. وفي مجمل القول ان النفوذ السياسي البريطاني في مسقط لم يكن لصالح العملية التنصيرية بالقدر الذي توقعه المنصرون أنفسهم.

---

[١] Boersma, Jeanette (1991)، ص ١٥٢.

٣. ٣. قراءة في فكر صامويل زويمر التنصيري

﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَابٍ مُنِيرٍ(٨). ثَانِيَ عِطْفِهِ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ اللَّهِ لَهُ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ وَنُذِيقُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَذَابَ الْحَرِيقِ (٩) ذَلِكَ بِمَا قَدَّمَتْ يَدَاكَ وَأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّامٍ لِّلْعَبِيدِ﴾

سورة الحج الآيات ٨-١٠.

إذا كان القسيس توماس فرنش هو رائد العمل التنصيري في عمان، فإن البروفسر صامويل مورينس زويمر (Samuel Marinus Zwemer) ١٨٦٧-١٩٥٢م، "ضيف الله" كما كان يسمي نفسه في شبه الجزيرة العربية[١]، هو المؤسس الذي على يديه شهد النشاط التنصيري الرسمي والمنظم النور في عمان خاصة، وشبه الجزيرة العربية عامة. وهو المهندس الذي صنع سياسة هذا النشاط، والمفكر الذي يعود الفضل الى أفكاره في أن يستلهم المنصرون رؤاهم وطموحهم. وهو كذلك البروفسر الذي من تحت يديه تخرجت أفواج المنصرين في "كلية برنستون اللاهوتية (Princeton Theological Seminary). وهو أيضا الباحث الذي درس الإسلام عقيدة وفكرا وفقها وسلوكا وتاريخا؛ ليصل إلى السبل التي تمكنه من زلزلة أركان هذا الدين، الذي يعتبره، "الوحيد من بين أديان العالم الذي تمكن من أن يدعي بأنه واجه المسيحية وقهرها"[٢].

فمن هنا تنبع أهمية إعطاء القسيس زويمر مساحة في هذا البحث للتعرف على دوره التنصيري في عمان خاصة والعالم الإسلامي بشكل عام. وتأتي هذه الأهمية أيضا للتعرف على الأفكار التي حملها زعماء الرعيل الأول من المنصرين الذين جاءوا الى هذا البلد، تلك الأفكار إلتي لا يزال جزء كبير منها مرشد يلجأ إليه من

---

[١] Wilson, J. Christy (1952)، ص ٥٥.

[٢] Zwemer, Samuel (1946)، ٣٠٦.

سار على دربهم من المنصرين المعاصرين الذين يستهدفون العالم الإسلامي بشكل عام.

٣. ٣. ١. الخلفية الاجتماعية والدينية

ولد صامويل زويمر، الثالث عشر من بين خمسة عشر طفلا، في مدينة فريسلاند (Vriesland) في ولاية متشيجان (Michigan) بالولايات المتحدة الأمريكية في ١٨٦٧م. وينحدر من عائلة فرنسية الأصل كالفينية المذهب، هاجرت نتيجة للاضطهاد الديني إلى هولندا، وعاشت هناك في كنف الكنيسة الهولندية المُصْلَحَة، البروتستنتية. وفي ١٨٤٩م هاجر والداه ادريان زويمر (Adriaan Zwemer) وكاثرينا بُوُن (Catherina Boon) ضمن ١٢٨ هولنديا يقودهم القسيس أتش جي كلين (H.G. Klyn) إلى الولايات المتحدة الأمريكية، حيث عمل والده قسيسا في فريسلاند وميلوكي (Milwaukee) بولاية متشجان. بدأ زويمر الدراسة الابتدائية في ميلوكي، وفي سن الثانية عشر التحق بالقسم الإعدادي في"كلية الأمل" (Hope college) في مدينة هولاند (Holand) في بولاية متشيجان. وعندما بلغ السادسة عشر تحول إلى القسم الجامعي بكلية نيو برنسويك اللاهوتية (New Brunswick Theological Seminary)، وتخرج فيها بعد أربع سنوات- سبتمبر ١٨٨٧م- بشهادة بكالوريوس في الآداب. وقد نشأ زويمر منذ نعومة أظافره في بيئة دينية كنسية. وكان للجو الديني الذي طبع أسرته أثر في تحديد توجهه وتوجه بقية أفراد الأسرة؛ فأربعة من اخوته، بما فيهم بتر (Peter) الأخ الأصغر الذي عمل في عمان، توجهوا نحو العمل التنصيري، في حين كان أخوه الأكبر جيمس (James) رئيسا لإحدى الكليات الدينية في متشيجان أما أخته نيللي (Nellie) فقد أمضت أربعين سنة في العمل التنصيري في الصين. وقالت له أمه وهي في لحظة الاحتضار في ١٨٨٦م "بأنها حين وضعته أول مرة في المهد غنت له أن يكون منصِّرا".

٣. ٣. ٢. زويمر والنشاط التنصيري

زودت السنوات الدراسية الجامعية زويمر بالتأهيل اللازم لمهمته في شبه الجزيرة العربية. وتضمن المنهج الدراسي برنامجاً لدراسة الطب اشتمل على تطبيق عملي في إحدى العيادات في نيويورك. وإلى جانب ذلك اشتغل أثناء العطل الدراسية بائعا متجولا للإنجيل، كما عمل في مهن أخرى كالنجارة والزراعة[١].

وقد أخلص زويمر الولاء لإرساليته التنصيرية، ونذر لها كل حياته. وكان شديد الحماس لتنصير المسلمين، خاصة مسلمي الجزيرة العربية، التي كان يطلق عليها "الجزيرة المهملة" "The Neglected Arabia"، وقد كرس كل جهده ووقته لتحقيق هذا الغرض، سواء بالعمل الميداني في الجزيرة العربية، والشام، ومصر، وفارس، والهند، والصين، أم في الولايات المتحدة الأمريكية ذاتها بالمؤتمرات، والمحاضرات، وجمع التبرعات، والبحث عن المتطوعين؛ حتى أطلق عليه زملاؤه لقب "رسول إلى الإسلام" (An Apostle to Islam). وقال القس زويمر أمام جماعة طلابية يطلق عليها "مؤتمر الطلبة المتطوعين" (Student Volunteer Convention) الذي عقد في ناشفيل (Nashville) في ١٩٠٦م "...إننا هنا وفي هذه اللحظة ندعو الكنيسة المقدسة في كل أنحاء العالم لتعلن حربا صليبية أخرى، وتعيد في هذا الجيل العالم المحمدي إلى المسيح "[٢]. وقال بعد ذلك في التنظيم نفسه في روتشستر (Rochester) في ١٩١٠م، وكرر ذلك في تنظيم آخر في مدينة كانساس (Kansas City) في ١٩١٤م، "هل سنعطي غرب آسيا إليه [المسيح] أم ستبقى غرب آسيا إمبراطورية لمحمد؟ هل ستسمع بيت لحم خمس مرات في اليوم "لا إله إلا الله محمد رسول الله" ولا يتجرأ واحد منا أن يذهب، بمشيئة الرب، في عام ربنا هذا ألف وتسعمائة وعشرة إلى مكة ذاتها، معقل

---

[١] Wilson, J. Christy (1952)

[٢] Wilson, J. Christy (1952)، ص ١٧٠.

الإسلام، ويعظ بإنجيل الملك العظيم"[1]. وكتب في إحدى مقالاته "في صلواتنا كما في أهدافنا، وفي خطط الإرسالية المعلنة الصيحة التي تطلق في المعركة هي "احتلوا داخل الجزيرة العربية""[2].

وقد امتاز القس زويمر عن رفقائه من المنصرين وكثير ممن تبعهم، بخدمته الطويلة في ميدان التنصير التي امتدت من عام ١٨٨٨م إلى ١٩٥٢م. وكذلك امتاز بدراسته المتعمقة للدين الإسلامي، ودراسة واقع المجتمعات الإسلامية بدءاً من الصين، ومرورا بالهند وفارس وبلاد ما بين النهرين وعمان وشبه الجزيرة العربية وآسيا الصغرى والشمال الأفريقي، وانتهاء بشرق القارة الأوربية. وقد خلد نتاج هذه الدراسات في مؤلفاته التي وصل عددها إلى ٣٧ كتابا، وشارك في تأليف ما يقارب من اثني عشر مؤلفا آخر[3]. وترجمت بعض هذه الأعمال إلى عدة لغات غير الإنجليزية ككتابه الذي حمل عنوان "الإسلام، تحد للإيمان" "Islam, A Challenge to Faith" المنشور في ١٩٠٧م وترجم إلى الألمانية والفرنسية والهولندية[4]. وبشكل عام تشكل أعمال القسيس زويمر مصدرا مهما للغاية للباحث في موضوع التنصير. وقد وضع الدكتور وارين ويبستر (Warren W. Webster) في محاضرته التي ألقاها أمام مؤتمر كولورادو الشهير في ١٩٧٨م كتاب زويمر (تأثير الروحانيات في الإسلام) "The Influence of animism on Islam, An Account of Popular Superstition"، المنشور في ١٩٢٠م، ضمن قائمة تحوي ٦٨ كتابا مقترحة ليقرأها المنصرون العاملون بين المسلمين[5].

وأسس زويمر في ١٩١١ م دورية أطلق عليها "العالم الإسلامي- THE MOSLEM WORLD". وقد عبر عن هدف هذه الدورية قائلا: "منذ البداية

---

[1] Wilson, J. Christy (1952)، ١٧٠.

[2] Zwemer, Samuel. (1907)، ص ١٦.

[3] Wilson, J. Christy (1952)

[4] Wilson, J. Christy (1952)

[5] Webster, Warren W. (1979)

كان لنا هدف واحد وسياسة واحدة، عبرنا عنها في مقالتنا في العدد الأول يناير ١٩١١م بقول "هذه ليست مجلة اختلاف بل وفاق. في الأساسيات تطلب الوحدة، وفي غير الأساسيات الحرية، وفي كل شيء البر. إننا نأمل أن نشرح للمسيحيين الإسلام كدين عالمي الانتشار في كل مواضيعه المختلفة، وحاجاته العميقة الأخلاقية والروحية؛ لنوضح ونبين في الداخل الحلول الحقيقية للمشكلة الإسلامية، تحديدا تحويل المسلمين إلى المسيحية. لتكون هذه المجلة بذلك عونا عمليا لكل من كدح لهذه النهاية، ولكي نوقظ التعاطف والحب والصلاة نيابة عن العالم الإسلامي؛ حتى تتحطم قيوده، وتلتئم جراحه، وتزول آلامه، وتُشبع رغباته في المسيح عيسى"[١]. وقد تأسست هذه الدورية عقب اجتماع أدنبره (Edinburgh) الشهير الذي عقد في ١٩١٠م. وظل زويمر رئيسا لتحرير هذه الدورية لمدة ست وثلاثين سنة، وذلك منذ تأسيسها وحتى شهر مايو ١٩٤٧م.

وشارك زويمر في الكثير من الندوات والمؤتمرات التي عنيت بالمسألة التنصيرية. وكان نشطا للغاية في هذا المجال. فبلغ عدد الخطب المتعلقة بموضوع التنصير في شبه الجزيرة العربية التي ألقاها خلال ١١٣ يوما قضاها في الولايات المتحدة الأمريكية في ١٩١٤م مائة وواحداً وخمسين خطبة[٢]. ولم تقتصر المؤتمرات التي شارك فيها على داخل الولايات المتحدة الأمريكية إذ شارك في عدة مؤتمرات دولية، بل كان المنظم والرئيس لبعضها.

فقد شارك زويمر في "المؤتمر العام" للمنصرين العاملين بين المسلمين الذي عقد في القاهرة من ٤ إلى ٩ أبريل ١٩٠٦م. ونبعت فكرة هذا المؤتمر أساسا من زميله القس جيمس كانتاين الذي أرسل زويمر إلى الهند للإعداد لهذا المؤتمر. وقد أُعد لهذا المؤتمر بدءاً من مؤتمر مدراس في الهند في ديسمبر ١٩٠٢م، ثم شُكلت في ١٩٠٤م لجنة لإعداد برنامج المؤتمر التي تلقت الدعوة من الإرسالية الأمريكية

---

[١] Zwemer, Samuel M. (1947 b)، ص ١٧٥.

[٢] Wilson, J. Christy (1952)

للاجتماع في القاهرة في التاريخ المذكور أعلاه، واختير السيد زويمر رئيسا له. واجه عقد هذا المؤتمر معارضة شديدة من قبل الكثير من المنصرين؛ خوفا من ردود الفعل التي قد تعقبه في الوسط الإسلامي. ونتيجة لذلك لم يُفتح المؤتمر للعامة، بل اقتصر الدخول إليه لحملة الدعوات الرسمية فقط[1]. وحضر هذا المؤتمر اثنان وستون مندوبا بينهم عشر نساء يمثلون تسعاً وعشرين مؤسسة تنصيرية في أوروبا وأمريكا[2]. كما حضره ما يقارب ستين ضيفا رسميا. وباعتبار أنه كان أول مؤتمر عام يعقده المنصرون العاملون في الوسط المسلم، فقد رأى المنصرون أن المجتمعين قد خرجوا بتصور أكثر وضوحا للمخطط التنصيري، ووضع المؤتمر الأساس لمدخل أكثر ثباتا للعمل بين المسلمين.

وترأس زويمر كذلك "مؤتمر لكنو العام" الذي عقد ما بين ٢٣ و٢٨ يناير ١٩١١م. وتحدث لمدة ساعة وربع الساعة في بداية الاجتماع، ومن بين ما قاله: "إذ تَعْبُرُ أعيننا أفق سائر الأراضي التي يسيطر عليها أو يهددها هذا الدين المنافس العظيم، حيث تبدو كل واحدة منها وكأنها تقف عاملاً نموذجياً ضمن المشكلة العظيمة. فالمغرب نموذج للتحقير الإسلامي، وفارس نموذج لتفككه، والجزيرة العربية لركوده، ومصر لإصلاحه المزعوم، والصين تظهر تجاهل الإسلام، وجافا التحول عن الإسلام، والهند فرصتنا للوصول إلى الإسلام، وأفريقيا الاستوائية خطَرُهُ. فكل واحد من هذه الظروف النموذجية يشكل في ذاته نداء. فحاجة العالم الإسلامي العظيمة هي عيسى المسيح [عليه السلام]. فهو الوحيد الذي يمكنه أن يعطي النور للمغرب، والوحدة إلى فارس، والحياة إلى الجزيرة العربية، وإعادة المولد إلى مصر، ويصل إلى المتجاهلين في الصين، ويربح ماليزيا، ويدرك الفرصة في الهند، ويوقف الخطر العدواني في إفريقيا"[3]. ومن المفارقات أن من بين المواضيع

---

١ Wilson, J. Christy (1952)

٢ The Cairo Conference Report, Neglected Arabia, (1906), Vol. 1, No. 57, pp. 3-10.

٣ Wilson, J. Christy (1952)، ص ١٧٤.

المهمة التي نوقشت في هذا المؤتمر ما يدعوه المنصرون بظاهرة انتشار الإسلام بين المجتمعات الوثنية في القارة الأفريقية، والدور الذي تقوم به شريحة واسعة من طبقات المجتمع المسلم، تجار وطلاب ودعاة...الخ، هناك في تبليغ رسالة الإسلام إلى تلك المجتمعات. وناقش المؤتمرون كذلك انتشار الإسلام في ماليزيا، والشرق الأقصى بين أصحاب المعتقدات الأخرى، والخطوات التي يجب أن تتبعها الكنيسة؛ لمواجهة هذا الخطر القادم– في نظرها[١].

وقد تلقى المشاركون في هذا المؤتمر برقية من لندن أعرب فيها رئيس أساقفة كانتبري عن عميق اهتمامه لما يجري في المؤتمر. وحضر المؤتمر مائة وستة وستون مشاركا يمثلون ثمان وخمسين هيئة تنصيرية من ست دول مختلفة. واختتم المؤتمر بكلمة لقسيس لاهور جي لفروي (Rt. Rev. G. A. Lefroy) الذي لخص أعمال المؤتمر في خمس نقاط، هي: ١. علاقة الإرساليات بالحكومات، ٢. موقف النصرانية من الإسلام، ٣. العاملين في مجال التنصير، ٤. الفرصة العظيمة للمنصرين، و٥. الحاجة لحياة صلاتية أعمق. ونتيجة لهذا المؤتمر أُنشئ عدد من المؤسسات التنصيرية منها "مدرسة نيومان الإرسالية في القدس (Newman School of Missions)، و"مدرسة هنري مارتن لتدريب الإرساليين إلى المسلمين" في الهند (Henry Martyn School for the Training of Missionaries to Moslems)، و"مدرسة الدراسات الشرقية" في الجامعة الأمريكية في القاهرة (The School of Oriental Studies- American University)، و"رابطة الإرساليين إلى المسلمين" (The Missionaries to Moslems League)[٢]. وشارك القسيس زويمر كذلك في مؤتمر ادنبره بالمملكة

---

[١] Dykstra, D. (1911)

[٢] Dykstra, D. (1911)

المتحدة في ١٩١٠م، ومؤتمرين في القدس في ١٩٢٤م وفي ١٩٢٨م، ومؤتمر برنستون في ١٩٤٦م[1].

وإلى جانب ذلك عمل زويمر أستاذاً لمادة "تاريخ الأديان والإرساليات المسيحية" في كلية برنستون من عام ١٩٢٩م إلى ١٩٣٨م، حيث كان الإسلام من مواد برنامجه التدريسي لطلاب هذه الكلية[2].

٣. ٣. ٣. منهجيته البحثية، ومفهومه للدين الإسلامي

أخرج القسيس صامويل زويمر العديد من الدراسات حول الإسلام. واتسم أسلوبه بالرجوع الى الآيات القرآنية والأحاديث النبوية للاستشهاد، ودعم آرائه واستنتاجاته. لم تهدف دراساته إلى فهم محض للإسلام، بل كانت من أجل التوصل إلى أفضل الطرق التي يمكن بها تفعيل العملية التنصيرية في الوسط المسلم. فهو يرى أن جهل المنصرين بالإسلام، وبعلاقة الإسلام بالنصرانية من أهم أسباب فشلهم في مهامهم التنصيرية. لذا فعلى المنصر كما يرى زويمر أن يفهم الإسلام حتى يتسنى له الانتصار عليه، يقول: "إن الإرسالي المسيحي يجب عليه أولا أن يعرف معرفة تامة دين الناس الذين يعمل بينهم. الجهل بالقرآن وبالحديث وبحياة محمد وبمفهوم المسلم عن المسيح وبالمعتقدات والمحامل الاجتماعية للمحمديين التي هي أثر لدينهم، الجهل بكل هذه، هو سبب الصعوبة الأساسية في العمل من أجل المسلمين"[3].

فزويمر الذي قدم إلى المنطقة بعقلية مشبعة بالعداء للإسلام، وحتمية تحويل المسلمين الى النصرانية، لم يهدف من خلال دراساته إلا إلى إثبات صحة ما يحمله من أفكار ومبادئ، والخروج باستنتاجات تعينه على تنفيذ خططه واستراتيجياته

---

[1] Wilson, J. Christy (1952)

[2] Wilson, J. Christy (1952)

[3] Zwemer, Samuel (1912)، ص ١٨٣.

التنصيرية. فإنه يقول في مقدمة كتابه "الجزيرة العربية مهد الإسلام" " Arabia the Cradle of Islam"– وهو أحد بواكير خبراته وأعماله التنصيرية في عمان، وأجزاء أخرى من الخليج وشبه الجزيرة العربية، حيث وضع محتوياته في البحرين في صيف عام ١٨٩٩م–: "الغرض من هذا الكتاب هو خصيصا استدعاء الاهتمام نحو الجزيرة العربية، والحاجة لعمل تنصيري للعرب... لقد كتبنا من وجهة نظر تبشيرية، لأجل ذلك فإن للكتاب ملامح محددة والتي عُينت خصيصا لأولئك المهتمين بالمشروع التبشيري"[١].

لم يكن منهج زويمر في دراسة الإسلام موضوعيا أبدا، بل كانت الذاتية هي المنهج الذي اختاره ويراه أكثر فاعلية في هذا المجال، فقد كتب عن منهجه قائلا: "إن أقصر الطرق إلى قلب المسلم قد يمكن في الغالب العثور عليها بالدراسة الذاتية أفضل عنها بالدراسية الموضوعية"[٢]. وتتضح هذه الذاتية في منهجية زويمر من خلال دراساته التي ترمي إلى مقارنة الإسلام بالديانة النصرانية، فقد قال في إحدى مقالاته مقتبسا نصا من تقرير مؤتمر أدنبره المجلد الرابع: "في أي دراسة أساسية للإسلام وعلاقته بالنصرانية، يحسن بنا أن لا نغفل دراسة فكرة الإسلام عن الرب ومفهوم الثالوثية في النصرانية، وذلك لأن الإسلام هو الدين المعادي لنظرية المسيحية، فالجمع ممكن ليس بالاتفاق بين الإسلام والمسيحية، ولكن بتقريب الكثير من الملامح العامة التي لا تزال باقية إلى منطق واضح، وتبيين كيف أن كثيراً من هذه الملامح العامة توجد في أشكال صحيحة في المسيحية وليس في الإسلام"[٣]. وهذه المنهجية في الحكم على الإسلام، من خلال التوراة والإنجيل، لم تحدث مصادفة بل كانت إحدى أسس البحث التي طبقها متعمدا، ويدعو الدارسين النصارى كذلك إلى تطبيقها، فقد قال: "...يجب أن يكون هناك حكم مقنن في

---

[١] Zwemer, Samuel (1900 a)، ص ٥.

[٢] Zwemer, Samuel (1912)، ص ١٨٣.

[٣] Zwemer, Samuel M. (1945 a)، ص ٥.

الدراسة المقارنة لأفكار الديانات، والمسيحي يستطيع أن يحكم على الديانات الأخرى من خلال الإنجيل"[1].

لذا فقد نبعت استنتاجاته عن الإسلام من أحكام مسبقة أملتها عليه خلفيته الدينية والثقافية النصرانية. فقد جعل من العهدين القديم والجديد محكاً يقيس عليه مدى قبوله ورفضه للإسلام وأحكامه وشرائعه. فوضع الإسلام ومصادره في جانب ووضع في الجانب الآخر النصرانية ومصادرها، فكل ما طابق تعاليم النصرانية وجد هوى لديه، وما كان عكس ذلك فهو مردود من جانبه. ويظهر هذا الأمر واضحا للغاية في أطروحاته وكتاباته المختلفة. فعلى سبيل المثال، في طرحه لمفهوم الإله في الإسلام، ومناقشته لصفات الله– سبحانه وتعالى– الواردة في القرآن الكريم، يقول: "هذا ليس هو الإله الحق الواحد **الذي عرفناه نحن من خلال عيسى المسيح**، وعرفنا أنَّ لديه الحياة الخالدة "لا أحد يعرف الأب سوى الابن، ومن أراد الابن أن يعلنه له"[2]"[3].

وفي عرضه لآراء غيره من الكتاب النصارى الذين تعرضوا للإسلام في كتاباتهم، يميل القسيس زويمر الى الأخذ بأقوال أولئك الكتاب المجحفين الذين صبوا وابل انتقاداتهم غير الموضوعية على الإسلام، من أمثال هُوْ بروتون (Hugh Broughton)، وأَلْوِيْز سبرنجر (Aloys Sprenger)، وجوستاف ويل (Gustav Weil)، والسير وليام موير (Sir William Muir)، وأس دبليو كويل (S. W. Koelle). لأجل ذلك لم يتوان زويمر في اقتباس أكثر الافتراءات التي قيلت عن الإسلام، ليتوج بها رؤوس أبواب كتبه. فقد توج– على سبيل المثال– بعض فصول "الجزيرة العربية مهد الإسلام" بكلام لإدوين أرنولد (Edwin

---

[1] Zwemer, Samuel (1946)، ص

[2] إنجيل متى ١١/٢٧

[3] Zwemer, Samuel (1900 a)، ص١٧٦.

(Arnold جاء فيه: "لقد ولد الإسلام في الصحراء، الصابئة العربية أمُّهُ، واليهودية أبوه، والنصرانية الشرقية مرضعته"[1].

وفي الوقت ذاته حاول أن يعطي تفسيرات يؤوِّل بها المواقف العادلة أو شبه العادلة التي نحا نحوها غير أولئك من الكتاب النصارى كأمثال ثوس كارليل (Thos Carlyle) الذي وصف الرسول محمد، صلى الله عليه وآله وسلم، في كتابه "الأبطال وعبادة البطل"، (Heroes and Hero-worship) بأنه نبي الله الحق، ووصف الإسلام بأنه نوع من النصرانية، والبروفسر أرنولد تي دبليو (Arnold T. W) الذي أثبت في كتابه (تعاليم الإسلام: تاريخ انتشار الدين الإسلامي) " The Preaching of Islam: A history of the Propagation of the Muslim Faith" أن الإسلام لم ينتشر بحد السيف. فكارليل في نظر القسيس زويمر لم يدرس الإسلام دراسة وافية حتى يصفه بما وصفه به، فهو يقول: "لقد فهم كارليل الطبيعة الحقيقية للإسلام فهما قليلا حتى يدعوه بأنه نوع من النصرانية"[2].

إن هذه المنهجية المقيدة بالعوامل الذاتية، وبالاعتبارات الشخصية في أسلوب البحث والتحليل هي التي أدت بالقسيس زويمر إلى استنتاجات أصلت لديه جانب البغض والعداء الشديدين للإسلام الذي يقول عنه "إن الإسلام بحق هو الدين الوحيد المعادي للمسيحية"[3]، ودعمت نظرته غير المنصفة إلى قيم الإسلام وأحكامه وشرائعه، وقوّت النزعة التنصيرية في فكره وسلوكه.

وفي سياق الحديث عن موقف الدكتور صامويل زويمر من الإسلام، يجدر بنا أن نقف وقفة عرض وتفصيل أمام أربعة عناصر أساسية في هذا المنحى أولاها زويمر مساحة واسعة في دراساته ومؤلفاته، وهي: "الإسلام" و"الله" و"الرسول محمد"–

---

[1] Zwemer, Samuel (1900 a)، ص ١٦٩.

[2] Zwemer, Samuel (1900 a)، ص ١٦٩.

[3] Zwemer, Samuel (1912)، ص ١٧١.

صلى الله علية وآله وسلم- والقرآن الكريم. وأود أن أؤكد مرة أخرى أن الهدف من هذا العرض هو الوقوف على افتراءاته المتطرفة في هذا الجانب بدون تفنيد كل قول من أقواله فإن كلامه فاضح لنفسه، ومتهافت من أساسه.

٣. ٣. ٣. ١. الإسلام

أود أن استهل الحديث عن موقف زويمر من الإسلام، باقتباس هذه الفقرة من كتابه "الجزيرة العربية مهد الإسلام"، فقد كتب قائلا: "لقد أوجدت نتائج قرن من الدراسة النقدية، التي قام بها علماء أوربيون وأمريكيون من كل المدارس الفكرية، حقيقة مؤكدة هي أن الإسلام دين مركب. إنه ليس اختراعاً ولكنه تلفيق. ليس به شيء نبيل سوى عبقرية محمد في خلط المكونات القديمة في دواء جديد للأمراض الآدمية وفرضه بواسطة السيف. لقد جُمعتْ هذه العناصر المتغايرة للإسلام في شبة الجزيرة العربية في وقت تغلغلت فيها أديان أخرى، وكانت الكعبة هي الهيكل. إن لم يكن لدى الشخص معرفة بعناصر "زمن الجاهلية" هذه، فإن فهم الإسلام يصبح مشكلة. وعلى كل حال، فمن خلال معرفة هذه العناصر الوثنية، واليهودية، والنصرانية يمكن أن يُرى جليا بأن الإسلام تطور طبيعي ومفهوم. إن عناصره الوثنية ما زالت باقية إلى يومنا هذا وملموسة للغاية بالرغم من ثلاثة عشر قرنا من التفسيرات التي تقدمها السلطات المسلمة. ويَرجع الفضل إلى المعلم اليهودي جيجر (Geiger) في معرفتنا الأولى بحقيقة إلى أي مدى أصبح الإسلام مديناً لليهود والتلمود. وكذلك وضح القسيس دبليو سانت كلير تسدول (Rev. W. St. Clair Tisdall) منذ زمن قريب كيف أن محمداً أخذ حتى من الزرادشتية والصابئة، في حين يبرهن القرآن ومفسروه على كمية التعاليم النصرانية الموجودة في الإسلام"[1].

---

[1] Zwemer, Samuel (1900 a)، ص ١٧٠.

يحاول زويمر أن يربط بين الإسلام والنصرانية بطريقة تبدو وكأنها تنصير إجباري للإسلام في أبعاده العقدية والفكرية والسلوكية والتطبيقية، ومحاولة يائسة من الدكتور زويمر في زرع أفكار مغلوطة في عقول من يستهدفهم بأعماله. فيجادل زويمر بأن الإسلام قد استقى جزءاً واسعاً من مكوناته العقدية والسلوكية من النصرانية؛ وذلك من خلال التقاء الرسول بالرهبان وغيرهم من أرباب هذه النحلة، يقول "...التقى محمد الرهبان والكهان المسيحيين ... وأخذ منهم مباشرة أو غير مباشرة بعضاً من وحيه"[1]. ويدعي زويمر كذلك بأن الرحلة إلى الشام التي صحب فيها الرسول- صلى الله عليه وآله وسلم- عمه وهو صغير، والرحلة التجارية الثانية إلى الشام عرفتاه بالديانة النصرانية[2].

ففي الوقت الذي يرفض فيه الإسلام عقيدة الحلول والصلب والبعث وتكفير عيسى عن الخطيئة البشرية فإن زويمر يحاول أن يلصقها بالإسلام لصقا. فمن قول الله- سبحانه وتعالى- على لسان المسيح ابن مريم ﴿وَسَلَامٌ عَلَيْهِ يَوْمَ وُلِدَ وَيَوْمَ يَمُوتُ وَيَوْمَ يُبْعَثُ حَيًّا ﴾[3] يحاول زويمر أن يثبت أن هذا تضمين لفكرة الحلول والصلب والبعث والكفارة في النصرانية، يقول: *"إن الفرد لا يتوقع إشارة إلى* الحلول والكفارة والبعث كثلاثة أيام ذات حروف حمراء في النصرانية في كتاب عرف برفضه لبنوة المسيح، وموته على الصليب، وبعثه. ولكن في قصة معجزة ولادة عيسى من عذراء (سورة ١٩: ١٥-٣٤) لدينا كلمات مدهشة على لسان الصبي عيسى. ...الثلاثة أيام المذكورة إنما هي بحق أيام سلام في سجل الإنجيل. عندما ولد عيسى غنت الملائكة بالسلام في الأرض، وأعلنته النبوءاتُ أميرا للسلام. وفي مماته كان لنا سلاما مع الرب من خلال دم الصليب... وبعد بعثه كان المسيح هو الذي أعطى تابعيه الرمز والخاتم بسلامه. الرسالة الأساسية للتجسد والتضحية

---

[1] Zwemer, Samuel M. (1944 a)، ص ١٩.

[2] Zwemer, Samuel and Amy E. (1911)

[3] سورة مريم الآية ٣٣.

وصباح البعث هو السلام مع الرب. في هذا الحس ذي الثلاثة أوجه كان عيسى المسيح بحق هو أمير السلام منذ يوم ولادته، ويوم موته، واليوم الذي انبعث فيه من الموت. ... فبمجرد أن يتواجه الناس وجها لوجه مع عيسى الإنجيل سوف يعرفون المعنى العميق لآيات القرآن التي سقناها أعلاه "[1].

ومن تلك الآيات نفسها يرى زويمر أيضا بأن تقديس المسلمين ليوم الجمعة إنما هو تأثر بيوم الجمعة السعيد في النصرانية الذي يعتقد النصارى بأنه يوم قيام السيد المسيح من الموت– هذا مع اعترافه – زويمر– بأن هذا اليوم لم يُشر إليه أبداً في القرآن، كما أن الرسول– صلى الله عليه وآله وسلم– لم يذكره في حديث خير يوم أشرقت عليه الشمس. ومن هنا يدعي زويمر– كذلك– بأن الإسلام جاء بتحيته "السلام عليكم" من النصرانية، حيث كانت هي تحية المسيح لأتباعه عندما التقى بهم أول مرة بعد بعثه[2].

كذلك يجادل زويمر بأن المنبر إنما أُخذ من النصرانية واليهودية، وذلك من خلال احتكاك الرسول بأصحاب هذه الديانات[3]، يقول زويمر: "...لكن المحراب في كل مسجد هو محاكاة لمشكاة المذبح في الكنائس"[4].

ثم يدعي زويمر بأن اتخاذ الكعبة المشرفة قبلة للمسلمين، إنما هو اتباع للشعائر الجاهلية المنتشرة في شبه الجزيرة العربية قبيل ظهور الإسلام، لا سيما وأن الرسول قد تحول إليها بعدما اتخذ بيت المقدس قبلة في بداية الدعوة، يقول في ذلك "قبل الهجرة اتخذ محمد القدس وجهة الصلاة، ولكن عندما استقر في المدينة أظهر تغير موقفه من وثنية شبه الجزيرة العربية أولا بحكم القبلة (سورة ٢ : ١٣٦–١٤٥). بهذه الطريقة أصبحت الديانة الوثنية القديمة جزءاً من الإسلام،

---

١ Zwemer, Samuel M. (1945 b)، ص ٧٩.

٢ Zwemer, Samuel M. (1945 b)

٣ Zwemer, Samuel M (1933 b)

٤ Zwemer, Samuel M. (1944 a)، ص ١٨.

ومنذ ذلك الحين تحولت أعين المؤمنين الى مكة"[1]. ومن هذا المدخل العقيم يطالب القسيس زويمر المسلمين بتذكر قبلتهم الأولى والرجوع إليها، يقول: "لأجل هذا نحن نطالب أصدقاءنا المسلمين بتذكر قصة المسجد الصغير قرب المدينة المنورة الذي لا يزال مستخدما بقبلتيه واحدة إلى القدس والأخرى إلى مكة، وندعوهم إلى التوجه إلى القبلة القديمة، ومواجهة الحقائق التاريخية التي كونت مركزهم في القدس– المنبع الخارق للرب الحق الوحيد في الوحي، والتجسد، و التضحية والبعث"[2].

ويدعي زويمر كذلك أن تقديس المسلمين للحجر الأسود، إنما هو من بقايا عبادة الحجارة المنتشرة في عهد الجاهلية. في حين أن الطواف حول البيت– في نظره– من بقايا عبادة الكواكب السائدة بين الصابئة التي وصلت إلى الإسلام من خلال الجاهلية، وأما رمي الجمرات فهو من موروثات عبادة الأصنام[3]. وحول ذلك

---

[1] Zwemer, Samuel M. (1933 a)، ١٠٩.

[2] Zwemer, Samuel M. (1933 a)، ص ١١٦.

يقول سماحة الشيخ أحمد بن حمد الخليلي– حفظه الله– مبينا الحكمة من التوجه نحو البيت المقدس في بداية الدعوة، ثم تغيير القبلة إلى البيت الحرام: "جعل الله تعالى تعظيم هذا البيت [الحرام] يصل إلى المسلمين عن طريق وحي الله، لا عن طريق عادات الجاهلية التي كانت مشوبة بكثير من الشوائب والأدران التي لا تليق مع قدسية الإسلام ونزاهة الإسلام.

فالأمة الإسلامية أرادها الله– سبحانه وتعالى– أن تكون وريثة لهدي جميع النبوات السابقة، ولكن مع ذلك لا تصل إليها هذه المواريث عن طريق الجاهلية، وإنما تصل إليها من طريق وحي الله سبحانه وتعالى. فالعرب كانوا يكنون في نفوسهم الحب، والتقدير، والإجلال، والتعظيم لبيت الله الحرام، ولحرمه الآمن وإن كانوا على جاهلية جهلاء. وهذا مما ورثوه عن إبراهيم– عليه السلام– أو مما بقي عندهم من مواريث دعوة أبي الأنبياء إبراهيم– عليه السلام– غير أن الله– سبحانه وتعالى– عندما أراد أن يشرف هذه الأمة بالنبوات قطع صلتها أولا بالجاهلية؛ حتى لا تكون في تلقيها مواريث النبوات متأثرة بالجاهلية، فصرف المسلمين عن استقبال البيت الحرام وأمرهم أن يستقبلوا بيت المقدس ليجمعوا ما بين مواريث النبوات؛ لأن بيت المقدس أيضا هو مما عظم لدى النبوات السابقة، فقد جعل الله– سبحانه وتعالى– فناءه ملتقى للعديد من رسالات السماء. وجعل الله الأرض التي حوله مباركة بإشعاع هذه الرسالات عليها؛ ليجتمع للمسلمين إرث النبوات السابقة، وليتلقوا هذا الإرث من طريق الوحي لا من طريق الجاهلية.

و عندما رسخت العقيدة في المسلمين أمروا مرة ثانية بالتوجه إلى البيت الحرام حتى يكونوا متلقين تعظيم هذا البيت من طريق وحي الله – تعالى، من القرآن الكريم لا من طريق الجاهلية السابقة".

الخليلي، أحمد بن حمد (١٤١٣هـ)، ص ١٩.

[3] Zwemer, Samuel M, (1947 a)

يقول السيد زويمر: "لذلك جيء بالكعبة للبروز كمركز ديني وحُوِّلَ حج الوثنين العرب إلى شعيرة إسلامية"[1].

ويدعي زويمر أن الرسول– صلى الله عليه وآله وسلم– قد استفاد من العناصر المتوفرة في بيئته لصنع مادة الإسلام. فمفهوم الجنة– كما يقول زويمر– كونه الرسول من خلال معرفته بواحات الجزيرة العربية وحدائق الشام، فقد قال: "... لكن أفكاره عن الجنة بلا شك أخذها من واحات الجزيرة العربية، والحدائق السورية... مفهوم محمد عن الجنة بأنهار المياه واللبن والخمر، بعطرها (الذي كان شغوفا به)، والأشجار المنعشة جاءت بلا شك من الحدائق الدنيوية التي شاهدها بنفسه..."[2]. وفي مقالة نشرها في وقت لاحق أقر زويمر بأن المصدر الذي استقى منه الرسول– صلى الله عليه وآله وسلم– فكرته عن الجنة لا يزال تساؤلاً لم يُجَبْ عنه بعد[3]. ويدعي زويمر أن حب الرسول– صلى الله عليه وآله وسلم– للون الأخضر ألهمه لون البُرَد التي يلبسها أهل الجنة كما ورد في القرآن الكريم ﴿عَالِيَهُمْ ثِيَابُ سُندُسٍ خُضْرٌ﴾[4]، يقول زويمر "يبدو بدون شك، على كل حال، أن محمداً نبي الجزيرة العربية قد أحب [اللون] الأخضر، وتصور أنه هو لباس المهرجانات في الجنة"[5]. ويقدم القسيس زويمر هذا التفسير لأن لباس أهل الجنة لم يرد له ذكر في كل من العهدين القديم والجديد، لذلك لا يمكن أن تفسر– في نظره– في ضوئهما.

أما انتشار الإسلام في نظر الدكتور زويمر فهو نتيجة عوامل متعددة يصفها بقوله: "في عام ٥٧٠ بعد الميلاد ذهب عبدالله ولد عبد المطلب، أحد تجار مكة، في رحلة تجارية من مكة إلى المدينة ومات هناك. وفي العام نفسه ولدت زوجته آمنة

---

[1] Zwemer, Samuel M. 'Return to the Old Qibla' in "The Moslem World" pp. 13-19 (15)، ص ١٥.

[2] Zwemer, Samuel and Zwemer, Margaret C (1941)، ص ٣٦٢.

[3] Zwemer, Samuel M. (1944 b).

[4] سورة الإنسان، الآية ٢١.

[5] Zwemer, Samuel M. (1944 b)، ص ١٢٥.

في مكة ولدا سمي محمداً. وبعد مائة سنة ألحق اسم هذا باسم العلي، وأصبح ينادى به من عشرة آلاف مسجد خمسة مرات يوميا من مسقط إلى مراكش. وكان دينه الجديد يكتسح كل شيء أمامه في ثلاث قارات. ما هو تفسير هذه الأعجوبة التاريخية؟ وُضعت العديد من النظريات لذلك، وقد يكمن التفسير الصحيح في مجموعها. وهي ضعف النصرانية الشرقية وتداعي وضع الكنيسة، وحال الإمبراطوريات الرومانية والفارسية، وصفات الدين الجديد، وقوة السيف والتعصب، وعبقرية محمد، والصدق النصفي لتعاليمه، وعبقرية الذين جاءوا بعده، والرغبة في الغنيمة وحب الفتح. هذه بعض الأسباب التي وضعت للانتشار المبكر والسريع للإسلام"[1].

إلا أنه في كتاباته المتأخرة يتراجع الدكتور زويمر عن موقفه هذا من العوامل التي أدت إلى نجاح الإسلام، ليعلن أن الموضوع مُشكِل، ومن الصعب التوصل فيه إلى نتيجة مرضية، فقد قال: "لماذا إسلام؟ إن هذا السؤال يتضمن أكثر المشكلات صعوبة بسبب مكانة محمد في التاريخ، والأسباب الحسنة التي أدت إلى نشأة هذا النظام العظيم غير النصراني ونموه. لقد كانت هناك العديد من الإجابات كما نعلم جميعا... ومهما كانت الخاتمة للذي قد كان، فإن مسألة نشأة الإسلام تبقى مشكلة تاريخية، لأن هذا الدين لم يكن تمهيدا للنصرانية ولكن كان تخلفا"[2].

وقوة الإسلام في نظر الدكتور زويمر لا تكمن في ولائه للرسول الكريم، ولا في الشعائر الدينية المختلفة، بل في مفهوم "الوحدانية" الذي يشكل حجر الأساس الأول في بنائه، يقول زويمر: "إن قوة الإسلام ليست في ولائه لمحمد، ولا في شعائره وحجه، ولا حتى في خاصيته السياسية الفطرية، ولكن في تمسكه الهائل

[1] Zwemer, Samuel (1900 a)، ص ١٧٩.

[2] Zwemer, Samuel M. (1938 b)، ص ٢١٨.

والمتعصب للحقيقة الوحيدة العظيمة– التوحيد– الحقيقة التي تُمسك العالم الإسلامي أكثر من استمساكه هو بها"[1].

أما التسامح تجاه أصحاب الديانات الأخرى الذي لاحظه زويمر في المجتمعات الإسلامية، فلا يعزوه– طبعا– إلى الإسلام وتعاليمه بل إلى عوامل خارجية أثَّرتْ في فكر المسلمين المتسامحين وسلوكهم. ففي الجزيرة العربية مثلا، ما ذلك التسامح في نظر زويمر إلا "صدى خافت لكل التسامح العقدي [السائد] في زمن الجاهلية عندما كان ثلاثمائة وستون صنما– بما فيها صور للمسيح والعذراء– تملأ الكعبة"[2]. أما في الصين فهو نتيجة تأثر المسلمين بالديانة الكنفوشية[3].

٣. ٣. ٣. ٢. الله– سبحانه وتعالى–

يرى زويمر بان مفهوم الله– كسائر مفردات الإسلام الأخرى– رُكِّب من تصور الديانات اليهودية والنصرانية والإغريقية عن آلهتها. فمن ناحية– يرى زويمر– أن الله صورة مشابهة للرب يهوه (Jehovah) في العهد القديم أو الألوهية– أو الرب الأب– في العهد الجديد[4]. فالله – سبحانه وتعالى– كما يبدو للقسيس زويمر يتصف بصفات تجمع بين الخصائص الواردة عن الرب في العهدين القديم، والجديد، وإضافات جاء بها الرسول محمد– صلى الله عليه وآله وسلم. إلا أن القسيس زويمر يرى أن هناك اختلافات جذرية بين صفات الله كما جاء بها الإسلام وصفات الرب في العهد الجديد، يقول: "إن عقيدة القرآن عن الله بعيدة عن المسيحية، ولكنها توحيدية كليا وللغاية... إلا أن آية النور وآية الكرسي في القرآن (٢٤: ٣٥ و٢: ٢٥٥)[5] عبرتا بكلمات جميلة عن الكائن وصفات الرب [الواردة] في العهد

---

[1] Zwemer, Samuel (1946)، ص ٣٠٦.

[2] Zwemer, Samuel (1900 a)، ص ٣٨٧.

[3] Zwemer, Samuel M. (1934 a)

[4] Zwemer, Samuel (1900 a)

[5] في النص الأصلي خطأ في ترقيم آية الكرسي حيث قال زويمر ٢: ٢٥٦

القديم. كما أن أسماء الله التسعة والتسعين الجميلة (مع وجود استثناء أو استثناءين) يمكن أيضا أن توجد كصفات ليهوه في كتاب العهد القديم"[1].

وفي إطار هذه المقارنة العقيمة يرى السيد زويمر أن العقيدة الإسلامية لا تتضمن خمسة عناصر عن صفات الرب حواها كل من العهد القديم والعهد الجديد وهي– حسب قوله: "(١) لا توجد أبوة، وإنما توجد عبودية فقط، وخوف ابنوي من جانب المؤمن. فعندما لا توجد أبوة تجاه الإنسان فيمكن [كذلك] أن لا توجد أخوة من قبل الإنسان. فالإسلام أخوة مقتصرة على المؤمنين وليس أخوة شاملة للإنسانية. (٢) الله تنقصه صفة حب الفداء، فكائن غير قادر على تقديم الحب لا يمكن أن يُحَبَ... (٣) الله ليس مقدسا وليس كله خير، إن عدالة الرب قُدمت بطريق ضعيف أو غير مرضٍ. ومما تجدر الإشارة إليه هو أن القرآن يتحدث عن الذنب والرحمة وليس عن الخطيئة والحب. خطيئة الإنسان مقارنة بحب الرب عقيدة غير معروفة [لدى المسلمين].... (٤) لا تناسق في صفات الله، فهي متباعدة كالتسع والتسعين خرزة في مسبحة المسلم، يمسكهما ببعضها خيط فقط ... الطريقة الوحيدة التي يمكن أن يسامح الله بها المخطئ هي مخالفة القانون، والعفو عن الخطأ بدون عقوبة. صليب المسيح هو الرابطة المفقودة في عقيدة المسلم، وهي مركز رسالة الإنجيل. (٥) أخيرا، إن مذهب المسلم عن الله عقيم. ... لأن الله مكتف في نفسه وبنفسه، لأنه بأكمله مختلف، ولا يمكن مقارنته بأي أحد أو أي شيء لذلك فهو بعيد كليا عن خَلقه... مرة بعد مرة من خلال قراءة العقيدة الإسلامية يحصل الفرد على الانطباع بأن الإسلام هو دين رجل الطبيعة، وليس دين ذلك الباحث الروحي عن الرب"[2].

كما أن الفلسفة الإغريقية– كما يرى زويمر– قد أثرت أيضا في تكوين مفهوم الله، يقول "هنا تأثير الكنيسة الإغريقية، والفلسفة الإغريقية عملا كمثيرات

---

[1] Zwemer, Samuel (1946)، ص ٣٠٨.

[2] Zwemer, Samuel (1946)، ص ٣١٤.

لتكوين عقيدة أكثر تعنتا عن الرب، ولكن نتيجة تقليص الله إلى شيء لا يمكن تعريفه وُصف وصفا سلبيا"[1].

ومن المصادر التي يدعي القسيس زويمر أنها شاركت في تكوين مفهوم الرب في الإسلام، فرقة الحنيفية التي خرجت على دين العرب الوثني في مكة قبيل إعلان الرسول- صلى الله عليه وآله وسلم- دعوته، لذلك لاقى نداء الرسول بالدين الجديد قبولا لدى أعضاء تلك الفرقة، يقول زويمر: "لقد كانت هناك فرقة مشهورة من الباحثين الدينيين أو المجددين في مكة تدعى الحنيفيين التي رفضت كل الشرك، وطلبت التحرر من الذنب بالرضوخ الى مشيئة الله. هؤلاء شكلوا جسرا بين عبادة نوع واحد من الآلهة إلى التوحيد. لقد قال محمد ان إبراهيم كان حنيفيا، ليس يهوديا ولا نصرانيا (١٢٩:٢؛ ٦٠:٣؛٦١٦٢ الخ)، وقد تعلم الكثير من هؤلاء الحنيفيين الذين كان من بينهم ورقة بن نوفل، وزيد ين عامر. وعندما أعلن محمد دينه وشعاره "لا إله إلا الله" لم يكن يحاول أن يقدم مادة جديدة من العبادة. ورجال بلده - كما أعلن تور أندره (Tor Andrae)- كانوا يعرفون هذا الإله الأعلى وأقروا به. قد يمكننا القول بأن الله- إلى قدر محدد- يحتل نفس علاقة الآلهة والإله في الجزيرة [العربية] الوثنية بالرب الأعلى أو رب السماء المنتشر بين الروحانيين [الذين يعتقدون أن لكل شيء روحاً] في إفريقيا وآسيا. ليس العرب الوثنيون فقط، ولكن النصارى واليهود في الجزيرة العربية عندهم الاسم نفسه لإلاههم الأعلى. ولقد حدث أيضا أن النصارى العرب اعتبروا أن إله النصارى هو رب الكعبة في مكة، وأحيانا يشاركون في العبادات التي يُحْتفَل بها هناك. في أحد الأقسام أشار الشاعر النصراني "عدي بن زيد[2]" إلى رب مكة والمصلوب معا. إنه

---

[1] Zwemer, Samuel (1946)، ص ٣١٢.

[2] شاعر جاهلي نصراني من بني أمريء القيس بن زيد من بن تميم، وكان الأصمعي وأبوعبيدة يقولان: عدي بن زيد بمنزلة سهيل من النجوم. (خزانة الأدب للبغدادي).

أكثر من ممكن- حينئذ- أن الإيمان بالله جزء من الدين الغابر للجزيرة العربية- أملاك بني إسماعيل الأولى. ومحمد دعاهم إلى هذا الإرث"[1].

وفي نظر القسيس زويمر أن المفهوم الإسلامي عن الرب ينبئ بأن الله- سبحانه وتعالى- عدم. فاتصاف الله- سبحانه وتعالى- بصفات مغايرة لصفات الموجودات- كما ورد في قول الرسول "كل ما خطر في بالك فربنا مخالف ذلك" إنما هو إثبات لمعنى العدمية. وقد عبر زويمر عن هذا بقوله "قبل كل شيء مفهوم محمد عن الله هو عدم بكل ما تحمل الكلمة من معنى. الرب فريد وليس له أية صلة بأي كائن يشاطره الصورة. إنه لا يمكن تعريفة بعبارة سوى أنه عدم، كما تحويه الأغنية المشهورة كل ما يخطر في بالك فربنا مخالف ذلك"[2].

ثم يدّعي زويمر- أن هذا الرب المجهول الشخصية إنما عرف من صفاته سلطته المطلقة وسطوته التي لا رحمة فيها، على عكس الرب المعروف عند النصارى[3]. ولفظة "الإسلام" التي تعني التسليم المطلق لله سبحانه وتعالى- كما يرى زويمر- تعطي الانطباع بحقيقة هذه العلاقة القاسية بين الرب والإنسان[4]. فزويمر يرى بأن أسماء الله التسعة والتسعين ليس فيها اسم للحب أو الأبوة أو الإيثار أو العدالة، يقول: "من بين أسماء الرب التسعة والتسعين الجميلة ... أفكار الأبوة والحب وعدم الانحياز والعدالة وعدم إيثار الذات غائبة. فالحقيقة النصرانية "الرب هو الحب" للمتعلمين [المسلمين] تجديف [في حق الله] ولغير المتعلمين لغز"[5]. وفي غياب تلك الصفات التي يدعيها زويمر فإنه يرى بأن الله- سبحانه وتعالى- اتصف بصفات القوة المسيطرة المطلقة التي تتصرف في هذا الكون وفق نزوات لا تحكمها قوانين، يقول زويمر: "هوى الرب قطعي ووحيد، قَدَرُ كل شيء

---

[1] Zwemer (1946)، ص ٣١٠.

[2] Zwemer, Samuel (1900 a)، ص ١٧١.

[3] Zwemer, Samuel (1900 a)

[4] Zwemer, Samuel (1946)

[5] Zwemer, Samuel (1900 a)، ص ١٧٢.

أو أحد من خير أو شر إنما هو وفق نزوات سلطته. حيث إنه لا أبوة ولا أثر للفداء يخفف من تعاليم القرارات. فجهنم يجب أن تُملأ ولذلك خلق الله الكفار"[1]. وفي غياب تلك الصفات التي يدعيها زويمر فإنه يرى أن الله– سبحانه وتعالى– ليس عادلا، يقول: "الله غير محاط بأي مقياس للعدالة"[2].

وفي نظر زويمر إنما نزل الإسلامُ بالرب إلى مرتبة الهوى، مما جعل منه طاغية لا معنى عنده للرحمة، يقول: "الإسلامُ نزل بالرب إلى منزلة الهوى، فهو طاغية، طاغية شرقي، وبما أن القانون الخُلُقي ليس له اعتبار فإنه [الرب] لا يحاط بأي مقياس للعدالة"[3].

ويستنتج القسيس زويمر أن نشأة مذهب التصوف في الإسلام، إنما كان تمردا على هذه العقيدة التي لا تشبع البعد الروحي في النفس الإنسانية التي دائما تتوق إلى علاقة أعمق بالإله، يقول زويمر "التصوف الإسلامي كان تمردا على المذهب الأصولي [في وصف] الله. إن القلب البشري متلهف إلى رب يُحب: ربٍ شخص له علاقة وطيدة بالإنسانية، رب حي يمكن أن يلمس أحاسيس ضعفنا، والذي يسمع ويجيب الدعوات. هذا الرب لا يظهر في القرآن. كائن غير قادر على الحب، أيضا غير قادر على أن يحب. وأكثر الشهادات وضوحا على هذا الفراغ في مفهوم التوحيد لدى المسلمين الأصوليين إنما هو حقيقة أن قصائد الصوفية في الغرام المتفاني اعتبرها العقائديون المتزمتون بدعة"[4].

ثم يدعي زويمر بأن فشل الرسول محمد– صلى الله عليه وسلم– في تقديم صوره صحيحة عن صفات الله– سبحانه وتعالى– المعنوية– التي ينادي بها زويمر– إنما هي نابعة من ادعاء الرسول– صلى الله عليه وسلم– بأنه معصوم عن مقارفة الخطيئة. بمعني أن الرسول– صلى الله عليه وسلم– لا يخطئ، لذلك فإنه

---

[1] Zwemer, Samuel (1900 a)، ص ١٧٥.

[2] Zwemer, Samuel (1904)، ص ٤.

[3] Zwemer, Samuel (1900 a)، ص ١٧٥.

[4] Zwemer, Samuel M. (1936 b)، ص ٣٢٨.

ليس بحاجة الى استجداء العفو من الله تعالى، يقول زويمر "لقد أوضح القرآن أن محمداً لدية- إلى حد معين- معرفة صحيحة بالخصائص الجسمية للرب، ولكن بكل تأكيد [لديه] مفهوم خاطئ عن خصائصه المعنوية. لقد كان هذا طبيعيا للغاية لأن محمداً ليس لديه فكرة عن طبيعة الخطيئة- الشر الخلقي- أو عن القداسة- المثالية الخلقية"[1].

وخلاصة موقف زويمر من مفهوم الرب في الإسلام يمكن أن يتلخص في عبارته التالية: "إن مذهب الإسلام عن الرب عقيم. إنه لم ينم ولم يثمر أفكارا جديدة بطول تاريخ الإسلام"[2].

٣. ٣. ٣. ٣. الرسول محمد- صلى الله عليه وآله وسلم

يقول زويمر: "ليس من حجة ولا عذر أقوى لتوجيه الإرساليات إلى المسلمين من مفهومهم عن مسيحنا، وحقيقة أن محمداً قد استولى على مكانة مخلصنا في كثير من القلوب"[3]. لذا فقد صب زويمر سيلا من الهجوم البغيض المتعصب على شخص الرسول الكريم- صلى الله عليه وآله وسلم- ووَصَفَه بصفات تدل على حقد دفين، ونظرة مليئة بالكراهية للإسلام والمسلمين، وبعد عن الموضوعية والصدق. يقول صامويل زويمر في إحدى مقالاته: "إن مُصْلِحاً عربيا عبقريا الذي كان طموحا جاهلا خرافيا شهوانيا والذي كان لا يتورع عن تحطيم أي قيمة للقانون الخلقي أصبح هو المثال الشخصي في أكبر دين عالمي"[4]. وعنون الفصل الذي تحدث فيه عن الرسول الكريم- صلى الله عليه وآله وسلم- في أحد كتبه بـ "الجمَّال الذي أصبح نبيا" "The Camel Driver who Became a Prophet"[5].

---

[1] Zwemer, Samuel (1900 a)، ص ١٧٥.

[2] Zwemer, Samuel M. (1936 b)، ص ٣٢٨.

[3] Zwemer, Samuel (1912)، ص ١٧٧.

[4] Zwemer, Samuel (1904)، ص ٤.

[5] عنوان الكتاب "Zigzag Journeys in the Camel Country"

ويدعي زويمر بأن الرسول- صلى الله عليه وآله وسلم- رجل صنعته البيئة، وجعلت منه الظروف قائداً دينيا ناجحا. ففي نظره أن عوامل عديدة، سياسية واجتماعية ودينية وغيرها اجتمعت لتخلق من الرسول- صلى الله عليه وآله وسلم- الشخص الذي أصبح معروفاً. يقول زويمر: "لقد كان محمد نبيا بدون معجزة، ولكنه لم يكن بدون عبقرية. ومهما استطعنا أن نجحده فإننا لن نستطيع أن نجحد أنه كان رجلاً عظيما ذا مواهب عظيمة. ولكنه لم يكن رجلا صانعا لنفسه. إن بيئته لها دور عظيم في قدرته ومنهجه في أن يصبح قائدا دينيا"[1].

فعلى الصعيد السياسي- كما يرى زويمر- كان لانهزام الجيش النصراني اليمني في معركة الفيل أثر في تكوين البعد السياسي النبوي لعقل الرسول- صلى الله عليه وآله وسلم- الناشيء المتوقد، وفي استشراف دور مكة السياسي في المستقبل[2]. ويدعي زويمر بأن مكانة مكة الحالية كمركز ديني للمسلمين إنما هي تصديق لهذه النبوة التي وردت بدورها في القرآن الكريم، يقول زويمر: "لكن عندما نضع مكة اليوم في الاعتبار تبدو كلمات محمد التنبئية في الفصل الثاني من كتابه قد صدقت حرفيا ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُواْ شُهَدَاء عَلَى النَّاسِ﴾[3]. فأصبح الهيكل الوثني القديم الملاذ الديني، وهدف الحج العالمي لسُبْع السلالة البشرية. وينشر المؤمنون من سيراليون إلى كانتون ومن اسطنبول إلى كيبتاون سجادات الصلاة، ويبنون بيوتهم، ويدفنون موتاهم باتجاه خط مكة. إن أمكن رؤية

---

[1] Zwemer, Samuel (1900 a)، ص ١٧٩.

إن الرسول- صلى الله عليه وآله وسلم- في حقيقة الأمر لم تصنعه البيئة، ولم تجعل منه الظروف نبيا، ولم تنصبه أمته قائدا. بل هو الذي صنع البيئة التي اكتنفته، والظروف التي رضيت به، والأمة التي آمنت به رسولا ونبيا ومنقذا. لم تستسلم له بيئته عندما أعلن مشروعه الحضاري، ولم تنقد الظروف لرسالته. ولم تهرول لما يدعو إليه قبيلته، فكان عليه أن يقف في وجه القدر وقفة واثق في إيمانه مؤمن بصدق رسالته. فغالب- صلى الله عليه وسلم- القدر حتى استسلم له، فكان عظيما صنع العظماء، وقويا صنع الأقوياء، ونبي هدى خرج من مدرسته قادة الأمم إلى الفلاح، وطلائع البشرية إلى العزة والكرامة والنجاح. بنى حضارة عرف الناس بالانضواء تحت لوائها معنى العيش بكرامة في هذه الدنيا. ولم تعرف البشرية معنى حقارة الإنسان، وصغر منزلته إلا بالابتعاد عن رشد وهدي رسالة محمد- صلى الله عليه وسلم.

[2] Zwemer, Samuel (1900 a)

[3] سورة البقرة، الآية ١٤٣.

جميع العالم الإسلامي في وقت واحد من طائرة لرأى الناظر دوائر متحدة المركز من العُبَّاد المتحركين تغطي مساحة تزداد اتساعا، ولأمكنه أن يرى أيضا مساحات واسعة من مقابر المسلمين حيث كل قبر وضع بزاوية يمنى نحو المدينة المقدسة[1].

ويرى زويمر أن الأثر الذي تركه انهزام جيش إبرهة (الحبشي) هو الذي غرس في رسول الله- صلى الله عليه وسلم- الطموح في إثارة الصراع بين الجزيرة العربية والقوى العظمى في وقته- الإمبراطورية الرومانية والإمبراطورية الفارسية.

ثم يستعرض زويمر العامل الديني. فيرى بأن مكة قد أصبحت متهيئة لقائد ديني ينفث فيها روح دين جديد يحتل موقع الأديان التقليدية التي أصابها البلى، وتراكم عليها غبار الدهر، والدليل على ذلك في نظره هو انتشار الحنيفية التي بدأت تتمرد على عبادة الأصنام بين أهل مكة. وهذا الدين المرتقب- كما يدعي زويمر- يجب أن يشمل من الميزات ما يهيئه أن يكون بديلا ليس عن الوثنية فحسب، بل كذلك عن النصرانية واليهودية؛ لذلك جاء الرسول- صلى الله عليه وآله وسلم- بدين يغري أتباع هذه الديانات جميعا. يقول السيد زويمر: "كان الوقت ناضجا لقائد ديني، وأصبحت مكة مركزا لحركة جديدة. كان الحنفيون قد نبذوا الوثنية القديمة، وتبنوا الأمل في ظهور نبي من بينهم. كانت هناك مواد من كل الأصناف تمهد السبيل لإيمان جديد. وكانت [تلك المواد] تَطلبُ فقط عين البناء لتدعو التناغم من بين التشوش. ولكي يتم النجاح في تحقيق هذا، كان يجب نبذ المادة كذلك. ويكون هذا ديناً شاملاً وديناً واعداً لكي يناسب اليهود والنصارى والوثنيين على سواء"[2].

وللأسرة دور كبير وأساسي في تكوين شخصية الرسول محمد- صلى الله عليه وآله وسلم- كما يدعي زويمر. فالرسول- صلى الله عليه وسلم- كما يقول زويمر- ينحدر من أسرة أرستقراطية قيادية تعيش في بلد يحتل لب الكيان العربي. فكانت

---

[1] Zwemer, Samuel M. (1932)

[2] Zwemer, Samuel (1900 a)، ص ١٨٠.

قريش قبيلة ذات تأثير اجتماعي وسياسي على القبائل المحيطة، وكان عبد المطلب جد النبي هو الزعيم الذي يتصدر موقع الرئاسة في هذه القبيلة. وعاش الرسول- صلى الله عليه وآله وسلم- إلى سن الثامنة في كنف هذا القائد، يحضر معه مجالس الزعامة، ويقعد معه على كرسي الرئاسة، ينهل من عزة المنصب، وعظمة القيادة ما وطد فيه حب هذا المقام، والتمسك به. يقول السيد زويمر: "ثم كان هناك العامل العائلي، أو بكلمة أخرى الموقف الأرستقراطي لمحمد. لم يكن [محمد] قائد جمل فحسب. كانت قريش هي العشيرة الحاكمة في مكة، ومكة هي مركز شبه الجزيرة العربية كلها، وكان جد محمد- عبد المطلب- هو أكثر الرجال نفوذا وقوة في تلك المدينة الأرستقراطية. وكان الطفل المدلل لعبد المطلب هو الولد اليتيم محمد. كان [محمد] إلى سن الثامنة تحت مظلة هذا الرجل الرئيس في قريش وعنايته. وقد تعلم ماذا يعني أن تكون قائداً وتمتلك القوة، ولم ينس ذلك. الرجل وزوجته وتعليمه كانت هي العوامل المحددة لشخصية محمد. وكان عامل القيادة هو عقلية الرجل نفسه وعبقريته"[1].

ويدعي زويمر كذلك، أنه كان لخديجة زوج الرسول- صلى الله عليه وسلم- التي استطاع أن يؤثر فيها في البداية بشخصيته الجذابة، وبراعته في تسيير الأمور حتى قبلت به زوجا- دور في صب قالب شخصيته النبوية. فإن خديجة- كما يدعي زويمر- صاحبة عقلية قوية، وخبرات ناضجة استطاعت التحكم في حياة الرسول- صلى الله عليه وآله وسلم- بحكمة بالغة وثبات. وكانت هي نفسها تعتنق الحنيفية، واستطاعت أن تسرب أفكارها إلى عقلية الرسول محمد- صلى الله عليه وآله وسلم- وتغرس مبادئها فيه حتى أصبحت هذه المبادئ هي الدين الذي يدعو إليه الرسول فيما بعد. لأجل ذلك كانت خديجة أول من آمَنَ بالرسول- صلى الله عليه وآله وسلم- عندما بدأ ينشر وحيه ويبث تعاليم دينه الجديد، وشكلت إلى جانب علي وزيد وأبي بكر النواة الأولى لهذا الدين.

---

[1] Zwemer, Samuel (1900 a)، ص ١٨٠.

ولم يتردد زويمر بعد ذلك في وصف الرسول الكريم- صلى الله عليه وآله وسلم- بأنه "نبي كاذب" (a false prophet) ومدع للنبوة، يقول زويمر: "قدامى الكتاب- وهم من أوافق- يرون في محمد فقط مهارة الدجال الذكي منذ أول يوم في رسالته وإلى مماته "[1]. ويدعي زويمر بأنه إن اتصف- صلى الله عليه وسلم- بالنزاهة والإخلاص لمبادئه في منطلق دعوته، فإنه تخلى عن هذه الميزات في آخرها، وذلك اثر النجاحات التي اكتسبها خاصة بعد الهجرة، يقول السيد زويمر: "و العرب الذين ولد بينهم محمد ونشأ كان لديهم قانون بالرغم من أنهم كانوا وثنين، ويمتلكون الرقيق، وكانوا متعددي الزوجات. حتى لصوص الصحراء الذين كانوا يكمنون للقوافل- مثل محمد- لديهم حس من الصدق... ولكن محمداً لم يكن مذنبا فقط بتحطيم قوانين العرب القديمة، وأصبح مفتقرا إلى قانون المسيح، بل إنه لم يكن قط محافظا على القوانين التي ادعى أنها الوسيط والراعي الإلهي المعين"[2].

ففي إطار افترائه على الرسول الكريم- صلى الله عليه وآله وسلم- بتحطيم القوانين والشرائع، ساق زويمر ثلاثة أمثلة، أولها زواج الرسول من السيدة صفية أم المؤمنين- رضي الله عنها- بعد مقتل أهلها بثلاثة أيام في حين كان عليه- كما يدعي زويمر- أن ينتظر ثلاثة أشهر حسب عادة العرب. والأمر الثاني ادعاؤه أن الرسول- صلى الله عليه وآله وسلم- قد تمرد على قوانين عصره بمهاجمته قوافل الحجيج إلى مكة، وهو أمر لم يسبقه إليه أحد. والأمر الثالث هو زواجه من السيدة زينب بعد وقوعه في حبها وهي زوجة ابنه بالتبني- زيد- وهذا أيضا خروج على قوانين ذلك العصر- كما يدعي زويمر.

ثم يدعي زويمر أن هذه الزيجات حلقة من سلسلة من المغامرات الغرامية التي وقع فيها الرسول الكريم- صلى الله عليه وآله وسلم- بعد وفاة زوجته الأولى

---

[1] Zwemer, Samuel (1900 a)، ص ١٨٢.

[2] Zwemer, Samuel (1900 a)، ص ١٨٢.

خديجة- رضي الله عنها، يقول زويمر: "إنه من المستحيل تشكيل تقييم عادل لشخصية محمد بدون معرفة علاقته بالنساء- ولو إلى حد معين. إن هذه المادة على كل حال ذات أهمية تأتي من تأمل مناسب في البهيمية الزائدة، والقذارة التي هي من نوعها... ليس لدينا أية رغبة في رفع القناع الذي يغطي الحياة العائلية لنبي الجزيرة العربية في كثير من السير الإنجليزية. لكن من العدل توضيح أن مغامرات الحب هذه والتفصيلات المقززة لحياته الزوجية تشكل جزءا كبيرا من حياة "نبي الرب" والتي هي مكان الدفء في أدب المتعلمين المسلمين"[١]. ثم يقول زويمر أيضا: "عندما ماتت خديجة وجد قانونه الخاص- انحلال كما كان- غير كاف لكبح شبقه. لقد اكتفى اتباعه بأربع زوجات شرعيات، أما هو فقد انغمس في عشر، ودخل في مفاوضات للزواج من ثلاثين أخريات"[٢].

ويذهب السيد زويمر في سياق افتراءاته على الرسول الكريم إلى الادعاء بأنه- صلى الله عليه وسلم- إنما كان سفاكا للدماء، يغتال من يعارضه، ويتشفى بقتل خصومه عندما يقعون أسرى في قبضته، يقول زويمر: "أسماء الشاعرة التي هاجمت شخصية محمد قتلها عمير في منامها قتلة شنعاء، وقد أثنى عليه محمد كثيرا. وبالمثل، أبو أفيك اليهودي قُتل بطلب من محمد. وقصة مذبحة الأسرى اليهود أيضا نقطة مظلمة في شخصية النبي الذي طالما نطق فمه "بالرحمن والرحيم". فبعد النصر حفرت خنادق في منطقة السوق، وقُطعت رؤوس الأسرى الذكور واحدة بعد الأخرى على حافة الخندق وألقي بهم في داخله. وقد استمرت المذبحة طول النهار واحتاجت إلى مصباح لكي تنتهى. وبعد الظلام سلى محمد نفسه بريحانة البنت اليهودية الأسيرة، والتي رفضت الزواج والإسلام، ولكنها أصبحت أمته. ولم يكن

---

[١] Zwemer, Samuel (1900 a)، ص ١٨٣.

[٢] Zwemer, Samuel (1900 a)، ص ١٨٣.

من الغريب أن تحاول بعد ذلك بفترة قريبة زينب التي قَتل أباها وأخاها في المعركة، أن تثأر لقومها بمحاولة تسميم محمد"[1].

ثم يقول زويمر في سلسلة افتراءاته على الرسول الكريم- صلى الله عليه وآله وسلم- بأن الرسول قد أسس دينا بحد السيف، وإن هذا كان منهجه إلى أخر رمق له في الحياة، يقول زويمر "في السنة السابعة للهجرة ذهب محمد إلى مكة وأسس بها إلى أبد الدهر حج المسلمين. وفي السنة التالية خرج إلى مكة في جيش من عشرة آلاف رجل، وأخذ تلك المدينة بدون معركة. وتبعت ذلك بعثات أخرى وإلى يوم- تقريبا إلى ساعة- وفاته كان النبي يخطط لفتوحات بالسيف. لقد كانت قصة دموية من سنة الهجرة وإلى نهاية الخلافة. إن الذي يقرأ عن ذلك في أجزاء موير (Muir"s Volumes) لا يستطيع إلا أن يحس المقارنة الحزينة بين الأيام الأولى للإسلام والأيام الأولى للنصرانية. إن جرثومة كل فتوحات السيف يجب أن يُبحث عنها في حياة محمد وكتابه. كلها مذابح أسرى قربة إلى الله. إن الذين خلفوا محمداً لم يكونوا أقل من النبي نفسه في عدم الرحمة "[2].

ويدعي زويمر أن المسلمين بتوجيه مباشر من الرسول- صلى الله عليه وآله وسلم- شكلوا عصابات من قطاع الطرق تعترض سبل القوافل، وأول معركة انتصر فيها المسلون إنما خاضها قطاع طرق ولصوص، يقول زويمر: "فيما يتعلق بحياة محمد بعد الهجرة أو النزوح من مكة إلى المدينة (٦٢٢ م) تلخيص موجز يكفي لان يوضح من أي روح كان. تحت أوامره وتعليماته استلقى المسلمون في انتظار القوافل وسلبها. وأول انتصارات الإسلام كانت انتصارات قطاع الطرق واللصوص"[3].

ويضيف الدكتور صامويل زويمر حلقة أخرى في سلسلة افتراءاته على الرسول الكريم- صلى الله عليه وآله وسلم- فيدعي بان أيدي المسلمين قد تدخلت لتُغير

---

[1] Zwemer, Samuel (1900 a)، ص ١٨٤.

[2] Zwemer, Samuel (1900 a)، ص ١٨٤.

[3] Zwemer, Samuel (1900 a)، ص ١٨٣.

الصورة الحقيقية لشخصية الرسول. فأصبح رسول الله- صلى الله عليه وآله وسلم- وفق هذا التعديل مُقدَّساً ومعصوماً لا يقارف الخطيئة، وهذا- كما يدعي زويمر- مخالف لصفة الرسول في القرآن حيث وُصِفَ بأنه إنسان وعرضة للخطأ. ويدعي زويمر كذلك أن المسلمين أحاطوا مراحل حياة الرسول- صلى الله عليه وسلم- الأولى بمجموعة من المعجزات التي توحي بقدسيته. فيدعي زويمر- أن أخطاء الرسول التي قارفها في حياته ما هي في نظر المسلمين إلا لمسات رحمة تضاف إلى تألقه وسموه، يقول زويمر: "ما يطلق عليه التاريخ أخطاء شخصية محمد، يعتبره المسلمون كمالا له أو امتيازاً، فعلى سبيل المثال تعدد الزوجات، القسوة تجاه أعدائه، الخيانة"[1].

وإلى جانب هذا يدعي زويمر بأن المسلمين يعطون الرسول- صلى الله عليه وآله وسلم- منزلة تفوق منزلة سائر الأنبياء والمرسلين، وتفوق كذلك منزلة جبرائيل عليه السلام، يقول القسيس زويمر: "لكن محمداً المعروف تاريخيا ومحمداً المعروف لدى كتاب سير المسلمين اليوم شخصان مختلفان. حتى في القرآن محمد إنسان، وعرضة للخطأ. غَيرَ الأثر ذلك كله. هو الآن معصوم وتقريبا مقدس. والأسماء المائتان وواحد التي أعطاه إياها المؤمنون الأوفياء تَدَّعي تأليهه. إنه سمي نور الله، سلاماً على العالمين، مفخرة الدهر، بداية الخلق، وأسماء أكثر غطرسة وتجديفا. إنه في آن واحد خاتم الأنبياء والرسالات ولاغيها. لم يتفوق محمد عليهم فقط ولكن استأصلهم. لا يطلب منه المسلمون ولكن كل مسلم يدعو ِله يوميا بتكرار لا نهاية له. إنه هو الشفيع الوحيد القوي يوم القيامة. وكل جزئية من حياته المبكرة أُحيطت بمعجزات مدهشة وبدائع تثبت براءته القدسية. حتى الشرور في حياته أُسندت إلى الإذن أو الأمر المقدس، لأجل هذا حتى الأخطاء الأكيدة في شخصيته إنما هي تألقه غير المنتهي وعلامة تفوقه. فضله الله على جميع الخلق. إنه يقيم في السماوات العلا ومنزلته ومرتبته فوق عيسى [عليه السلام]. اسمه لا يُكتب ولا

---

[1] Zwemer, Samuel (1904)، ص ٤.

يُنطق أبدا بدون إضافة الصلاة عليه. "يا محمد" هو الاسم الذي يفتح كل مشكلة عاطفية كانت أم روحية. يسمع الشخص ذلك الاسم في السوق وفي الشارع، في المسجد ومن على المنارة. البحارة يتغنون به عندما يرفعون أشرعتهم، الحَمَّال يتأوه به عندما يرفع الحمل، المتسول يصرخ به ليستجدي العطاء، إنه صيحة البدو عندما يهاجمون القوافل، إنه أغنية المهد التي تهدئ الأطفال لكي يناموا، إنه أَنَّةُ المريض وآخر كلمة للمحتضر، إنه يُكتَبُ على أعمدة الأبواب وكذلك في القلوب؛ لأنه الخلود في عرش الله. وبسبب ورع المسلم أصبح هذا الاسم فوق كل أسم. النحاة يمكنهم أن يخبروك كيف أن حروف هذا الاسم الأربعة بتركيبتها الرائعة تمثل كل علم وسر. إن اسم محمد هو الأفضل ليعطى لطفل، والأفضل ليقسم به لإنهاء كل جدل في صفقة قريبة. هذا الشرف الذي أُعطي لاسم محمد من قبل أتباعه إنما هو مؤشر وحيد على المكان الذي يشغله نبيهم في نظامهم، ويحتله في قلوبهم. إن الفم يتحدث بما يمتلئ به القلب. محمد يحمل مفاتيح الجنة والنار. ليس من مسلم- مهما كانت شخصيته- سوف يهلك في النهاية، وليس من كافر- مهما كانت حياته طيبة- يمكن أن ينجو إلا من خلال محمد. إن الواحد لا يحتاج إلا أن يتفحص القداسات الإسلامية، أو يقرأ جزءاً واحدا من الأعمال التقليدية ليثبت هذه المقولات"[1].

ويدعي الدكتور زويمر كذلك أن الخطأ العظيم الذي وقع فيه المسلمون هو إعطاؤهم مكانة عيسى- عليه السلام- لمحمد- صلى الله عليه وآله وسلم، يقول زويمر: "إن خطيئة العالم المحمدي وجريمته هي أنهم أعطوا مجد المسيح لشخص آخر، وإنه لكل الأغراض العملية، فإن محمداً ذاته هو مسيح المسلمين"[2]. فكُتَّابُ السيرة النبوية من المسلمين- كما يدعي القسيس زويمر- قد وصفوا الرسول بكل الجزئيات التي وُصِفَ بها عيسى المسيح عليه السلام، يقول زويمر: "لقد بين

---

[1] Zwemer, Samuel (1900 a)، ص ١٨٤.

[2] Zwemer, Samuel (1912)، ص ١٥٧.

الدكتور كول (Dr Koelle) بكل وضوح كيف أن الكُتَّاب المسلمين قد عزوا إلى نبيهم تساوياً بل وأفضلية على نبي الناصرة، وذلك بإعطائه كل المجد الذي تركز حول المسيح في العهد الجديد. لقد نُسب إلى محمد الوجود قبل الخلق، وتُتبع نسبه إلى إبراهيم فآدم كما هو الحال مع عيسى المسيح. وأعلن ملكٌ حمله ومولده والاسم الذي سيحمله. محمد- مثل المسيح- فُقِدَ أثناء طفولته ووُجد بعد ذلك، وفي سن الثانية عشرة ذهب في رحلة خاصة. وبعد إعلان نبوته مر محمد كالمسيح بمحن من الاختبارات الشيطانية. ومثل المسيح اختار اثني عشر سبطا. وكان أعداؤه من أبناء وطنه، وقد قدرته الأرواح من العالم الخفي أكثر من تقدير المبعوث إليهم. الشياطين عَرفت عيسى [عليه السلام]، والجن قبلت الإسلام على يدي محمد. وأُبدل تجلي عيسى المسيح بقصة عروج محمد إلى السماء حيث كان له لقاءات شخصية مع جميع الأنبياء السابقين، ومخلفا عيسى وراءه في السماء الثانية صعد هو إلى السماء السابعة حيث- طبقا لتراث المسلمين- أكل وشرب مع الرب"[1].

ثم يدعي زويمر أن الإسلام الذي يرفض عقيدة الوسيط والحلول التي تتبناها النصرانية إنما وقع فيما هرب منه؛ وذلك بربطه اسم الله باسم الرسول محمد- صلى الله عليه وسلم- كما هو الحال في شهادة "لا إله إلا الله محمد رسول الله"، حيث جعل توحيد الله في الشق الأول من هذا الشعار ملازم لاسم الرسول "محمد" في تكملة هذه الشهادة "محمد رسول الله"، يقول زويمر: "إن الإسلام ينكر الوسيط والتجسد ولكن "قصة اليهود" والقصص المشابهة تضع محمداً في موضع الوسيط، وسيط بدون تجسد، وبدون تضحية، وبدون قداسة. إن تحليلنا لعقيدة المسلمين يوضح كيف أن التعاليم الأخيرة التي رَفعت محمداً للغاية تكمن في أصل [مبادئه]. "لا إله إلا الله" هي عقيدة [التوحيد]، و"محمد رسول الله" هي عقيدة الخلاص الكاملة للإسلام. إن الأهمية المنطقية لوسيط مثالي إنما هي في أصول الفقه.

---

[1] Zwemer, Samuel (1912) ص ١٦١.

الإسلام– كما يدعي– لديه وحي مثالي في رسالة القرآن وأسوة مثالية في حياة محمد. فالنبع لا يرتفع أكثر من مصدره"[١].

٣. ٣. ٣. ٤. القرآن الكريم

في الوقت الذي يُقر فيه زويمر بأن القرآن يَعرض (بعض) القيم التوحيدية التي تُجل الله وتعظمه، وكذلك احتواؤه على بعض الأحكام السلوكية، وأن المسلمين يعتبرون القرآن كلمة الله الخالدة التي لا تتبدل[٢]، فإن موقفه منه لم يخرج عن الحلقة المفرغة من الاتهامات التي تنصب في تدعيم فكرته التي يروج لها بأن الإسلام دين غير صحيح و"خدعة ذكية" (a clever imposture). فهو يحاول ما استطاع جهده أن يحشد من الأفكار ما يوحي بأن القرآن كتاب خاطئ، ويحوي مغالطات تاريخية وشرعية، وأخطاء منهجية وعلمية متعددة، يقول زويمر "إن عيوب تعليماته كثيرة. إنه ملئ بالأخطاء التاريخية والتخبطات. فيه أكاذيب هائلة. إنه يدَرس نظريات خاطئة في نشأة الكون. وهو مليء بالخرافات. إنه يؤبد الرق، وتعدد الزوجات، والتعصب الديني، وعزلة النساء وانحلالهن، ويُحجِّرُ الحياة الاجتماعية. ولكن كل هذا يبدو ذا أهمية قليلة إذا ما قورن بحقيقة أخرى وهي أن القرآن في حين يدعي أنه وحي من الله لا يُعَلِّمُ الطريقة التي يُصالح بها الإنسانُ اللهَ، ويبدو أنه يتجاهل أول عائق لهذا التصالح وأعظمه، تحديدا "الخطيئة". عن هذه يتحدث العهد القديم والعهد الجديد دائما. الخطيئة والتضحية هما المادة الممتلئ بها التوراة والزبور والإنجيل (الشريعة والأنبياء والمزامير). أما القرآن فصامت، أو إذا لم يكن صامتا قطعيا فإنه يضع هذا السؤال العظيم في الخلفية"[٣].

---

[١] Zwemer, Samuel (1912) ص ١٨٦.

[٢] Zwemer, Samuel M. (1924)

[٣] Zwemer, Samuel (1900 a)، ص ١٨٩.

إلى جانب ذلك، يتهم زويمر القرآن بالتناقض. فعلى سبيل المثال يدعي زويمر أن وصف القرآن لنبي الله المسيح عيسى بن مريم- عليه وعلى أمه السلام- صعب الفهم بسبب تناقض عباراته، يقول زويمر: "صعوبة جدية أخرى هي أن عبارات القرآن حول الرب عيسى المسيح ليست خالية من التناقض أكثر من غيرها من التعاليم. بعض النصوص تتحدث عنه بأنه رجل محض وأنه نبي، وبعضها- كما رأينا- تعطيه ألقابا لا تُعطى إلى أي كائن إنساني آخر. أما فيما يتعلق بموته- خصوصا- فإن العبارات متناقضة ولا يمكن التوفيق بينها بدون صعوبة مع النص"[١].

ويدعي زويمر أيضا أن القرآن استفاد من المصادر التاريخية والثقافية المتوفرة في عهد النبوة كالتوراة والإنجيل والزبور وغيرها من كتب الشرائع السماوية السابقة لنسج عناصره، وتركيب مكوناته، يقول زويمر: "من [خلال] الجداول التحليلية ليس من الصعب رؤية المصادر التي انتُقيتْ منها مادة القرآن. إن كتاب راباي جيجر (Rabbi Geiger)، الذي تُرجم مؤخرا إلى الإنجليزية سيقنع أي قارئ بأن هوفس (Hughes) محق تقريبا عندما قال "المحمدية هي ببساطة يهودية تلمودية كُيفت إلى الجزيرة العربية بالإضافة إلى إصلاحات عيسى ومحمد". لكنها يهودية تلمودية وليست يهودية العهد القديم. لأن القرآن يشتهر في الغالب ليس بما احتواه ولكن بما حذفه، وليس لما أظهره ولكن لما أخفاه من الوحي السابق عليه"[٢]. ثم يقول زويمر في تعليق له على آية الكرسي: "هل هذا واحد من الانعكاسات المحرفة الكثيرة التي استعارها محمد من اليهود؟ وهل رجع إلى حاملة الشمع الذهبية، أو إلى رؤيا حاملة الشمع وشجر الزيتون في الإصحاح الرابع من زكريا؟"[٣]. ويقول زويمر أيضا "محمد نفسه استعار مادة القرآن من جيرانه اليهود

---

[١] Zwemer, Samuel (1912)، ص ٤١.

[٢] Zwemer, Samuel (1900 a)، ص ١٨٩.

[٣] Zwemer, Samuel (1946)

والنصارى..."[1]. ويقول زويمر عن تأثير النصرانية في مادة القرآن: "إن وحدانية الله هي سداة رسالة محمد ولحمتها. إلا أنه في نسيج هذا النموذج من الوحدانية وسلطة الله هناك خيوط ذهبية غريبة تتحدث عن كلمة الله وروح الله، مما يشير الى نفوذ نصراني"[2].

وبعد ذلك يتحول زويمر إلى انتقاد القرآن في أسلوب عرضه لمادته العلمية. فالقرآن في رأيه مبعثر الأفكار، رصت مواضيعه بشكل عشوائي لا يربطها ناظم منطقي ولا نصي. ولغة القرآن في نظره بعيدة عن الفهم على المسلم العادي، ولا تُهضم إلا بالاستعانة بمساعد خارجي يشرح مفرداتها، ويعيد صياغة فقراتها، يقول زيمر: "إن الكتاب له خمسة وخمسون عنوانا نبيلا على شفاه أصحابه، ولكنه بشكل مجمل يسمى القرآن. ويحوي مائة وأربع عشرة سورة بعضها بطول كتاب التكوين وبعضها يشمل جملتين أو ثلاث جمل فقط. والكتاب بأكمله أصغر من العهد الجديد، وليس له ترتيب زمني مهما كان شكله، وبدون تتابع منطقي تصاعدي. وما يصعق القارئ في بداية الأمر هو خاصيته المخلطة، كل صنف من حقيقة وخيال، قانون وأسطورة ألقيت مع بعضها شيئا فشيئا. والمحاولات الأربع للترتيب الزمني التي وضعها جلال الدين وموير (Muir) ورودول (Rodwell) ونولديك (Noldeke) متعارضة للغاية. وذُكرت أسماء اثنين فقط من معاصري محمد في الكتاب بأكمله، واسمه هو ذكر خمس مرات فقط. والكتاب غير مفهوم للمسلم العادي بدون تفسير، وأنا أتحدى أي واحد آخر أن يقرأه ويفهم سورة واحدة، أو حتى قسم بدون مساعدة التعليقات "[3].

ثم يدعي زويمر الى أن الجاذبية التي شدت معاصري ظهور القرآن إليه إنما كانت في خاصيته الموسيقية التي بدونها يبدو مملاً وغير مشوق، يقول زويمر: "لا

---

[1] Zwemer, Samuel M. (1944 a)، ص ٢٠.

[2] Zwemer, Samuel M. (1945 b)، ص ٧٩.

[3] Zwemer, Samuel (1900 a)، ص ١٨٧.

يوجد شك أن الجاذبية الرئيسة للقرآن- من الموقف الأدبي- إنما هي رنينه الموسيقي والإيقاعي. وهي التي قلدها العرب- أول من برع في الإيقاع والحب- بخنوع في أعمالهم الأدبية اللاحقة. إن ترجمتنا الإنجليزية للقرآن مهما كانت صحيحة، لا يمكن أن تعيد صياغة هذه، التي بدونها يبدو الكتاب مضجراً ورتيباً ومرهقاً ومُمِلاً الى أقصى درجة"[1].

هذا وقد انزلق زويمر انزلاقا خطيراً في سيره الأعمى وراء حملة نعش النقد الهامد على الإسلام؛ وذلك بوقوعه في مستنقع الذين يوجهون التهمة إلى القرآن باحتوائه على أخطاء لغوية ونحوية. يقول السيد زويمر "و نحن بالطبع لا نتمسك كما يفعل العرب بالقول بأن عربية القرآن ليس لها نظير في نقائها النحوي والبياني. لقد أُثبت العكس بواسطة نولديك (Noldeke) ودوزي (Dozy). لقد وضح الأخير أن القرآن مليء بالعربية الهجينة، وفيه العديد من التضارب النحوي الذي غير ملاحظ في الوقت الحالي ؛ باعتبار أن النحويين بكل لطف قد أنشأوا قواعد أو استثناءات ليضمنوا حتى هذه [الأخطاء] في قائمة الأسلوب الكامل الذي لا يبلغه أحد"[2].

وافتقار كلام السيد زويمر إلى الأمثلة الواقعية من متن القرآن- وأنى له أن يأتي بها- التي يثبت بها صحة ادعائه يبرهن بما لا يدع مجالا للشك أن الرجل يصطاد في الماء العكر، ويجرف من الشبهات ما طاب له بدون دليل عليه محاولا غرسها في أذهان قرائه. وهذا- بكل تأكيد- منهج متداع وعقيم يدور بصاحبه في حلقة مفرغة، ولا يهديه إلا الى النقطة السوداء التي انطلق منها.

وفي خضم مغالطاته للقرآن يحاول السيد زويمر أن يوظف في خدمة شبهاته تلك الأبعاد التي تتجلى حكمتها، ويشرق بريق الدليل على نقاء القرآن وإبداعه ساطعا منها بدون أي منازع. فهو يقر بأن القرآن الذي بين يديه هو عين ما أملاه

---

[1] Zwemer, Samuel (1900 a)، ص ٢٥١.

[2] Zwemer, Samuel (1900 a)، ص ٢٤٢.

الرسول- صلى الله عليه وسلم- منذ مئات السنين على أسماع أصحابه وقلوبهم لم تستطع أن تغيره عوامل الزمن، ولم تتمكن من المساس به معاول الهدم. إلا أن زويمر يرى في ذلك ميزة عظيمة في أن يوجه انتقاده إلى نص الكلام الذي نطق به النبي، من أن يوجه إلى كلام حُرفت كلماته وغُيِّرَتْ نصوصه، يقول زويمر: "القرآن الحالي هو نفس الكتاب الذي ادعى محمد أنه استلمه من الله. سنحكم على الكتاب الخارج من فمه، ولا نستطيع أن نحكم على الكتاب بدون الحكم على النبي"[1].

وإلى جانب ذلك يحاول زويمر أن يستغل مسألة تنزيل القرآن منجما طول فترة البعثة حسب الظروف والمستجدات التي تكون سببا منطقيا لنزول آياته ليطعن في مصداقية هذا الكتاب، وكأنه يريد من القرآن أن ينزل دفعة واحدة، يقول زويمر "بالرغم من ادعاء المسلمين بان الكتاب كاملٌ كمالا كليا في شكله، وأنه محفوظ في السماء، إلا أنهم مجبرون على الإقرار بأنه مُوحى بشكل مجزأ وفي أوقات وأماكن مختلفة بواسطة محمد إلى أتباعه"[2]. وحسب ادعاء زويمر فإن النزول حسب الأحداث أدى إلى اختلاط مواضيع القرآن، يقول زويمر: "إن آياته قد أُوحيت في أزمنة مختلفة، وأماكن مختلفة، وأُلقيت مع بعض في فوضى، القوانين والأساطير، الحقائق والخيال، الأدعية واللعنات"[3].

هذا وقد ادعى زويمر بأن القرآن كتاب لا يصلح أخلاقيا أن يقرأ أمام النصارى: يقول "أي نوع من الكتب وحي محمد هذا الذي أجزاء منه غير مناسبة لأن تقرأ أمام المستمعين النصارى..."[4]. وقد استشهد لدعم كلامه هذا بمداخلة لأحد القساوسة ويدعى جورج إ. بوست (Rev. George E. Post) على كلمة ألقاها شخص يسمى محمد وب (Mohammed Webb) أمام برلمان شيكاغو

---

[1] Zwemer, Samuel (1900 a)، ص ١٨٨.
[2] Zwemer, Samuel (1900 a)، ص ١٨٨.
[3] Zwemer, Samuel (1912)، ص ٤١.
[4] Zwemer, Samuel (1900 a)، ص ١٨٦.

الديني (Chicago Parliament of religions) والتي أثنى فيها محمد وب على القرآن وتعاليمه، قال القسيس جورج "إنني أحمل في يدي كتابا لم يلمسه ٢٠٠,٠٠٠,٠٠٠ من السلالة البشرية قط بأيد غير مغسولة، كتاباً لم يحمل قط أسفل الوسط، كتاب لم يوضع قط على الأرض، كتاب كل كلمة فيه يعتبرها ٢٠٠,٠٠٠,٠٠٠ من السلالة البشرية كلمة الله المباشرة التي نزلت من السماء. إني أنوي أن اقرأ عليكم بعض الكلمات من الكتاب المقدس بدون تعليقات، ويمكنكم أن تضعوا تعليقاتكم الخاصة عليها بعد ذلك. وبعد أن قرأ عدة آيات تبين أن محمداً نشر دين السيف وتعدد الزوجات أضاف أن هناك سورة واحدة لا أجرؤ أن أقف أمامكن، أخواتي، أمهاتي، وبناتي وأقرأها عليكن. ليس عندي الوجه حتى أقرأها عليكن ولا حتى أريد أن أقرأها على مجتمع من الرجال. إنها السورة الرابعة والستون من القرآن"[١].

٣. ٣. ٤. البُعْدُ التنصيري

لقد ظهر القسيس صامويل زويمر على الساحة في فترة راجت فيها تجارة المنصرين الغربيين عالميا وكان نصيب العالم الإسلامي منها كبيرا. وكانت تسود في تلك الفترة ثلاثة مواقف متباينة حول موضوع تنصير المسلمين. يجمع الموقفان الأول والثاني على معارضة التنصير– مع اختلاف جذري في الأسباب. فالموقف الأول الذي تبناه أشخاص أمثال كانون تيلور (Canon Taylor) والدكتور بليدن (Doctor Blyden) يرى أن الإسلام دين غير وثني، وأن الرسول محمداً– صلى الله عليه وسلم– نبي من الله حاول كل جهده أن يصلح هذه الأمة، وأن الدين الذي جاء به مناسب لمجتمعه، فينبغي إذا أن لا تصرف الجهود التنصيرية إليه، بل من الأفضل أن توجه إلى المجتمعات الوثنية المحتاجة الى ذلك. أما الموقف الآخر فيرى بأن المسلمين بحاجة الى التنصير، إلا أن المواقف المتصلبة للمسلمين من

---

[١] Zwemer, Samuel (1900 a)، ص ١٨٦.

قبول النصرانية، وما أحاطوا به أنفسهم من معتقدات تحول بينهم وبين أخذ ما يحمله إليهم المنصرون يجعل النشاط التنصيري جهداً ضائعا وعملا لا ثمار له، لذلك يجب أن يوجه إلى الأمم الوثنية الأكثر قبولا له[1]. في حين أن الموقف الثالث– وهو موقف السيد زويمر وأشخاص آخرين– يرى بأن تنصير المسلمين أمر ضروري وحتمي بغض النظر عما يحمله الإسلام من إيجابيات، وبغض النظر عن المواقف التي يتبناها المسلمون من التنصير.

ينبثق تبني زويمر لهذا الاتجاه من منطلقين: أحدها فهمه لنصوص ما يسمى الكتاب المقدس بشقيه العهد القديم والعهد الجديد، والآخر استقراء لواقع التنصير بين صفوف الأمة الإسلامية.

٣. ٣. ٤. ١. الاستدلال من نصوص العهدين القديم والجديد

فعلى صعيد نصوص كتابهم المقدس، يشير زويمر بأن بشارة الكتاب المقدس واضحة الإشارة بانتشار النصرانية في جميع أصقاع الأرض بما في ذلك البلاد العربية، والوعد بالنصر على جميع الأديان بما في ذلك الإسلام. يقول زويمر : "في العمل التنصيري بين المسلمين كما بين الوثنيين لدينا التأكيد في الأدلة الكثيرة من كلام الرب بنصر نهائي. وعود الرب لا تفشل أبدا بالوفاء، وهذه الوعود بالعالمية لا توضع أبدا في أشكال تستثني المحمديين. والإنجيل يخبرنا عن أنبياء كاذبين كثيرين سيظهرون، ويخدعون الكثيرين، ولكن لا يسمح بأن تقتسم إمبراطورية المسيح للحظة الحكم مع أي أحد منهم... قد يرى الوقت الحاضر نصر الإسلام، إلا أن المستقبل للمسيح. سترفع المسيحيةُ الراية عالية فوق الحقيقة الكاذبة "لا إله إلا الله محمد رسول الله"... ثالوثية المسيح، التي يعارضها المسلمون، هي التي تقرر مصير جميع ممالك العالم"[2].

---

[1] Zwemer, Samuel (1900 a)، ص ٣٩١.

[2] Zwemer, Samuel (1900 a)، ص ٣٩٥-٦.

ثم إن كان العهد الجديد جعل الشعوب الوثنية من ضمن أولويات رعايته فإن المسلمين– كما يشير زويمر– ليسوا أقل حاجة الى هذه الرعاية من الوثنيين، يقول القسيس زويمر "العالم الإسلامي ليس في وضع أفضل أو أسوأ من العالم الوثني كما صُوِّرَ في العهد الجديد. حاجات العالَمَيْن متساوية، وواجب تحويلهم إلى المسيحية متساوية ووعد الرب بمباركة عملنا متساو. العالم المحمدي أيضا بدون عذر، بدون أمل، بدون سلام، بدون إحساس، بدون مسيح كما هو حال العالم الوثني. لكن مسئوليتنا نحوهم ليست قليلة، كما أن قوة حب الرب في الفوز بهم ليست قليلة"[1].

أما في العهد القديم فيبين زويمر أن الجزء الستين من أشعياء هو محور النبوة بامتداد "مملكة الرب" إلى الأراضي العربية، يقول زويمر: "إنه معروف عموما أن الجزء الستين من أشعياء هو محور النبوءة بالبشارة في العهد القديم، لكن لم يدور في خلد كل واحد أن جزءا كبيرا منها [النبوءة] يشتمل على وعد خاص للجزيرة العربية "تغطيك كثرة الجمال بكران مديان وعيفة (أبناء قطورة، التكوين ٢٥، ١– ٥) كلها تأتي من شبا (جنوب الجزيرة العربية أو اليمن). تحمل ذهبا ولبانا، وتبشر بتسابيح الرب. كل غنم قيدار تجتمع إليك. كباش نبايوت تخدمك. تصعد مقبولة على مذبحي وأزين بيت جمالي من هؤلاء الطائرون كسحاب وكالحمائم إلى بيوتها". هذه المقاطع إذا قُرِئت مع الخط الطويل من الوعود التي سبقتها لا تترك مجالا للشك بأن أبناء إسماعيل لهم مكان عظيم في التألق القادم للرب وبريق ظهوره""[2].

وقد علق زويمر آمالا كبيرة على ما يسميه الوعود أو النبوءات الواردة في سفر أشعياء من العهد القديم في تحقيق النجاح لتنصير مسلمي الجزيرة العربية. ففي أحد كتبه جعل ما يسمى "الروح القدس" والنبوءات العاملين الوحيدين اللذين

---

[1] Zwemer, Samuel (1900 a)، ص ٣٩٧.

[2] Zwemer, Samuel (1914)، ص ٢.

سيحققان الهدف التنصيري[1]. يقول السيد زويمر "لا توجد أرض في العالم ولا شعب (باستثناء فلسطين واليهود) له علاقة وطيدة بالمواثيق الدينية، ووعود العهد القديم كما هو الحال مع الجزيرة العربية والعرب. فالوعود بالنصر النهائي لملكة الرب في شبه الجزيرة العربية كثيرة وأكيدة ومتألقة. هذه الوعود تجتمع حول سبعة أسماء وهي منذ قديم الزمان محددة في الجزيرة العربية وهي إسماعيل وقيدار ونبايوت[2] وشبا[3] وسبا ومديان[4] وعيفة[5]. لقد اخترنا هذه الأسماء فقط وحذفنا الأسماء التي ليس لها علاقة مباشرة بالعرب والجزيرة العربية، وكذلك حذفنا تلك الوعود الكثيرة والمتألقة التي تُعنى بالأرض الأقسى والصحراوية. هذه الأخيرة بالتأكيد [لقاطني فلسطين] تحوي إشارة الى شمال شبه الجزيرة العربية إلا أن مناقشتنا قويه بما فيه الكفاية بدون هذه الوعود الخاصة"[6].

وفي طرحه لنصوص العهد القديم، يرى الدكتور زويمر بأن إسماعيل بن إبراهيم- عليهما السلام- هو الأب الذي تنحدر منه السلالة العربية المنتشرة في أصقاع كثيرة من شبه الجزيرة العربية وشمال إفريقيا. وقد أشار العهد القديم- كما يقول زويمر- إلى أن هاجر أم إسماعيل قد تلقت وحيا من الإله يهوه (Jehovah) بأنها ستلد إسماعيل، وأن ذريته ستنتشر في البلاد العربية، يقول زويمر "يبدو أن هاجر- أم الجد العربي- قد احتلت مكانا مهما في بيت إبراهيم. ويبدو أنها جَلبت إلى ذلك المقام عطاء عقليا بل ومشاركة ذاتية في دين رب إبراهيم. قد تكون هاجر أضيفت إلى العائلة المؤمنة أثناء إقامة إبراهيم في مصر، واحتلت موقعا بين الخادمات الإناث كالموقع الذي احتله أليعازر الدمشقي بين العبيد الذكور. إنه

---

[1] Zwemer, Samuel (1940)

[2] ابنا إسماعيل كما في العهد القديم- سفر التكوين

[3] ورد ذكره في الاصحاح ٦٠/٦ من إشيعياء ع ق

[4] ابن إبراهيم علية السلام من زوجته قطورة كما في العهد القديم-سفر التكوين ص ٢٥.

[5] ورد ذكره في الاصحاح ٦٠/٦ من إشيعياء ع ق

[6] Zwemer, Samuel (1900 a)، ص ٣٩٨.

عندما دُفعت بواسطة غيرة سارة القاسية الى البرية عرفنا أول وحي من الرب حول بذرتها."وجدها ملاك الرب على عين الماء في البرية. على العين التي في طريق شور. وقال يا هاجر جارية ساراي من أين أتيت وإلى أين تذهبين. فقالت أنا هاربة من وجه مولاتي ساراي. فقال لها ملاك الرب ارجعي إلي مولاتك، واخضعي تحت يديها. وقال لها ملاك الرب تكثيرا أكثر نسلك فلا يُعد من الكثرة. وقال لها ملاك الرب ها أنت حُبلى فتلدين ابنا. وتدعين اسمه إسماعيل لأن الرب سمع لمذلتك. وإنه سيكون إنسانا وحشيا. يده على كل واحد، ويد كل واحد عليه. وأمام جميع اخوته يسكن. فدعت اسم الرب الذي تكلم معها أنت إيل ربي. لأنها قالت أهاهنا رأيت بعد رؤية،"[1]. ونتيجة لهذا فإن زويمر يرى باعتبار أن العرب ينتمون إلى السلالة الإبراهيمية عن طريق إسماعيل فأنهم غير مستثنين من الوحي الذي جاء به عيسى– عليه السلام– إلى هذه السلالة وفق النبوءة السابقة.

وإلى جانب الوحي المباشر الذي تلقته هاجر من الرب يهوه، يشير زويمر إلى وجود موضعين في العهد القديم يشيران إلى رحمة الرب بأبناء إسماعيل. أول هذه المواضع– كما يبينها الدكتور زويمر– هو دعاء إبراهيم– عليه السلام– بأن يتغمد الله– سبحانه وتعالى– إسماعيل برعايته، وقد أجاب اللهُ إبراهيم إلى ذلك، يقول زويمر: "بعد ثلاثين عاما من أول وعد لإسماعيل نسمع الوعد يتجدد ثانية بعد تأسيس الختان، علامة ميثاق الإيمان "وقال إبراهيم لله ليت إسماعيل يعيش أمامك. فقال الله بل سارة امرأتك تلد لك ابنا وتدعو اسمه إسحق. وأقيم عهدي معه عهدا أبديا لنسله من بعده. وأما إسماعيل فقد سمعت لك فيه..."[2]. وبالرغم من أن كثيراً من شُرَّاح العهد القديم يرون بأن رحمة الرب لم تنل إسماعيل، وإنما نزلت خاصة لاسحق وذريته، يعارض السيد زويمر ذلك القول، قائلا: "ما هو

---

[1] Zwemer, Samuel (1900 a)، ص ٣٩٨.

[2] Zwemer, Samuel (1900 a)، ص ٤٠٠.

تكملة: هذا "أنا أباركه وأثمره وأكثره كثيرا جدا. اثني عشر رئيسا يلد وأجعله أمة كبيرة. ولكن عهدي أقيمه مع اسحق الذي تلده لك سارة في هذا الوقت في السنة الآتية" الاصحاح ١٧ ١٨–٢١ سفر التكوين)

مغزى دعاء إبراهيم لاسماعيل؟ هل يمكن أن يكون قد سأل لازدهار موقت وطول حياة [فقط]؟ هذه هي فكرة بعض المعلقين، ولكن لا أحد منهم فسر لماذا عسى إسماعيل أن "يعيش أمام الله"... ففي الصلاة عبَّر إبراهيم عن توقعه لهجران غير محدد لإسماعيل وهو شيء مؤلم لقلبه الأبوي. لذلك طلب له من الله حياة بأعلى المستويات. وإلا فماذا عساه أن يعني ختان إسماعيل؟ إن ختم ميثاق الله أو تصديقه مع إبراهيم من خلال ذرية اسحق، لا تشمل ذرية اسحق فقط ولكن جميع المشتركين بشكل عام في هذه المواثيق، وهم إسماعيل والمنحدرون منه. ومهما يكن العرب بعيدين عن إيمان إبراهيم فقد ضلوا على طول هذه القرون ممتنين لعلامة الميثاق القديم بالمحافظة على شعيرة الختان. هذه واحدة من أهم الحقائق التاريخية الواضحة. إن الختان لم يُشَر إليه ولو مرة واحدة في القرآن، والكُتاب المسلمون لم يقدموا أي تفسير لهذا الإسقاط. إلا أن هذا التقليد منتشر في الجزيرة العربية، وانتقل منهم مع كثير من العادات إلى العالم الإسلامي. والعرب يؤرخون الختان إلى إبراهيم، ويختتنون في فترة متأخرة. وقد مارس العرب في فترة الجاهلية هذه الشعيرة، وأي شخص غير مختتن غير معروف حتى بين أولئك البدو الذين لا يعرفون شيئا من الإسلام، والذين يحتفظون باسم النبي"[1].

وموضع الرحمة الأخير- في رأي زويمر- هو تفجير البئر ليشرب منها إسماعيل عندما نفد الماء الذي حملته هاجر معها، وذلك عندما نفاهم إبراهيم من منطقة سكناه، يقول زويمر "للمرة الثالثة نقرأ الوحي الخاص لاثبات حب الرب لابن الأَمَةَ. ففي القصة المحزنة لطرد هاجر كان إسماعيل هو الشخص المركزي. المزاح الذي صدر منه كان سببها، ولأجله هو كان قبيحا في عيني إبراهيم أن ينفيهم. وكان هناك وعد خاص مرة أخرى لإسماعيل "لأنه ابنك" عندما نفد الماء من القربة وابتعدت هاجر حتى لا ترى موت الطفل، لم يكن نحيبها بل دعاء الصبي الذي جلب النجاة من السماء. "ونادى ملاك الله هاجر من السماء وقال لها

---

[1] Zwemer, Samuel (1900 a)، ص ٤٠١.

مالك يا هاجر. لا تخافي لأن الله قد سمع لصوت الغلام حيث هو. قومي احملي الغلام وشدي يدك به. لأني سأجعله أُمة عظيمة. وفتح الله عينيها فأبصرت بئر ماء. فذهبت وملأت القربة ماء وسقت الغلام. وكان الله مع الغلام،... الرب سمع كلامه، الرب غفر مزاحه الآثم، الرب أكد وعده، الرب أنقذ حياته، الرب كان مع الصبي. عناية الرب رعت إسماعيل"[١].

والآن، أين هي سلالة إسماعيل العربية؟ يجيب الدكتور زويمر قائلا، "الأمراء الاثنا عشر أبناء إسماعيل الذين سُجلت أسماؤهم بمدنهم وحصونهم هم بلا شك سادة عدد كبير من القبائل العربية. بعض الأسماء يمكن تَتَبّعُها تاريخيا، والبعض الآخر يمكن تحديدها بسهولة في العشائر الحديثة في شبه الجزيرة العربية. مبسام على سبيل المثال تنسجم مع العشيرة النجدية بسام والتي بعض منها تجار في البصرة، ومشماع هو بالتأكيد نفس بني مسمع العربية، في حين أن جميع المُعَلّقين يتفقون على أن دومة هو دومة الجندل في شمال الجزيرة العربية- واحدة من أقدم الحاضرات العربية. وبعيدا عن التحزير يقف اسمان بارزان ومعروفان في التاريخ الدنيوي: نبايوت وقيدار. فأشار بلني (Pliny) في تاريخه الطبيعي إليهم جميعا بأنهم نبات السدر، والمؤرخون العرب يعرفون الاسمين. بغير شك النباتانس تعود إلى نبايوت- بالرغم من أن هذا رفضه كوارترمر (Quartermer)، إلا أن أم تشولسون (M. Chwolson) قد أكدها، وهذا أيضا رأي العرب العام"[٢].

ويدعي زويمر أن "المدن البرية" الواردة في أشعياء ٤٢ إنما هي منطقة نجد الحالية بما تحويه من حواضر ومدن وقرى، يقول زويمر: "... كما أن وعداً آخر وضع في أشعياء ٤٢ لهذا الجزء من الجزيرة العربية "غنوا للرب أغنية جديدة تسبيحة من أقصى الأرض... لترفع البرية ومدنها صوتها الديار التي سكنها قيدار. لتترنم سكان سالع. من رؤوس الجبال ليهتفوا" إنها جميعا هناك، بجغرافية

---

[١] Zwemer, Samuel (1900 a)، ص ٤٠٢.

[٢] Zwemer, Samuel (1900 a)، ص ٤٠٢.

صحيحة ومعاصرة، "البرية ومدنها" هي نجد تحت حكومتها الحالية: قيدار تركوا خيامهم المتنقلة وأصبحوا قرويين، وساكنو الجبال من مدين صالح، "وأُسيِّر العمي في طريق لم يعرفوها. في مسالك لم يدروها أمشيهم. أجعل الظلمة أمامهم نورا والمعوجات مستقيمة". الاسم العلم الوحيد والمركز الجغرافي الوحيد في هذا الفصل هو قيدار. وفي نبوءتين أخريين اللتين ليس لهما خصائص مسيحية أُشير الى قيدار بأنها مرادف للجزيرة العربية"[1].

ويقول زويمر: "مجموعة أخرى من النبوءات التبشيرية للجزيرة العربية تجتمع حول أسماء سبا وشبا "كلها تأتي من شبا (جنوب الجزيرة العربية أو اليمن). تحمل ذهبا ولبانا وتبشر بتسابيح الرب" ملوك شبا وسبا سيقدمون الهدايا"[2]. ولتحديد موقع شبا وسبا يقول: "ثلاثة شبا أُشير إليهم في علم السلالات وفي النبوءات. ١. [شبا] بن رعمة بن كوش، ٢. [شبا] بن يقطان[3]، ٣. [شبا] بن يقشان بن قطورة[4]. لكن كل هذه وجدت أماكن استقرارها في ما هو الآن جنوب الجزيرة العربية. شبا اليقطانية هي مملكة الحميريين في اليمن. إن شبا اليقطانية تشمل الجزء الأكبر من اليمن. مدنها الرئيسة– وقد تكون عواصمها المتتالية هي سبا وصنعاء ... وظفار،... سبا– أقدم عاصمة– معروفة بمأرب الحالية، شمال شرق صنعاء... شبا الكوشية سكنت في مكان ما على الخليج الفارسي... شبا القطورية شكلت قبيلة واحدة مع شبا الكوشية وسكنت شرق الجزيرة العربية. إن شبا دائما كانت أرض الذهب والبخور وقد بدأنا من خلال الحفريات والآثار المكتشفة حديثا في معرفة القليل عن ثراء المملكة الحميرية القديمة وازدهارها في اليمن"[5].

---

[1] Zwemer, Samuel (1900 a)، ص ٤٠٣.

[2] Zwemer, Samuel (1914)، ص ٢.

[3] بن عابر بن شالح بن أرفكشاد بن رام بن سام بن نبي الله نوح، التكوين ١٠/٢١–٢٧

[4] زوجة النبي إبراهيم عليه السلام، التكوين ٢٥/١–٤

[5] Zwemer, Samuel (1900 a)، ص ٤٠٤.

إلا أن زويمر لا يرضى بحصر سلالة إسماعيل في هذه الأماكن. فيذهب الى أبعد من ذلك ليشمل الجزيرة العربية بأكملهما من بحر العرب إلى فلسطين، ومن البحر الأحمر إلى الخليج العربي. وهو هنا لا يستنكف عن اللجوء إلى إخوانه اليهود الذي قَدَّموا بدورهم تفسيراتهم للبشارة في العهد القديم. يقول زويمر حول هذه المسألة: "في نفس المزمور الذي يُعطي الوعد بجنوب الجزيرة العربية وشرقها لدينا هذا المقطع البارز: "و يملك من البحر إلى البحر، ومن النهر الى أقاصي الأرض. أمامه تجثوا أهل البرية، وأعداؤه يلحسون التراب"[1]. إن النهر المشار إليه هو بلا شك الفرات، والحدود المعطاة تشمل الامتداد المثالي للأرض الموعودة. والآن- لنقل أخيرا- إنه يضيف الشراح اليهود المعاصرون هذه المقطوعة إلى الإصحاح ٤٨ من حزقيال في تفسيراتهم؛ ليضمنوا كل شبه الجزيرة العربية في أرض الموعد. لقد رأيتُ خريطة مثيرة للفضول ومطبوعة من قبل اليهود في لندن، حيث أن كل واحدة من هذه القبائل قد أعطيت نصيبها من الأرض على طول الجزيرة العربية من البحر الأحمر الى الخليج لتشمل فلسطين وسورية"[2].

٣. ٣. ٤. ٢. الاستدلال من واقع العملية التنصيرية

أما فيما يتعلق باستقراء واقع الجهد التنصيري في أوساط المجتمعات المسلمة، فيشير زويمر – حسب ادعائه – إلى النجاح الذي حققه المنصرون في كل من الهند وفارس ومصر وبعض جزر المحيط الهندي كجاافا وسومطرة، حيث تمكن هؤلاء من رد كثير من المسلمين الى النصرانية. كما يعتبر زويمر إقبال المسلمين على تعليم أبنائهم في المدارس التنصيرية في تلك الأقطار من الشواهد على النجاح الذي تحققه الإرساليات التنصيرية. والى جانب ذلك يرى بأن افتتاح العديد من الكنائس التنصيرية في بقاع متعددة من العالم الإسلامي كفلسطين ومصر وإيران وآسيا

---

[1] سفر مزامير ٧٢

[2] Zwemer, Samuel (1900 a)، ص ٤٠٥.

الصغرى تعد من أهم علامات نجاح النشاط التنصيري وتقدمه بين صفوف المسلمين[1].

ومع ذلك فقد أقر زويمر بأن المنصرين يواجهون صعوبات في كثير من الأقطار الإسلامية. وأقر كذلك بأنه ليست كل الأقطار الإسلامية قد استجابت للتنصير إلى درجة تم على إثرها فتح كنائس محلية، فقد كتب قائلا: "...لكن لا يزال هناك دول يقام بالتنصير فيها منذ أربعين سنة بدون تأسيس كنائس مكونة من مسلمين متنصرين"[2]. كما كتب في مقال نشر في ١٩٤٧م عن فشل المؤسسات التنصيرية في الوصول إلى الحرمين الشريفين وذلك بعد مرور ٤٦ عاما من بدء توجه أنظار العاملين في هذا الحقل إلى هاتين المدينتين، يقول "مكة ليست فقط مهد الإسلام ولكن ظلت على مدى القرون في منأى عن متناول النصارى. ليس من مكان في العالم الإسلامي أقل تغيرا في تزمته الخاص من الحرمين... ظلت الحقائق ستاً وثلاثين سنة كما هي تماما"[3].

وشبه الجزيرة العربية كما يراها زويمر لم تُعط الاهتمام الذي تستحقه، وفي رأيه لا يمكن أن توصف بأنها حقل تنصيري إلا إذا انتشر المنصرون في كل شبر من أرجائها، يقول زويمر "الجزيرة العربية بصدق حقل مُهْمَل حتى الآن. لا يزال العمل بدائي إلى اللحظة، إن تنصير شبه الجزيرة العربية يجب أن يكون قد بدأ منذ زمن. لا يمكن وصف الجزيرة العربية بأنها حقل تنصيري؛ حتى تُدخَلُ كل الأقاليم، ويُشغَلُ كل موقع من النقاط الاستراتيجية التي تم تحديدها... فمع توفر الرجال والوسائل لا يوجد أدنى سبب لأن لا تكون الجزيرة العربية بأكملها في العقد القادم ميدانا لنوع معين من النشاط التنصيري. الأبواب مفتوحة، أو ستفتح لقرع الإيمان. الرب لا يزال يعيش ويعمل"[4].

---

[1] Zwemer, Samuel (1900 a)، ص ٣٩٤.

[2] Zwemer, Samuel (1938 b) ص ٢٢٢.

[3] Zwmer, Samuel M, (1947 a)، ص ١٤.

[4] Zwemer, Samuel (1900 a)، ص ٣٨٢.

وحتى بعد أن تم إنشاء المراكز التنصيرية في البصرة والبحرين وعمان والكويت ما انفك زويمر ينظر إلى شبه الجزيرة العربية بأنها حقل مهمل. فقد كتب في ١٩٠٧م قائلا: "لا أحد ينظر إلى خريطة شبه الجزيرة العربية، أو إلى تقارير إرسالياتنا ويداخله الشك في أننا لا نزال واقفين فقط أمام الجزيرة العربية المهملة ولم نصل إلى داخلها"[١]. وكتب أيضا في ١٩١٤م قائلا: "الجزيرة العربية واحدة من أكثر الحقول التنصيرية صعوبة. واحدة من أكثر البلاد إهمالا- وإلى اليوم- وذلك عندما نجعل في الاعتبار المناطق الداخلية الواسعة التي لم تشغل بعد"[٢]. وفي ١٩٠٩م شغلت الإرسالية ثلاثة مراكز- مسقط والبحرين والبصرة- فقط من أقاليم الجزيرة العربية السبعة وهي الحجاز واليمن وحضرموت وعمان والاحساء والعراق ونجد، وهذا في نظر زويمر لا يحقق هدف الإرسالية التي ترمي إلى شغل جميع أجزاء الجزيرة العربية، يقول زويمر "فحتى المناطق المعروفة جيدا على الخريطة غير معروفة بالنسبة لكنيسة المسيح، ورسالة الإنجيل لم تصل إلى الناس... والمدن التالية في الجزيرة العربية بدون شاهد للمسيح الذي قال "لا شيء مستحيل على الرب" وهي مكة والمدينة وصنعاء وحديدة والمكلاء وشحر وبريدة وحائل والهفوف والجوف، ومجموعة أخرى مساوية لها في الأهمية الاستراتيجية"[٣].

٣. ٣. ٤. ٣. هدف التنصير ووسائله

أما هدف التنصير كما يحدده الدكتور زويمر، فهو إخراج المسلمين كليا وبشكل جذري من الإسلام وتحويلهم إلى النصرانية، يقول "ما لم نطلب من الباحث المسلم أن يصنع قرارا قاطعا ليصرم الماضي، وليقبل حياة جديدة مع المسيح فإننا بحق لسنا عادلين معه"[٤]. وقد رد على أحد أساتذة الجامعات الأمريكية في

---

[١] Zwemer, Samuel (1907)، ص ٦١.

[٢] Zwemer, Samuel (1914)، ص ٢١.

[٣] Zwemer, Samuel (1909) ص ١٦.

[٤] Zwemer, Samuel M. (1941)، ص ١١٢.

الشرق الأوسط الذي رأى بأن يكون تنصير المسلمين روحيا وليس تنظيميا، أي يعيش المتنصر وفق خلفيته الثقافية الإسلامية لكن بروح نصرانية. فقد انتقد زويمر ذلك الرأي على أنه مدخل عقيم لا يتناسب مع تعاليم المسيح، وقال: "موقف ودي نحو المسيح والمسيحية لا يكفي"[1]. ويرى زويمر بأنه يجب الإعلان للمسلم بكل صراحة ووضوح الغرض من دعوته، فيقول: "لكي نعلن رسالتنا بدون اعتبار لوجه أي خصم، بدون غموض أو لف ودوران. هذه الشجاعة الخلقية- على كل حال- ليست طبيعية ولكن عطاء رباني"[2]. وذكر في إحدى كتاباته أن هدف التنصير يكمن في مضمون بيت الشعر:

علا الصليب على أعلى منابرها وقام بالأمر من يحويه زنار[3].

وفي حقيقة الأمر ظل تحويل المسلمين إلى النصرانية تحويلا كاملا بحيث يقطعون صلتهم بالإسلام هو الهدف الذي ينادي به زويمر في كل وقت. فكتاباته المتقدمة والمتأخرة تشير إلى ذلك على حد سواء. فعلى سبيل المثال في كتابه "الصليب فوق الهلال" (The Cross above the Crescent) - وهو من الكتب المتأخرة حيث نشر في ١٩٤٠م، أي بعد ما يقارب خمسين عاما من إنشاء "الإرسالية العربية"، وهدف إلى مراجعة العملية التنصيرية في شبه الجزيرة العربية- يعلن السيد زويمر هدفه من التنصير قائلا: "ما لم نطلب من الباحث المسلم أن يصنع قرارا قاطعا ليصرم الماضي وليقبل حياة جديدة مع المسيح فإننا

---

[1] Zwemer, Samuel M. (1941)، ص ١١٢.

[2] Zwemer, Samuel M. (1938 a)، ص ١١١.

[3] Zwemer, Samuel (1933 a)، ٢٢٩.

البيت من قصيدة مشهورة لتقي الدين أبي اليسر قالها في بغداد أثر سقوطها في يد التتار، ومنها:

لسائل الدمع عن بغداد أخبار	فما وقوفك والأحباب قد ساروا
يا زائرين إلى الزوراء لا تفدوا	فما بذاك الحمى والدار ديار
تاج الخلافة والربع الذي	شرفت به المعالم قد عفاه إقفار
أضحى لعصف البلى في ربعه أثر	و للدموع على الآثار آثار
يا نار قلبي من نار لحرب وغى	شبت عليه ووافى الربع إعصار
علا الصليب على أعلى منابرها	و قام بالأمر من يحويه زنار

بحق لسنا عادلين معه. الطريق البسيط ليس هو طريق الإنجيل. الموقف الطيب تجاه المسيح والمسيحية ليس كافيا"[1].

ولم يقصر السيد زويمر هذا الهدف التنصيري على شبه الجزيرة العربية، بل حسب خططه يشمل جميع الأمة الإسلامية بما فيها المسلمون في جنوب شرق أوربا، يقول زويمر: "في جنوب شرق أوربا لسنا مطالبين بكسب المسلمين للمسيحية– ولكن بالعودة بهم إلى المسيحية. كان سلفهم أعضاء في الكنائس القديمة. كان أبطالهم القدامى شهداء المسيحية. نداء الدم موجود. هل نجرؤ على التغاضي عن هذه الفرصة"[2].

ولكي يتحقق هذا الهدف التنصيري يقول زويمر: "يجب أن تسقى جذور شجرة الحب بالدموع والدم؛ حتى تظهر الثمار"[3]. فالأساليب التنصيرية التي ينادي هذا المنصر بتبنيها تختلف باختلاف الظروف والعوامل على أرض الميدان، ونتيجة التقدم أو التأخر في المرحلة التنصيرية. وبشكل مجمل، يشير زويمر إلى صعوبة تحديد المنهج الذي يمكن تبنيه لمباشرة العمل بين المسلمين؛ ذلك لأن العمل مع المسلمين في نظره يُعَدّ من أكثر الأمور صعوبة[4]. وذكر بأنه في ١٩٤٤م شُكلت هيئة لإعادة دراسة العلاقة النصرانية الإسلامية توصلت بعد عامين من الدراسة والتحليل إلى موقفين: الأول: أن مدخل العمل مع المسلمين ديني، والثاني: يفهم من كلمة "ديني" أنه شيء متعلق بالحياة الشخصية الداخلية للفرد[5].

وفي حقيقة الأمر، يتبنى زويمر منهجا تنصيريا لا يقر للعقل العربي حقه ومقدرته على الاختيار، وتقرير معتقده وقيمه وفكره. فالأساليب التنصيرية التي

---

[1] Zwemer, Samuel. M (1940)، ص ٢٦١.
[2] Zwemer, Samuel M. (1927 b)، ص ٣٥٧.
[3] Zwemer, Samuel (1927 a)، ص ٢٢١.
[4] Zwemer, Samuel M. (1938 b).، ص ٢٢١.
[5] Zwemer, Samuel M. (1944 c)، ٢٣٥.

يقترحها زويمر تفترض أولا أن هذا المسلم مضلل في أفكاره الدينية- الإسلامية طبعا. ثم تُفرض عليه أفكار ومعتقدات بديلة يجب عليه أن يعتنقها بدون أخذ أو رد. وهذه البدائل- كما يفهم من كلام زويمر- يغرسها المنصرون القادمون من الغرب في عقل المسلم غرسا. فنصارى الشرق- الكنيسة الشرقية- في نظر البروتستنت لا يقدمون صورة صحيحة عن النصرانية، والكنيسة الشرقية نفسها محتاجة إلى إعادة تنصير.

ولكي ننصفه لا بد من القول أنه لم ترد دعوة صريحة منه إلى المسلم لإعمال فكره في المادة التي يحملها إليه المنصر، ولإعطاء حرية له لتقرير المعتقد إثر ذلك، إلا في واحدة فقط من أعماله، وهو كتابه الذي يحمل عنوان "المسيح المسلم" (The Moslem Christ) المنشور في ١٩٠٦م، حيث كتب قائلا: "إننا نطالب كل باحث مسلم صادق أن يدرس قصة الإنجيل، وليحاول لذاته أن يصل إلى تقييم صحيح لعيسى المسيح، الذي تحدث عنه محمد بكلام غاية في النبل بأنه نبي ورسول من الله. ليأخذ [المسلم] الأسس التاريخية للديانة المسيحية، ويتفحصها نقديا كما يسره، ولير بنفسه ما ادعى عيسى أن يكون، وكيف فهم أصحابه والكنيسة القديمة ادعاءاته. إننا ندعو المسلمين أن يدرسوا الإنجيل بأي طريقة شاءوا، ولكن لغرض واحد في ذهنهم وهو عساهم أن يلتقوا وجها لوجه مع عيسى بنفسه؛ لكي يعرفوا من هو، وليروا كيف أنه ادعى أنه يحتل منصبا رفيعا في موضوع موقف الناس جميعا من الرب، منصبا لم يدعِّه أي أحد آخر"[١]. وكرر زويمر نفس هذا الكلام في مقالة له نشرت في ١٩٣٤م[٢].

وأشار زويمر في أولى كتاباته إلى ضرورة الاستفادة من الخبرات التنصيرية الناجحة في أوساط المسلمين في البنجاب وشمال أفريقيا وسمطرة لتنصير مسلمي

---

[١] Zwemer, Samuel (1912) The Moslem Christ,

[٢] Zwemer, Samuel M. (1934 b)، ص ١١٤.

الجزيرة العربية[1]. ويأتي المجال الطبي على قمة أساليب التنصير. فالافتقار إلي مراكز للعناية بالمرضى في الجزيرة العربية، يجعل هذا النشاط وسيلة تنصيرية فعالة، يقول زويمر: "الإرساليات الطبية لها مكانتها وقوتها الخاصة، ولكن أيضا لها مشكلاتها الخاصة في عمل ريادي كهذا الذي في الجزيرة العربية. الجراحة لها قيمة لا نهائية تفوق الدواء بين شعب كالعرب، حيث القدر وهجر المريض يجعلان من علم الدواء علماً ذا نتيجة مشكوك فيها في أكثر الأحيان. "أُقتل أو أشفى" يروقان لمزاج المسلم أكثر من العلاج الطويل الأمد. إلا أن جَرَّاحاً ماهراً يحمل دبلوما تركيا هو الذي يحمل مفتاح كل باب في الجزيرة العربية بأكملها. لا يوجد مستشفى إرسالي واحد في شبه الجزيرة العربية. وبالتأكيد فمراكز كبغداد والبصرة والبحرين وصنعاء وجدة وحديدة والهفوف يجب أن يكون فيها هذه الوسائل التنصيرية القوية. عدن ومسقط توجد فيها مستشفيات تابعة للحكومة الهندية"[2].

وبسبب عدم توفر معلومات كافية عن مدى تقبل العرب لوجود مدارس تنصيرية في وسطهم، يصبح التنبؤ بنجاح التعليم كأسلوب تنصيري أمرا صعبا في نظر القسيس زويمر، يقول: "العمل التعليمي لا يزال غائبا أو جنينا أخذا بعين الاعتبار [حجم] السكان العرب، لذلك لا توجد بيانات يمكن بها تكوين نظريات عن مدى نجاح هذا الأسلوب. ففي بعض أجزاء الجزيرة العربية قد لا تسمح الحكومة بإنشاء المدارس، وفي كل مكان من الضروري أن تكون المدارس ابتدائية للغاية"[3]– طبعا كان هذا الكلام في بداية عهد الإرسالية العربية، أما بعد ذلك، فقد أصبح التعليم أحد الأنشطة التنصيرية القوية في شبه الجزيرة العربية.

أما النساء فيمكن أن تلعبن دورا مهما في النشاط التنصيري. إذ يرى الدكتور زويمر أن الأبواب مفتوحة لهن في شبه الجزيرة العربية، يقول "النساء المسيحيات،

---

[1] Zwemer, Samuel (1900 a)

[2] Zwemer, Samuel (1900 a)، ص ٣٨٣.

[3] Zwemer, Samuel (1900 a)، ص ٣٨٣.

كما أثبتت التجربة في كل من اليمن وشرق الجزيرة العربية، مرحب بهن في كل مكان. لديهن أم ليس لديهن شهادات طبية، ولكن بقلب مليء بالحب وبالعاطفة للفقراء المتألمين والبائسين يمكن أن يدخلن كل بيت أو كوخ. حتى في الخيام السوداء في قيدار [الجزيرة العربية] توجد قلوب متصدعة وبيوت بائسة لا يمكن أن يجلب لها الخلاص إلا إنجيل السلام والحب. لقد أثبتت السيدة آن بلنت (Lady Ann Blunt) والسيدة ثيودور بنت (Mrs. Theodore Bent) ما يمكن أن تعمله النساء للجزيرة العربية في مجال العلم. فهل لا تكون هناك نساء مسيحيات تتغلغل الى أعماق الجزيرة العربية من أجل من ينقذنه؟"[١].

وتأتي العلاقات الفردية من ضمن الأساليب التي يمكن أن تُتبع في النشاط التنصيري كما يقول زويمر: "الشيء الوحيد الذي نريده هو علاقة. جميع الأساليب عبث إن لم تَقُدْ مباشرة أو غير مباشرة إلى هذا الهدف. التنصير الشخصي هو تصادم الأرواح، وأثره يعتمد على القوة الدافعة"[٢]. وهذا الأسلوب في نظر زويمر هو أسلوب الرسل السبعين الذين وجههم عيسى- عليه السلام- إلى الأقطار التي كان من المفترض أن يذهب إليها هو بنفسه[٣].

أما بيع الكتب النصرانية وخاصة باتباع أسلوب التجوال فيراه زويمر من أنجح الأساليب، يقول: "بيع الكتب أسلوب تبشيري مجرب خاصة في الجزيرة العربية، مادام الإنجيل وخط متكامل من الأدب التربوي والديني متوفر لدينا من الإرساليات السورية والمصرية. ففي اليمن خصيصا يمكن أن يكون هذا العمل مفيدا وعمليا ولكنه كعمل منظم لم يجرب إلا قليلا. والمشكلة هي الحصول على رجال من الطابع المناسب لهذا العمل، رجال مصرين على تحمل المشقة كجنود صالحين لعيسى المسيح لديهم لباقة وطبع جيد ومقدرة على التحدث إلى أصحاب العقول

---

[١] Zwemer, Samuel (1900 a)، ص ٣٨٣.

[٢] Zwemer, Samuel (1936 a)، ص ١١٢.

[٣] Zwemer, Samuel M. (1939)

البسيطة. والحب له قيمة أكثر من العمل في بيع الكتب. وأضف إلى ذلك مطلبين آخرين هما صحة جيدة وجواز سفر صالح. حتى هذا العمل يُعدّ وليدا، وهناك الكثير من الأبواب المفتوحة لكلمة الرب لم تُدخل بعد"[١].

ومشكلات توزيع الكتب التي أوردها القسيس زويمر في الكلام السابق كانت في واقع الأمر في بداية عهد الإرسالية العربية. وإلا فإن بيع الكتب لاقى نجاحا كبيرا مع اكتساب المنصرين الخبرة في هذا المجال. ويعبر زويمر عن مدى نجاح هذا المنهج قائلا: "إن معركة الكتب مشتعلة اليوم على كل أرض إسلامية. كل بائع مسيحي هو قبطان في المعركة. وكل متجر هو أرض للمعركة، وكل كتاب هو قذيفة حق على الخطأ. الأدب المسيحي هو مطرقة الرب، وهو أشد قوة من مطرقة تشارلس مارتل (Charles Martel) على تورس (Tours)"[٢].

وحسب ادعاء زويمر، فإن نشر الإنجيل حقق ثلاثة أشياء في العالم الإسلامي، يعبر عنها بقوله: "في المقام الأول، خلق موقفا عقليا جديدا في العالم المحمدي شديد العروبة. لقد كانت جميع أدعيتهم وشعائرهم المقدسة باللغة العربية، إلا أن نشر الإنجيل خلق موقفا عقليا جديدا، فشرع المحمديون الآن في ترجمة قرآنهم إلى اللهجات العامية متتبعين مثال الجمعيات الإنجيلية. لم يعد ذلك العالم يتحدث اللغة الواحدة ويقرأ كتابا واحدا، بل أصبح متعدد اللغات... [ثانيا]... خلق حسا أخلاقيا جديدا وسط المحمديين. فعندما توزع الإنجيل فإن الأفكار القديمة لم تعد مقنعة. إن هذا الكتاب يولد الإفلاس الأخلاقي في قلب كل رجل يقرؤه ويرى نفسه في ضوئه. وعندما يرى المسلمون أنفسهم في مرآة الإنجيل فلا يمكنهم أن يتقبلوا مثاليات القرآن... [و أخيراً فإن]...تعاليم الإنجيل أصبح لها قوة تحويلية في حياة المسلمين الاجتماعية. فالثورة ضد تعدد الزوجات، وزواج الأطفال، والرق في

---

[١] Zwemer, Samuel (1900 a)، ص ٣٨٤.

[٢] Zwemer, Samuel (1940)، ص ٢٢٥.

الصحافة الإسلامية اليوم لا يمكن تفسيرها بمنأى عن التأثير المباشر وغير المباشر للعهد الجديد"[1].

والأسلوب الآخر الذي أكد القسيس زويمر على أهميته- وله علاقة بالنقطة السابقة- هو إنشاء دور للطباعة والنشر في البلاد الإسلامية، يقول "الصفحة المطبوعة تدخل الأبواب المغلقة، خاصة في أراضي الإسلام. وأنا بنفسي عندما كنت في القاهرة تسلمت طلبات لكتب من مكة وكربلاء. إن الكتاب يصل إلى كل الطبقات التي تَقرأ، وهؤلاء بدورهم يقرأون للأميين. إن الكتاب يعظ بلا ملل، ولا يحتاج إلى إجازة. وهو يعيش أطول من أي إرسالي. ولا ينطرح مريضا. إنه يصل عن طريق العقل إلى القلب والوعي. ولقد أدى إلى نتائج في كل مكان... والأهم من ذلك إن هذا المنهج التبشيري إذا أحسن استخدامه فإنه أقل ضررا من الوعظ المباشر"[2]. لذا فقد كان للمنصرين مطبعتان في العالم العربي إحداهما في بيروت، والأخرى في مصر. وأشار القسيس زويمر أن مطبعة بيروت نشرت في عام واحد فقط ١٤٣٠٧٥ مجلدا اشتملت على ٢٥ مليون صفحة[3]. ولأهمية موضوع النشر تفرغ القسيس زويمر للعمل في "المطبعة الإرسالية" في مصر، حيث عمل عددا من السنين، ودعا إلى إصدار منشورات تنصيرية تخاطب المسلمين بكافة لغاتهم وليس باللغة العربية فحسب.

وكذلك يشير زويمر إلى أسلوب الوعظ في الشوارع والأماكن العامة باعتباره من الأساليب التي يمكن أن يُعمل بها في الجزيرة العربية. إلا أن هذه الطريقة في نظره تحتاج إلى دراسة للوضع الذي تلقى فيه، يقول زويمر "تحت العمل التنصيري تأتي مشكلات المواعظ الشارعية، والتجوال، واستخدام المناظرة أو إساءة استخدامها. أفضل مكان للمواعظ في المراكز هو بيت الإرسالية نفسه بعد مثال

---

[1] Zwemer, Samuel (1940)، ص ٢٢١.

[2] Zwemer, Samuel (1940)، ص ٢٣٠.

[3] Zwemer, Samuel (1940)

بولس (الرسل ٢٨، ٣٠-٣١). ففي التجوال أو العمل في القرى يشكل مجلس الشيخ، أو المقاهي العامة منبرا عاما. ووجدتُ في كشكول صغير للإرساليين المبعوثين إلى المسلمين وضعه القسيس أرثر برنكمان(Rev. Arthur Brinckman) – الآن نافذ – هذه الإشارات الجميلة للوعظ العام للمسلمين والذي ينطبق على الجزيرة العربية أيضا "إن أمكن دائما خاطب المستمعين من أعلى. الجلوس في بعض الأحيان أفضل من الوقوف؛ فإنك لا يحتمل أن تصاب بالإرهاق، والوضع لا يبدو كأنه هيئة حرب. أسند ظهرك إلى حائط إن أمكن- هناك عدة أسباب لهذا. وعندما تُدفع إلى الجدال صل لأن تتكلم ببطء وتأثر. عندما تُسأل سؤالا لا تجب عنه بسرعة- إن فعلت فسينظر إليك كمعارض حاد فقط، فكر في الإجابة أولا، وقدمها بلطف وهدوء. إن أمكن استشهد بآية من القرآن من قرب بداية أو نهاية السور وسيكون هناك تأخر قليل في العثور عليها"[١].

ويرى زويمر بأن أسلوب المناظرات من الأساليب التي يمكن أن تتبع في المجال التنصيري وفق ظروف خاصة فقط، يقول في هذا الشأن: "مسألة المكان المناسب للمناظرة، أو ما إذا كانت يجب أن تأخذ مكانا في العمل الإرسالي بين المسلمين لها أهمية عالية. الآراء تختلف بوضوح بين هؤلاء الذين هم أعمدة الإيمان. أفضل جدال وأقصره ضد استخدام المناظرة هو الذي قدمه سبرجون (Spurgeon) في إحدى أوائل خطبه في معبد نيو بارك ستريت (New Chapel) Park Street. لقد جادل باختصار بأن الإرسالي شاهد وليس مناقشا؛ لذلك فهو مسؤول فقط عن الإعلان عن الإنجيل بشفاهه وحياته."[٢]. إلا أن زويمر يرى بأن هذه الطريقة يمكن اتباعها إن كانت تحقق نتائج لصالح المنصر، يقول زويمر: "كما يهشم المعول الأرض قبل وضع البذرة، كذلك هذا النوع من الأدب والجدال في الغالب يحطم أرض قلب المسلم المحروثة لبذرة كلمة الرب. حتى التعصب المتيقظ

---

[١] Zwemer, Samuel (1900 a)، ص ٣٨٤.

[٢] Zwemer, Samuel (1900 a)، ص ٣٨٥.

أو المواجهة النشطة أكثر أملا من الركود الكامل للفكر والإحساس المتحجر. كيف توقظ وعي المسلم، هي المشكلة الحقيقية"[1].

٣. ٣. ٤. ٤. قابلية المسلم للتنصير

ما قول المنصر زويمر في مدى قابلية مسلمي الجزيرة العربية للتجاوب مع المُنَصِّر الذي سيستخدم معهم الأساليب التنصيرية السابقة كلاً أو جزءاً؟ في البداية لاحظ زويمر من خلال جولاته الميدانية المتعددة في المجتمعات الإسلامية المختلفة أن المسلمين بشكل عام متسامحون مع النصارى. فعلى سبيل المثال كتب عن عمان قائلا: "عمان بمدنها الساحلية وأريافها الجبلية سهل الوصول اليها، فحيث ما حاول المنصرون أن يدخلوا استقبلوا بترحاب فاق كل التوقعات"[2].

وقد قاد هذا زويمر إلى أن يدَّعي أن المسلمين في شبه الجزيرة العربية لديهم قابلية عظيمة للانقياد للمنادي إلى النصرانية. فعلاقة كثير من سكان الجزيرة العربية بدينهم الإسلام- كما يراها القسيس زويمر- أصبحت واهية إلى درجة لا يهمهم إن كان الإسلام هو الدين، أم يتبع الناس ديناً غيره. فالعربي أمسى لا هم له عندما تشرق عليه شمس يوم جديد إلا طعامه وشرابه ولباسه، أما الدين فأمر ثانوي لا يستحق أن يولى كثير اهتمام، يقول زويمر: "إن موقف العقل العربي ليس معادياً بشكل عام للنصرانية. والغالبية العظمى لا يهتمون بالدين في أي شكل كان."ماذا نأكل وماذا نشرب وماذا نلبس" هو مجموع كل تفكيرهم. التاجر العربي يخدم الثروة من كل قلبه سبعة أيام في الأسبوع. والدين تحفة وعرف فقط، يلبسه كما يلبس عباءته الفضفاضة، ويناسبه كلما كان أوسع. وهو يعتقد بأنه لا فائدة من

---

[1] Zwemer, Samuel (1900 a)، ص ٣٨٦.

[2] Zwemer, Samuel (1900 a)، ص ٣٧٦.

مناقشة مسائل الإيمان. "كل فرد له دينه" هي ما يسمعه الشخص عادة في الجزيرة العربية"[1].

ليس هذا فحسب، بل يدعّي زويمر أن كثيراً من سكان الجزيرة العربية لديهم الرغبة في البحث عن حقيقة السيد المسيح كما جاءت في التوراة والإنجيل، وهو يقول: "ثم أن هناك بعض الرجال المفكرين الذين يعلمون أفضل- باحثين عن الحقيقة- ويشعرون بأن هناك نقاطاً قوية في النصرانية ونقاطاً ضعيفة في الإسلام لم يُعتن بها بشكل حسن. ويلتقي الفرد بأمثلة من هذا الصنف في كل مكان، وفي كل محطات الحياة، وفي مواقع لا تُتوقع. فالتقيت في قلب اليمن بملا لديه معرفة مدهشة بالإنجيل العربي، والنسخة التي أرانيها كانت ترجمة غير مصححة وضعها رتشارد واتسون (RICHARD WATSON) مؤرخة في ١٨٢٥م. وأعرب أحد المحمديين البارزين في شرق الجزيرة العربية مؤخرا عن رأيه القائل بأن المسيح في العهد الجديد لم يحاول أبدا أن يُكون ديناً جديدا؛ ولكن ليُدخل العبادة الروحية لرب إبراهيم في كل مكان، وقال بأن دراسة طويلة ومستقلة للإنجيل هي التي قادته إلى هذا الرأي... كما أن انتشار بيع الإنجيل في الجزيرة العربية يدل على مدى القبول الذي يجده هذا الدين في هذه الأرض"[2].

ومن بين العوامل التي يراها زويمر مشجعة على العمل التنصيري بين المسلمين وتسهل الطريق أمام القائمين به، هو معرفة المسلمين بالإنجيل، والسيد المسيح من خلال الآيات القرآنية المتعددة التي حملت الإشارة إليهما، وإن كانت هذه الإشارات لا تخلو في نظره من سوء فهم لحقيقة النصرانية، يقول زويمر "لكن بالرغم من أن الإنجيل يُتحدث عنه بكثرة وأُعلن فعلا أنه كلمة الله، إلا أننا لم نجد في القرآن أو التراث الإسلامي اعتبارا مُرضيا للمحتوى الحقيقي لرسالة المسيح. وبالعكس، يُنْكِرُ الجميع ألوهية المسيح، وخلود رسالته، وحقيقة موته على

---

[1] Zwemer, Samuel (1900 a)، ص ٣٨٧.

[2] Zwemer, Samuel (1900 a)، ص ٣٨٨.

الصليب من أجل الخطيئة، وبعثه المجيد. وهذه إذا دعوة ورفض للتنصير بين المسلمين في آن واحد. دعوة لأنهم هم أيضا يحبون عيسى بن مريم، وهم دائما سعداء لسماع المزيد عنه، ورفض لأن الحقائق العميقة تُقابل بالرفض، وصليب المسيح بالنسبة لنا تألق، وبالنسبة لهم حجر عثرة. التناقض هو، إنجيلنا يُثنى عليه بسبب اسمه، ويُطعَن فيه بسبب محتواه. فهل يوجد سوء فهم طويل العمر، وعالمي الانتشار كالذي بين الصليب والهلال؟"[1].

ووقوع أجزاء واسعة من شبه الجزيرة العربية خارج نطاق سيطرة الحكومة العثمانية، ووقوع جزء آخر منها تحت نفوذ السلطة البريطانية عامل مهم كذلك في تسهيل أمر المسلمين المتنصرين كما يدعي زويمر. فهو يرى بأن تطبيق حكم الإعدام على المرتد في هذه المناطق أمر غير وارد. وهذا– حسب زعم زويمر– يرجع إلى أمرين، الأول هو أن قاطني هذه البلاد لا يعيرون مسألة الارتداد عن الدين أهمية؛ وذلك نتيجة عدم تمسكهم بأحكام دينهم – الإسلام– فيقول "إن موقف المسلم العقلي الحالي– في أي جزء من شبه الجزيرة العربية – تجاه النصرانية بالتحديد هو الذي يحدد مصير المتحول. هل المسلمون كلهم متمسكون للغاية بعاداتهم وشرائع دينهم فيما يتعلق بالارتداد عن الإسلام – كل متحول يعدم وكل باحث يختفي؟ فالنسق العثماني للقانون الإسلامي يقدم اتجاهات معينة لمحاكمة المرتد عن الإسلام وإعدامه. "يُعطى [المرتد] ثلاث فرص منفصلة للحياة والرجوع إلى الإيمان، وفترة للمراجعة بين كل فرصة وأخرى. وإذا استمر معاندا يعدم خنقا ثم يقطع رأسه، ويوضع تحت ذراعه. بعدها يعرض جثمانه لمدة ثلاثة أيام في أكثر الأماكن علانية". لكن – الحمد للرب – المسلمون لا يتمسكون بشدة بهذا القانون. في هذا – كما في أمور أخرى كثيرة – هم أفضل من دينهم واسمى من نبيهم. المتحولون في الأجزاء الواقعة تحت الحكم أو الحماية البريطانية من الجزيرة العربية سالمون وكأنهم في الهند، وهذا لا يعني أنهم في مأمن تام من الاضطهاد. في الجزيرة العربية التركية القانون ينفذ بالإعدام السري،

---

[1] Zwemer, Samuel M. (1936 a)، ص ١٠٩.

أو بالعقوبة، ولكن ليس في كل الحالات، حيث إنه يوجد باحثون ومتنصرون إنَ لم يكونوا نشطين أو بارزين يظلون لفترة لم يُتحرش بهم "[1].[2]

أما نوعية الشخص الذي يمكن أن يحقق الهدف التنصيري في الجزيرة العربية، فيصفه زويمر بقوله: "أخيرا تأتي مشكلة توفير الرجال المناسبين لهذا العمل. إن الحقل صعب للغاية في نواح متعددة، كما أن قلوب المسلمين صعبة بحيث يكون وصف أرون ماثيو (AARON MATTHEW) للمُنَصِّر المثالي لليهود منطبقاً على العرب كذلك، وكان قد كَتب: "إن الإرسالي إلى اليهود يحتاج إيمان إبراهيم، وصبر أيوب، وحلم موسى، وقوة شمشون، وحكمة سليمان، وحب...، وغيرة...، ومعرفة كتب...، وقليل فقط من كيس نقود بارون روثستشايلد (BARON ROTHESCHILD)" لأن الجزء المالي للمعدة ليس أساسي بالنسبة للإرسالي، فيحسن أن يكون مزودا بالطعام والملبس فقط. عرض أقل من كيس نقود بارون روثستشايلد هو الأفضل في أرض يذهب الناس فيها جياعا إلى النوم حيث يعيش الكل فيها في بساطة عظيمة[3]...إن المرشح للإرسالية في الجزيرة العربية يجب أن يكون لدية بُنية قوية وسليمة. ويُفضل أن يعرف كيف يكون جادا عندما يحتاج إلى ذلك، كلما كان لديه شيء من البساطة كان ذلك أفضل. ويحسن أن يكون لديه القدرة والإصرار على اكتساب اللغة العربية. وبعض التخصصات الأخرى مفيدة ولكن ليست ضرورية. ولكي يتعايش مع العرب يحسن أن يكون لديه الصبر. ولكي يتجنب أنهاك نفسه يحتاج إلى هدوء مزاج، فرجل بمزاج حار لا يستطيع أن يصمد لمدة ثلاثة فصول في الخليج الفارسي."[4].

---

[1] Zwemer, Samuel (1900 a)، ص ٣٨٦.

[2] أنظر مناقشة موضوع الردة والرد على كلام المنصرين حوله في ٣. ١. ٢.

[3] Zwemer, Samuel (1900 a)، ص ٣٨٨.

[4] Zwemer, Samuel (1900 a)، ص ٣٨٩.

٣. ٣. ٥. صامويل زويمر في عمان

قام القسيس صامويل زويمر في ١٣١٧هـ/١٩٠٠م برحلة في عمان بدأها من الشارقة وانتهت في مسقط. فقد وصل الشارقة في ١٤ مايو قادما من البحرين، ونزل فيها ضيفا على المقيم البريطاني، عبداللطيف. أمضى زويمر في الشارقة سبعة أيام متخذا من أحد الأكواخ الصغيرة مستوصفا صحيا للعلاج، ومحلا لبيع الأناجيل، ومكاناً للوعظ والقراءة والنقاش الديني. وهناك، كما يقول، استقبل والي البريمي الذي وصفه بأنه "عربي ذكي" وقد قرأ عليه شيئا من أسفار الصلوات، وهو بدوره طلب من زويمر أن يزوره في بلده التي تزود لها منه نسخة عربية كبيرة من الإنجيل[١].

وانطلق زويمر في محرم ١٣١٨هـ/٢٠ مايو ١٩٠٠م على ظهور الجمال إلى صحار. اخترق مسار الرحلة وادي الجزي حيث باع رفيقه بائع الكتب- إلياس- نسخا من الإنجيل إلى البدو الذين التقيا بهم في هذا الجزء. كما باعا نسخا أخرى من الإنجيل في محطتهما التالية- شناص- حيث حط القسيس زويمر رحاله أولا في أحد المساجد ثم انتقل بعد ذلك إلى السوق. وضّيفه أحد الرجال الذين تذكروا مقدم بتر زويمر إلى البلد منذ ثلاث سنوات. ثم توجه السيد زويمر إلى صحار حيث استقبله واليها بالحفاوة والترحاب. ولم يتوقف زويمر في لوى بسبب تفشي مرض الجدري بها. ثم انطلق بحرا إلى مسقط متوقفا لبعض الوقت في صحم والسويق. وقضى بعدها بضع ساعات مع السيد جميس كانتاين في مسقط. ثم انطلق على متن سفينة تابعة لشركة الهند الشرقية إلى البحرين[٢].

وكتب القسيس زويمر عن الجزء المتعلق بالباطنة قائلا "في شناص، الواقعة على البحر، قضينا يوما حارا. كان المسجد هو منبرنا، وغرفة البيع. وأَخَذَنَا رجل ذو لحية بيضاء إلى كوخه بعد صلاة الظهر؛ ليقدم لنا بعض الضيافة. وتحدث هذا الرجل حديثا حسنا عن أخي بتر جي زويمر الذي جاء إلى قريته قبل ثلاث سنوات.

---

١ Zwemer, Samuel (1900 a)

٢ Zwemer, Samuel (1900 a)

ثم حملتنا جمالنا من شناص إلى صحار. لم نتوقف في القرية الكبيرة- لوى- بسبب خوف الجمالين من مرض جدري الماء المتفشي فيها آنذاك. وكل واحد مررنا عليه في طريقنا كان طيبا إلى حد مشهود. وفي كل مكان ننزل فيه تأتي إلينا النساء باللبن الطازج والفواكه، أما الأولاد فبدل أن يستهزئوا بالغريب كانوا يلقون عليه السلام مسرورين بأن يسمعونا نتحدث لغتهم رغم اختلاف مظاهرنا. لم نصرف فلسا واحدا على الطعام أو السكن؛ إنها أرض الضيافة الكبيرة. وبالنسبة لهم لأن تُعِين طفلا أو تعطي كوينايناً إلى عربي يعاني من الملاريا هو رد كبير على طيبتهم لابن السبيل"[١].

كما قام السيد صامويل زويمر في صفر ١٣١٩هـ/مايو ١٩٠١م بجولة أخرى من "أبوظبي" إلى مسقط مرورا بالبريمي فوادي الجزي وخط الباطنة، وكانت- حسب قوله- أطول رحلة بالجمال قام بها في حياته[٢].

وقد كتب عن انطباعه إثر هذه الجولات قائلا: "الناس بسطاء وودودون وكرماء... وتقريبا كلهم ينتمون إلى المذهب الأباضي (ويسمى أيضا بياضيا)، وهو واحد من عدد من المذاهب الإسلامية التي نشأت على تربة التأمل الفارسي. وليس لهم عقائد خاصة ما عدا أنهم أكثر مرونة في ممارسة الشعائر، وأقل تصلبا في سلوكهم تجاه غير المؤمنين. كنا نُعرف بأننا نصارى ومع ذلك أعطونا مسجد القرية لنعالج فيه المرضى، وللوعظ، ولنقضي فيه الليل"[٣].

وفي رجب ١٣٣٩هـ/مارس ١٩٢١م، قام السيد صامويل زويمر بجولة من مسقط نحو عمان الداخل على أمل أن تكون سمائل هي نهاية المسار لولا ضيق الوقت الذي منعه من ذلك. فقد استقل هو ورفقاؤه الدكتور بِنْت (Dr. Bennett)، وبائع الأناجيل- إبراهيم مسخوف- ظهور الجمال منتصف ليلة ٢٦، وبعد فترة راحة قصيرة في الغبرة تناولوا خلالها وجبة إفطارهم توجهوا نحو الأنصب. وهناك

---

[١] Zwemer, Samuel and Amy E. (1911)، ص ٩٠.

[٢] Zwemer, Samuel and Amy E. (1911)

[٣] Zwemer, M. Samuel (1902)، ص ٦٣.

حطوا رحالهم تحت شجرة ضخمة قريبة من المسجد؛ ليبيعوا أناجيلهم، ويصفون الدواء للمرضى. ثم انطلقوا بعد الظهر ليصلوا عند غروب الشمس قرية الحمام حيث شهدوا في صباح اليوم التالي بيع حصص مياه الفلج بين الأهالي- القعد-، كما قاموا بالوعظ والصلاة للذين ترددوا على الدكتور بنت للعلاج. ثم توجهوا بعد ذلك إلى بوشر التي قضوا فيها الليل لينطلقوا في الصباح إلى مطرح[1].

واللافت للانتباه في حديث الدكتور زويمر عن عمان وأهلها، قوله عن المذهب الإباضي "... هذا واحد من عدد من المذاهب الإسلامية التي نشأت على تربة التأمل الفارسي"[2]. وإن كنا لا نستغرب منه هذا مقابل افترائه العظيم على الله- سبحانه وتعالى- وكتابه ودينه ونبيه محمد- صلى الله عليه وسلم- إلا أنه يتبين لنا أنه إلى جانب كونه مفترياً، فإنه يتقول بدون علم. وإلا فإنه لا يوجد أي دليل على أن المذهب الإباضي استقى أي شيء من مكوناته الدينية من (بقايا) الديانات التي كانت سائدة في أراضي الإمبراطورية الفارسية، ولا حتى من الفلسفة اليونانية. بل ما انفك المذهب الإباضي محتفظا في أصوله وفروعه بنقاء الشريعة الإسلامية وبهائها كما أتى بها الرسول محمد- صلى الله عليه وآله وسلم- لم يشبها بشائبة من بدعة أو ضلالة أو فلسفة دنيوية. وما انفك الإباضيون يتحرون الحيطة والحذر في نسبة أي شيء إلى الإسلام وهو ليس منه. وقد وضعوا المقاييس الدقيقة لقبول الروايات حتى لا يتقولوا على الله ورسوله بدون علم. وتقيدوا بمنهج دقيق للغاية في تفسير الآيات حتى لا يُحمّلوها ما لم تحتمل. والغريب كذلك ادعاء زويمر أيضا أن الإباضية فرقة من الخوارج، وأنه تجمعهم بالشيعة بعض الصفات، يقول "الإباضيون فرقة من الخوارج ويتوحدون مع الشيعة في كثير من الطرق، إلا أنهم يختلفون عنهم في كثير من الدقائق. إنهم كفرقة سهل الوصول إليهم كما أنهم غير

---

[1] Zwemer, Samuel (1921)

[2] Zwemer, M. Samuel (1902)، ص ٦٣.

متعصبين كبقية الفرق بالرغم من أنهم يراعون بعض الأعمال الخارقة"[١]. وفي هذا دليل على عدم رجوع زويمر إلى كتب المدرسة الأباضية في كلامه عنهم.

٣. ٣. ٦. ملخص

القسيس صامويل مورينس زويمر هو أحد المؤسسين للإرسالية العربية، والمخططين لأنشطتها التنصيرية في عمان وشبه الجزيرة العربية، وقد نشأ في حقبة راجت فيها تجارة التنصير على المستوى العالمي. وهو ينتمي إلى عائلة طَبَعَها جو ديني نصراني متحمس للعمل التنصيري. وامتاز زويمر بعطائه الكبير للإرسالية العربية؛ وذلك بالعمل الميداني في شبه الجزيرة العربية، وبجولاته التنصيرية في الكثير من الأقطار الإسلامية. كما امتاز بقيامه بالعديد من الدراسات في الإسلام، وواقع المجتمعات الإسلامية، وتأليف عدد كبير من الكتب حول المواضيع المرتبطة بالإسلام وبالعمل التنصيري بين المسلمين، كما أنشأ دورية "العالم الإسلامي" (The Moslem World) التي ترأس تحريرها لعدة سنوات، وشارك فيها بالعديد من المقالات. إلا أن دراسة زويمر للإسلام لم تخرج عن كونها جزءا من شخصيته التنصيرية. فكانت دراسات مقارنة في المقام الأول، الغرض منها معرفة الإسلام من خلال النصرانية، للتوصل إلى الطرق التي يتم بها القضاء على الإسلام بأسهل الوسائل. وقد افترى زويمر في كتبه ودراساته على الله- سبحانه وتعالى- والإسلام والقرآن والرسول محمد- صلى الله عليه وآله وسلم. وفي إطار نشاطه التنصيري قام زويمر بعدة جولات تنصيرية في عمان استنتج منها أن عمان تشكل حقلا واعدا لنشاط إرساليته التنصيري، وأن أهلها لديهم القابلية للتحول إلى النصرانية. غير أنه كان واهما. ذلك أن المسلمين في عمان وفي غيرها مهما كانت درجة إيمانهم- وحتى في أدناها ضعفا، يقبلون الآخر ويرحبون به ويصغون إليه غير أنهم لا يقبلون بغير الإسلام دينا.

---

[١] Zwemer, Samuel (1921)، ١٧.

٤. ما بعد عصر التنصير

٤. ١. واقع الجالية النصرانية في عمان بعد ١٣٩٠هـ/١٩٧٠م

اتسمت الفترة التي تلت اعتلاء حضرة صاحب الجلالة السلطان قابوس بن سعيد المعظم كرسي السلطنة في ٢٣ يوليو ١٩٧٠م، بتقليص دور الإرسالية العربية بالنقل السلمي والتدريجي لمستشفيات الإرسالية- وهي أهم نشاط للإرسالية العربية- إلى الملكية الحكومية كما ذكرنا ذلك في الفصل الحادي عشر، ومنع الإرسالية من ممارسة التنصير وهو الهدف الرئيس الذي من أجله أنشئت. وفي الوقت ذاته تطلب وجود الجالية النصرانية الكبيرة التي قَدِمَتْ إلى عمان من أجل العمل سواء في القطاع الحكومي أم الخاص، وجود أرضية من التسامح تعطي لهذه الجالية حرية تبني معتقداتها، وممارسة شعائرها الدينية.

٤. ١. ١. الإرسالية العربية في ضوء تطورات ١٣٩٠هـ/١٩٧٠م

لم تكن الإرسالية العربية في منأى عن تطورات الأحداث على الساحة العمانية. فبعد أيام قليلة من تولي صاحب الجلالة مقاليد الحكم في عمان بعثت الإرسالية العربية برقية تهنئة إلى جلالته، نصها "ليبارككم الرب في مسؤوليتكم الجديدة. إننا نعلن عن جهدنا المتواصل لأجل رفاهية هذا البلد" (التوقيع، الإرسالية الأمريكية)[1]. لم تقدم الإرسالية العربية بهذه البرقية نفسها إلى القائد الجديد، وتكشف له عن وجودها على الساحة العمانية فحسب، بل أعربت عن ترحيبها بالتغيير السياسي الذي حدث، ورغبتها في التعامل مع التطورات المستقبلية التي يحملها هذا التغيير.

وبدوره بعث صاحب الجلالة في ١٥ أغسطس ١٩٧٠م- أي بعد أربعة وعشرين يوما من تسلمه مقاليد الحكم- رسالة إلى الإرسالية في مسقط ينبئ

---

[1] Scudder, Lewis R (1998)، ص ١٢٩.

مضمونها عن تغير في العقلية السياسية في عمان، وعن مستقبل يختلف في مبادئه وركائزه ونظرته عن الماضي المعهود. فقد أعرب صاحب الجلالة في رسالته عن شكره للإرسالية على ما قدمته خلال السنوات الماضية من خدمات طبية للمواطنين، ويعلن فيها عن إعفاء الإرسالية من الرسوم الجمركية على سائر المواد المستخدمة في النشاط الطبي، ويعرب عن رغبته في أن تنسق الإرسالية مشاريعها الطبية مع حكومته تجنبا للازدواجية في الخدمات، ويعلن عن منعه التنصير العلني الذي كانت تقوم به الإرسالية في عمان.

فكانت هذه الرسالة بمثابة خلق علاقة جديدة بين الحكومة والإرسالية العربية، وإيذانا بظهور نمط جديد للوجود النصراني في عمان. ففي الوقت الذي منعت الحكومة التنصير العلني الذي كانت تقوم به الإرسالية العربية، سمحت لعناصرها بالبقاء في البلد لما يخدم خطط التنمية التي وضعتها الحكومة لمستقبل عمان. وفي الوقت الذي طلبت فيه الحكومة من أطباء الإرسالية الذين عملوا في عمان لعدة سنوات، واكتسبوا خلالها معرفة واسعة، وخبرة طويلة بظروف الوضع الصحي ومتطلباته في البلد التعاون معها في توفير الخدمة العلاجية للشعب منحتهم حق تبني معتقداتهم، وممارسة شعائرهم الدينية، كما منحت حق تبني المعتقد، وممارسة الشعائر إلى كل الجاليات الأخرى الموجودة على أرضها.

لذلك ففي الوقت الذي انتقلت مستشفيات الإرسالية في مسقط ومطرح إلى الملكية الحكومية، بقي مقر الإرسالية في مسقط والذي كان يعرف باسم "المجلس" في ملكية الإرسالية. وكان هذا المجلس مركز عبادة، وتجمعا للجالية النصرانية في عمان في بداية السبعينات.

وقد أدى ارتفاع الطلب على العمالة الوافدة سواء من قبل المواطنين أم الحكومة إلى قدوم عدد كبير من النصارى إلى عمان مما حد من مقدرة المجلس القديم على استيعابهم، وأدى إلى ظهور الحاجة إلى بناء أماكن أوسع للعبادة. كما أدى ذلك إلى وجود طوائف نصرانية متعددة تختلف كل واحدة عن الأخرى في

طقوسها وعقائدها، الأمر الذي استدعى توفير دور عبادة مستقلة لكل طائفة منها. فيوجد في عمان الآن أتباع للمذاهب النصرانية الكبرى الكاثوليكية والبروتستنتية والأرثوذكسية. ويشكل الكاثوليك غالبية الجالية النصرانية في عمان؛ وذلك لأن غالبيتهم تأتي من الدول الآسيوية كالهند والفليبين التي يعتنق معظم سكانها النصارى المذهب الكاثوليكي والتي تُعدّ المُصَدِر الرئيس للأيدي العاملة إلى عمان. في حين يشكل البروتستنت الطائفة الثانية، وهم يأتون من دول مختلفة. أما الأرثوذكس فيشكلون الطائفة الثالثة، وعددهم أقل بكثير من الكاثوليك والبروتستنت.

٤. ١. ٢. التسامح الديني

وفي إطار ما تمتعت به الجالية النصرانية في عمان من حق في ممارسة عباداتها الدينية، وتمشيا مع الزيادة المطردة في عدد أفرادها، سمح صاحب الجلالة السلطان قابوس في ١٩٧٣م بتخصيص قطعة أرض في روي لبناء كنيسة. فقسمت الأرض مناصفة بين الكاثوليك والبروتستنت لتشهد قيام مجمع كنسي يخدم الطوائف النصرانية الثلاث. حيث انتهى البروتستنت في ١٩٧٥م من بناء ما أطلقوا عليه "الكنيسة البروتستنتية في عمان" (Protestant Church in Oman) على هذه الأرض. وأقيمت أول عبادة في هذه الكنيسة في شهر يوليو ١٩٧٥م، وافتتحت رسميا في شهر أكتوبر من العام نفسه. وتلقت الجالية البروتستنتية برقية تهنئة بمناسبة افتتاح هذه الكنيسة من حضرة صاحب الجلالة. ثم قاموا في ١٩٧٨م بتوسيع مبنى الكنيسة السابق، وإضافة مبنى سكني إليها[1].

أما الجالية الكاثوليكية فقد أنجزت على يد الأب بارث (Father Barth) الذي وصل عمان في يونيو ١٩٧٤م بناء قاعة للصلاة وملحقاتها. أقيمت أول عبادة فيها في سبتمبر ١٩٧٥م. ثم شهد هذا المبنى توسعات على يد الأب بارناباس مادي

[1] The American Mission centennial celebration booklet, 1994.

الذي خلف الأب بارث في ١٦ نوفمبر ١٩٧٦م. (Father Barnabas Manddii)
فافتتح في ٤ نوفمبر ١٩٧٧م ما أطلق عليه "كنيسة القسيسين بطرس وبولس" (Saints Peter and Paul Church). ثم هُدم هذا المبنى في وقت لاحق، لتقوم في موقعه في ١٩٨٧م صالة عبادة أكثر اتساعا مع عدد من غرف الاجتماعات الصغيرة، ومرافق أخرى. ثم دعت الحاجة مرة أخرى في نهاية الثمانينات وبداية التسعينات نتيجة لزيادة عدد الجالية الكاثوليكية التي وفدت إلى السلطنة إلى توسعة المبنى السابق، فافتتح في مارس ١٩٩٥م المبنى الجديد للكنيسة الكاثوليكية بشكله الحالي في روي[1].

ونتيجة لتوسع العاصمة مسقط، أصبح إنشاء كنيسة ثانية مطلبا ملحا بالنسبة إلى الجالية النصرانية التي تسكن في الضواحي، وبعيدا عن الكنيسة في روي. فسمح صاحب الجلالة بتخصيص قطعة أرض أخرى في منطقة غلا على بعد عشرين كلم من الموقع الأول لذلك الغرض. فأنشيء ثاني مجمع كنسي في مسقط يخدم طوائف الجالية النصرانية المتعددة. فَبَنت الجالية الكاثوليكية في غلا ما أُطلق عليه "كنيسة الروح القدس الكاثوليكية" (Holy Spirit Catholic Church) التي افتتحها رسميا في ٢٧ نوفمبر ١٩٨٧م لويس روبلز دياز (Luiz Roblez Diaz) المفوض الرسولي من الخرطوم. تكوَّن هذا المبنى من كنيسة وقاعة وسكن. ثم أضيف إليه في ١٩٩٠م مركز للعائلات، وقاعات تسلية. ثم أضيفت توسعات أخرى إلى المبنى في ١٩٩٤م وفي ١٩٩٧م شملت إنشاء مكتبة تحتوي على كتب وأشرطة سمعية ومرئية. ومما يميز "كنيسة الروح القدس في روي" آلة الأُورجُن الموسيقية الفريدة التي قدمها حضرة صاحب الجلالة هدية للكنيسة في عام ١٩٨٩م[2].

---

[1] Holy Spirit Catholic Church Ghala: 10th Anniversaary Celebaration & Ghala Gala Fun Fair, Holy Spritit Chatholic Church, Ghala.
[2] Holy Spirit Catholic Church Ghala: 10th Anniversaary Celebaration & Ghala Gala Fun Fair, Holy

كما أنشأت الجالية البروتستنتية على قطعة الأرض نفسها في غلا في ١٩٨٩م كنيسة أطلق عليها "كنيسة الراعي الجيد"(Church of the Good Shepherd)[١]. وفي ديسمبر ١٩٩٨م افتتح في هذا المركز ما أطلق عليه "مركز الإنجيل" (Bible Centre) وهو مبنى مخصص لدراسة الإنجيل، قال عنه هرير جبيجان (Hrayr Jebejian) مدير "جمعية الإنجيل" (Bible Society) في الخليج بأنه "كان حلما وأصبح حقيقة". وحضر مناسبة افتتاح هذا المركز ممثلون عن "جمعيات الإنجيل المتحدة" (United Bible Societies) و"الجمعية الأمريكية للإنجيل" (American Bible Society)[٢].

وفي ١٩٧٩م خصص صاحب الجلالة قطعة أرض في صلالة لبناء كنيسة تخدم الجالية النصرانية المقيمة في منطقة ظفار. فانتقل القس هارفي ستال (Harvey Staal) أول قس للكنيسة البروتستنتية في روي وزوجته هلدا (Hilda) إلى صلالة ليفتتحا فيها في ديسمبر ١٩٨٠م أول كنيسة للجالية البروتستنتية هناك[٣]. ثم افتتحت الجالية الكاثوليكية كنيستها في ٢٠ فبراير ١٩٨١م على الأرض نفسها. وأدخل الكاثوليك في مايو ١٩٨٥م عدداً من الإضافات إلى المبنى القائم، منها معبد للعبادة الأسبوعية وسور[٤].

وفي ١٩٩١م سمح جلالة السلطان بتخصيص قطعة أرض في صحار لإقامة كنيسة تخدم الجالية النصرانية المتنامية في منطقة الباطنة. فوضعت الجالية الكاثوليكية في مارس ١٩٩٢م حجر الأساس لبناء "كنيسة القسيس انتوني" (Saint Anthony Church) التي افتتحت رسميا في شهر فبراير ١٩٩٤م[٥].

---

[1] The American Mission centennial celebration booklet, 1994.

[2] World Report, United Bible Society, http://www.biblesociety.org

[3] The American Mission centennial celebration booklet, 1994.

[4] Holy Spirit Catholic Church Ghala: 10th Anniversaary Celebaration & Ghala Gala Fun Fair, Holy

[5] Holy Spirit Catholic Church Ghala: 10th Anniversaary Celebaration & Ghala Gala Fun Fair, Holy

٤. ١. ٣. ملخص

كان لاعتلاء صاحب الجلالة السلطان قابوس بن سعيد المعظم العرش في عمان في ٢٣ يوليو ١٩٧٠م بداية سياسة جديدة لتعامل الحكومة مع المنصرين، ولوجود الجالية النصرانية في عمان. فبعد خمسة وعشرين يوما من توليه الحكم في عمان بعث صاحب الجلالة برسالة إلى الإرسالية العربية يخبرهم فيها بأن التنصير العلني في عمان ممنوع، وبذلك وضع نهاية لمهمة الإرسالية الرئيسة ودورها في عمان. ومن جانب آخر فإن المشاريع الصحية التي وضعتها حكومة صاحب الجلالة تطلبت الإستعانة بخبرات العناصر الطبية في الإرسالية الأمر الذي خلق علاقة جديدة بين الحكومة وأعضاء الإرسالية. ثم ان انفتاح عمان على العالم الخارجي، وحاجتها إلى الأيدي العاملة الوافدة أدى إلى وجود جالية نصرانية كبيرة في البلد. وقد تعاملت حكومة صاحب الجلالة مع هذه الجالية بروح من التسامح الديني؛ لذا فقد خصص صاحب الجلالة بعض المواقع في مسقط وصلالة وصحار لإقامة كنائس يمارس فيها أتباع الطوائف النصرانية الموجودة في عمان شعائرهم وطقوسهم الدينية.

٤. ٢. الحوار بين الجالية النصرانية والمسلمين في عمان.

لم يتطرق المنصِّرون الذين عملوا في عمان قبل ١٣٩٠هـ/١٩٧٠م في كتاباتهم إلى مصطلح "الحوار" بين النصرانية (الدين الذي جاءوا لنشره في المجتمع العماني)، والإسلام (دين البلد الأصلي). وأول من كتب في هذا الموضوع -حسب علمي- هو القسيس رِيْ سكنر (Ray F. Skinner) في كتابه (المسيحيون في عمان) "Christians in Oman" المنشور في المملكة المتحدة عام ١٩٩٥م. وسيكون ما كتبه القسيس سكنر هو محور مادة هذا الفصل عن مفهوم الحوار بين الجالية النصرانية والمسلمين في عمان- من وجهة نظر النصارى- إلى جانب آراء بعض القساوسة العاملين في الكنيسة البروتستنتية في روي، سلطنة عمان[1]. أما وجهة نظر العلماء في عمان حول هذا الموضوع فستكون من خلال شخص سماحة الشيخ أحمد بن حمد الخليلي المفتي العام لسلطنة عمان- حفظه الله. وسيشكل تعريف "الحوار" كمصطلح، والنشأة التاريخية لمصطلح الحوار بين النصرانية والإسلام، والمؤسسات التي ترعاه، وأبعاد مفهوم الحوار لدى المؤسسة الدينية النصرانية، وموقف المسلمين بشكل عام من الحوار بين الديانتين مدخلا لفهمنا لموضوع هذا الفصل- "الحوار بين الجالية النصرانية والمسلمين في عمان".

٤. ٢. ١. الحوار اصطلاحا

يُعرِّف بسام داود عجك الحوار بقوله: "الحوار هو محادثة بين شخصين أو فريقين، حول موضوع محدد، لكل منهما وجهة نظر خاصة به، هدفها الوصول إلى الحقيقة، أو إلى أكبر قدر ممكن من تطابق وجهات النظر، بعيدا عن الخصومة أو التعصب، بطريق يعتمد على العلم والعقل، مع استعداد كلا الطرفين لقبول الحقيقة، ولو ظهرت على يد الطرف الآخر"[2].

---

[1] وقد حصلت على هذه الآراء من خلال مقابلة شخصية معهم في مقر الكنيسة.

[2] عجك، بسام داود (١٩٩٨م) ص ٢٠.

ويميِّز بسام عجك بين الحوار والمناظرة والمناقشة والجدال. فالمناظرة في رأيه تقوم على وجود التضاد بين الجانبين للاستدلال على إثبات أمر يتخاصمان فيه نفيا وإيجابا؛ بغية الوصول إلى الصواب. أما المناقشة فهي تقوم على استقصاء الحساب وتعرية الأخطاء وإحصائها، ويكون هذا الاستقصاء لمصلحة أحد الطرفين. أما الجدال فينم عن شدة في الخصومة، وفيه تمسك بالرأي وتعصب له[١].

ويشير أحد كتاب (الموسوعة المسيحية) "The Encyclopedia of Christianity" إلى أن كلمة "الحوار" "يجب أن تفسر بأكبر قدر من العمومية". فالحوار، في نظر هذا الكاتب، قد يكون شفويا ويمكن كذلك أن يأخذ مجراه من خلال أنماط السلوك الفردي والجماعي في الحياة اليومية. فقد يعيش بعض الناس أو المجتمعات أو الشعوب ممن ينتمون إلى ديانات مختلفة منفتحين على بعضهم من خلال التعاملات اليومية، كالعمل المشترك في مكتب واحد مثلا، أو البيع والشراء، أو أي شكل من أشكال تبادل المصالح الأخرى، فتشكل أنماط سلوكهم حوارا غير شفوي تنتقل من خلاله معتقداتهم ومفاهيمهم وآرائهم إلى بعضهم[٢].

وفي حقيقة الأمر، أرى بأن مفهوم الحوار بحاجة إلى تعريف واقعي؛ تعريف لا يقف عند المعاني اللغوية للألفاظ بل يتعداها إلى استقراء الواقع، ووصف الحقائق المشاهدة بعيدا عن مثالية التصور ومحدودية اللفظ. حيث يجب علينا، نحن المسلمين، عندما نتعامل مع مصطلحات صاغها الجانب الآخر وفق فلسفته ومنهجيته أن نأخذ– وبكل جدية– جميع المتغيرات والاحتمالات التي يمكن أن تتضمنها تلك المصطلحات.

فتعريف داود عجك– كما فهمته – يوحي بأن الحوار ما هو إلا إجراء كلامي يحدث بين طرفي الحوار. وإن كنت أسلِّم له بصحة كون الحوار إجراءً كلاميا، إلا أنه عند الأخذ في الاعتبار ما يشير إليه بعض النصارى أنفسهم– كما جاء في

---

[1] عجك، بسام داود (١٩٩٨م).

[2] OTT, Heinrich, Ecumenical Context, in (ed.) Fahlbusch, Erwin & others (1999)

(الموسوعة المسيحية) "The Encyclopedia of Christianity"- من ضرورة تفسير مصطلح الحوار بأكبر قدر من العمومية، فإنني لا اتفق مع بسام داود عجك بأن الإجراء الكلامي هو النمط الوحيد للحوار. بل أرى- من هذا المنظور- أن الحوار اللفظي ما هو إلا نمط من أنماط الحوار الفعلي بين النصرانية والإسلام. ويمكن أن يحدث الحوار بالأسلوب اللفظي بشكل رسمي وبشكل غير رسمي بين شخصين (أو أكثر). فالمؤتمرات والتجمعات التي ينظمها الفاتيكان، أو مجلس الكنائس العالمي للتحاور مع المسلمين تُعدُّ - من وجهة نظري- مثالا على الحوار اللفظي الرسمي بين الديانتين. أما الحوار اللفظي غير الرسمي فيتمثل في الحوارات التي تجري بشكل يومي تقريبا بين أتباع الديانتين في العمل، أو من خلال اللقاءات العرضية، أو من خلال شبكة المعلومات العالمية. وإلى جانب الحوار اللفظي الرسمي وغير الرسمي، يمكن أن يتم الحوار من خلال السلوك الاجتماعي الذي يحدث بشكل تلقائي وعفوي يوميا في وسط المجتمع الذي ينتمي أفراده إلى كل من الإسلام والنصرانية. وقد شكلت هجرة المسلمين إلى الدول الغربية بُعيد انتهاء فترة الاستعمار الغربي، واختلاطهم بأفراد المجتمعات المهاجر إليها في العمل والدراسة والسكن فرصة لتعريف تلك المجتمعات بالدين الإسلامي، وتعريف المسلمين بالدين السائد في تلك البلاد في حوار جماهيري صامت وغير رسمي. وكذلك شكلت هجرة أفراد من النصارى للعمل كخبراء في الطب والتعليم وغيرها من المجالات في الدول الإسلامية فرصة لتعريف المسلمين بالديانة النصرانية، ليس من خلال التخاطب المباشر وحسب بل من خلال مراقبة السلوك أيضا.

وقول داود عجك- من جهة أخرى- بأن هدف الحوار هو "الوصول إلى الحقيقة، أو إلى أكبر قدر ممكن من تطابق وجهات النظر"[1] إنما هو- في نظري- هدف افتراضي مثالي لا يعبر عن الواقع. فهل َسلّم أي من الطرفين (المسلمين أو

---

[1] عجك، بسام داود (١٩٩٨م)، ص ٢٠.

النصارى)- في الحوارات الرسمية على الأقل- بأن الطرف الآخر لديه حقيقة لا يعلمها هو، فإذا اتضحت له فسيقبلها؟ فهل المسلم يعتقد بأن النصارى لديهم حقيقة تخفى عليه كمسلم، فإذا بينوها له فسيتبعها؟ وكذلك هل يعتقد النصارى بأن المسلمين لديهم حقيقة خافية عليهم كنصارى، وإن ظهرت لهم فسيتبعونها؟ أو أن هدف كل واحد منهم، في المقابل، أن يبيِّن للآخر ما يعتقده ويؤمن به، من أجل إقناعه بأنه على صواب، محاولا تحويله إلى ديانته أو -على أقل تقدير- حمله على الاعتراف بأن ما يؤمن به صواب وإن لم يؤدِ به إلى اعتناقه.

ثم قوله- أي بسام عجك- "استعداد كلا الطرفين لقبول الحقيقة، ولو ظهرت على يد الطرف الآخر"- في نظري- لا يعكس واقع الحوار بين النصارى والمسلمين. فهل يدخل المتحاورون في عملية الحوار ولديهم استعداد نفسي لقبول الحقيقة التي يظهرها الطرف الآخر؟ واقع الحال يدل على عكس ذلك، إذ لم تُشر الحوارات الرسمية التي عُقدت بين النصارى والمسلمين إلى الآن إلى خروج أحد الطرفين مقتنعا بما عند الطرف الآخر.

لذا يمكننا الاستنتاج بأن الحوار هو عملية تبادل، ونقل الأفكار والمعتقدات والثقافة الدينية بين المسلمين والنصارى، سواء بعقد الاجتماعات الرسمية التي يشارك فيها ممثلون رسميون عن الجانبين (علماء الإسلام عن الجانب الإسلامي، ورجال الكنيسة عن الجانب النصراني)، أو بالمحادثات غير الرسمية التي تجري بين الأفراد العاديين من أصحاب الديانتين عبر أي وسيلة من وسائل نقل المعلومات، سواء الحديث المباشر وجها لوجه، أو عن طريق شبكة المعلومات العالمية، أم بالهاتف، أم بالوسائل المسموعة والمرئية أم بالوسائل المقروءة كالكتب أو الصحف أو المجلات، أم بمجرد مراقبة أنماط السلوك الاجتماعي كالمعاملة واللباس والمظهر والأخلاق وغيرها في المجتمعات التي يوجد فيها أفراد ينتمون إلى كل من الإسلام والنصرانية سواء أكان هؤلاء الأفراد من سكان البلد الأصليين أم من المهاجرين إليها بقصد العمل فقط.

وما أقصده بالحوار بين المسلمين والجالية النصرانية (و حتى المنصِّرون الذين سبقوهم)، في عمان، لا يعدو أن يكون أحد الأنماط الثلاثة المذكورة أعلاه. وستبيِّن أقسام هذا الفصل التالية النمط الحواري السائد في عمان في الوقت الحاضر.

٤. ٢. ٢. الحوار نشأة وبداية

اتخذ مصطلح "الحوار" بعده الفلسفي في أوربا في القرن العشرين، منطلقا من اهتمامات "علم الإنسان" (أنثروبولوجيا)، و"الفلسفة الوجودية" في هذا المجال. واهتمت الكنيسة في البداية بخلق حوار داخلي بين الفرق النصرانية نفسها؛ من أجل التوصل إلى أرضية مشتركة حول نقاط الاختلاف التقليدية والشهيرة، وتوحيد الفرق النصرانية حول محاور تفاهم معينة. وتوسعت دائرة الحوار بعد ذلك لتضم حوار النصرانية مع الديانات (التي تؤمن بوجود الرب)، ومع الحضارات (التي لا تؤمن بوجود الرب).

ونبع اهتمام الكنيسة الغربية بخلق حوار بينها وبين الديانات غير النصرانية نتيجة لظهور حركات التحرير والقوميات في كثير من البلدان الآسيوية والأفريقية (بما فيها الدول المسلمة) الواقعة تحت استعمار الدول الغربية. وبدأ المنصِّرون العاملون في تلك الدول يشعرون بأن الشعوب المُسْتَعْمَرَة التي يعملون فيها ترى فيهم امتدادا لسياسة الاستعمار التي تمارسه أو مارسته حكوماتهم من قبل. ونتيجة لهذه النظرة أصبح المنصِّرون يشعرون بالعزلة الأمر الذي أعاق مقدرتهم على ممارسة عملهم التنصيري. بدأ المنصرون- إثر ذلك- البحث عن مخرج يحتفظ لهم بعلاقتهم مع الدول والكنيسة الغربية، وفي الوقت ذاته يضمن لهم موضع قدم في وسط المجتمع المناهض للاستعمار الذي يعملون فيه. لهذا ظهرت العديد من المنظمات والمجالس الكنسية التي هدفت إلى إعادة قراءة العملية التنصيرية في الدول المُسْتَعْمَرَة. ومن بين هذه المنظمات: "المجلس الإرسالي العالمي" (International Missionary Council) الذي تأسس في نيويورك في ١٩٢١م،

و"حركة الايمان والنظام" (The Faith and Order Movement) التي تأسست في ليوزيانا في ١٩٢٧م، و"حركة الحياة والعمل" (The Life and Work Movement) التي تأسست في ستوكهولم في ١٩٢٥م. واتحدت حركتا "الإيمان والنظام" و"الحياة والعمل" في ٢٣ أغسطس ١٩٤٨ م في أمستردام لتكوِّنا ما أطلق عليه "مجلس الكنائس العالمي" (The World Council of Churches) ثم انضمَّ "المجلس الإرسالي العالمي" إلى هذا الاتحاد في مؤتمر نيودلهي في ١٩٦١م.

أما الفاتيكان فقد عقدت "المجمع المسكوني الفاتيكاني الثاني" الذي أمر به البابا يوحنا (Pope John) الثالث والعشرون. وعقد المجمع أربع جلسات في الفترة من ١١ أكتوبر ١٩٦٢م إلى ٨ ديسمبر ١٩٦٥م. كان هدف البابا يوحنا من هذا المجلس هو توحيد الكنيسة، وتحديد علاقتها بأصحاب الديانات الأخرى[1]. لذا فقد حدد المجمع ثلاث مجالات للحوار وهي: "حوار الكنيسة الكاثوليكية مع العالم"، و"الحوار بين الكنائس الكاثوليكية نفسها"، و"حوار الكنيسة الكاثوليكية مع الفرق النصرانية الأخرى"[2].

ومن بين الاجتماعات الكثيرة التي عقدت لبحث علاقة المنصِّرين بأصحاب الديانات المختلفة في البلاد الواقعة تحت الاستعمار الغربي، كان لاجتماع تمبارام (Tambaram) في ١٩٣٨م الذي حضره منصِّرون من كل أنحاء العالم أثر في تغيير نظرة المنصرين إلى الديانات غير النصرانية (و منها الإسلام). وقد بين هندرك كريمر (Hendrik Kraemer) - الذي عمل لفترة طويلة بين المسلمين في إندونيسيا- للمجتمعين أن مصطلحات مثل "الفتح" أو "الجهاد التبشيري" التي يستخدمها المنصرون كشعارات أصبحت لا تتناسب مع العصر، وأن على الكنيسة أن تتحرر من النفوذ الغربي، وعلى المنصرين أن يكونوا على علاقة مباشرة مع أصحاب الديانات الأخرى.

---

[1] Siddiquid, Ataullah (1997)
[2] Hastings, Adrian (1969)

والحوار بين النصرانية والإسلام ترعاه في الوقت المعاصر (من الجانب النصراني) مؤسستان نصرانيتان هما: "الفاتيكان" التي تظم تحت جناحيها الكنيسة الكاثوليكية الشرقية، و"مجلس الكنائس العالمي" الذي يمثل سائر الفرق النصرانية التي لا تنضوي تحت رعاية الفاتيكان. ولكل مؤسسة منهما خصائصها وملامحها التي سنبين طرفا منها خلال الفقرات القادمة.

٤. ٢. ٢. ١. مجلس الكنائس العالمي

يتمثل الهدف الذي من أجله أنشيء مجلس الكنائس العالمي في أربع نقاط، هي:

أولا: تفعيل وجود الكنائس في كل مكان وزمان.

ثانيا: دعم الكنائس على مستوى العالم في جهدها التبشيري.

ثالثا: تأكيد اهتمام الكنائس العام في خدمة الاحتياجات الإنسانية، وكسر الحواجز بين الناس، وتكوين أسرة إنسانية واحدة في عدل وسلام.

رابعا: دعم سعي الكنائس للتجديد في مجال الوحدة والعبادة والتبشير والخدمة[1].

وقد أنشأ المجلس في ١٩٦١م لجنة أُطلق عليها "لجنة التبشير والتحويل". وقد تطرقت هذه اللجنة في اجتماعها الذي عقد في مكسيكو سيتي في ١٩٦٣م إلى علاقة النصرانية بأصحاب الديانات الأخرى. إلا أن هذا الاجتماع لم يخرج بمفهوم لمصطلح "الحوار" يختلف عن مفهوم "التنصير" التقليدي السائد آنذاك.

أما أول اجتماع يعقده المجلس لبحث العلاقة مع المسلمين، فقد جرت وقائعه في برومانه (Brouman) في لبنان في يونيو ١٩٦٦م. وقد حضر هذا الاجتماع ثلاثون متخصصا نصرانيا ينتمون إلى سبعة عشر بلدا. وقد تباينت وجهات نظر

---

[1] Siddiqui, Ataullah (1997)

المجتمعين بشدة حول النقاط الأساسية المتعلقة بالعلاقة بين الديانتين. فعلى سبيل المثال، اختلف المجتمعون فيما إذا كان الرب الذي يعبده المسلمون هو نفس الرب الذي يعبده النصارى، إلا أن المجتمعين اتفقوا على عقد لقاءات مع المسلمين في المستقبل.

وعُقد اجتماع آخر في مدينة كاندي في سيريلانكا في ١٩٦٧م لمناقشة موضوع الحوار مع المسلمين. وقد تميز هذا الاجتماع بحضور ثلاثة مندوبين عن الفاتيكان يمثلون الكنيسة الكاثوليكية. وقد توصل المجتمعون إلى مفهوم معين للحوار ينص على أن "الحوار يوحي بأن يقبل المُتحاورُ أن يُغَيِّره الشخص الذي يحاوره كما يسعى هو للتأثير فيه. وأن الحوار الجيد ينشأ عندما يتحدث أحد المشاركين بطريقة يحس فيها الآخرون بأنهم مشدودون للاستماع، وفي المقابل عندما يستمع أحد الأفراد، فإن الآخرين يشعرون بالرغبة في الحديث. أما نتيجة الحوار فتكون من عمل الروح"[1].

وعُقد مؤتمر آخر في مدينة كارتنجي في سويزرلاند بين ٢-٦ مارس عام ١٩٦٩م، هدف إلى الارتقاء بالحوار النصراني الإسلامي إلى المستوى العالمي. وأكد المؤتمرون على أن مفهوم الحوار يشتمل على ثلاث نقاط، هي

١. يحسن أن يقود الحوار الدينين إلى الاحترام المتبادل، والفهم الأحسن لكل منهما.

٢. يحسن أن يثير الحوار الأسئلة التي تقود كلا الدينين إلى تعميق الروحانيات وتجديدها.

٣. يحسن أن يقود الحوار كلاً من المسيحيين والمسلمين إلى القبول والوفاء بالمسؤوليات التطبيقية العامة[2].

---

[1] Siddiqui, Ataullah (1997)

[2] Siddiqui, Ataullah (1997)، ص٣٠

٤. ٢. ٢. ٢. الفاتيكان والحوار

أشرنا سابقا في هذا الفصل إلى أن اهتمام الفاتيكان بالحوار مع الديانات الأخرى (بما فيها الإسلام) بدأ بالقرارات التي صدرت عن المجمع المسكوني الفاتيكاني الثاني الذي دعا إليه البابا يوحنا الثالث والعشرون وأشرف عليه في الفترة من ١١ أكتوبر ١٩٦٢م إلى ٨ ديسمبر ١٩٦٥م.

خرج المجمع الفاتيكاني الثاني بخمسة بيانات تتعلق بالحوار مع الديانات الأخرى (بما فيها الإسلام)، هي "نور الشعوب" "Lumen Gentium" في ٢١ نوفمبر ١٩٦٤م، و"الديانات غير المسيحية" "Nostra Aetate" في ٢٨ أكتوبر ١٩٦٥م، ودي فيربم "Dei Verbum"، وجوديم إت سبس "Gaudium et spes, Ad Gentes"، وديجنتاتيس هيومانا "Dignitatis Humanae"، والثلاثة الأخيرة صدرت جميعها في ٧ ديسمبر ١٩٦٥م[1]. وقد عني البيانان "الديانات غير المسيحية" "Nostra Aetate" و"نور الشعوب" "Lumen Gentium" بعلاقة الفاتيكان بالمسلمين.

لم تخرج الصيغة النهائية لبيان "الديانات غير المسيحية""Nostra Aetate" الذي حدد علاقة الفاتيكان بالمسلمين (و غيرهم من أصحاب الديانات غير النصرانية) كما أريد ورسم له منذ البداية. فقد هدف البابا يوحنا إلى إصدار بيانٍ يرضي اليهود، ويقر بأخوّتهم ويعترف بما أصابهم من تعذيب ومذابح في أوربا. وقد لاقت فكرته قبولا لدى "سكرتارية الوحدة المسيحية" وخاصة لدى صديقه الكاردينال بي (Bea). إلا أنَّ القساوسة العرب المشاركين في المجمع أبدوا اعتراضا على الصيغة الأولى التي خرج بها هذا البيان. فقد خشي القساوسة العرب من أن يفسر ذلك البيان في الوطن العربي بأنه محاباة من الكنيسة الكاثوليكية لما يسمى دولة إسرائيل؛ فينتج عنه ردة فعل لا تحمد عقباها تجاه الكاثوليك العرب. وأيّد القساوسة العرب في اعتراضهم بعض الجماعات الكاثوليكية الأخرى. وهكذا رُدت

---

[1] عناوين القرارات باللغة اللاتينية (1997) Siddiqui, Ataullah.

الصيغة الأولى للبيان في صيف عام ١٩٦٢م، وذلك قبل انعقاد المجمع. ورفعت إلى المجمع في جلسته التالية في نوفمبر ١٩٦٣م صيغة أخرى للبيان تحت عنوان "علاقات الكاثوليك بغير المسيحيين، خاصة اليهود". وقد لاقى الفصل الذي يتحدث عن اليهود أيضا معارضة شديدة، وتم شطبه، في حين أبديت موافقة مبدئية على نقاط البيان الأخرى. ثم أرسلت صيغة أخرى للقرار إلى القساوسة في يونيو ١٩٦٤م تحت عنوان "بيان عن اليهود وغير المسيحيين"، على أن تناقش هذه الصيغة في الاجتماع الثالث الذي سيعقد في سبتمبر من نفس العام. وقد تضمن هذا البيان مقطعا قصيرا ومختصرا عن المسلمين، إلا أن أغلبه كان عن اليهود. واعترض القساوسة العرب جميعهم مرة أخرى على نص البيان، وأصدروا طلبا بسحبه. إلا أن سكرتارية المجمع قررت أن تدخل عليه بعض التعديلات. فأضيفت الديانات غير النصرانية الأخرى إلى النص وذكرت بأسمائها بحيث بدا البيان أطول مما كان، وحذفت كلمة اليهود من العنوان، على أمل أن يمنع هذا التعديل الاعتراض مرة أخرى. ثم عرض النص الجديد على المجمع في نهاية الجلسة الثالثة بشكل سريع، وتمت الموافقة عليه من قبل غالب الأعضاء بدون تصويت. إلا أن معارضة محتويات القرار فيما يتعلق باليهود ظلت مستمرة حتى تم تعديله، وإخراجه بصورة أخرى في ٢٨ أكتوبر ١٩٦٥م[1].

ويشير صدّيقي (١٩٩٧م) إلى أن قرارات المجمع فيما يتعلق بالحوار مع الديانات الأخرى تأثرت بشكل عام بأعمال ثلاثة من الكتاب النصارى الذين تطرقوا إلى هذه الموضوع. من بين أولئك الكتاب جين دانيلو (Jean Danielou) (١٩٠٥-٧٤م). فقد فرق دانيلو بين الدين والوحي؛ فالأول في نظره بحث الإنسان عن الرب، والثاني بحث الرب عن الإنسان. وبعبارة أخرى فإن الدين هو ما توصل إليه الإنسان بعقله؛ نتيجة بحثه عن الرب، أما الوحي فهو ما أنزله الرب

[1] Hastings, Adiran (1968)
لم يتعرض أي قرار من قرارات الفاتيكان للنقاش والجدل الطويل والمعارضة كما حدث للجزء المتعلق باليهود في هذا القرار.

إلى البشر؛ من أجل تعريفهم به وعبادته. ويقع الإسلام (و اليهودية)- حسب تصنيفه- في الصنف الأول، بينما النصرانية تقع في الصنف الثاني. ويرى دانيلو أنه بالرغم من أن الإسلام (و اليهودية) قد عرفا الرب، إلا أنهما معرفة غير كاملة. وبهذا فإنه يرى أن على النصرانية التي تميزت بخاصية الوحي الإلهي أن تكمل الوحي الناقص في الإسلام (و اليهودية) وأن تخلِّص القيم والحقائق في كل منهما مما يعتريهما من أخطاء. وبعبارة أخرى فإن الخلاص يتمثّل كما يدعيه دانيلو بتحوير القيم العقدية (و الأيديولوجية) الإسلامية وتبديلها بما يتفق مع قيم النصرانية، بدون مطالبة المسلم بترك دينه، والتحول عنه إلى الديانة النصرانية.

والشخص الثاني الذي أثر في قرارات المجلس هو كارل راهنر (Karl Rahner) (١٩٠٤-٨٤م). ويتفق راهنر مع دانيلو في أن النصرانية هي الدين الإلهي الكامل، وما عداه من الأديان ما هي إلا اختراعات بشرية. والنقطة الأساسية في أطروحة راهنر هي تحديدُ بداية تمثُّل النصرانية في حياة الإنسان. فهل يبدأ تمثّل النصرانية عندما يعلن الفرد اعتناقه للنصرانية، أم إنه يبدأ بمجرد أن يكوِّن الإنسان في ذاته وعيا وإدراكا بها؟. يرى راهنر أن بداية تكوّن الوعي والإدراك بالنصرانية (الدين الإلهي الكامل- حسب زعمه) في عقلية الإنسان موضوع لا يمكن لأحد أن يعرف له إجابة محددة. فلا يُعرف بالضبط متى يبدأ ذلك الوعي بالتكوُّن لدى الإنسان. ويرى راهنر أنه إذا كان الإنسان بأي شكل من الأشكال قد بدأ يشعر (برحمة الرب) وقد تقبل هذه (الرحمة) فإنه قد أُعطيَ (الوحي) ولو لم يصل إليه المنصِّر الذي ينصِّره بعد. لذا يرى راهنر بأن المنصِّر لا ينصِّر الآخرين على أنهم ليسوا نصارى بل على أنهم نصارى، ولكن لم تُكتشف هويتهم بعد. من هذا المنطلق سعى راهنر إلى تغيير النظرة إلى غير النصراني. إذ لم يعد غير النصراني في نظر راهنر مادة يفوز بها المنصِّر بإدخالها إلى النصرانية، بل يُعدّ إنسانا وصلته رسالة النصرانية من قبل، ودور المنصر إنما هو إرشاده إلى الطريق الموصِّل إلى النصرانية الكاملة.

أما الشخص الثالث الذي أثّر في أعمال المجلس فهو لويس ماسجنون (Louis Massignon) (١٨٨٣-١٩٦٢م) الذي يرى بأن الإسلام واليهودية ديانتان ترجع أصولهما إلى نبي الله إبراهيم- عليه السلام[1]. ويرى كذلك أن المسلمين هم أبناء إسماعيل. وقد أكد على أهمية أن يتعرف النصارى على الإسلام، ويفهمونه من مصادره- بدل النظر إليه من الخارج- ثم يحددون بعد ذلك كيف يمكن التأثير فيه[2].

حدَّدَ بيان "نوسترا أتيت" (Nostra Aetate) موقف الفاتيكان من المسلمين حسب النص الآتي: "و تنظر الكنيسة بعين الاعتبار إلى المسلمين الذين يعبدون الله الأحد، الحي القيوم، الرحمن القدير، فاطر السموات والأرض الذي خاطب البشر، والذين يجتهدون في أن يخضعوا من صميم الفؤاد لأحكام الله، حتى ولو كانت خفية، كما خضع لها إبراهيم، الذي يشير إليه الإيمان الإسلامي بطيب خاطر. وهم وإن كانوا لا يعترفون بألوهية المسيح، إلا أنهم يجعلونه نبيا، ويكرمون والدته العذراء مريم، بل وفي بعض الأحيان يذكرونها بكل تقوى، وعلاوة على ذلك فإنهم يترقبون يوم الدينونة، حيث يجازي الله جميع الناس، الذين يقومون من بين الأموات، وهذا ما يجعلهم يقدّرون الحياة الأبدية، ويعبدون الله، خاصة بالصلاة، والزكاة، والصيام.

وإن كانت نشبت منازعات وعداءات غير قليلة بين المسيحيين والمسلمين، على مدى الأجيال فإن المجمع المقدس يهيب بالجميع أن ينسوا الماضي ويعملوا بإخلاص على إحلال التفاهم المتبادل بينهم، ويتعاونوا على حماية وتعزيز العدالة الاجتماعية، والقيم الأدبية والحرية للناس أجمعين"[3].

---

[1] Hastings, Adiran (1968)

[2] Siddiqui, Ataullah (1997)

[3] عجك، ١٩٩٨م ص ٣٧٩.

أما فيما يتعلق بتنصير المسلمين فقد بيَّن المجمع في البيان الذي عُرف باسم نور الشعوب[1] (Lumen Gentium) (٢١ نوفمبر ١٩٦٤م) إلى أن العمل التنصيري الذي تقوم به الكنيسة يشمل المسلمين كذلك، وقد ورد نص ذلك في العبارة التالية: "إلا أن خطة الخلاص أيضا تشمل أولئك الذين يقرون بالخالق، وفي مقدمة هؤلاء يأتي المسلمون: الذين يقرون بأنهم يحملون إيمان إبراهيم، ويشتركون معنا في عبادة الواحد، الرب الرحيم، الحاكم بين الناس في اليوم الآخر". وقد بين المجمع إلى أن "خطة الخلاص" (أي التنصير) يجب أن تمارس بشكل علني. ووظيفة كل من ينتمي إلى الكنيسة أن يقوم بتخليص كل كائن من أجل المسيح. ويجب أن لا يكون الإيمان بالنصرانية إيمانا سريا بل معلنا".

وبالرغم من تأثر قرارات المجلس بشكل عام بآراء كل من "دانيلو" و"راهنر" و"ماسجنون"، إلا أن الملاحظ أن تلك القرارات لم تذكر الدين الإسلامي أبدا. فنص عبارة المجمع تشير إلى المسلمين، ولم تشر إلى الإسلام[2]. بل لم يكن لدى المجمع المقدرة على اعتبار الإسلام دينا مثل ما فعل لليهودية، ولا اعتبار المسلمين أبناء إسماعيل مثل ما أقر لليهود هويتهم العرقية مستشهدا بكثير من نصوص العهد الجديد. كما لم يذكر المجمع الرسول محمداً- صلى الله عليه وآله وسلم- ولم يذكر القرآن على أنه وحي من عند الله- سبحانه وتعالى. وإشارة القرار إلى أن المسلمين متبعون الهدي الإبراهيمي لا يعني بأي حال من الأحوال اعتراف المجمع أن محمداً- صلى الله عليه وآله وسلم- رسول من عند الله- سبحانه وتعالى-، وأنه من سلالة إسماعيل، وأن الملة الإبراهيمية وصلت إلى المسلمين عن طريقه- صلى الله عليه وآله وسلم. إلى جانب ذلك لم يخرج المجمع في قراراته بتصور واضح لمعنى الحوار بين النصرانية والإسلام وهدفه. إلا أن أهم ما تميز به ذلك القرار هو الارتقاء بموقف الكنيسة الفاتيكانية من إدانة المسلمين والتهجم عليهم إلى الإقرار

---

[1]. يراد به أن المسيح- عليه السلام- هو نور لكل الإنسانية.

[2]S. J., Art A. (1989)

بأن ما يؤمنون به حق من حقوقهم الطبيعية. ويجب أن لا ننسى أن ذكر المسلمين في هذا البيان، إنما جاء إرضاء للقساوسة العرب المشاركين في المجمع الذين اتخذوا موقفا معارضا لتوجه الفاتيكان إلى استمالة اليهود، وخوف أولئك القساوسة من أن يفسر ذلك في الوطن العربي بأنه محاباة وميل من الكنيسة الكاثوليكية لدولة اليهود (إسرائيل)– كما بينا ذلك سابقا في هذا الفصل.

واجه مشروع الحوار بين النصرانية والإسلام عدداً من التحديات. فبالرغم من تحديد مجلس الكنائس العالمي مفهوم الحوار مع المسلمين، إلا أن هذا المجلس ظل غير قادر على التمييز الدقيق بين "الحوار" و"التنصير". ومن ناحية أخرى، لاقت خطط المجلس وفلسفته في هذا المجال الكثير من التوجس والمعارضة من قبل الكنائس التنصيرية. فقد رأى النصارى الذين لا يزالون يحملون الفكر التنصيري والناشطون في هذا المجال في توجه مجلس الكنائس العالمي نحو الحوار إعاقة لجهودهم التنصيرية في الدول الإسلامية. كذلك لم يكن بيان المجمع الفاتيكاني الثاني حول الحوار مع المسلمين مرضيا للمنصِّرين الكاثوليك؛ مما دعا الفاتيكان إلى إصدار بيانات أخرى مرضية لهم.

ومن ناحية أخرى كان للجانب الإسلامي دور في عدم فاعلية الحوار وفق مفهوم الفاتيكان والمجلس العالمي للكنائس. ففي الوقت الذي رعت الحوار من الجانب النصراني مؤسستان عالميتان –هما المجلس العالمي للكنائس، والفاتيكان ممثلة في "السكرتارية الفاتيكانية للحوار مع الديانات غير النصرانية"–، كان الجانب الإسلامي مفتقرا إلى مؤسسة إسلامية مركزية ومستقلة تمثل المسلمين عالميا. ففي بعض الأحيان يشارك في الحوار عن الجانب الإسلامي وفود سياسية، أو أعضاء من جهات خاصة، أو رؤساء دول. وفي أحيانٍ أخرى كان يمثلهم أفراد غير مقبولين في المجتمع الإسلامي[1]. وعادة ما تكون الجهات المشاركة متأثرة بالقرار السياسي في الدول التي تنتمي إليها أو تمولها. وفي حالة مشاركة هيئات إسلامية

[1] Siddiquid, Ataullah (1997

مستقلة في الحوار فإنها تكون مفتقرة إلى التأثير في المستوى الإسلامي العالمي[1]. كما كان الحوار في بعض الاجتماعات يقود إلى مناظرات ساخنة تُخرجه عن هدفه الأسمى. لهذا فقد غير المجلس العالمي للكنائس بعد اجتماع كولومبو في ١٩٨٢م اهتمامه من الحوار الدولي مع المسلمين إلي الحوار الإقليمي[2]. كما انقسم المسلمون فيما بينهم من الحوار إلى معارض يرى فيه وسيلة خطرة تستخدمها النصرانية من أجل غزو الإسلام والمسلمين، ومشجع يدعوا إليه ويراه وسيلة من وسائل الدعوة الإسلامية[3].

وترى (الموسوعة المسيحية) "The Encyclopedia of Christianity" إلى أن الهدف من الحوار بين الأديان ليس واضحا باعتبار أنه لا يقوم على أرضية مشتركة بين سائر الأديان[4]. وعلى أية حال، فقد تمكن النصارى من تطوير معرفتهم بالدين الإسلامي والثقافة الإسلامية وخاصة في الدول الغربية التي شهدت موجات هجرة من المسلمين. ففي هذه الدول حيث يعيش المسلم والنصراني جنبا إلى جنب غير متأثرين بالتراكمات التاريخية للعلاقة بين الديانتين تبدو ملامح حوار غير رسمي في الحياة والعمل واضحة[5].

والخلاصة أن الكنيسة الغربية قد توجهت إلى الحوار مع الديانات الأخرى ومنها الإسلام عندما بدأ المنصِّرون يشعرون بالعزلة في الدول التي تستقل الواحدة بعد الأخرى من قبضة الاستعمار الغربي. وبالرغم من تبني "الفاتيكان"، و"مجلس الكنائس العالمي" الحوار مع المسلمين، إلا أن مفهوم الحوار لا يزال يعاني من اللبس وعدم الوضوح. كما أن الحوار يلقى معارضة شديدة من المنصِّرين المحترفين والناشطين الذين يرون فيه معوقا قويا لجهودهم التنصيرية في العالم الإسلامي. أما

---

[1] عجك (١٩٩٨م).

[2] Siddiquid, Ataullah (1997 ,S. J., Ary A. Roest Crollius (1989)

[3] عجك، ١٩٩٨م.

[4] OTT, Heinrich, Ecumenical Context, in (ed.) Fahlbusch, Erwin & others (1999)

[5] Crollius (1989)

المسلمون فقد انقسموا بين معارض للحوار، ومشجع له. كما أن الجانب الإسلامي يفتقر إلى جهة مؤهلة ومعترف بها إسلاميا تمثله في الحوارات الرسمية مع النصارى. من هذا المنطلق نتوجه إلى استقراء واقع الحوار بين النصارى المقيمين في عمان والسكان المسلمين.

٤. ٢. ٣. الحوار بين الجالية النصرانية والمسلمين في عمان (من وجهة نظر الجالية النصرانية)

أكد القسيس ألفرد فايق صامويل الذي عمل في الكنيسة البروتستنتية في روي[١] عدم وجود حوار رسمي بين الكنيسة والمسلمين في عمان، وأعرب عن ترحيب الكنيسة البروتستنتية بالحوار مع المسلمين. ولكي تأخذ تلك الحوارات مجراها الصحيح أكد القسيس على أهمية أن يجرى الحوار في جو ودي وبعقلية متفتحة. أما القسيس ماريا أنثوني (Rev.Fr. Maria Anthony) الذي يعمل في الكنيسة الكاثوليكية في الغبرة فقد أكد على عدم وجود أي علاقة ذات طابع ديني مع المجتمع المحلي. ويشكّل ما كتبه القسيس ري سكنر عن الحوار بين النصرانية والإسلام في عمان مادة خصبة في هذا المجال؛ لذا سأناقش ما كتبه بشكل مفصّل في الفقرات التالية.

٤. ٢. ٣. ١. القسيس ري سكنر ومفهوم الحوار بين الجالية النصرانية والمسلمين في عمان

ناقشتْ الأجزاء الأربعة الأخيرة من كتاب القسيس ري سكنر "Christians in Oman" (المسيحيون في عمان) موضوع الحوار بين الجالية النصرانية والمسلمين في هذا البلد. ولم يقدم القسيس سكنر تعريفا محددا للحوار، كما أنه لم

[١] من خلال لقاء شخصي معه في مقر الكنيسة عام ١٩٩٩م

يقدم أمثلة على حوارات تمت بين شخصيات عمانية معينه، وبين أي ممثل عن النصارى المقيمين سواء كانوا من القسيسين العاملين في الكنائس أم غيرهم من الأفراد. واللقاء الحواري الوحيد الذي ذكره في كتابه كان مع سماحة الشيخ أحمد بن حمد الخليلي المفتي العام لسلطنة عمان- حفظه الله تعالى. وذكر القسيس أنه وجَّه إلى سماحته سؤالاً عن القضاء والقدر بواسطة مترجم بينهما.

وتقدم عبارة القسيس سكنر التالية صورة لمفهومه عن الحوار: "في عمان الحديثة يسأل العمانيون المسيحيين عن إيمانهم، كما فعل قبل ذلك الإمام الخليلي مع الطبيب ولز تومس في ١٩٤٠م/١٣٥٩هـ. هذه المناقشات تقابل بالمثل من قبل المنتمين إلى المسيحية فيسألون العمانيين عن إيمانهم، وبعضهم- كما يرد في تقارير الجرائد المحلية كل أسبوع، تقريبا- يعتنقون الإسلام"[1].

والواضح أن ما يقصده القسيس سكنر بالحوار إنما هو المحادثات والمناقشات اليومية غير المخطط لها حول المواضيع الدينية ذات الصلة بالإسلام أو النصرانية التي تدور على المستوى الشخصي بين أي فرد من المسلمين في عمان- بغض النظر عن مكانته العلمية والوظيفية-، وبين أي فرد من النصارى المقيمين فيها.

ولا يعدو حديثه عن الحوار من أن يكون استراتيجية يقترح على النصارى المقيمين في عمان أتباعها في حوارهم مع المسلمين. وقد شدّد على أهمية المحافظة على المكاسب التي حققتها "الإرسالية العربية"- الأمريكية- في عمان على مدى العقود الماضية. وبيَّن أن الاحترام المتبادل الذي تمكَّن المنصِّرون الأمريكان من تحقيقه في عمان يمكن أن يكون أساسا للحوار في المستقبل. وحذر القسيس سكنر من أن النصارى سيفقدون المكاسب التي حققها الإرساليون الأمريكان، كما سيفقدون حريتهم الشخصية في ممارسة عبادتهم إذا ما تصرفوا بأسلوب غير مرض، وفي ذلك يقول: "بلا شك يمكن أن يفقد المسيحيون في عمان الاحترام الذي

---

[1] Skinner, Ray (1995)، ص ٧٦.

ربحه الإرساليون الأمريكيون بثمن غالٍ. كذلك يمكن أن يفقدوا حريتهم الشخصية في ممارسة إيمانهم بطريقة خاصة إذا ما أساءوا السلوك وتصرفوا بطريقة وقحة"[1].

أكد القسيس سكنر على أهمية أن يفهم النصرانيُ المسلمَ الذي يحاوره فهما صحيحا؛ حتى يكتب النجاح لذلك الحوار. ويرى القسيس سكنر أن معرفة شخصية المسلم إنما تكون بمعرفة الدين الذي يعتنقه وفهمه. ويمثل هذا الجانب بؤرة أطروحته عن الحوار. فقد أخذ بعد ذلك يقدم تفصيلا لمعتقدات المسلمين في عمان، وما يمارسونه من شعائر وعبادات، وما يشوبها- حسب رأيه- من عادات وخزعبلات. وفي هذا السياق ميّز القسيس سكنر بين "المذهب الإباضي" كمبادئ وأسس إسلامية، وبين ما سماه "الدين الشعبي"[2]؛ وقصد به ما يؤمن به أو يمارسه بعض عوام المسلمين في عمان من أمور لا تمت بصلة لتعاليم المذهب وأسسه الإسلامية، وإنما هي- حسب قوله- أمور وفدت إلى عمان من أماكن أخرى كشرق إفريقية، أو بعض دول الخليج. وقد أفرد القسيس سكنر الفصل التاسع الذي جعل عنوانه "Dialogue: Folk Religion in Oman" (الحوار: الدين الشعبي في عمان) لمناقشة هذا الموضوع وبين فيه كيف يمكن أن يستفيد النصارى من تلك المعتقدات والممارسات في حوارهم مع العمانيين. وناقش في الفصول الثلاثة الأخيرة للكتاب مبادئ المذهب الأباضي وفكره وخصائصه، وكيف يمكن أيضا أن يوظف النصارى تلك المبادئ والأفكار والخصائص في عملية الحوار.

وفي هذا السياق، يرى القسيس سكنر أن فهم المعتقدات التي يؤمن بها بعض العمانيين، والشعائر التي يمارسونها- وهي ليست من أصل المذهب الأباضي وتعاليمه الإسلامية-، ليست أقل أهمية للنصارى من فهم المذهب الأباضي نفسه. وحسب كلامه، المسلمون في عمان ليسوا وحدهم المتأثرين بأمور ليس لها صلة

---

[1] Skinner, Ray (1995)ص ٧٦.

[2] أطلق المنصرون مصطلح 'الدين الشعبي' على ما يمارسه المسلمون من أمور ليست من تعاليم الإسلام، مثل زيارة القبور، وقد أولى هؤلاء المنصرون هذه الأمور جل اهتمامهم من الدراسة.

بتعاليم دينهم، بل يوجد مثل ذلك في بعض المجتمعات الإسلامية الأخرى، حتى بين النصارى أنفسهم. والأمور التي أولاها القسيس سكنر جل عنايته في هذا السياق هي: الخوف من الأرواح الشريرة، والخوارق أو المعجزات، والقرين، والجن، وقبور الأولياء، والبركة أو التبرك، والنذور، والذبح. ويرى القسيس سكنر أن كل واحدة من هذه الأمور تمثل مدخلا للحوار مع المسلم في عمان.

فإصابة الإنسان بالأرواح الشريرة - حسب قول القسيس سكنر - ليس مما يؤمن به المذهب الأباضي، إلا أن هذه الفكرة شائعة بين بعض أفراد المجتمع العماني، ويمكن أن تكون قد تسربت إليهم من شرق إفريقيا. ويدَّعي هذا القسيس أن بعض العمانيين كانوا يأتون إليه لطلب الشفاء من هذه الأرواح. وهكذا ينفتح باب للحوار بينه كنصراني وبين العماني المسلم. فيجد في هذا المقام فرصة لتعريف المسلم بالنصرانية بشكل مباشر، أو غير مباشر. وحسب قوله إنه كان بإمكانه أن يقدم تفسيرا ماديا لذلك الإحساس، إلا أن هذا لا يخدم هدفه- كنصراني يريد من المسلم أن يعرف الديانة النصرانية. لذا يذكر بأنه كان يعمد إلى قراءة بعض الصلوات التي يذكر فيها عيسى بن مريم-عليه وعلى أمه السلام. وهنا لا يجد حرجا- حسب زعمه- أن يعالج ذلك المسلم باسم عيسى؛ فهو قد ذُكر في القرآن بأنه نبي، وأنه كان يعالج مثل هذه الحالات. ويرى أن في قصص العهد الجديد مادة خصبة لمثل هذه الموضوعات، حيث ورد في عدة مواضع من العهد الجديد معالجة عيسى لأناس طلبوا منه الاستشفاء من أمراض ارتبطت الإصابة بها بالأرواح الشريرة، كقصة الأعمى والأبكم اللذين ورد ذكرهما في إنجيل متى في ١٢:٢٢ وغيرها من المواضع.

أما الخوارق أو المعجزات فهي أمور أخرى يرى القسيس سكنر أنها شائعة في أذهان بعض المسلمين في عمان. وحسب قوله، فقد استغل المنصِّرون السابقون- خاصة الأطباء- هذه الفكرة في إيهام بعض الناس بأن وقوع أمر معين إنما مرده إلى معجزة قد حدثت على يدي المنصِّر. فقد فسر بعض الأطباء المنصِّرين لمرضاهم أن

شفاءهم لم يكن ليتم لولا حدوث معجزة على يدي الطبيب. فالدواء وحده غير كاف لعلاج المرض. والعهد الجديد- حسب قوله- أيضا مصدر ثري بقصص المعجزات التي تنسب إلى السيد المسيح- عليه السلام.

ويقول القسيس سكنر أن من الأمور الشائعة أيضا في الوسط العماني فكرة الجن. ويؤمن بعض العمانيين- حسب ادعائه- بمقدرة الجن على إلحاق الأذى بالناس؛ لذلك يكثر طلب العلاج والحماية من أذى الجن. ويؤمن بعض الناس في عمان بتمثل الجن في صور بعض الحيوانات مثل القطط والكلاب. لذلك فإن هذه الحيوانات موضع حذر عند من يؤمن بهذه الأفكار من العمانيين. كما تسود عند بعض الناس-حسب ادعائه- فكرة زواج بعض الناس من جنيات. ويرى القسيس سكنر أن سِفْر التكوين في العهد القديم يشكِّل مصدرا لمثل هذه الأفكار عن الجن. وهكذا يشكل مفهوم الشخص العماني عن الجن أيضا نقطة من النقاط التي يستطيع النصارى التحاور مع العمانيين فيها.

يرى القسيس سكنر كذلك أن ما يسمى بقبور الأولياء منتشرة في عمان، كما هو الحال في كثير من البلاد الإسلامية. ويرى بأن هذه الفكرة أكثر انتشارا في جنوب عمان، حيث يوجد ما يطلق عليه قبر أيوب- وهو مزار كثير من الناس- من مناطق البلاد الأخرى.

والبركة- حسب قوله- من الأمور الشائعة بين بعض العمانيين. وهي تُستَجدى من عدة مصادر. فالقرآن مثلا مصدر من مصادر البركة. لأجل ذلك تنتشر بين بعض أفراد المجتمع العماني عادة كتابة آيات من القرآن الكريم على ألواح أو أوراق فتعلق على رقاب الصِبية من أجل طلب البركة. وأيضا تُستَجدى البركة من الحج أو من شرب ماء زمزم. ويرى القسيس سكنر أن فكرة البركة موجودة في العهد القديم؛ فقد أعطاها اسحق ليعقوب ولم يعطها لعيسو. وكلمة (البركة) نفسها مستخدمة في العربية والعبرية.

أما ذبح الحيوانات نذراً للعيون والمساجد وغيرها، فإنه أمر منتشر في عمان، حسب كلام القسيس. ويدَّعي بأن الذين حاورهم من علماء المذهب الأباضي قد بينوا له عدم إيمانهم بوجود أثر نفسي أو روحي لذبح الحيوانات على الإنسان. ويقول أنه لا يخفى على المتجول في عمان رؤية الأماكن التي يتم فيها ممارسة هذه العادة. فتتميز تلك الأماكن بانتشار الملابس الملونة، والحِلَق التي تعلق على أعمدة الحجارة أو على الأشجار. كذلك تمارس عادة الذبح عندما يولد مولود جديد، وعند الزواج وعندما تدشَّن سفينة جديدة.

وأما فيما يتعلق بفكر المدرسة الإباضية فقد ناقش القسيس سكنر بعض النقاط التي تميز الفكر الأباضي عن غيره من المذاهب الإسلامية، وهي مفهوم الإمامة عند الأباضية، وكذلك مفهومهم عن القضاء والقدر، والاختيار والإجبار، ورؤية المولى عز وجل في الدار الآخرة، والاجتهاد– خاصة في مجال تفسير القرآن الكريم–، ومسألة خلق القرآن، والتقية، وسبل الاستفادة من بعض تلك النقاط فيما يدعوه الحوار بين النصرانية والإسلام في عمان.

أما فيما يتعلق بموضوع الإمامة فقد بين القسيس سكنر إمكان الاستفادة من معطيات النظام السياسي الأباضي وخاصة مفهومي "الكتمان" و"الظهور" في تقديم حلٍ لمشكلة إعلان الشخص العماني عن تحوله من الإسلام إلى النصرانية وتجنب إقامة حد المرتد عليه. وقد أسهب القسيس سكنر في بيان أن كثيراً من الناس يعرضون عن اعتناق النصرانية، في عمان وسائر دول الخليج العربي برغم اقتناعهم بها؛ بسبب خوفهم من نظرة المجتمع إليهم على أنهم مرتدون عن الإسلام، وخوفهم من إقامة حد الردة عليهم. وقد اعتمد القسيس سكنر في مناقشته لموضوع الرِّدَّة وحكم المرتد على ما كتبه القسيس صامويل زويمر في هذا المجال. ومن المعلوم أن زويمر قد أسس كتاباته على الوضع السائد أثناء فترة الدولة العثمانية التي عاصرها. وفي حقيقة الأمر لم أرَ للقسيس سكنر نفسه أي اطلاع على مؤلفات الأباضية، أو مناقشات معهم عن هذا الموضوع، بالرغم من ادعائه أن الفقه الأباضي

يعطي المرتد مهلة لمراجعة نفسه قبل إقامة حد المرتد عليه، بخلاف المذاهب الإسلامية الأخرى التي تقيم الحد مباشرة. كما اقترح القسيس سكنر توظيف مفهوم "التقية" إذا لم يستطع المتنصر أن يعلن تحوله من الإسلام إلى النصرانية فور اقتناعه بها، واتخاذه قرار الارتداد. فيقترح سكنر أن يعيش المتنصر وفق مفهوم التقية وسط المجتمع المسلم في عمان فترة من الزمن بدون الإعلان عن ارتداده عن الإسلام، بل يمارس الشعائر الإسلامية الظاهرة حتى لا يكتشف سره، وحين تتهيأ الأمور، ويرتفع الخطر يعلن معتقده الجديد بلا خوف أو خشية من عقاب. ثم ذكر سكنر أن بعض الدول الخليجية– لم يسمها– تشجع المنصِّرين العمل بفكرة التقية، إذ قال: "بعض دول الخليج تشجع بإيجابية أن يعمل الأجانب بالتقية. فعلى سبيل المثال عندما يقوم أحد المنصِّرين المتجولين بالتنقل تحت اسم مستعار كمدرس أو رجل أعمال فإن هويته الحقيقية تكون معروفة إلى السلطات، ولكنها ببساطة تغض الطرف عنه"[1].

ثم أكد القسيس سكنر على أن القضاء والقدر، والإجبار والاختيار، مواضيع تطرح للنقاش بين النصارى والمسلمين في كل مكان، وكذلك يمكن أن يطرحها النصارى للنقاش مع المسلمين في عمان.

أما فيما يتعلق بمنهج المدرسة الأباضية في الاجتهاد فقد بيَّن القسيس سكنر عن أمله في الاستفادة من هذا المنهج في إثبات الإدعاء النصراني أن عيسى– عليه السلام – قد قتل على الصليب، بل وسلم نفسه طوعا للقتل. وهذه النقطة– كما يشير القسيس سكنر – من أهم العقبات في عملية الحوار بين المسلمين والنصارى. ففي الوقت الذي يؤمن فيه النصارى بأن عيسى قد قتل على الصليب يتمسك المسلمون بعكس هذه الفكرة، مستنيرين بقول الله عز وجل **﴿وقولهم إنا قتلنا المسيح عيسى بن مريم رسول الله وما قتلوه وما صلبوه ولكن شبه لهم وإن الذين**

---

[1] ص ٩٣ .Skinner, Ray (1995)

اختلفوا فيه لفي شك منهٰ ما لهم به من علم إلا اتباع الظن وما قتلوه يقينا﴾[1].

وقد سعى الكُتّاب النصارى من خلال العديد من الأعمال التي أصدروها إلى إثبات عقيدتهم في الصلب والقتل من خلال هذه الآية نفسها. وبما أن باب الاجتهاد في المدرسة الأباضية مفتوح للراسخين في العلم، فإن القسيس سكنر يأمل في أن يؤدي الحوار مع الأباضية إلى ظهور عالم إباضي "متفتح الذهن" -كما أطلق عليه- فيتسامح في تفسير تلك الآية وفق ما يصبوا إليه النصارى والمنصِّرون، أي أن عيسى قد قتل مصلوبا. وإذا أقر المسلمون بمقتل عيسى على الصليب، فإن الخطوة التالية- حسب قوله- تكون الإقرار بمقتله من أجل التكفير عن الخطيئة البشرية الأزلية، وهكذا.

أما موضوع الرؤية فيشير القسيس سكنر إلى أن الأباضية ينفون رؤية الله سبحانه وتعالى في الآخرة[2]، على خلاف المذاهب الإسلامية الأخرى. ويؤكد القسيس سكنر، باعتبار أن هذا الموضوع لا يشكل مدخلا مباشراً للحوار إلا أنه يمكن للنصراني أن يعبر إليه من نقطة أخرى قريبة منه، وهي سماع كلام الله سبحانه وتعالى. فالقسيس يرى بما أن الأباضية يؤمنون بأن الله – سبحانه وتعالى – قد خاطب البشر في الدنيا بطريقة غير مباشرة ألا وهي القرآن. فيمكن للمنَصِّر- كما يدعي السيد سكنر – أن يحملهم من خلال الحوار على الاستنتاج بأن الله سيخاطب الناس في الآخرة بطريق مباشر – أي أن الناس سيسمعون كلام الله – سبحانه وتعالى – في الآخرة. وإذا تم للناس سماع كلام الله – سبحانه وتعالى- في الآخرة، فبالتأكيد ستتم لهم رؤية الله- سبحانه وتعالى.

والخلاصة أن مفهوم القسيس ري سكنر من الحوار إنما هو "الحوار التنصيري"- إن صح التعبير. أي الحوار الذي يقود النصراني إلى معرفة دين المسلم وفهمه، والإحاطة بمدى فهم المسلم نفسه لدينه؛ ليتمكن النصراني بعد ذلك من

---

[1] سورة النساء الآية ١٥٧.

[2] طبعا وفي الدنيا أيضا.

تحويل المسلم من الإسلام إلى النصرانية. وهذا الحوار لا يجرى بالقنوات الرسمية فحسب، بل وبغير الرسمية على حد سواء. فباعتبار أن التنصير يستهدف كل أفراد المجتمع المسلم فهذا الحوار يجري بين النصراني- أو المنصِّر- وبين كل فرد من أفراد المجتمع.

٤. ٢. ٣. الحوار بين الجالية النصرانية والمسلمين في عمان من وجهة نظر المسلمين[1]

توجد قنوات من الحوار الرسمي بين الجالية النصرانية والمسلمين في عمان كما بيَّن ذلك سماحة الشيخ أحمد بن حمد الخليلي، المفتي العام لسلطنة عمان- حفظه الله. وهذا الحوار لا يقتصر على النصارى المقيمين في السلطنة، بل يشمل أحيانا بعض النصارى الذين يأتون من خارج السلطنة فيلتقون سماحة الشيخ وغيره من العلماء في السلطنة، حيث تعقد لقاءات حوارية بين الجانبين. وكما يقول سماحة الشيخ المفتي: "فالحوار بين الإسلام والنصرانية ليس حوارا بين الند ونده. إذ الإسلام هو الحق، والنصرانية باطل. ولما كانت النصرانية باطلة فحوار الإسلام معها كالحوار مع الوثنية، وكالحوار مع اليهودية، وكالحوار مع المجوسية، وكالحوار مع الإلحاد، وكالحوار مع أي فكر آخر. إنما هو حوار لا لأجل الاعتراف بحقيقة معتقد أولئك، وإنما هو حوار من أجل بيان العوار الذي يوجد في معتقداتهم وإثبات العقيدة الحقة. والله المستعان".

و حول مواضيع الحوار يقول سماحة الشيخ الخليلي: "مواضيع الحوار متعددة. منها ما يتعلق... بطبيعة المسيح- عليه السلام، وكيف جاءت حقيقة المسيح في القرآن متفقة تمام الاتفاق مع دلائل العقل، بل ومع ما يوجد مما يظن

---

[1] أجريت لقاء مع سماحة الشيخ أحمد بن حمد الخليلي المفتي العام لسلطنة عمان- حفظه الله تعالى- حول هذا الموضوع، وذلك بعد صلاة العصر يوم السبت ٢٩ ربيع الثاني عام ١٤٢٢هـ الموافق ٢١ يوليو ٢٠٠١م بجامع السلطان قابوس بروي، سلطنة عمان.

أنه لا يزال معظمه باقيا من غير تحريف من تعليم الإنجيل كإنجيل برنابا. فإن إنجيل برنابا أقرب إلى الدقة وأقرب إلى الصحة، لأجل عدم تصادمه مع الأدلة العقلية. قد تكون هناك أشياء دخيلة موجودة فيه، ولكن مع ذلك هو أقرب من الأناجيل الأربعة كثيرا. وإن كان هم لا يعترفون به ضمن الكتاب المقدس، إلا أن توافقه مع دلائل العقل، وتوافقه مع النص القرآني الثابت يجعل النفس تطمئن إلى صحته وسلامته أكثر من غيره. وكذلك فيما يتعلق برسالة نبينا- صلى الله عليه وسلم- فإن البشائر في نفس الأناجيل الأربعة مع ما لحقها من التحريف والتبديل والتغيير لا تزال واضحة تدل على هذا النبي العربي- عليه أفضل الصلاة والسلام. أما وجود هذه البشارة في إنجيل برنابا فهي أشد وضوحا وظهورا".

واشتمل حوار سماحة الشيخ مع النصارى كذلك على النقاط السلبية في المعتقدات النصرانية. وفي ذلك يقول سماحته: "من المعلوم أن هنالك نقاط ضعف في هذه المعتقدات النصرانية، ولا بد من التركيز عليها. وأنا بنفسي من خلال زيارة الكثير من القساوسة والأساقفة لي قمت بطرح الكثير من القضايا عليهم. من بين هذه القضايا ما في الأناجيل الأربعة من التناقض في طبيعة المسيح- عليه السلام- نفسه، بحيث ينص أحدهما على أنه إنسان، وينص الآخر على أنه عبد أو أنه خادم، وينص الثالث على أنه ابن الله، والرابع على أنه هو الله مع دعواهم عدم التعارض بين ذلك كله. إذ ليس مما يمكن أن يستسيغه عقل أي عاقل أن يكون الإنسان هو الله، أو أن يكون الإنسان ابنا لله، أو أن يكون الله- سبحانه وتعالى- هو الإنسان، أو هو الخادم، أو أن يكون أبن الله تعالى هو الإنسان، أو هو الخادم مع أن العقل يقضي أنه لا يمكن أن تكون بنوة تنسب إلى الله- تبارك وتعالى-، أي لا يمكن أن يكون أي أحد أبناً لله؛ فإن الابن إنما هو من جنس أبيه، ولا يمكن أن يكون لله- تبارك وتعالى- جنس، فإنه الواحد الأحد الفرد الصمد، إذ هو الذي خلق الوجود كله، وما سواه مخلوق له. فلا يمكن بحال من الأحوال أن يكون غيره تبارك وتعالى منسوبا إليه نسب بنوة. كما لا يمكن أن يكون غيره منسوبا إليه نسب

أبوّة، وإنما الكل عباد لله سبحانه وتعالى ﴿إِن كُلُّ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ إِلَّا آتِي الرَّحْمَنِ عَبْدًا (٩٣) لَقَدْ أَحْصَاهُمْ وَعَدَّهُمْ عَدًّا (٩٤) وَكُلُّهُمْ آتِيهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَرْدًا﴾[1]. والقرآن الكريم يقطع دابر هذه الضلالات بأسرها عندما يقول: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ (١) اللَّهُ الصَّمَدُ (٢) لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ (٣) وَلَمْ يَكُن لَّهُ كُفُوًا أَحَدٌ﴾[2]. وقد كان من جواب أولئك الأساقفة والقساوسة الذين حاورتهم في هذا الأمر أن قالوا بأن هذا أمر لا يمكن أن ترقى إليه أفهام البشر، فهو فوق مستوى الأفهام. وأجبتهم بأن الدين الحق لا بد من أن يكون مستساغا عند أفهام البشر بحيث تتقبله العقول، ولا تنبو عنه الأفهام. فكيف يكون هذا الدين مناقضا للعقل والفهم الصحيح والإدراك السليم؟! بينما نحن نجد الإسلام عندما يقيم الحجة على العقيدة الحقة إنما يقيمها من مدارك العقول، من خلال نظر الإنسان في ملكوت الله- تبارك وتعالى- الذي هو مظهر لوحدانيته ومظهر لربوبيته. والله سبحانه وتعالى عندما قال ﴿وَإِلَـهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ لاَّ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ﴾[3] أتبع ذلك قوله ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَاخْتِلاَفِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنزَلَ اللّهُ مِنَ السَّمَاء مِن مَّاء فَأَحْيَا بِهِ الأرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيَاحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخِّرِ بَيْنَ السَّمَاء وَالأَرْضِ لآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾[4]. وكما أن هؤلاء حاروا عندما سُئِلوا أو عندما نسألهم عن هذا السؤال، مثلا، كذلك في قولهم، مثلاً، بأن الألوهية الحقة تتكون من ثلاثة: الأب والابن والروح القدس، طرحنا عليهم سؤالا كيف يكون هؤلاء الثلاثة هم آلهة، أكل واحد يستقل بالألوهية؟! قالوا لا، إنما هم إله واحد؛ هم مظهر لحقيقة الألوهية الواحدة. فأجبتهم أنّى للثلاثة أن يكونوا واحدا وللواحد أن يكون ثلاثة؟! مع أن الإنسان يدرك بسلامة ذوقه وبصيرة عقله بأن الواحد غير ثلاثة،

---

[1] سورة مريم الآيات ٩٣-٩٥.

[2] سورة الإخلاص.

[3] سورة البقرة الآية ١٦٣.

[4] سورة البقرة الآية ١٦٤.

والثلاثة غير واحد. قالوا كذلك بأن هذا أمر لا يمكن أن ترقى إليه العقول. كذلك مما طرحته عليهم من الأسئلة، هل المسيح عليه السلام عندما حملته مريم كان هو عين الحقيقة الالهية أو كان غيرها؟ وكذلك عندما صلب- كما يزعمون بأنه صلب وأنه قتل- هل هو عين الحقيقة الالهية؟ أو هو غير الحقيقة الالهية؟ فأجابوا لما كان هو ابن الله- تعالى الله عمّا يقولون- فإنه باتحاده مع الأب وروح القدس يشكل الجميع حقيقة واحدة، فإذا هو نفسه نفس الحقيقة الألوهية عندما حملته مريم، وعندما صلب وقتل أيضا. فأجبتهم بأن هذا أمر خطير. من الذي كان يدير الكون عندما كان عيسى- عليه السلام- جنينا في رحم أمه؟! و...عندما كان صبيا؟! و...عندما وقع في الصلب؟! عندما قتل من الذي كان يدير الكون في ذلك الوقت؟! ما دام هذا الإله الذي يعبد كان في ذلك الوقت جنينا،...في فترة من الفترات جنينا، وفي فترة كان مقتولا مصلوبا، فمن الذي كان يدبر هذا الكون؟! وأيضا قالوا بأن هذا أمر فوق مستوى مدارك العقول، وأن الإجابة عنه إجابة صعبة، ولذلك علينا أن نمر على هذه الحقيقة كما قرأناها من غير أن نبحث فيها. وهذا أيضا مما يدل على إفلاسهم من حيث الأدلة العقلية في مواجهة الحقيقة الناصعة البيضاء. ".

ولا يرى سماحته- حفظه الله- بضرورة حصر الحوار على الجهات الإسلامية الرسمية، إذا توفر في الجهات المسلمة غير الرسمية الخصائص التي تؤهلها للقيام بتلك المهمة. فإنه- حفظه الله- يرى بأن "العبرة بمن يقوم بهذا الحوار. فإن كان الذي يقوم به من أهل الفهم والإدراك والغيرة على دين الله سبحانه وتعالى والاطلاع على ما عند الطرف الآخر، فلا ريب أنه يمكن أن يقوم به شخص رسمي أو غير رسمي. وإنما عندما يكون الحوار مؤطرا في الإطار الرسمي، بشرط أن تكون للمُحاوِر الحرية المطلقة في إدحاض الباطل وإحقاق الحق، لا ريب في هذه الحالة أن تكون الجدوى أكبر؛ لأن انتشار مثل هذا الحوار يكون فرصة". ويرى سماحته أيضا بأن "خصائص المُحاوِر سواء مع هذه الجالية أم غيرها، وسواء في عمان أم في غيرها

يجب أن تكون هي الخصائص التي يجب توافرها في كل من يحاور من أجل إثبات فكرة، وإسقاط فكرة أخرى. وهي الإلمام التام بالفكرتين جميعا، والقدرة على الإقناع، والنفس الطويل، واللباقة في المناقشة، وهدوء الأعصاب، وعدم الهيجان السريع".

والحوارات كما يرى سماحة الشيخ لها نتائج إيجابية، وهي "لا تختلف بينها هنا [في عمان] وبينها في أي مكان آخر. فإن أولئك [النصارى] إما أن يكونوا طلاب حقيقة فتتجلى لهم الحقيقة بمشيئة الله، وإما أن يكونوا ضد الحقيقة، ولا ريب أنهم بهذا يثبت فشلهم ويتبين عوار معتقدهم وفكرهم".

وفي حوار المسلمين مع النصارى المقيمين أو الوافدين إلى السلطنة يرى سماحته أنه "مما يجب الحذر منه هو الاعتراف بوجود كيان نصراني في بلد مسلم، ولا سيما بلد هو جزء من الجزيرة العربية مع أن النبي- صلى الله عليه وسلم- قال: (لئن بقيت لأخرجن اليهود والنصارى من جزيرة العرب حتى لا أدع فيها إلا مسلما)، وكذلك قال- عليه افضل الصلاة والسلام- (أخرجوا اليهود والنصارى من جزيرة العرب). وهذا لأن الجزيرة العربية حرم للإسلام، كما أن مكة المكرمة حرم للبيت الحرام".

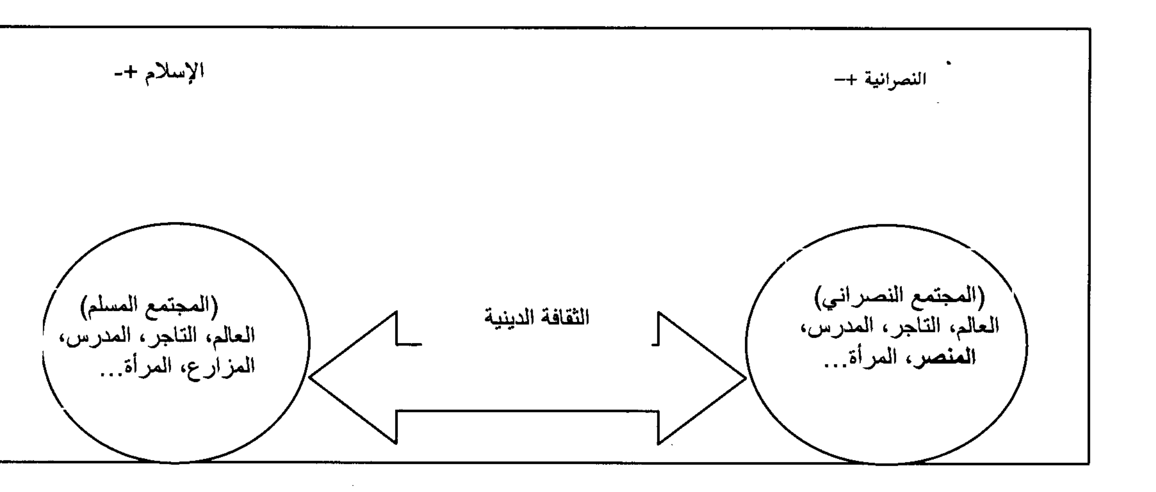
٤. ٢. ٤. ملخص

نبعت أهمية مناقشة مفهوم الحوار بين النصرانية والإسلام، التي عُني بها هذا الفصل، من كونه مصطلحا كنائسيا غربيا له ملابساته الخاصة. فقد لجأت الكنائس التنصيرية الغربية إلى استخدام مصطلح الحوار مع الأديان غير النصرانية، بما فيها الإسلام، بعد ظهور حركات التحرير في البلاد المُسْتَعْمَرَة من قبل الغرب. ولا يزال الحوار مفهوما غامضا لدى الكنيسة فضلا عن المسلمين. كما تباينت مواقف كل من النصارى والمسلمين من الحوار بين النصرانية والإسلام.

وقد خلص هذا الفصل إلى أن الحوار أوسع معنىً من مجرد حصره في اللقاءات، سواء الرسمية أم غير الرسمية، التي تتم بين ممثلين عن المسلمين وممثلين عن النصارى للتحاور في المواضيع المختارة. فالحوار يشمل نقل الثقافة الإسلامية أو النصرانية بين المجتمع الإسلامي والمجتمع النصراني بمختلف وسائل الاتصال المعاصرة المسموعة منها والمقروءة كالكتب والمجلات والأفلام السينمائية والبرامج الإذاعية والتلفازية وشبكة المعلومات العالمية. كما أن الحوار يتمثل في مراقبة كل من المسلمين والنصارى الذين يعيشون في مجتمعات مختلطة، مثل كثير من المدن الغربية، للسلوك الاجتماعي لبعضهم باعتبار أن ذلك السلوك انعكاس للثقافة الدينية التي ينتمي إليها الفرد.

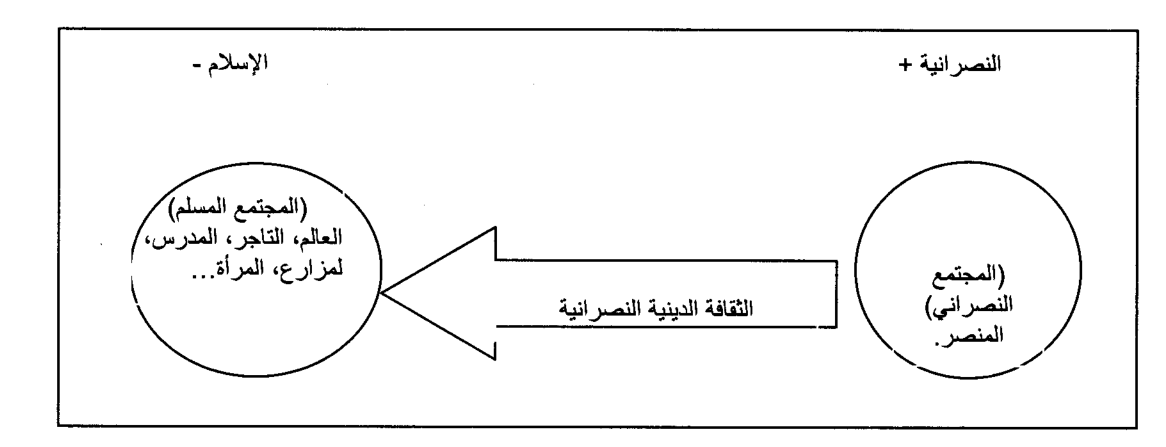
كما اتضح من خلال هذا الفصل أن الكنائس الغربية لم تستخدم "الحوار" كبديل عن "التنصير"، بحيث تتخلى عن تنصير المسلمين، والاكتفاء بالحوار معهم. بل لا تزال تلك الكنائس تتمسك بفكرة تنصير المسلمين في الوقت الذي تستخدم فيه ما تسميه بالحوار معهم. ومفهوم الحوار، كما يُفهم من الكتابات النصرانية، ومنها على سبيل المثال كتاب القسيس ري سكنر (النصارى في عمان) "Christians in Oman"– أصبح مشتملا على التنصير ومتضمنا له. وتكون عملية نقل الأفكار والثقافة الدينية، وفق مفهوم الحوار، وكما يُفهم من أدبيات النصارى، عملية متبادلة بين المجتَمعيْن النصراني والمسلم. فالنصارى يعرضون ثقافتهم على المسلمين وبالعكس. ويكون المنصِّر فيها أحد العناصر، وليس العنصر الوحيد، الذي يقوم بنقل الثقافة النصرانية إلى المسلمين. أما هدف المنصِّر في عملية الحوار فلا يختلف عن هدفه في عملية التنصير التقليدية، وهو تحويل المسلمين من الإسلام إلى النصرانية.

والشكل رقم (١) التالي يوضح مفهوم الحوار كما بينته الفقرة السابقة:



وهذا المفهوم للحوار ينطبق انطباقا تاما على ما قصده القسيس ري سكنر عن الحوار بين الجالية النصرانية والمسلمين في عمان. ومناقشة سكنر لمفهوم الحوار توحي بأنه إنما يعني الحوار التنصيري. وبعبارة أخرى، يقصد سكنر بالحوار بين الجالية النصرانية والمسلمين في عمان، هو فهم النصراني الإسلام من أجل تحويل المسلم العماني إلى النصرانية. فالنصراني لا يحاور المسلم إلا من أجل فهم دينه (الإسلام)، وبهدف تحويله عنه إلى النصرانية.

أما عملية التنصير التقليدية فيقوم فيها المنصِّر منفردا باستهداف المجتمع المسلم بأكمله بنشاطه التنصيري. وتكون العلاقة بين النصرانية والإسلام في هذه العملية أحادية الأداء؛ فالديانة النصرانية موجبة القطب وتصدِّر فكرها- بواسطة المنصر- إلى المسلمين بهدف تحويلهم إلى النصرانية، والمجتمع المسلم سالب القطب، يستهدفه المنصر بتعاليمه النصرانية، ولا يعرض هو فكره الإسلامي إلى المجتمع النصراني، كما يبين الشكل التوضيحي رقم (٢) التالي:



الشكل رقم (٢) يبين مفهوم التنصير والعلاقة بين الديانتين الإسلامية والنصرانية ودور المنصر.

أما وجهة نظر العمانيين في موضوع الحوار فقد بيَّنها سماحة الشيخ أحمد بن حمد الخليلي المفتي العام لسلطنة عمان– حفظه الله– الذي أكد على وجود نوع من الحوار الرسمي بين العمانيين والجالية النصرانية في عمان بشكل خاص، وبينهم وبين النصارى العالميين بشكل عام. وقد عبر سماحته– حفظه الله– عن مفهوم الحوار وهدفه بقوله: "فإن الحوار بين دين الإسلام الحق وبين النصرانية، التي هي مزيج من العقائد الوثنية القديمة التي انتقلت إلى هذه الديانة عندما تنصَّر قسطنطين عاهل الروم، وقد حمل إلى النصرانية أوزارا من مخلفات أفكار آبائه وأجداده الوثنيين من قبل ومن ضلالات أولئك الذين لعبت بهم الأهواء واستبدت بهم شهوات النفس فأدخلوا في الدين ما أدخلوه من البدع، إنما هو حوار إقامة الحجة، وإظهار المحجة، وتعرية هذه الضلالات؛ حتى يتبين الحق لهؤلاء الذين لا يزال الغبش يعمي أبصارهم عن درك الحقيقة"[1].

[1] من لقاء أجريته مع سماحة الشيخ أحمد بن حمد الخليلي المفتي العام لسلطنة عمان– حفظه الله تعالى – وذلك بعد صلاة العصر يوم السبت ٢٩ ربيع الثاني عام ١٤٢٢هـ الموافق ٢١ يوليو ٢٠٠١م بجامع السلطان قابوس بروي، سلطنة عمان.

٤. ٣. التنصير في عصر الحوار: رؤية عامة

انتهى الفصل السابق إلى الاستنتاج بأن التنصير قد دخل في الإطار العام للحوار حسبما يمكن أن يفهم من استخدام الحوار في الأدبيات النصرانية المعاصرة التي تعرضت لها هذه الدراسة. أو بعبارة أخرى، اشتمل مفهوم الحوار في إطاره العام على البعد التنصيري (في العلاقة بين النصرانية والإسلام). وهذا بحد ذاته يثبت نظرية، إن لم تكن الحقيقة الثابتة، أن التنصير مفهوم ديناميكي، يتغير وفق الأطر الزمانية والمكانية والاتجاهات السياسية والاتجاهات الكنسية، وغيرها التي تحويه. وهذه المناقشة لا تعنى بإثبات فكرة الديناميكية، بل بتوضيح طبيعتها التطبيقية وليس النظرية. فما يهمنا هنا أكثر: هو معرفة معنى مفهوم التنصير في هذا العصر الذي تروج فيه مقولة "الحوار بين النصرانية والإسلام" والتعرف على ما يحمله هذا المفهوم من أبعاد تلقي بظلالها على العلاقة النصرانية الإسلامية خاصة في هذا البلد الذي تتعايش فيه الجالية النصرانية الوافدة مع سكان البلد المسلمين، في جو تضفي عليه سماحة الإسلام ونبل قيمه شعورا حقيقيا بأنه "لا إكراه في الدين".

٤. ٣. ١. التنصير في إطاره التاريخي

تشكل نصوص العهدين القديم والجديد أهم المصادر التاريخية التي يستند إليها المنصرون في تكوين فكرتهم بالنشر العالمي للنصرانية. وإلى جانب هذين المصدرين تقدم ما يعرف في الأدب النصراني بـ "أعمال الرسل" مصدرا تاريخيا ثالثا. والمصادر التاريخية- بلا شك- تعين على فهم الطبيعة المتغيرة لمفهوم التنصير في الزمن المعاصر. وسأعتمد في طرح مفهوم النصارى عن التنصير في العهدين القديم والجديد وأعمال الرسل على ما كتبه ديفد بوش (David Bosch)[1] في هذا

---

[1] البروفسر ديفد بوش (١٩٢٩- ١٩٩٢م) كان رئيس قسم 'التبشير' (Missiology) في كلية اللاهوت (Theology) بجامعة جنوب إفريقيا، بريتوريا. وهو أحد الكتاب والباحثين البارزين في موضوع التنصير. ويعد كتابه

المجال. ولا أظن بأنني بحاجة إلى تذكير القارئ الكريم بأنني أبحث في مفهوم التنصير من وجهة نظر النصارى، من أجل المعرفة بها وفهمها وإن لم أؤمن بصحة المصادر التاريخية التي يرجعون إليها- الإنجيل والتوراة- كمصادر تعبر عن شريعة المسيح- عليه السلام- وسيرته، كما أني أتحفظ على بعض الاستنتاجات التي توصلوا إليها عبر هذه المصادر.

٤. ٣. ١. ١. التنصير في العهد القديم

نصوص العهد القديم (التوراة) ليست صريحة الدلالة بأن اليهودية ذات توجه وانتشار عالمي. فالتوراة لم تشر إلى أن اليهودية قد شهدت إرسال رسل إلى الشعوب التي تعتنق ديانات مخالفة لديانة بني إسرائيل. إلا أن أوجه الاستدلال من التوراة- في نظر النصارى- ليست من خلال النصوص التي تأمر ببعث رسل إلى أصحاب الديانات الأخرى، أو ما إذا كان فعلا قد تم بعث رسل لتبليغ اليهودية إلى أمم أخرى، بل تكمن في النصوص التي تحمل النبوءات والوعود التي قطعها الرب على نفسه (في التوراة) بظهور ديانة بني إسرائيل على الديانات الأخرى، وخضوع الشعوب المجاورة لسلطة بني إسرائيل. فقد وردت بعض النصوص في سفر أشعياء- مثلا (الأسفار ٦٠ و٤٥ و٤٧)- والتي يعتبرها النصارى بمثابة نبوءات أو وعود من الرب بظهور مملكته، وبانقياد القبائل والشعوب المجاورة لها.

ويفسر ديفد بوش عدم اهتمام العهد القديم بالنشر العالمي لليهودية؛ بسبب اختلاف دور الرب في العهدين القديم والجديد. ففي نظر بوش إن الرب في العهد القديم كان يقوم بكل شيء بنفسه. فالرب في التوراة كائن ديناميكي يتحرك في الساحة الزمانية والمكانية ليقوم بإنجاز الأعمال بنفسه لبني إسرائيل في الماضي

Bosch, David J. (1991) Transforming mission : paradigm shifts in theology of mission, Maryknoll, N.Y. : Orbis.

أحد الكتب القيمة التي حللت مفهوم التنصير- طبعا حسب الرؤية النصرانية- عبر الحقب التاريخية، وفي الوقت المعاصر أيضا.

والحاضر والمستقبل؛ لذا فإن بوش يرى بأنه من الأجدر والأصح أن تسمى التوراة بأعمال الرب، وليس بكلمة الرب. فالرب اختار بنفسه بني إسرائيل لخدمته، وأخذ منهم الميثاق على ذلك في طور سيناء. أما بالنسبة للشعوب الأخرى فإن إسرائيل لم يذهب إليهم ليدعوهم للإيمان بدينه كما إنه لن يطلب منهم الإيمان. فإذا كان الرب يريد منهم أن يدخلوا في دين أهل الميثاق فعليه بنفسه أن يذهب إليهم. فالرب، إذن، في العهد القديم رسول بنفسه. وهذا الدور سيتغير بظهور المسيح على الساحة.

وسيتخلى بنو إسرائيل عما ورد في ميثاق سيناء؛ وبالتالي سيبطل اختيار الرب لبني إسرائيل، وينتهي أيضا دور الرب الذي يعمل وينفذ بنفسه، وحينئذ يأتي دور المسيح الذي سيقوم بما كان يقوم به الرب في العهد القديم. فسيعمل المسيح- عليه السلام- على إعادة بني إسرائيل إلى التمسك بالميثاق. وهنا أيضا يأتي دور النبوءات الواردة في أشعياء. فيكون أيضا دور المسيح وليس الرب في إدخال الشعوب المعادية لبني إسرائيل والمخالفة لدينهم تحت الدين الذي جدده هو- أي المسيح. أما كيف قام المسيح بدوره؟ وكيف تطور مفهوم التنصير بعد ذلك؟ فإن أدبيات العهد الجديد، إلى جانب أعمال الرسل تحوي الإجابة عن هذا التساؤل.

٤. ٣. ١. ٢. التنصير في العهد الجديد وأعمال الرسل

تجدر الإشارة، في البداية، إلى أن الأدبيات المتوفرة (و المعتمدة) لدى النصارى حول حياة المسيح (عيسى بن مريم- عليه السلام) إنما هي المؤلفات التي كتبها عن حياته وسيرته بعض الكتاب كمتى، ويوحنا، ومرقس، ولوقا؛ وأطلق على كل واحد منها إنجيل ينسب إلى كاتبه؛ "إنجيل متى" و"إنجيل يوحنا" و"إنجيل لوقا". ومما لا شك فيه أن كثيرا من الجدل دار ولا يزال يدور في الساحة النصرانية حول هذه الكتب، ولا يعتبرها كثير من الباحثين والكتاب النصارى المعاصرين عين

ما قاله المسيح- عليه السلام- ولكن في نظرهم أقرب ما كتب عن المسيح إلى زمنه، ولذلك فهي- في نظرهم- أصح ما كتب وقيل عنه.

يرى ديفد بوش أن المسيح عيسى- عليه السلام- لم ينشيء ديانة مستقلة، بل كان مجرد مجدد للديانة اليهودية. وقد استهدف بدعوته بشكل أساسي اليهود، إلا أنه كان لا يمتنع عن تبليغ دعوته غير اليهود. فكان المسيح يتحدث إلى الأمميين (الجنطاليين) والفريسيين- وهم غير اليهود من أهل فلسطين. كما أن عيسى- عليه السلام- لم ينشيء كيانا سياسيا أو دينيا أو جغرافيا لأتباعه. بل كان أتباع المسيح يعيشون وسط المجتمع الذي وُجدوا فيه لا يتميزون عنه بشيء. وبعد موت المسيح- حسب قولهم- استمر أتباعه في الانتماء إلى الديانة اليهودية الأم. فلم يؤسسوا لأنفسهم كنيسة مستقلة، بل كانوا يمارسون شعائرهم في الهيكل اليهودي في القدس. كما أنهم لم يمنعوا الأمميين من اعتناق ديانتهم. وكان الأمميون في تلك الفترة يقدمون على الانضمام إلى دعوة المسيح بدون دعوة من أتباعه، بل نتيجة رغبة من أنفسهم.

وحدث المنعطف الحاد في تاريخ النصارى عندما قام الهيلينيون- النصارى المتحدثون باللغة اليونانية- بترجمة الإنجيل إلى اليونانية، وأعلنوا بعد ذلك أن الهيكل والتوراة قد تجاوزها حاجز الزمن؛ فألغوا مشروعية الختان والعبادة في الهيكل اللتين كانتا شرطاً لاتّباع المسيح.

أدى خروج الهيلينيين على شريعة العهد القديم إلى طردهم من القدس. فتجمعوا في مدينة انطاكية التي كانت تعد ثالث أكبر مدينة في الإمبراطورية الرومانية بعد روما والإسكندرية، وأسسوا فيها كنيستهم- وهي أول كنيسة تنشأ في النصرانية- التي انتمى إليها النصارى من الأمميين واليهود على حد سواء. وهكذا نشأت مجموعة دينية لها كيان مستقل وطابع ميزها عن الديانة اليهودية، وأطلقت على نفسها اسما مستقلا- "المسيحيين"- فصلها عن الجماعة "اليهودية". وفي تلك الأثناء بقي النصارى الذين استمروا في القدس جزءاً من المجتمع والديانة

اليهودية. وعندما انضم بولس وبرنابا في وقت لاحق إلى الأنطاكيين، عملا على نشر ما تؤمن به هذه المجموعة خارج إطارها الجغرافي. فقرر بولس إرسال رسل يحملون معتقدات جماعته إلى قبرص وآسيا الصغرى وغيرها من البلاد، وقام النصارى الأنطاكيون بدعوة السومريين والأمميين في فينيقيا وسوريا إلى معتقدهم. فنشأت في تلك المناطق المستهدفة جماعات نصرانية وأنشئت فيها كنائس جديدة.

أما على نطاق أعمال الرسل، فقد استعرض ديفد بوش مفهوم التنصير لدى ثلاثة من كتاب الإنجيل وهم متى في (إنجيل متى)، ولوقا في (أعمال لوقا)، وبولس في (رسائل بولس).

أما متى- حسبما كتب بوش- فقد سرد في إنجيله ما كان يقوم به المسيح- عليه السلام- بين أتباعه، وفي الوسط المجتمعي في فلسطين؛ مما يعني أن هذا الإنجيل عني بالجانب العملي لنشاط المسيح، ولم يعن بالجانب التنظيري لنشر دعوته. وترددت كثيرا في إنجيل متى عبارات على لسان المسيح مثل أرسل، أذهب، أدعو، أشفي، أصنع السلام، أشهد. لذا- كما يقول بوش- أولا: "لا يمكننا استنتاج نظرية صادقة للتبشير العالمي من إنجيل متى"[1]. وثانيا تركز نشاط المسيح العملي بين اليهود، وكان يأمر أصحابه بالعمل في الوسط اليهودي، ولم يأمرهم بالعمل بين الأمم الأخرى. وهذا قاد بوش إلى استنتاج أن متى ينتمي إلى النصارى اليهود، وكان يخاطب بإنجيله أبناء جلدته.

أما في أعمال لوقا-النصراني الجنطالي- فيرى بوش أن التنصير يتمحور حول مفهوم "الروح القدس". فالروح القدس بارز الوجود في نظرية التنصير في أعمال لوقا، فهو المحرك لتلك الأعمال والدافع لها. والروح القدس الذي ظهر على شكل حمامة للمسيح عندما عمده يحيى المعمدان، هو المسؤول عن الهداية التي تنبع من داخل الفرد، أي مبادرة الفرد التي تنبع من ذات نفسه، وليس من مؤثِّر خارجي نحو السلوك وفق تعاليم النصرانية. فالمبادرة بالتنصير وفق مفهوم لوقا تنشأ من

---

[1] Bosch, David J (1991)، ص ٨٣.

مبادرة داخلية يمليها على النصراني الروح القدس، وليس نتيجة تعاليم خارجية من المسيح وتلاميذه. فلا يوجد دور للمسيح في إرسال رسل، أو تبليغ رسالة الإنجيل إلى غير النصارى حسب المفهوم الذي يقدمه لوقا للتنصير. والروح القدس لا ينشيء إرساليات فحسب، بل يوجه المرسلين إلى وجهتهم، ويلهمهم كيف يقومون بالتنصير. ومفهوم لوقا لدور الروح القدس في التنصير لا يقتصر على الفترة التي عاشها لوقا فقط، بل ينطبق على سائر الفترات بما فيها القرن الحالي.

وهنا تجدر الإشارة – حسب بوش– إلى أن لوقا قد ألف أعماله بعد أربعين عاما من تأليف إنجيله. ويتردد الروح القدس أكثر في الأعمال من تردده في الإنجيل. وقد يتضح الهدف من ذلك إذا علمنا أن لوقا ينتمي إلى النصارى الامميين وليس إلى اليهود. فهو يريد الابتعاد من تأثير العهد القديم الذي يجزم بتأثيره على سلوك المسيح، والذي ركز متى على أهميته في إنجيله. وفكرة الروح القدس– بكل تأكيد– تجعل الابتعاد عن التأثر المباشر بسلوك المسيح أمرا محتوما. فالروح القدس هو الذي كان يوحي إلى المسيح، وبالتالي هو الذي يوحي إلى أتباعه مباشرة. فهكذا يستلهم لوقا وأتباعه الوحي مباشرة من الروح القدس، وليس من المسيح ذاته.

أما بولس فإنه يُعد في الأدبيات النصرانية المعاصرة أول من أطر نظريا للنشاط الإرسالي في الديانة النصرانية من خلال نشاطه العملي في هذا المجال، ومن خلال الأدبيات التي تنسب إليه. فنشاط بولس الإرسالي شمل معظم أجزاء الشام كما أنه عَبَرَ البحر الأبيض المتوسط إلى قبرص وروما. وعَبَّرَ عن نظريته التنصيرية في رسائله المشهورة إلى أهل كورنثوس، وغلاطية، وفيلبي، وأفسس وغيرها من الرسائل. لم يؤمن بولس بالمسيح، ولم يصحبه أثناء فترة نشره دعوته في فلسطين، بل كان بولس أثناء حياة المسيح يهوديا، شديد العداوة لأتباع المسيح ومتأصل الخصومة لهم. وفجأة أعلن بولس أن المسيح ظهر له في الطريق، وأخبره بأنه قد عَيَّنه رسولا له، ليقوم بمهمة تبليغ دعوته إلى الناس. وحَوَّل هذا الأمرُ بولسَ من خصم راديكالي للنصارى والنصرانية، إلى متحدث رسمي باسمها ذي سلطة إلهية

يستمدها مباشرة من السيد المسيح- عليه السلام- تخوله العمل وفق الطريقة التي يراها بدون الرجوع إلى مرويات العهد الجديد، أو الأخذ بآراء من عاش مع المسيح، وسمع كلامه، ورأى سيرته.

من هذا العرض لمفهوم التنصير في العهدين القديم والحديث، وأعمال الرسل يتضح أن نصوص هذين العهدين كما يشير الكتاب النصارى المعاصرون- ليست واضحة الدلالة بنشر اليهودية أو النصرانية خارج نطاق بني إسرائيل. فليس في العهد القديم أي إشارة إلى أن إسرائيل، أو أي أحد من أنبياء بني إسرائيل قام بنشر اليهودية بين غير اليهود، أو دعوتهم لاعتناقها. أما بالنسبة إلى مرويات العهد الجديد، فيرى النصارى أن المسيح عيسى- عليه السلام- كان لا يتردد في الحديث إلى اليهود وغير اليهود من سكان فلسطين، إلا أنه لم يضع نشر دعوته في إطار نظري معين. وقد تأثر كُتَّابُ ما يطلق عليه الإنجيل بهوياتهم وخلفياتهم العرقية والثقافية في حديثهم عن نشر النصرانية، وتبليغها إلى الأمم الأخرى. فقد تأثر متى بخلفيته اليهودية، وتمركز مفهومه عن التنصير حول معطيات العهد القديم- التوراة-؛ وذلك لكي يجذب بني إسرائيل إلى معتقده. أما لوقا الذي ينتمي إلى غير اليهود من النصارى، فقد أراد أن يبتعد عن نفوذ العهد القديم وتعاليم اليهودية؛ فتمحورت فكرته عن التنصير حول الروح القدس. وبهذا الإجراء لم يتخلص لوقا من هيمنة التوراة فحسب بل تخلص أيضا من تعاليم السيد المسيح- عليه السلام. فالمنصر- كما يُفهم من إنجيل لوقا- ليس بحاجة إلى أن يرجع إلى الانجيل، بل يستقي أفكاره من الروح القدس الذي ينفث ذلك في روعه مباشرة. أما بولس (الرسول) فقد كون مدرسة مستقلة في مجال التنصير، وذلك من خلال قوله بأنه يتلقى معلوماته مباشرة من السيد المسيح، وأنه ليس بحاجة للرجوع إلى التوراة، أو الإنجيل، أو إلى أحد ممن عاصر المسيح.

٤. ٣. ٢. مفهوم التنصير المعاصر والمؤسسات التنصيرية

كانت الفترة التي تلت حقبة الاستعمار، أو تحديدا ما بعد الحرب العالمية الثانية فترة مراجعة لمفهوم التنصير لدى الكنيسة الغربية بشكل عام. ومنذ أواخر السبعينات وبداية الثمانينات من القرن العشرين، بدأت فكرة التنصير المعاصرة تتأطر في شكل أكثر وضوحا من حيث الفلسفة والهدف والوسيلة، لذا يقول أحد القساوسة "إنه ممكن، بشكل كبير، أن يشهد العالم الحديث بتقدمه إلى القرن الجديد انفجارا تبشيريا ضخما "[١].

ونتيجة لتلك المراجعات، عادت المؤسسات الكنسية الغربية على التأكيد على أنه من حقها، بل ومن واجبها نشر النصرانية في العالم بأجمعه بما فيه العالم الإسلامي. وأصبح موضوع تنصير العالم أحد الأسس التي تقوم عليها المؤسسات الكنسية الغربية سواء الكاثوليكية الرومانية، أم الانجليكانية، أو البروتستنتية، أو الفرق النصرانية الأخرى المنضوية تحت مظلة مجلس الكنائس العالمي في نهاية القرن العشرين وبداية القرن الحادي والعشرين. فقد أكد بابا الفاتيكان يوحنا بولس الثاني أثناء زيارته للهند في ١٩٩٩م على حق الكنيسة الكاثوليكية في مواصلة العمل التنصيري العالمي. وورد في مقالة لهيئة الإذاعة البريطانية القول: "أصر البابا يوحنا بولس الثاني على أن الكنيسة الكاثوليكية لها الحق في مواصلة عملها التبشيري في آسيا". وذكرت المقالة عن البابا قوله أيضا: "إن التبشير المسيحي يبقى أولوية بالنسبة للكنيسة الكاثوليكية في القرن القادم". وقد قال البابا أمام تجمع متعدد الأديان حضره الهندوس والمسلمون والسيخ والبوذيون والزرادشتيون واليهود والبهائيون"أن الواجب الأخلاقي للمسيحيين يدعوهم إلى نشر تعاليم المسيحية" و"إنه ليس من حق أي دولة أو مجموعة أن تسيطر بشكل مباشر، أو غير مباشر على معتقدات الأشخاص الدينية أو تؤثر على حرية الاقتناع بالعقيدة"[٢].

---

[1] Marshall, Michael (1990)، ص ٦.

[2] www.bbc.uk/arabic البابا يلتقي مع الهندوس الغاضبين من حملات التبشير ١٩٩٩/١١/٨م

وكان ممثلون رسميون للفاتيكان قد عقدوا ثلاثة اجتماعات- الأول في فينيس (Venice) في ١٩٧٧م، والثاني في كيمبرج عام ١٩٨٢م، والثالث في Landevennec، في فرنسا عام ١٩٨٤م- مع منصرين ينتمون إلى عدد من الكنائس والمنظمات العالمية؛ لمناقشة هدف الإرسالية النصرانية ودورها. توصلت تلك الاجتماعات إلى أن الإرسالية تعمل على تحقيق الأهداف التالية:

أ. تعزز تألق الرب، فيجب أن تكون الأرض مرآة تعكس تألقه.

ب. تنادي بربوبية عيسى المسيح، فيُدعى كل الرجال والنساء للتسليم بسلطته.

ج. تنادي بأن المسيح قد كافح الشيطان وخلعه من عرشه، وبالتعميد والتحول إلى المسيحية نعلن إنكارنا لدور الشيطان، ونتحول إلى المسيح والحق.

د. تنادي بأن الإنسان لا يعيش بالخبز فقط، فإنجيل الخلاص هو الهدية المثالية لحب الرب الرحيم.

هـ. تنادي بتعجيل عودة المولى... إننا ننظر في يوم المولى حيث يُنجز النظام الطبيعي كاملا، حيث ستملأ الأرض كلها بمعرفة المولى، ويحمد الناس من كل الشعوب والقبائل والألسن رب الثالوث الأقدس حمدا جليلا[1].

كما وضعت الكنيسة الانجليكانية التنصير العالمي ضمن أولوياتها المعاصرة. وقد يعبر كتاب الأسقف مايكل مارشل (Michael Marschall) عن موقف الكنيسة الأنجليكانية الرسمي حول هذا الموضوع؛ حيث خط رئيس أساقفة كانتبري الأسقف جورج كاري (George Carey) مقدمة هذا الكتاب. ويهدف الكتاب إلى مراجعة وضع الكنيسة الانجليكانية الحالي، وتجديد مفاهيمها للانطلاق نحو القرن الحادي والعشرين الميلادي. وتتركز فكرة مايكل مارشل في أن تجديد الكنيسة يعني أيضا تجديد دورها التنصيري. وقد حمَّل مايكل مارشل مسؤولية التنصير كل النصارى، وليس العاملين في الكنيسة فقط، يقول الأسقف

---

[1] Meeking, Basil and Stott, John (1986)، ص ٣٥.

مارشل "يجب أن يكون التجديد جزءا من نداء التبشير. كل أسقفية، وكل أبرشية، وكل مسيحي يجب أن يعمل بازدياد لإنشاء الوجود المسيحي الذي آمنا بأننا ننشده"[1]. وبالطبع فإن الأسقف مايكل مارشل يرى بأن دور الكنيسة التنصيري يجب أن يشمل المسلمين على حد سواء، فيقول: "آخر مرة اتخذت فيه المسيحية موقفا جادا من الإسلام كان في الحروب الصليبية في القرون الوسطى، حيث كان في أيدينا سيف ورمح. وفي هذا الوقت يجب أن نأتي إليهم وإلى الآخرين، ممسوحين بالزيت وباسم رب الخبز المقدس وقوته. أنا لا أنادي بحرب جنونية بين إحدى الأصوليات وأخرى. ولكني أقول بأن الدعوة للفوز بالإسلام من أجل المسيح مضافة إلى جدول الأعمال، إلى جانب الفوز بالقوى العظمى الأخرى التي تعارض في الوقت الحالي ادعاءات المسيح. ببساطة أي فكرة للتبشير العالمي يجب أن تأخذ هذا التحدي بجد"[2].

وفيما يتعلق بمجلس الكنائس العالمي، فقد خرجت المؤتمرات التي عقدها هذا المجلس ابتداء من مؤتمر أمستردام في ١٩٤٨م[3] وإلى مؤتمر ملبورن باستراليا، في ١٩٨٠م بتأكيد حق الكنيسة وواجبها في ممارسة النشاط التنصيري. وورد في تقارير مؤتمرات المجلس في كل من نيودلهي عام ١٩٦١م، ومكسيكوسيتي عام ١٩٦٣م، ونيروبي عام ١٩٧٥م القول: "أُعطي تفويضٌ لكل الكنيسة لحمل الإنجيل بأكمله إلى العالم بأكمله"[4].

وقد يكون مؤتمر كلورادو الشهير الذي عقد في ولاية كلورادو بالولايات المتحدة الأمريكية في ١٩٧٨م بلا ريب من أهم المؤتمرات التي عُنيت بموضوع التنصير في العالم الإسلامي. شارك في هذا المؤتمر ١٥٠ شخصا، وكما جاء في تقرير المؤتمر: "كان الذين دعوا للمشاركة أُتي بهم من مجالات واسعة من المذاهب الكنسية،

---

[1] Marshall, Michael (1990)، ص ١٠.

[2] Marshall, Michael (1990) ص ١١.

[3] Pope-Levison, Priscilla (1998)

[4] Pope-Levison, Priscilla (1991)

والخبرات الإرسالية، والتدريب المتخصص، والعمل التحويلي. وكانوا كلهم مهتمين بتحويل المسلمين. وكانوا يمثلون تنوعا في الأدوار والتخصصات: فقد كان بينهم إداريون لإرساليات، وإرساليون يعملون في الحقول الإرسالية، وأساتذة إرساليات، ومتخصصون بالشؤون الإسلامية، وعلماء أجناس بشرية، ولاهوتيون، وخبراء في وسائل الاتصال والإعلام. إضافة إلى ذلك قد وجه منظمو المؤتمر الدعوة إلى عدد كبير من الرجال والنساء من أعضاء الكنائس المختلفة في الشرق الأوسط وآسيا وأفريقيا. وكان هؤلاء أيضا يمثلون قطاعات متباينة، ويحتلون مراكز مختلفة، بينهم كهنة ولاهوتيون، ومتخصصون بالشؤون الإسلامية، وأشخاص لديهم بعض النشاط في مجال التنصير"[1]. ووُزع المشاركون في المؤتمر إلى مجموعات حسب التخصص من لاهوتيين، ومنصرين، وعلماء أجناس، وخبراء اتصالات، وأساتذة تنصير، ومتخصصين في الشؤون الإسلامية ومديري إرساليات لدراسة أربعين بحثا مقدمة للمؤتمر.

وقد خرج المؤتمرون بتوصيات أهمها:

- إنشاء مؤسسة عالمية تعنى بمقاضاة من يقف في وجه من يريد أن يتحول من الإسلام إلى النصرانية.

- إنشاء مركز رئيسي للموارد والأبحاث بالولايات المتحدة الأمريكية، يتبعه إنشاء مراكز إقليمية مشابهة في العالم الإسلامي، على أن يقوم هذا المركز بدراسة المجتمعات الإسلامية من حيث الحجم، والتوزع، والخصائص النفسية والسكانية. كما يقوم المركز بإقامة علاقات مع مراكز الأبحاث الرئيسة في أرجاء العالم؛ لتطوير علاقة عمل مع الإرساليات العاملة في صفوف المسلمين، ولجمع المعلومات التي تخص موضوع التنصير من مؤسسات الأبحاث، والمعاهد الثقافية التي تقوم حاليا بإعداد الأبحاث المتعلقة بالإرساليات.

---

[1] Glasser, Arthur F. Conference Report in (ed) McCurry, Don M (1970)

• تفعيل دور المجتمعات والجاليات النصرانية المنتشرة في أرجاء العالم الإسلامي، للقيام بالنشاط التنصيري، مع تطوير طرق تنصيرية جديدة أكثر ملاءمة للمسلمين، إلى جانب استخدام الموضوعات القرآنية ذات الصلة في المراحل الأولى للتنصير.

• تطوير الطرق والمواد المناسبة للتنصير خاصة بين غير المتعلمين والنساء بحيث يُجعل للتقاليد السائدة مثل الفصل بين الجنسين، وترأس الرجل في البيت أولوية في الخطاب التنصيري.

• تفعيل دور الكنائس الوطنية للمتحولين من الإسلام إلى النصرانية، بحيث تغير مواقف أولئك المتنصرين من خلال برامج دراسية تعد بعناية، وتطوير أنماط ثقافية تجعل المتنصر يحتفظ بشيء من ثقافته السابقة، إلى جانب ما تتطلبه منه ديانته الجديدة.

• تشجيع الدراسات اللاهوتية التي تعنى بالدراسات المقارنة للمواضيع المشتركة بين الإسلام والنصرانية المؤثرة على مهمة تنصير المسلمين مثل الرب والخلق والأنبياء والمسيح وكلمة الرب والحساب والشيطان والجنة وعودة المسيح ثانية، وأيضا بدراسة المواضيع المثيرة للجدل مثل حاجة الإنسان للخلاص من الخطيئة، وأهمية الصليب، وألم المسيح من أجل التكفير عن خطايا البشر، والثالوث المقدس والتجسد.

• إعداد الدراسات عن المسلمين المنتشرين في أنحاء الولايات المتحدة الأمريكية وكندا والمنصرين العاملين بينهم؛ من أجل التخطيط الإستراتيجي لتنصيرهم[1].

---

[1] Glasser, Arthur F. Conference Report in (ed) McCurry, Don M (1970) The Gospel and Islam: A 1978 Compendium, Monrovia, MARC.

ترجم هذا الكتاب إلى اللغة العربية تحت عنوان "التنصير: خطة لغزو العالم الإسلامي" ونشر عام ١٩٩٤م بدون أن يكتب عليه اسم المترجم أو مكان الناشر أو اسمه، وطبع في دار الحرمين للطباعة، بالقاهرة.

وعلى صعيد الدراسات العلمية، فتضم المجلات الدورية المتداولة على المستوى الأكاديمي- مثلاً- إلى جانب الكتب المنشورة الكثير من الدراسات التي تعنى بتنصير المسلمين والتي يطرحها أكاديميون ومتخصصون في العمل التنصيري بين المسلمين. فعلى سبيل المثال تنشر مجلة "علم الإرسالية: مراجعة عالمية" "Missiology: An International Review" -وهي دورية أكاديمية تصدر كل أربعة اشهر عن "الجمعية الأمريكية للإرسالية" (American Society of Missiology)- ومجلة "المراجعة العالمية للإرسالية" (International Review of Mission)- وهي مجلة أكاديمية يصدرها مجلس الكنائس العالمي من أمستردام كل أربعة أشهر- العديد من الدراسات حول موضوع تنصير المسلمين. وتعنى تلك الدراسات بشكل عام ببحث الطرق التنصيرية المناسبة للمسلمين، إلى جانب وسائل الاحتفاظ بالمسلم بعد تنصره[1].

---

[1] ليس مهما في هذا المقام التطرق إلى تلك الدراسات ومحتوياتها التفصيلية، ولكن كأمثلة يمكن ذكر الدراسات التالية:

Schlorff, Samuel P. (1993) Muslim Ideology and Christian Apologetics, Missionlogy: An International Review, Vol. XXI, No. 2, pp 173- 185.

Joder, Jason J. (1994) The Trinity and Christian Witness to Muslims, Missiology: An International Review, Vol. XXII, No. 3, pp. 339- 346.

Cockerill, Gareth Lee (1994) To the Hebrews/To the Muslims: Islamic Pilgrimage as a Key to Interpretation, Missiology: An International Review, Vol. XXII, No. 3, pp. 346- 359.

Woodberry, J. Dudley (2000) Missiological Issues in the Encounter with Emerging Islam, Missiology: An International Review, Vol. XXIII, No. 1, pp. 19- 34.

Gilliland, Deans S (2000) Modeling the Incarnation for Muslim People: A Response to Sam Schlorff, Missiology: An International Review, Vol. XXVIII, No. 3, pp. 329- 338.

Musk, Bill (1988) Dreams and the Ordinary Muslims, Missiology: An International Review, Vol. XVI, No. 2, pp. 163- 171.

Brislen, Mike (1996) A Model for a Muslim-Culture Church, Missiology: An International Review, Vol. XXIV, No. 3, pp. 355- 368.

Shenk, Calvin (1993) The Demise of the Church in North African and Nubia and Its Survival in Egypt and Ethiopia: A Question of Contextualization?, Missiology: An International Review, Vol. XXI, No. 2, pp. 131- 155.

Schlorff, Sam (2000) The Translational Model for Mission in Resistant Muslim Society: A Critique and an Alternative, Missiology: An International Review, Vol. XXVIII, No. 3, pp. 305- 328.

لأجل ذلك لا تزال الكثير من المؤسسات التنصيرية الغربية تعمل بنشاط في الوسط الإسلامي الذي يُعد لديها أحد أكثر أقطار العالم حاجة إلى المنصرين، حيث- حسب إحصائيات المنصرين- ٨٠٪ من المسلمين لم يسمعوا الإنجيل. لذا يوجد عدد من الإرساليين النصارى يعملون في الدول الإسلامية[1]. وقد بدأت عدد من دول العالم الثالث تشارك الدول الغربية في إنشاء الإرساليات، وإرسال المنصرين. فتوجد خمس من دول العالم الثالث في قائمة أكثر أربع وعشرين دولة إرسالا للإرساليين. وتتصدر هذه القائمة الولايات المتحدة الأمريكية- انظر الجدول التالي. ففي ١٩٨٨م كان عدد الإرساليين البروتستنت الذين بعثوا من دول العالم الثالث يفوق ٣٦,٠٠٠ للإرساليين. وتأتي الهند في مقدمة أكثر عشر دول من تلك الدول إرسالا للمنصرين حيث بلغ عدد إرسالييها حسب إحصائية عام ١٩٨٨م ٨٩٠٥ إرسالي تأتي بعدها نيجيريا وزائير وبورما وكينيا والبرازيل والفليبين وغانا وزيمبابوي وكوريا. وقد سجلت الإحصائيات في بداية ١٩٨٠م وجود ٤٦٢ وكالة نشطة لإرسال المنصرين نشأت في دول العالم الثالث، وهذا الرقم يسجل زيادة بنسبة ٨١,٢٨٪ عن عدد الإرساليات في ١٩٧١م التي كانت ٢٠٣ وكالة فقط[2].

الدولة	الرتبة	الدولة	الرتبة
المكسيك	١٣	الولايات المتحدة الأمريكية	١
بوليفيا	١٤	أسبانيا	٢
البرتغال	١٥	إيطاليا	٣
كولومبيا	١٦	فرنسا	٤

Kerr, David (2000) Islamic Da'wa and Christian Mission: Towards a Comparative Analysis, International Review of Mission, Vol. LXXXIX, No. 353, pp 150-172.

[1] يوجد ما يقارب من ٤٥٣٠٠ إرسالي نصراني منتشرين في قارات العالم الست. وتوجد ١٠٠ دولة من الدول التي يعد ٦٢٪ من سكانها نصارى تبعث إرساليين.

[2] Keyes, Lawrence E. (1983)

الفليبين	١٧	ألمانيا	٥
جنوب إفريقيا	١٨	كندا	٦
سويزرلاند	١٩	نذرلاند	٧
نيوزيلاند	٢٠	بريطانيا	٨
السويد	٢١	بلغاريا	٩
النمسا	٢٢	البرازيل	١٠
بولندا	٢٣	استراليا	١١
النرويج	٢٤	ايرلندا	١٢

جدول 1: أكثر أربع وعشرون دولة إرسالا للإرساليين، مرتبة حسب الدرجة[١].

والمنصرون بشكل عام- كما يقول أحد كُتَّاب النصرانية- "لا يمثلون معهداً محدداً بل هم حركة غير متبلورة يتفق الجميع على وجودها تحديدا في كل أعراف الكنيسة المسيحية العالمية. وبلغة الأعداد فإن وكالات الإرساليات التبشيرية هائلة ونامية، وإرساليوها الموظفون يفوق عددهم عدد الموظفين العاملين في الوكالات المجلسية[٢](Conciliar Agencies). وعددٌ من الإرساليين التبشيريين أعضاء فعليون في طوائف تابعة لمجلس الكنائس العالمي (WCC)، لكنهم وجدوا بأنه أكثر ملائمة لهم أن يعملوا مع وكالات مستقلة عن القيود الطائفية. وأعداد كبيرة أخرى تعمل في وكالات نمت بعيدا عن حياة الطوائف التبشيرية. ولا يزال آخرون يخدمون في وكالات عالمية ومستقلة"[٣].

---

[1] Siewert, John A. and Kenyon, John A. (1993)، ص ١٣.

[2] الوكالات المجلسية هي مؤسسات إرسالية لا توظف إرساليين مهنتهم الأساسية التنصير، ولكن تقوم بإرسال أفراد متخصصين في مجالات علمية محددة كالتقنيين ؛ لتقدم خدماتها للمحتاجين في دول العالم المختلفة.

[3] Glasser, arthur F. "Evanglical Missions", in (ed) Philips, James and Coote, Robert T. (1993)، ص ١٠.

وإلى جانب الكنيسة الكاثوليكية الرومانية، والكنيسة الانجليكانية، ومجلس الكنائس العالمي توجد عدة مؤسسات تنصيرية أخرى تبعث بمنصرين للعمل في أماكن مختلفة من العالم. فقد أُسست في أمريكا الشمالية في ١٩١٧م ما سمي "جمعية الإرسالية الخارجية الدولية" (International Foreign Mission Association). ضمت هذه الجمعية المنصرين المستقلين في تفكيرهم الروحي، وفهمهم للمصادر التاريخية- التوراة والإنجيل- عن تأثير المؤسسات الكنسية التقليدية كالكاثوليكية، والأرثوذكسية، والبروتستنتية مثلا. وتتكون هذه الجمعية الآن مما يزيد عن مائة وكالة كندية وأمريكية يعمل لصالحها أكثر من ثمانية آلاف إرسالي، إلى جانب ثلاثة آلاف إرسالي من دول أخرى غير كندا والولايات المتحدة[1].

وأسس في ١٩٤٥م ما يسمى "الزمالة التبشيرية للوكالات الإرسالية" (Evangelical Fellowship of Mission Agencies). وفي الوقت الحالي تضم هذه المؤسسة أكثر من تسعة آلاف إرسالي، منهم أكثر من ثلاثة آلاف مبشر من خارج أمريكا الشمالية. وتزداد هذه الوكالة نموا في عدد إرساليها، وعدد منظماتها الإرسالية. وبدأت هذه المنظمة ابتداء من ١٩٥٧م التعاون مع "جمعية الإرسالية الخارجية الدولية"، وقد يشهد المستقبل اندماج هاتين المؤسستين لتصبحا مؤسسة واحدة[2].

وتأسست في ١٩٨٥م أيضا "الجمعية العالمية للخدمات الكنسية" (Association of International Mission Service) التي تهدف إلى دعم التنصير العالمي عن طريق عشرات الآلاف من الكنائس، والوكالات الكنسية، والمعاهد التدريبية التي تأسست في أمريكا الشمالية خلال الثلاثين سنة الماضية.

---

[1] Glasser, arthur F. Evanglical Missions, in (ed) Philips, James and Coote, Robert T. (1993)

[2] Glasser, arthur F. Evanglical Missions, in (ed) Philips, James and Coote, Robert T. (1993)

ويقدر عدد تلك الكنائس في الولايات المتحدة الأمريكية نفسها بين سبعين ألف إلى مائة ألف. وقد انضمت إلى هذه المؤسسة أكثر من ألفي وكالة أصبحت تضم الآن آلاف المنصرين. وقد لاقت هذه المؤسسة الدعم من كل من "الزمالة التبشيرية للوكالات الإرسالية"، و"جمعية الإرسالية الخارجية الدولية"[1].

وإلى جانب ذلك يوجد عدد آخر من الإرساليات التي بقيت مستقلة في نشاطها عن المؤسسات السابقة. فما يعرف بـ "الإرساليات المسيحية في عدد من الأراضي" (Christian Missions in Many Lands) والتي تأسست في ١٩٢١م تعمل كهمزة وصل بين أكثر من ١٢٠٠ إرسالي يعملون في الحقول الإرسالية، ومئات الجماعات المنتمية إلى إخوان بليموث (Plymouth Brothern) في أمريكا وكندا. وتعمل بالطريقة نفسها مجموعة أخرى تسمى "مجلس ميسوري لكنيسة لوثران" (Lutheran Church Missouri synod) حيث يقدم هذا المجلس الذي أسس في عام ١٨٩٣م الخدمة لثلاثمائة وعشرة إرسالي يعملون في تسع عشر دولة[2].

وتقدم ما عرفت باسم "جماعة المعمدين الجنوبيين" (Southern Baptist Convention) الخدمة لثلاثة آلاف وتسعمائة إرسالي يعملون في مائة وثلاث عشرة دولة. كما تعمل على المنوال نفسه مجموعة تسمى "مترجم إنجيل ويكليف الدولية" (Wycliffe Bible Translator International) بالتعاون مع مجموعة أخرى تسمى "المعهد الصيفي للغويات" (The Summer Institute of Linguistics). فلدى هذه المجموعة في الوقت المعاصر ستة آلاف عضو يعملون في أكثر من خمس وخمسين دولة[3].

---

[1] Glasser, arthur F. Evanglical Missions, in (ed) Philips, James and Coote, Robert T. (1993)

[2] Glasser, arthur F. Evanglical Missions, in (ed) Philips, James and Coote, Robert T. (1993)

[3] Glasser, arthur F. Evanglical Missions, in (ed) Philips, James and Coote, Robert T. (1993)

وقد بدأت تظهر منذ فترة جماعات إرسالية لا تنتمي إلى دولة أو مجتمع واحد، بل تتكون من أعضاء ينتمون إلى عدة دول. وتأتي جماعة "شباب ذو إرسالية (Youth with a Mission) تحت هذا الصنف. فيتكون أعضاؤها الدائمون من سبعة آلاف عضو من مختلف أصقاع العالم. ومن هذا القبيل أيضا ما يسمى "المخيم الحربي من أجل المسيح، العالمية" (Campus Crusade for Christ International) التي أصبحت تضم في ١٩٨٩م ستة عشر ألف موظف ومتطوع يعملون في كثير من الدول، منهم أربعة آلاف في الولايات المتحدة الأمريكية[1].

وفي ١٩٧٢م تأسس ما أطلق عليها "زمالة الإرساليات" (Fellowship of Missions) وهي عدد من المجموعات التبشيرية الأصولية[2] المستقلة. وقد انفصلت هذه المجموعات عن مؤسسة تعرف بـ الإرساليات المتزاملة (Associated Missions) التي أنشئت في ١٩٤٨م. وفي الوقت المعاصر تخدم هذه المؤسسة

---

[1] Glasser, arthur F. Evanglical Missions, in (ed) Philips, James and Coote, Robert T. (1993)

[2] تدعم المؤسسات النصرانية الأصولية البروتستنتية في الولايات المتحدة الأمريكية شبكة كبيرة من المنصرين الأصوليين الذين يعملون على بث الفكر الأصولي النصراني في كل أصقاع العالم، ابتداء من المدن المكتظة في الولايات المتحدة إلى أكواخ الصفيح في أمريكا الوسطى والجنوبية، وسكان الأدغال في أفريقيا، وسكان القرى في آسيا. وإلى جانب السبب الديني الذي يستمدونه من كتابهم المقدس، فلرؤية (النصارى) الأمريكان لثقافتهم بأنها الثقافة المهيمنة عالميا دور كبير في تكوين النزعة نحو نشر الثقافة الأمريكية وفرضها عالميا. وكان للقدرات المالية والتكنولوجية والعسكرية للولايات المتحدة الأمريكية أثر بالغ في دعم نشاط جماعات التنصير الأمريكانية. فعلى سبيل المثال، دشن الأمريكي بات روبرتسون (Pat Robertson) في عام ١٩٩٠م برنامجا تلفازيا يعد في استوديوهات الشبكة الإذاعية المسيحية "Christian Broadcasting Network" في فرجينيا بالولايات المتحدة الأمريكية، وتبث مادته من تلفزيون جواتيمالا مستهدفا كل أمريكا الجنوبية. وأثناء فترة الحروب التي اجتاحت أمريكا الوسطى في فترة الثمانينات من القرن المنصرم كان هناك عدد كبير من الإرساليين الأمريكان يعملون وسط مجموعات الكونترا في نيكاراجوا، والعسكريين في السلفادور والهندوراس وجواتيمالا من أجل أهداف دينية، ولخدمة المصالح والنفوذ العسكري والسياسي الأمريكي. وتمكن الأصوليون الأمريكان من تكوين بؤر أصولية في بعض البقاع من العالم. ففي كوريا الجنوبية– على سبيل المثال– صرح أحد القساوسة الأصوليين ويدعى موون "Moon" 'أن كوريا هي أرض المسيح'، وتبعه في ادعائه مجموعة من القساوسة الآخرين الذين عدوا كوريا 'الأرض المقدسة في الشرق التي تشارك الولايات المتحدة الأمريكية تنصير الشرق، بل قد يفوق دورها دور الولايات المتحدة الأمريكية في آسيا'، بل وقال بعضهم 'بأن الأمريكان هم الجيل الذي بذر البذور، والكوريون هم الذين حصدوا الثمار'

Brouwer, Gifford and Rose (1996)

الأصولية أكثر من ثلاثة آلاف إرسالي يعملون في اثنين وخمسين دولة، وينتمون إلى ثلاث عشرة جمعية[1].

ولا تزال الحركات الأصولية النصرانية تستهدف المسلمين بأنشطتها التنصيرية، وقد حددت هويتها بأنها ضد الإسلام. كما أعادت الأصولية النصرانية الحديثة تعريف العولمة لمصالحها الخاصة، وهي غزو العالم وتوحيده من خلال التنصير، وتنظر إلى الإسلام أنه أعظم دين معادٍ لها[2].

وورد إعلان يحث على تنصير المسلمين نشرته إحدى المجموعات الأصولية تسمي نفسها فرونتير (Frontier)- وهي حركة نصرانية صغيرة أمريكية الجنسية تقوم برعاية مائتي منصر يعملون بشكلٍ مستمر في الدول الإسلامية- في مجلة "المسيحية العالمية" (World Christian) عدد نوفمبر ديسمبر ١٩٩٣م. جاء نص الإعلان بما يلي:

"في الوقت الذي تستغرقه في قراءة هذا الإعلان يكون اثنا عشر من المسلمين قد ماتوا، وذهبوا إلى الجحيم، لكن حينئذ من يهتم؟ فرونتير، تعلن تألق المسيح بين المسلمين"[3]..

كما برزت في مجال تنصير المسلمين ما تسمى "بالصهيونية المسيحية" (Christian Zionism). والصهيونية المسيحية حركة معاصرة هدفها مساندة الصهيونية اليهودية التي اتخذت من فلسطين المحتلة - ما يسمى "بدولة إسرائيل" كيانا لها. تستمد هذه الحركة النصرانية الأصولية فكرها من النبوءات الواردة في الكتاب المقدس مثل متى ١٤:٢٤ حيث جاء فيه أن فلسطين هي الأرض

---

[1] Glasser, arthur F. Evanglical Missions, in (ed) Philips, James and Coote, Robert T. (1993)

[2] Brouwer, Gifford and Rose (1996)، ص ٢١٢.

[3] Brouwer, Gifford and Rose (1996)، ص ١٧٥.

التي سيعود إليها المسيح – عليه السلام- قبل نهاية العالم حيث ستسود النصرانية كل الأرض[1].

عملت الصهيونية النصرانية في الولايات المتحدة على توفير الغطاء الديني لاهتمام الولايات المتحدة الأمريكية بدولة الصهاينة اليهود في فلسطين المحتلة. وقد صاحب ذلك الاهتمام دعم سياسي ومالي وعسكري. وبالغ الأصوليون النصارى في الدفاع عن الكيان الصهيوني في فلسطين المحتلة، حيث قال سياسي الأصولية النصرانية الأمريكية جيري فالول (Jerry Falwell) "كل من يقف ضد إسرائيل، فإنه يقف ضد الرب"، وقال لستر سمرول (Lester Sumrall) "سيبارك الرب الذين يباركون إسرائيل، لكنه سيذل أولئك الذين يؤذون اليهود". بل ذهب لستر سمرول إلى القول أن امتناع الولايات المتحدة الأمريكية عن مساندة بريطانيا وفرنسا وإسرائيل في الهجوم على السويس في ١٩٥٦م، هو السبب في انحدارها وخسرانها للحربين الفيتنامية والكورية، وانحلال المجتمع الأمريكي، وانتشار العنف والمخدرات والرذائل الجنسية والطلاق فيه[2].

ولما كان المسلمون هم العدو الرئيس للكيان الصهيوني اليهودي في فلسطين المحتلة، كان عداء الصهاينة النصارى للمسلمين شديداً للغاية. وخير مثال على ذلك ما حدث في ليبيريا – الدولة الأفريقية. فقد كانت العلاقة بين المسلمين والنصارى الليبيريين تتسم (لسبب أو لآخر) بالهدوء وحسن التعامل. وعندما وجهت الحركة الصهيونية النصرانية الأمريكية أنشطتها التنصيرية إلى ليبيريا استهدفت المسلمين بعدائها؛ مما أخل بالعلاقة السلمية التي كانت سائدة بين المسلمين والنصارى الليبيريين، وأدخل ليبيريا في فوضى الصراع الطائفي بين سكانها النصارى والمسلمين. وعندما صرح رئيس الأساقفة الكاثوليك الليبيري مايكل فرانسس (Michael Frances) "بأنهم- النصارى والمسلمين- يعبدون الرب

---

[1] Brouwer, Gifford and Rose (1996) p 175، ص ١٧٥.

[2] Brouwer, Gifford and Rose (1996)، ص ١٧٥.

نفسه" في محاولة منه لتقريب وجهات النظر بين النصارى والمسلمين، ثارت ضده بعض الكنائس غير الرئيسة مدعومة بالمنصرين الأمريكان، معتبرين موقف مايكل فرانسس إنكاراً لأساسيات الديانة النصرانية[1].

وفيما يتعلق بالنشاط التنصيري في الدول الإسلامية، ورد في خبر نشرته هيئة الإذاعة البريطانية بتاريخ ٢١ مارس ٢٠٠١م، وأعادت نشره بتاريخ ١٠ أبريل ٢٠٠١م نقلا عن صحيفة جلف نيوز الإماراتية التي تصدر باللغة الإنجليزية، أن شرطة دبي قد ألقت القبض على ثلاثة منصرين أمريكيين تتراوح أعمارهم بين السادسة والعشرين والثلاثين؛ لقيامهم بتوزيع مواد تدعو إلى اعتناق الديانة النصرانية. واشتملت المواد التي قام بتوزيعها المنصرون على المارة في شارع الرقة في منطقة ديرة بدبي على كتب وأقراص مدمجة، كما عثرت الشرطة إثر مداهمة مقر إقامة الأمريكيين الثلاثة على ألف ومائتي قرص مدمج أخرى.

وجاء في تقرير مراسلة هيئة الإذاعة البريطانية في دبي جوليا ويلر- تعليقا على تلك الحادثة- "ويعتقد أنهم [المنصرين] تطوعوا بالسفر إلى دبي، من خلال جماعة مسيحية متشددة تتخذ من ولاية أريزونا الأمريكية مقرا لها، وتهدف إلى تحويل المسلمين إلى المسيحية. وكانت الجماعة قد نشرت إعلانا تطلب مرشحين للعمل كمبشرين، وتطلب منهم أن يتحملوا جزءا من تكاليف أسفارهم. ولم يذكر الإعلان الذي جاء بالمبشرين إلى دبي الدول الشرق أوسطية التي يريد من المتقدمين السفر إليها، لكنها شجعت المتقدمين للمهمة على الانضمام إلى فريق صغير؛ لنشر مواد هامة، وتكوين صداقات على حد قول الإعلان. ووصف الإعلان البلد التي ستكون موقعا للمهمة، بأنه بلد لديه وسائل ضئيلة للوصول إلى البشارة. وطُلِب من كل متقدم للمهمة أن يدفع ثلاثة آلاف ومائتي دولار أمريكي؛ ليذهب في المهمة التبشيرية التي تستغرق أسبوعين في الإمارات".

---

[1] Brouwer, Gifford and Rose (1996)، ص ١٧٥.

وفي ١٩٩٠م قامت ثلاث مؤسسات تنصيرية وهي "سيف الرسل الروحانيين" (Sword of the Spirit Ministries) في أبادان (Ibadan) بنيجيريا، و"معبد لندن كنجتون" (London"s Kingston Temple)، و"كنائس إليم بنتكوستال (Elim Pentecostal Churches) السكوتلندية، بحملة تنصيرية لمدة خمسة أيام في مدينة سوكوتو (sokoto) التي تعد أهم تجمع إسلامي في نيجيريا، وعبروا عن حملتهم بأنها "موجهة لتحطيم معاقل العدو [أي المسلمين]، ومخادعهم في سوكوتو"[١].

وقد وَضعتْ بعض المؤسسات التنصيرية عمان في إطار اهتماماتها. ومن بين تلك الجمعيات- على سبيل المثال لا الحصر- جمعية تطلق على نفسها "كنيسة بيت لحم المعمدانية" (Bethlehem Baptist Church) تأسست في ١٨٧١م، ومقرها مدينة منيابولس (Minneapolis) بالولايات المتحدة الأمريكية، ولها عدد من الإرساليات المحلية والعالمية، منها إرسالية تعمل وسط قبائل المانيكا المسلمة في غينيا[٢]. فقد قام رئيس قساوسة هذه الكنيسة الدكتور جون بايبر (Dr. John Piper) في مقالة له بتوجيه دعوة إلى الكنيسة بإرسال منصرين إلى عمان، مدعيا بأنها حقل تنصيري مفتوح. فقد قال في معرض حديثه عن عمان: "خذوا على سبيل المثال سلطنة عمان. إنها دولة صغيرة (١,٢ مليون نسمة) على مدخل الخليج الفارسي. إن دين الدولة هو الإسلام الإباضي. ويقدر باترك جونستون (Patrick Johnstone) وجود ٤٠ مسيحيا وطنيا في مجموعتين صغيرتين تتحدثان العربية. وقد تلقيت في هذا الصيف رسالة من روث سيمنس (Ruth Siemens) عن الفرص المتاحة في عمان. وروث هي مديرة "الفرص العالمية" (Global Opportunities)

---

[1] Brouwer, Gifford and Rose (1996)، ص ١٧٥.
صاحب هذه الحملة صدور كتاب في نيجيريا بعنوان "Who is this Allah?" 'من هو الله هذا؟" لكاتب نصراني يدعى جي موشاي (G. Moshay)، ادعى فيه بأن الله إنما هو شيطان- تعالى الله عما يقول الكافرون علوا كبيرا- وادعى الكاتب أيضا أن كل البلاد الإسلامية يسيطر عليها شيطان في صورة دين كاذب Moshay , G (1990) Who is this Allah, Ibadan, Fireliners International.

[2] www.bbcmpls.org/index.html

في باسيدينا (Pasadena)، كاليفورنيا. قالت إنه منذ اثني عشر عاما كان لبس النظارات في عمان أمرا مخالفا للقانون. إلى تلك الدرجة كانوا ضد الغرب... والآن استمعوا إلى هذه الفقرة عن فرص صانعي الخيام (tentmakers) [١] في هذه الدولة التي تسمى منغلقة. إنني أكتب إليك لأنه لدينا حاليا أكثر من ١,١٠٠ فرصة جيدة الأجر لكي نشغلها في هذا الخريف والربيع القادم. وكنا سنكون سعداء لو وجدت عشر فرص فقط. إن الرب لم يفتح أمامنا بابا فقط وإنما بابا كبيرا. لقد أحدث الرب شقا في الجدار! يجب علينا أن نؤمن أن هذه هي لحظة الرب للمسيحيين؛ ليدخلوا هذه البلد بالإنجيل! (الرسالة مؤرخة يونيو ١٩٨٨م)"[٢].

ومن بين المجموعات التنصيرية التي وَضعتْ عمان ضمن اهتماماتها أيضا، مجموعة تطلق على نفسها "الاهتمام العالمي بالمسيحيين" (International Christian Concern) ومقرها الرئيس واشنطن بالولايات المتحدة الأمريكية. وظيفة هذه المجموعة- كما تّدعي- هو الدفاع عن النصارى المضطهدين في أنحاء العالم المختلفة. وتَعدّ هذه المجموعةُ عمانَ إحدى الدول التي يُضطهدُ فيها النصارى. فتدعي بأن النصارى لا يسمح لهم بممارسة شعائرهم الدينية بحرية في عمان، وأن العائلات العمانية لا تسمح للخادمات النصرانيات التي تعمل لديها بالذهاب إلى الكنيسة[٣].

---

[1] صانعوا الخيام (tentmaker) مصطلح يطلق على أفراد من النصارى يعملون في مجتمع لا تكون النصرانية هي الدين الرئيس فيه، بحيث لا توجد كنائس، ولا مجتمع نصراني. ويعمل أولئك الأفراد في وظائف غير مرتبطة بالعمل الكنسي أو التنصيري البحت، ولا يدعمون من قبل مؤسسات تنصيرية، بل تكون وظائفهم هي مصدر دخلهم الرئيس، إلا أن تلك الوظيفة ليست هي السبب الذي من أجله جاءوا إلى تلك البلد بل إن هدفهم الأساس هو نشر النصرانية بين أهلها. ويعود أصل استخدام هذا المصطلح في النصرانية إلى زمن بولس الرسول. فيرى النصارى أن بولس قد رحل في المملكة الرومانية لمدة عشرين سنة ناشرا النصرانية ومنشئا للكنائس في أماكن لم تصلها النصرانية بعد. وفي كل ذلك كان لا يطلب من المجتمع النصراني أن يمول مشاريعه وجولاته بالرغم من أنه كان يرى بأنه واجب على النصارى والكنيسة تمويل الإرسالي في مهمته. ولكي يكسب دخلا تنقل مع اثنين من صانعي الخيام هم أوكيلا Aquilla وبريسيلا Priscilla. فكانوا إذا احتاجوا إلى أموال قاموا بصناعة الخيام وإصلاحها وبيعها وإذا توفرت عندهم الأموال توقفوا عن العمل، وتوجهوا إلى التنصير.
http://www.soundofgrace.com/piper88/pipe0029.htm

[2] http://www.soundofgrace.com/piper88/pipe0029.htm

[3] http://www.persecution.org/humanrights/oman.html

ومن تلك المجموعات التنصيرية أيضا حركة تسمي نفسها "حركة عام ألفين وما بعده" (AD 2000 and Beyond Movement)، وهي شبكه عالمية غير رسمية تجمع عدداً من الوكالات التنصيرية والكنائس والأفراد، هدفها الأساس تنسيق العملية التنصيرية بين- من تسميهم- أكثر الناس الذين لم يصلهم الإنجيل. وترفع هذه الحركة شعار "كنيسة لكل الناس، وإنجيل لكل إنسان مع عام ٢٠٠٠م". وحسب تصنيف هذه الحركة، فإن أكثر الناس الذين لم ينصروا يقعون بين خط ١٠ شمال و٤٠ شمال خط الاستواء، ويطلقون على هذه المنطقة "النافذة ١٠/٤٠". ويعتبرون عمان إحدى الدول الواقعة في إطار هذه النافذة[1].

٤. ٣. ٣. ملخص

التنصير مفهوم ديناميكي قابل للتكيف وفق الظروف التي تحيط به، كما يفهم من مصادره التاريخية: العهد القديم والعهد الجديد، وأعمال الرسل. وقد أعادت الكنائس الغربية مراجعة مفهوم التنصير بعد انتهاء فترة الاستعمار التي فشلت خلالها الحملة التنصيرية في عدد من الأماكن، منها العالم الإسلامي بشكل عام. ونتيجة لتلك المراجعة عادت الكنائس الغربية على كافة المستويات- الفاتيكان، ومجلس الكنائس العالمي، والكنيسة الأنجليكانية- على التأكيد وبشكل رسمي على حقها وواجبها في تنصير العالم. فأصبح التنصير العالمي هو أحد أهداف الفرق النصرانية المعاصرة. ولا تستثني النصرانية الإسلام من هذا المشروع في الوقت الذي ترفع فيه شعار حوار الأديان، أو تحديدا "حوار المسيحية والإسلام". ولتحقيق الهدف التنصيري توجد في الغرب الآن الكثير من الكنائس والمؤسسات والوكالات التنصيرية التي تهدف إلى نشر النصرانية في كل مكان في العالم، والتي يعمل في صفوفها عشرات الآلاف من المنصرين. وبعض هذه الوكالات رسمي ينتمي إلى المؤسسات النصرانية المعروفة كالفاتيكان، ومجلس الكنائس العالمي، وبعضها

[1] www.ad200.org/index.htm

الآخر ليس رسميا، ولا يقع تحت سيطرة المؤسسات المركزية. كما برزت في الغرب العديد من الحركات النصرانية المتطرفة مثل "الأصولية المسيحية" والصهيونية المسيحية" التي تكن عداوة شديدة للإسلام وتحاول تنصير المسلمين بأي ثمن. وبدأت العديد من دول العالم الثالث مشاركة الغرب في تدشين الإرساليات التنصيرية، وإرسال المنصرين على مستوى العالم. وقد أدى وجود أولئك المنصرين إلى إثارة الصراعات الأهلية في بعض الدول كما هو الحال في سيراليون- الدولة الإفريقية. وما انفكت بعض تلك المؤسسات التنصيرية تنظر إلى عمان على أنها أحد الأهداف التنصيرية، وحقل تنصيري واعد كما هو الحال على سبيل المثال مع "كنيسة بيت لحم المعمدانية" (Bethlehem Baptist Church)، و"الاهتمام العالمي بالمسيحيين" (International Christian Concern)، و"حركة عام ألفين وما بعده" (AD 2000 and Beyond Movement).

الخاتمة

وصل مسقط في ١٢٢٦هـ/١٨١١م الأسقف الانجليكاني هنري مارتن (Henry Martyn) قادما من الهند في زيارة قصيرة عدها المنصرون الذين جاءوا من بعده ريادية وشجاعة. إلا أن نشاط المؤسسات التنصيرية الغربية في عمان لم يبدأ فعلياً إلا في بداية القرن الرابع عشر الهجري/نهاية القرن التاسع عشر الميلادي. وكان الجنرال فليكس هيج (Felix T. Haig) ضابط البحرية البريطانية أول النصارى الغربيين المتحمسين إلى تنصير عمان وشبه الجزيرة العربية. فقد نشر في ١٣٠٢هـ/١٨٨٥م مقالا يدعو فيه الكنائس الغربية إلى القيام بعمل تنصيري في شبه الجزيرة العربية. وبعد ذلك كلفته "الجمعية الإرسالية الكنسية" (Church Mission Society) الإنجليزية القيام بجولة استكشافية في شبه الجزيرة العربية للتعرف على الفرص التنصيرية السانحة فيها. وقد زار الجنرال هيج في جولته التي قام بها بين ٣-١٣٠٤هـ/٨٦-١٨٨٧م، عمان ووصل إلى مدينة سمائل. ورفع إثر تلك الجولة تقريرا مشجعا للنشاط التنصيري في المنطقة. وبعد تقريري الجنرال هيج، بعث في ١٣٠٥هـ/١٨٨٨م الأسقف الإكزندر ماكاي(Alexander Mackay) أحد المنصرين الإنجليز الذين يعملون في أوغندا نداء يطالب فيه الكنائس الغربية بالشروع المباشر والفوري في نشاط تنصيري بعمان.

لاقى تقريرا الجنرال هيج ونداء السيد ماكاي صدى لدى المنصرين في كل من بريطانيا والولايات المتحدة الأمريكية. فأُنشئت في بريطانيا "إرسالية كيث فالكنور" (Ion Keith Falconer) السكوتلندية التي افتتحت مركزها التنصيري في عدن في ١٣٠٣هـ/١٨٨٦م. وفي جمادى الأولى ١٣٠٨هـ/٨ فبراير ١٨٩١م وصل مسقط الأسقف الإنجليزي توماس فالبي فرنش (Thomas Valpy French) في مبادرة واستجابة فردية إلى النداء التنصيري انتهت بموته بعد خمسة أشهر تقريبا من وصوله. أما في أمريكا فقد أنشأ طلاب "كلية برنسويك اللاهوتية" (Brunswick

(Theological Seminary، صامويل زويمر (Samuel M. Zwemer)، وجيمس كانتاين (James Cantine)، وفيليب تي فلبس (Philip T. Philips)، وتحت إشراف البروفسر لانسنج (Lansing) وتوجيهه في ذي الحجة ١٣٠٦هـ/أغسطس ١٨٨٩م ما أطلقوا عليه رسميا "الإرسالية العربية" (Arabian Mission) التي هدفت غمر سائر الجزيرة العربية بالمنصرين. وأنشأت الإرسالية العربية على يد القسيس بتر زويمر في مسقط في جمادى الأولى ١٣١١هـ/نوفمبر ١٨٩٣م مركزها التنصيري الثالث في الخليج العربي.

وقد حدد المنصرون هدفهم في عمان بإخراج المجتمع العماني بأكمله إخراجا كاملا من الإسلام إلى النصرانية، وإنشاء كنيسة محلية مركزها الرئيس في مطرح، ولها عدد من الفروع في المدن والقرى الأخرى. وبعد أن تقوى شوكة هذه الكنيسة تتولى مقاليد الحكم في عمان، ويتم العمل في مؤسسات الدولة بمشرعات الديانة النصرانية. ولسنا بحاجة إلى القول بأنه بمثل هذه الأهداف التنصيرية- السياسية أدخل المنصرون كثيراً من الدول في دوامات من الصراع والحروب الأهلية على السلطة، والتي يبرز بشكل ملاحظ للغاية دور الكنائس المحلية والإرساليات الغربية في تأجيجها.

وذكر المنصرون عدداً من الأسباب التي شجعتهم على اختيار عمان لتكون حقلا لنشاطهم التنصيري، والبقاء فيها لعدة عقود. ويأتي النفوذ البريطاني القوي في مسقط في مقدمة تلك الأسباب. إلا أن ذلك النفوذ الذي تعامل مع عمان على أنها دولة منافسة له في مياه الخليج والمحيط الهندي فعمل على تحطيم قوتها الاقتصادية والعسكرية، وتفكيك بنيتها من خلال فصل زنجبار عن عمان، وتقييدها بعدد من المعاهدات التي منعتها من إقامة علاقات مع الدول الأجنبية لم يسمح للمنصرين الأمريكيين العمل في عمان إلا في إطار يحفظ له السيطرة الكاملة على الساحة، ولا يدع مجالاً لأي جهة تنافسه النفوذ في البلد.

وأيضا من الأسباب المشجعة على التنصير التي ذكرها المنصرون، عدم ممانعة حكومة مسقط لوجودهم على الأرض العمانية. وفي واقع الأمر أن حكومة مسقط لم تكن راضية عن وجود الإرسالية التنصيرية على أرضها، إلا أنها كانت من الضعف بحيث لم تستطع منع المنصرين المستظلين بالحماية الدبلوماسية لدولهم من البقاء في عمان، وممارسة أنشطتهم. ويبدو ذلك واضحا من التصعيد الدبلوماسي بين السلطان فيصل والقنصل الأمريكي في مسقط الذي صاحب إنشاء الطبيب المنصر شارون تومس مستشفى تنصيريا للإرسالية في مطرح في ١٣٢٧هـ/١٩٠٩م.

ومن الأسباب الأخرى التي ذكرها المنصرون، عدم وجود معارضة أهلية لوجودهم في عمان، مما سهل عليهم - حسبما يدعون - أداء نشاطهم التنصيري من توزيع للأدب النصراني، والقيام بالزيارات الفردية، والقراءة، وإلقاء الخطب في الأماكن العامة. وفي الحقيقة ان المعارضة الأهلية للنشاط التنصيري عبرت عن نفسها بأشكال مختلفة، وفي أوقات ومناسبات متعددة، ذكر المنصرون أنفسهم صورا منها. إلا أن المنصرين لم يستطيعوا التمييز بين نظرة العمانيين إليهم على أنهم أشخاص لهم حرمات أَمَر الإسلام بالحفاظ عليها، وبين نظرتهم إلى أهداف المنصرين التي لم تكن خافية على كثير من أفراد المجتمع العماني، وقد اظهروا معارضتهم لها.

وإلى جانب تلك الأسباب ذكر المنصرون أيضا موقع عمان الاستراتيجي كبوابة شرقية للجزيرة العربية، ووقوعها على مسار السفن المبحرة بين الهند وشمال الخليج العربي، وافتقار البلد إلى الخدمات التعليمية والطبية الحديثة.

لذا فقد ظلت "الإرسالية العربية" لما يقارب من ٧٧ عاما هي المحرك الرئيس للنشاط التنصيري في عمان. وقد زوّدت مركزها في مسقط بعدد من المنصرين الأمريكيين البارزين في مقدمتهم الدكتور جيمس كانتاين، والطبيب شارون تومس (Sharon J. Thoms)، وابنه ولز تومس (Wells Thoms)، والطبيبة سارة هوسمون (Sarah Hosmon)، والمنصرة فاني لتون (Fanny Lutton)، والطبيب

بول هاريسون (Paul Harrison)، والقسيس درك دكسترا (Dirk Dykstra) وزوجته ميني (Minnie)، والقسيس جي كابنجا (Jay Kapenga) وزوجته مارجوري (Marjory). وإلى جانب المنصرين الأمريكيين عمل في مركز الإرسالية في مسقط عدد من النصارى الشرقيين الذين يتحدثون اللغة العربية، وعدد آخر من المنصرين الأوربيين خاصة الهولنديين، وبعض النصارى من القارة الهندية. وقد التحق في وقت لاحق عدد من السكان المحليين للعمل لدى الإرسالية خاصة في مستشفيي الإرسالية في مسقط ومطرح مدفوعين بالحاجة الشديدة للعمل التي قلت فرصه؛ بسبب التأخر التنموي للبلد في ظل ظروف الحكم السابق.

وتنوعت الأنشطة التنصيرية التي مارسها المنصرون في عمان. فقد ركزوا كثيرا على إقامة العلاقات الفردية بأصحاب المجتمع المحلي. وكانوا يقومون بجولات تنصيرية في إطار مسقط وفي مدن المناطق الساحلية والداخلية وقراها. وقاموا بتوزيع الإنجيل وكتب الأدب النصراني الأخرى بالبيع أو الهبة. وقد أنشأوا متجرا لبيع الإنجيل في وسط السوق الرئيسة في مسقط. كما أسسوا في مسقط مطبعة مهمتها طباعة الأدب المناهض للإسلام ونشره. ووظفوا عددا من الأفراد الذين أوكلت إليهم مهمة التجول بالكتب النصرانية؛ لبيعها في مسقط وخارجها. وأولى المنصرون عناية فائقة بالتعليم. فأنشأوا مدرسة تنصيرية التحق بها إلى جانب أبناء المنصرين بعض البنين والبنات من السكان المحليين. ويأتي الطب في قمة الأنشطة التنصيرية التي مارستها الإرسالية العربية في عمان. وتوج ذلك بإنشاء مستشفيين تنصيريين الأول في مسقط والآخر في مطرح. وأعطى المنصرون أهمية خاصة للنشاط التنصيري في الوسط النسائي، تمثل في تخصيص مستشفى مسقط لخدمة النساء فقط، كما قاموا بتعليم النساء القراءة والكتابة، وإقامة جلسات أسبوعية أُطلق عليها أسم "المجلس"، وتدريب النساء والفتيات على الخياطة والتطريز.

ويدعي المنصرون أن جهودهم التنصيرية في عمان أسفرت عن تحول عدد من أفراد المجتمع المحلي من الإسلام إلى النصرانية، وإنشاء كنيسة محلية في عمان.

ويصطدم المتتبع لصحة هذا الادعاء بحقيقتين؛ الأولى أنه لا وجود لهؤلاء المتنصرين في المجتمع العماني الآن، والثانية هي خلو كتب المنصرين وتقاريرهم من ذكر أية إحصائيات أو أسماء لمن يدعون أنهم تنصروا. ويشير المنصرون إلى أن الأشخاص الذين تنصروا عادوا إلى حظيرة الإسلام بعد عام ١٣٩٠هـ/١٩٧٠م، وانقطعت الصلة بهم نهائيا في ١٤٠٤هـ/١٩٨٤م. وهذا في حد ذاته يثير تساؤلا عن حقيقة تحول من يدعي المنصرون تحولهم.

ويفسر المنصرون سبب فشلهم في تنصير المجتمع العماني بقسوة قلوب العمانيين، وما أحاطهم به الإسلام من أفكار وأحكام تحول بينهم وبين اختيار التحول إلى النصرانية؛ وما يلاقيه المتحولون من اضطهاد من قبل المجتمع. ولا يخفى ما في هذه التفسيرات من إلقاء اللوم كاملا على الإسلام والمسلمين بدون أن يحمّل المنصرون أنفسهم أو ديانتهم جزءا من المسؤولية في فشلهم. وفي ذلك أيضا تناقض بيِّن لما يصف به المنصرون ابناء المجتمع العماني من صفات الطيبة والكرم والتسامح.

وفي حقيقة الأمر أن المجتمع العماني قد أعطى المنصرين فرصة كافية ليتعرفوا عن كثب على مدى فشل ديانتهم- النصرانية- في تقديم نفسها كدين عالمي. وليبرهن لهم من خلال التسامح ورحابة الصدر وسعة البال، نبل الإسلام وعلو هدفه، ورقي مقاصده، ومدى ثباته في قلوب أهله. إلا أن المنصرين الذين جاءوا إلى المنطقة بقلوب مليئة بالحقد الشديد على الإسلام والمسلمين، الذي عبر عنه الدكتور المنصر صامويل زويمر في كتاباته الكثيرة والمتعددة، والذين يتعاملون مع الأمور بعقلية الرجل الأبيض المتخلفة الذي يرى في سلالته وثقافته تفوقا قطعيا على كل شيء مخالف له في العالم، لم يملكوا الشجاعة الروحية للنقد الذاتي، والاعتراف بالنقص الذي تعاني منه معتقداتهم الخاطئة في ذات الله- سبحانه وتعالى-، وفي المسيح عيسى بن مريم- عليه السلام-، وفي رسول الله محمد- صلى الله عليه وآله وسلم.

وعلى كل حال، انتهى الدور التنصيري للإرسالية العربية في عمان بمنع التنصير العلني الذي حمله نص الرسالة التي وجهها صاحب الجلالة السلطان قابوس المعظم بتاريخ ١٥ أغسطس ١٩٧٠م إلى مركز الإرسالية في مسقط. وتبع ذلك نقل اختياري لمستشفيات الإرسالية إلى الملكية الحكومية وإدارتها. الأمر الذي دفع المسؤولين على الإرسالية العربية إلى حلها نهائيا في ١٣٩٣هـ/١٩٧٣م.

وقد فتح عام ١٣٩٠هـ/١٩٧٠م صفحة أخرى في نوع العلاقة بين عمان الدولة الإسلامية وأتباع الديانة النصرانية، وذلك بدخول عمان حقبة تاريخية جديدة انفتحت فيها على العالم، ووَضَعَتْ خلالها خططا تنموية تتطلب أيدي وخبرات وافدة، وبرزت كدولة قادرة على صياغة سياستها بالطريقة التي تتماشى مع مصالحها. وهكذا تكونت في عمان جالية نصرانية كبيرة من العمال والموظفين الأجانب. وقد أعطت عمان لتلك الجالية النصرانية الكبيرة التي تعيش على أرضها قدرا من الحرية في تبني معتقداتها، وممارسة شعائرها الدينية. لذا فقد سمح صاحب الجلالة للجالية النصرانية ببناء مجمعات كنسية في كل من روي وغلا وصلالة وصحار تخدم أتباع الفرق النصرانية الثلاث الموجودة في عمان وهي الكاثوليك والبروتستنت والأرثوذكس. والتوسع في بناء الكنائس في أماكن أخرى من عمان مرهون بزيادة عدد أفراد الجالية النصرانية التي يعمل أفرادها في القطاعين الحكومي والخاص والموجودون في كل مدينة وقرية من المدن والقرى العمانية تقريبا.

لقد انتهى الآن عصر التنصير التقليدي الذي عُرف أثناء الحقبة الاستعمارية. ويشهد الوقت الحاضر بروز نمط جديد من العلاقة بين النصرانية والإسلام تلعب فيه عوامل متعددة كالصحوة الإسلامية، والحكومات القومية، والتفوق المادي والعسكري والسياسي الغربي، وروح الشباب المسلم، والإعلام الموجه، وشعور الكنيسة الغربية بفشل أسلوبها التنصيري التقليدي، والوجود الصهيوني في فلسطين أدواراً متكاملة. وفي ضوء هذه المتغيرات قامت الكنيسة الغربية بمختلف

طوائفها بمراجعة شاملة لعلاقتها بالعالم الإسلامي نتج عنها في منتصف القرن العشرين الميلادي ظهور مصطلح "الحوار بين النصرانية والإسلام". إلا أن هذا المصطلح لم يستطع إلى الآن التبلور في صورة واضحة في مخيلة الكنيسة الغربية، ولم يستطع المسلمون من جانبهم تكوين فهم موحد له. وارتطم مصطلح الحوار في أرضية الكنيسة ذاتها بالتنصير الذي يُعده منظرو النصرانية حقا مشروعا، وواجبا مقدسا. وفي ضوء ذلك التصادم بين "الحوار" و"التنصير"، لم تستخدم الكنيسة الغربية الحوار بديلا عن التنصير، ولم تتخلَّ عن التنصير لأجل الحوار، بل أدخلت التنصير في ضمن الحوار، وأصبح الحوار مصطلحا عاما يضم في إطاره العمل التنصيري. وبعبارة أخرى، فإنه في الوقت الذي تنادي فيه الكنيسة الغربية بالحوار بين النصرانية والإسلام، احتفظت بحقها في تنصير العالم الإسلامي.

لذا فإنه توجد الآن الكثير من المؤسسات والجماعات التنصيرية الغربية التي تستهدف العالم الإسلامي بأنشطتها التنصيرية. وقد تكمن المشكلة الصعبة التي يعاني منها العالم الإسلامي في مواجهة الحملة التنصيرية المعاصرة، في أنه لا يتعامل مع جهة نصرانية واحدة كـ"الفاتيكان"، أو "مجلس الكنائس العالمي"، بل يتعامل مع فرق وجماعات وتجمعات ومؤسسات نصرانية كثيرة، بعضها رسمي وبعضها الآخر غير رسمي، ولكل منها أهدافها وأساليبها وسياساتها الخاصة. كما تشكل الجماعات النصرانية الأصولية والصهيونية التي تكنُّ عداء خاصا للمسلمين، وتريد تنصيرهم بأي شكل، وبأي ثمن تحديا عظيما للعالم الإسلامي. فمواجهة مثل هذه الجماعات المتطرفة يتطلب يقظة دائمة، ومعرفة حقيقية بنواياها وأساليبها. فهل لدينا نحن، مسلمي، هذا العصر المقدرة على الثبات على إيماننا في وجه الحملة التنصيرية المعاصرة كما ثبت أسلافنا من قبل في وجه الحملة التنصيرية التي تبناها الجنرال هيج، والاكزندر ماكاي، والأسقف الإنجليزي توماس فرنش، و"الإرسالية العربية" حتى خرج المنصرون من أرضنا يجرون ذيول

الخيبة، ويقولون "قلوب العمانيين من حجر" ويقولون "لا شيء سوى محمد والقرآن يمكن أن يرضي العربي"؟!

والخلاصة أن العلاقة بين العالم الإسلامي والنصرانية لا يتوقع لها أن تقف عند هذا الحد، بل ان العلاقة بيننا وبين الغرب ستبقى وستستمر بأشكال وأنماط متغيرة ومتجددة، حسب الظروف والأوقات. وما نحتاج إليه جميعا- الغرب والعالم الإسلامي- هو البحث عن أطر لعلاقة متزنة قائمة على مبدأ تحقيق المصالح المشتركة. وهذا الوضع يمكن أن يتحقق فقط بحوار يؤدي إلى الفهم الصحيح، والوعي المتبادل بين الجانبين. إلا إن هذا الحوار لا يمكن أن يتحقق بعقلية الدكتور صامويل زويمر، أو بعقلية قداسة البابا بولس الثاني، الذي يصر على تنصير المسلمين أو بعقلية جورج دبليو بوش (الابن) الذي أعلن حربه المقدسة- الكروسيدية- (الصليبية) على المسلمين. إننا في الشرق المسلم لا نزال ننتظر اليوم الذي يُقدم لنا فيه الغرب عقليات قادرة على إدارة حوار حضاري راق معنا. ونحن لا نشك في مقدرة الغرب على تقديم العقول المطلوبة لهذا الحوار الحضاري المرتقب. ففي الغرب كما في الشرق يوجد الكثير من التواقين لخلق علاقة غربية- إسلامية متكافئة.

المراجع

الخصوصي، بدرالدين عباس (١٩٨٨)" دراسات في تاريخ الخليج العربي الحديث والمعاصر ج "٢، الكويت، ذات السلاسل.

الخليلي، أحمد بن حمد (١٤١٣هـ) "حقيقة الإسلام"، السيب- سلطنة عمان-: مكتبة الضامري للنشر والتوزيع.

عجك، بسام داود (١٩٩٨) "الحوار الإسلامي المسيحي: المبادئ، التاريخ، الموضوعات، الأهداف"، دار قتيبة للطباعة والنشر والتوزيع، (مكان النشر غير مذكور).

غباش، حسين عبيد غانم (١٩٩٧) "عمان الديمقراطية الإسلامية، تقاليد الإمامة والتاريخ السياسي الحديث ١٥٠٠-١٩٧٠" بيروت، دار الجديد.

لوريمر، جي جي (١٩١٥) "دليل الخليج: القسم التاريخي الجزء ١"، ترجمة مكتب أمير دولة قطر.

Allison, Mary Burins (1994) "Doctor Mary in Arabia", Austin: University of Texas Press.

Barny, F. J (1900) "The Annual Meeting- Basrah", *Neglected Arabia*, Vol. 1, No. 32, pp. 8-11.

Barny, F. J. (1908a) "Where The Money Goes", *Neglected Arabia*, Vol. 2, No. 66, pp. 3-6.

Barny, Fred J. (1908b) "Bahrein Barish Letter", *Neglected Arabia*, Vol. 2. No. 67, pp. 6-8.

Bennett, Arthur (1910) "A new Beginning at Kuweit", *Neglected Arabia*, Vol. 3, No. 73, pp.12-15.

Bilkert, Henry A (1926) "Some Problems in Evangelism", *Neglected Arabia*, Vol. 5, No. 139, pp. 8-11.

Boersma, Jeanttee (1955) "Nurse Mary of Muscat", *Neglected Arabia*, Vol. 8, No. 241, pp. 11-12.

Boersma, Jeanette (1991) "Grace in the Gulf", Grand Rapids, Michigan: Eerdmans Publishing.

Bosch, David J. (1991) "Transforming mission: paradigm shifts in theology of mission", Maryknoll, N.Y. : Orbis.

Bosch, Donald and Eloise (2000) "The Doctor and the teacher", Muscat: Apex Publishing.

Bosch, Donald, "The American Mission Hospitals in Oman: 1893-1974: 81 years". لا توجد سنة النشر أو اسم الناشر.

Briks, Herbert (1895) "The life and correspondence of Thomas Valpy Vrench first bishop of Lahore", London, John Murray.

Busch, Briton Cooper (1967) "Britain and the Persian Gulf, 1894-1914", Los Angeles: University of California Press.

Calverley, Eleanor T (1913) "The Arabian Secrete Service"", *Neglected Arabia,* Vol. 3, No. 84, pp. 10-11.

Cantine, Elizabeth (1905) "A First Tour Among Women of Oman", *Neglected Arabia*, Vol, 2, No. 53, pp. 7-10.

Cantine, Elizabeth (1912) "The Story of The Annual Meeting", *Neglected Arabia*, Vol. 3, No. 81, pp. 3-5.

Cantine, James (1898 a) "Muscat", *Neglected,* Vol. 1, No. 25, pp. 4-7.

Cantine, James (1898 b) "Busrah" *Neglected Arabia*, Vol. 1, No. 26. pp. 5-8.

Cantine, James (1899 a) "Muscat", *Neglected Arabia*, Vol. 1, No. 30, pp. 3-5.

Cantine, James (1899 b) "Muscat", *Neglected Arabia*, Vol. 1, No. 31, p.6-8.

Cantine, James (1900 a) "Muscat", *Neglected Arabia*, Vol.1 , No. 32, pp. 3-6.

Cantine, James (1900 b) "Muscat" *Neglected Arabia*, Vol. 1, No. 34, pp. 3-5.

Cantine, James (1901 a) "Muscat", *Neglected Arabia*, Vol.1 , No. 37, pp. 17-18.

Cantine, James (1901 b) "Muscat", *Neglected Arabia*, Vol. 1, No. 38, pp. 10-16.

Cantine, James (1901 c) "Muscat", *Neglected Arabia*, Vol. 1, No. 39, pp. 16-18.

Cantine James (1902 a) "Bible Work in Oman", *Neglected Arabia*, Vol.2 , No. 40, pp. 10-11.2

Cantine, James (1902 b) "A Tour in Oman", *Neglected Arabia*, Vol. 2, No. 43, pp. 20-24.

Cantine, James (1903 a) "The New House at Muscat", *Neglected Arabia*, Vol.2 , No. 46, pp.13-17

Cantine, James (1903 b) "A New Year"s Appeal", *Neglected Arabia*, Vol.2 , No. 47, pp. 3-6.
Cantine, James (1904) "Fresh Impressions of Muscat", *Neglected Arabia*, Vol.2 , No. 51, pp. 7-4.
Cantine, James (1905 a) "Our Annual Meeting", *Neglected Arabia*, Vol. 2, No. 52, pp. 3-7.
Cantine, James (1905 b) "New Work in Muscat", *Neglected Arabia*, Vol.2 , No. 55, pp.11-13.2
Cantine, James (1906 a) "The boys of the Freed Slave School", *Neglected Arabia*, Vol.2 , No. 56, pp. 15-21.
Cantine, James (1906 b) "Happenings at Nachl", *Neglected Arabia*, Vol. 2, No. 59, pp. 8-11
Cantine, James (1907 a) "School Work at Muscat", *Neglected Arabia"* , Vol. 2, No. 60, pp. 11-14.
Cantine, James (1907 b) "Ibrahim A Later Day Saint In Oman- Not A Mordom", *Neglected Arabia.* Vol.2 , No. 62, pp. .3-6
Cantine, James (1908) "Notes from Muscat" *Neglected Arabia* Vol. , No. 64, pp. 6-9.
Cantine, James (1909) "A Story of Beginnings", *Neglected Arabia*, No. 71, 71, pp. 11-116.
Cantine, James (1913) "Sharon J. Thoms, M.D., An Appreciation", *Neglected Arabia*, Vol. , No. 85, pp. 3-4.
Chamberlain, W. I (1925) "Fifty Years in Foreign Fields China, Japan, India, Arabia: A History of Five Decades of the Women"s Board of Foreign Missions Reformed Church in America", New York: The Woman"s Board of Foreign Missions Reformed Church in America.
Castle, Caroline Seller (1999) "The Wynkoop Family", http://members.tripod.com.
Cobb, Henry N. (1902) "Reinforcement for Arabia", *Neglected Arabia*, Vol. , No. April-June, pp. 16-18.
Cockerill, Gareth Lee (1994) "To the Hebrews/To the Muslims: Islamic Pilgrimage as a Key to Interpretation", *Missiology: An International Review*, Vol. XXII, No. 3, pp. 346-359.
Crollius, Ary A. Roest, "The Church Look at Muslims", in Latourelle, Rene (ed) (1989) *Vatican II Assessment and Perspectives: twenty-five years after (1962-1987)*, New York: Paulist Press.

Dalenberg, Cornelia (1983) "Sharifa", Grand Rapid: Wm. B. Eerdmans Publishing Co.

Dame, Louis P. (1923) ""Arab Met at Bahrain Hospital"", *Neglected Arabia*, Vol. 4, No. 125, pp. 9-11.

Dame, Louis P. (1926) "Reopening Old Territory", *Neglected Arabia*, Vol. 5, No. 138, pp. 4-12.

Dame, Louis (1929) "The King"s Business", *Neglected Arabia*, Vol. 5, No. 148, January-March, pp. 11-23.

Deight, Henry O; Tupper, H. and Bliss, Edwin M (ed) (1904) "The Encyclopedia of Missions", New York: Funk & Wagnalls Company.

Dykstra, D. (1911) "The Second general Conference on Mission to Moslems", *Neglected Arabia*, Vol. 3, No. 77, April-June, pp. 5-9.

Dykstra, D (1935 a) ""A Study in Reinforced Concrete"", *Neglected Arabia*, Vol. 6, No. 171, April-June, pp. 3-6.

Dykstra, D (1935 b) "A Tour to Quriyat", *Neglected Arabia*, Vol. 6, No. 171, pp. 7-10.

Dykstra, D (1939) "Moonlight Evangelism", *Neglected Arabia*, Vol. 6, No. 186, pp. 5-7.

Dykstra, Mr. and Mrs. D. (1942) ""Muscat Evangelistic Work"" *Neglected Arabia*, Vol. 7, No. 197, pp. 3-5.

Dykstra, Minnie W. (1950) ""The glory of the Impossible"", *Arabia Calling*, Vol. 8, No. 219, pp. 17-20.

Dykstra, Minnie W. (1952) ""Our Muscat School", 1892-1952", *Arabia Calling*, Vol. 8, No. 229, Autumn, pp. 3-7.

Ess, John Van (1903 a) "The Annual Meeting", *Neglected Arabia*, Vol. 2, No. 44, pp. 3-6.

Ess, John Van (1903 b) "The Colporter Problem", *Neglected Arabia*, Vol. 2, No. 45, pp. 11-14.

Ess, John Van (1913) "What we are here for", *Neglected Arabia*, Vol. 3, No 86, pp. 17-19.

F. G. B (1940) "A Rescued Slave Boy"s Tribute to Dr. Cantine", *Neglected Arabia*, Vol. 7, No.189, pp. 14-15.

Glasser, Arthur F. "Conference Report" in (ed) McCurry, Don M (1979) The Gospel and Islam: A 1978 Compendium, Monrovia: MARC.

Glasser, Arthur F. "Evangelical Missions", in (ed) Philips, James and Coote, Robert T. (1993) Toward the Twenty-first

Century in Christian Mission, Grand Rapids: William B. Eerdmans Publishing Company,.

Haig, C. A. H. (1902) "Memories of the Life of General F. T. Haig", London: Marshall Brothers.

Hakken, B. D. (1936) "A new phase in mission history", *Neglected Arabia,* Vol. 6, No. 177, pp. 11-13.

Alexina (Mackay) (1891) "Alexnder Mackay, Harrison, pioneer missionary of the Church Missionary Society to Uganda. By his sister", London, Hodder and Stoughton.

Harrison, Paul. W. (1911 a) "Medical Work in Oman", *Neglected Arabia,* Vol. 3, No. 77, April-June, pp. 11-13.

Harrison, Paul W (1911 b) "The Bible in Oman", *Neglected Arabia*, Vol. 3 No. 79, October- December, pp. 3-5.

Harrison, Paul. W. M. D. (1917) "The present urgent medical situation", *Neglected Arabia*, Vol. 3, No 103, October-December, pp. 3-6.

Harrison, Paul W (1922) "The Appeal of Oman", *Neglected Arabia*, Vol. 4, No. 120, pp. 13-15.

Harrison, Paul W (1924) "The Arab at Home", New York: Thomas Y. Crowell Company Publishers.

Harrison, Paul W (1928 a) "The Challenge of Oman", *Neglected Arabia,* Vol. 5, No. 145, April-June, pp. 8-10.

Harrison, Paul W (1928 b) "The Outlook in Oman", *Neglected Arabia,* Vol. 5, No. 147, October-December, pp. 3-6.

Harrison, Paul W (1933) "Finding Faith in Matrah", *Neglected Arabia,* Vol. 6, No. 165, pp. 9-12.

Harrison, Paul (1943) "Doctor In Arabia", London: Robert Hale Limited.

Hastings, Adrian (1968) "A concise Guide to the Documents of the Second Vatican Council" Vol. 1, London: Darton, Longman and Todd.

Hastings, Adrian (1969) "A concise Guide to the Documents of the Second Vatican Council" Vol. 2, London: Darton, Longman and Todd.

Hogg, W. Richie "The Role of American Protestantism in World Mission" in Beaver, R. Pierce (ed.) (1977) *American Mission in Bicentennial Perspective*, Calif: William Carey Library.

Hosmon, Sarah (1916) "The Girls and Women of Arabia as I have seen them", *Neglected Arabia*, Vol. 3, No 98. pp. 3-6.

Hosmon, Sarah L. (1921) "In the date gardens at Sibe" *Neglected Arabia*, Vol. 4, No. 116, January-March, pp. 7-9.

Hosmon, Sarah L. (1923 a) "The women doctor in Oman", Neglected *Arabia*, Vol. 4, No. 125, April-July, pp. 14-15.

Hosmon, Sarah L. (1923 b) "Retrenchment in Arabia", *Neglected Arabia*, Vol. 4, No. 127, October-December, pp. 14-15.

Joder, Jason J. (1994) "The Trinity and Christian Witness to Muslims", *Missiology: An International Review*, Vol. XXII, No. 3, pp. 339- 346.

Joyce, Miriam (1995) "The Sultanate of Oman: a twentieth Century History", Westport: Praeger.

Hoyer, Olaf (1914) "The Danish Mission", *Neglected Arabia*, Vol. 3, No. 91, pp. 20-21.

Kellien, Charlotte (1954) "A Year in the Arabian Mission, Annual Report 1952-3", *Arabia Calling*, Vol. 8, No.235.

Kelly, J. B. (1980) "Arabia, the Gulf and the West", London: Weidenfeld and Nicolson.

Keyes, Lawrence E. (1983) "The Last Age of Missions a study of third world missionary societies", Pasadena: William Carey Library.

Landen, Robert Geran (1967) "Oman Since 1856: Disruptive Modernization in a Traditional Arab Society", Princeton, Princeton University Press.

Lorimer, J. G (1915) "Gazetteer of the Persian Gulf, Oman, and Central Arabia", Calcutta: Superintendent Government .Printing Vol. 1, Part 1A

Lutton, Fanny (1911) "A Day"s Picnic with Arab ladies of Muscat", *Neglected Arabia*, Vol. 3, No. 76, pp. 5-6.

Marshall, Michael (1990) "The Gospel Connection: A study in Evangelism for the Nineties", London: Darton, Longman and Todd.

Mason, Alfred De Witt (1926) "History of the Arabian Mission", New York: The Board of Foreign Missions, Reformed Church in America.

Meeking, Basil and Stott, John (1986) "The Evangelical Roman Catholic Dialogue on Mission 1977-1984", Grand Rapids: Eerdmans publishing company.

Moerdyk, James E. (1901) "On The Oman Coast", *Neglecting Arabia*, Vol. 1, No. 39, pp.3-6.

Moerdyk, James (1904 a) "Work at Muscat", *Neglected Arabia*, Vol. 2, No. 48, , pp. 9.

Moerdyk, J. E. (1904 b) "Peculiarities of the Oman Field", *Neglected Arabia*, Vol. 2 No. 49, pp. 4-8.

Moerdyk, James (1913) "The General Work and its Financial Needs", *Neglected Arabia,* Vol. 3 No. 87, pp. 6-9.

Mylrea, C. Stanley (1908) "A Month In Oman", *Neglected Arabia,* Vol. 2, No. 67, pp. 3-6.

Mylerea, C. Stanley G. (1913) "Dr. Sharon J. Thom", *Neglected Arabia,* Vol. 3m No. 84, pp. 3-5.

Mylrea, C. Stanley (1917) "The Present Need", *Neglected Arabia*, Vol. 3, No. 103, pp. 9-12.

Mylrea, G (1943) "Muscat-Matrah and Oman, Then and Now", *Neglected Arabia*, Vol. 7, No. 200, January-June, pp. 3-10.

Oddie, G. A. (1979) "Social protest in India: British Protestant missionaries and social reforms, 1850-1900", New Delhi: Manohar

OTT, Heinrich, "Ecumenical Context", in Fahlbusch, Erwin & others (eds.) (1999) *The encyclopedia of Christianity*, Grand Rapids: Mich.

Palgrave, W. G (1865) "Narrative of a year Journey through central and eastern Arabia (1862-63) ", London: Macmillan and .Co

Peterson, John E. (1978) "Oman in the Twentieth Century: Political Foundations of an Emerging State", London: Croom Helm.

Pennings, G. J. (1912) "Touring in Oman", *Neglected Arabia*, Vol. 3, No. 81, pp. 12-14.

Peursem, G. D. Van (1918) "Muscat in Winter", *Neglected Arabia,* Vol. 4, No. 105, April-June, pp. 11-13.

Peursem, G. Van (1920) "Peace in Oman", Neglected Arabia, Vol. 4, No. 115, pp. 12-13.

Peursem, Van (1926) "A Trip in Oman", *Neglected Arabia*, Vol. 5, No. 139, pp. 12-15.

Peursem, Van (1928) "The Hakim and the Padre", *Neglected Arabia*, Vol. 5, No. 147, October-December, pp. 12-15.

Peursem, Van (1931) "Faithful Unto Death", *Neglected Arabia*, Vol. 6, No. 157, pp. 7-8.

Peursem, Van (1932) "He went about Doing good", *Neglected Arabia*, Vol. 6, No. 162, pp. 10-11.

Phillips, Wendell (1967) "Oman, a History", London: Longmans.

Piper, John (1988) "TENTMAKERS IN MINNEAPOLIS" .www.soundofgrace.com/piper88/pipe0029.htm

Pope-Levison, Priscilla (1991) "Evangelism in the World Council of Churches, part one: from New Delhi to Vancouver", *International Review of Mission*, Vol. LXXX, No. 318, pp. 231-243.

Pope-Levison, Priscilla (1998) "Evangelism in the World Council of Churches, part three: the first decade", *International Review of Mission*, Vol. LXXXVII, No. 344, pp. 95-112.

Potter, F. M. (1940) "Dr. James Cantine", *Neglected Arabia*, No. 188, pp. 3-6.

Risso, Patricia (1986) "Oman & Muscat an Early Modern History", London: Croom Helm.

Sargent, John (1844) "A memoir of the Rev. Henry Martyn", London: Seeley, Burnside and Seeley.

Scudder, Lewis R. (1998) "The Arabian Mission"s Story: In the search of Abraham"s other son", Grand Rabpids: Wm. B. Eerdmans Publishing co.

Schlorff, Samuel P. (1993) "Muslim Ideology and Christian Apologetics", *Missiology: An International Review*, Vol. XXI, No. 2, pp. 173- 185.

Searle, J. Preston (1906) "John Gulian Lansing", *Neglected Arabia,* Vol. 2, No. 59, pp. 13-15.

Siddiqui, Ataullah (1997) "Christian-Muslim dialogue in the twentieth century", Basingstoke: Macmillan.

Siewert, John A. and Kenyon, John A. (1993) "Mission Handbook: A Guide to USA/Canada Christian Missions Overseas", Monrovia: MSRC.

Skeet, Ian (1975) "Oman Before 1970: the end of an era", London: Faber and Faber.

Skinner, R (1995) "Christians in Oman", Surrey: Tower Press.

Stephen Neill, Gerald H. Anderson and John Goodwin (1970) "Concise dictionary of the Christian world mission", London: United Society for Christian Literature.

Stock, Eugene (1899) "The history of the Church Missionary Society : its environment, its men and its work", London : Church Missionary Society.

Stone, George (1899) "Muscat", *Neglected Arabia*, Vol. 1, No. 29, pp. 5-7.

Storm, W. H. (1932) "Fear", *Neglected Arabia*, Vol. No. 163, October-December, pp. 3-6.

Storm, W. H. (1933 a) "A Tour to Dhufar", *Neglected Arabia*, Vol. 6, No. 165, pp. 3-7.

Storm, W. H. (1933 b) "A Tour to Dhufar " *Neglected Arabia*, Vol. 6, No. 166, pp. 4-8.

"Whither Arabia?: a survey of .Storm, W. Harold (1938) missionary opportunity", New York: World Dominion Press.

Thoms, Ethel S (1954-55) "October 15 in Matrah", *Arabia Calling*, Vol. 8, No. 238, pp. 9-13.

Thoms, Marion Wells (1903) "The Need for Women workers Among the Woman of Arabia"", *Neglected Arabia*, Vol. 2, No. 36, pp. 18-21.

Thoms, Sharon. (1906) ""A Trip to the Pirate Coast"", *Neglected Arabia*, Vol. 2, No. 59, pp. 3-5.

Thoms, Sharon J (1909) ""New Fields"", *Neglected Arabia,* Vol. 2, No. 70, pp.10-13.

Thomas, Saharon J. (1910) ""News from Mattrah"" *Neglected Arabia.* Vol. 3, No 72, p. 5.

Thoms, Sharon J. (1912) ""The People of Muttrah", *Neglected Arabia,* Vol.3, No.82, pp. 6-7.

Thomas, W. Wells (1941) "Over the Green Mountains to Oman", *Neglected Arabia*, Vol. 7, No. 191, pp.3-6.

Thomas, W. Wells (1943) ""Our Doctor in Oman"", *Neglected Arabia*, Vol. 7, No. 201, pp.10-13.

Thoms, W. Wells (1944) "Touring Deluxe", *Neglected Arabia*, Vol. 7, No. 204, pp. 6-8.

Thomas, W. Wells (1951) ""The Substance of Things Hoped for"", *Neglected Arabia*, Vol. 8, No. 225, pp. 3-6.

Veldhuis, Ruudr, "Dialogue"" in Fahlbursch, Erwin & others (eds) *The Encyclopedia of Christianity*, Grand Rapids, Michigan: Publishing Company Brill.

Warden, Frances "Historical Sketch of the Rise and Progress of the Government of Muscat: Commencing with the Year 1694-95 and Continued to the Year 1819" in (ed) Thomas, Hughes (1985) *Arabian Gulf Intelligence: Selections from the Records of the Bombay Government*, New York, The Oleander Press.

Webster, Warren W. "A Selected Bibliography for Christian Muslim Workers", in McCurry, Don M (ed) (1979) *The Gospel and Islam: A 1978 Compendium*, Califorina: MARC.

Wiersum, H. J. (1900) ""Muscat"", *Neglected Arabia*, Vol. 1, No. 34, pp. 7-11.

Wilberforce, Samuel (ed) (1855) ""Letters of the Rev. Henry Martyn"", London: Seeley, Burnside and Seeley.

Wilkinson, John C. (1987) "The Imamate Tradition of Oman", Cambridge, Cambridge University Press.

Wilson, J. Christy (1952) "Apostle to Islam; a biography of Samuel M. Zwemer", Grand Rapids: Baker Book House.

Woodberry, J. Dudley (2000) ""Missiological Issues in the Encounter with Emerging Islam, *Missiology: An International Review*, Vol. XXIII, No. 1, pp. 19- 34.

Zwemer, Amy and Samuel (1926) "Moslem Women", West Medford: Mass, The Central Committee on the United Study of Foreign Mission.

Zwemer, Peter (1893) "The Outlook at Muscat" *Neglected Arabia*, Vol. 1, No. 7, pp 7-8.

Zwemer, Peter J (1894 a) "Report for Muscat Station", *Neglected Arabia*, Vol. 1, No. 8, pp. 7-10.

Zwemer, Peter (1894 b) ""Report for Muscat Station"", *Neglected Arabia,* Vol. 1, No. 11, pp. 8-9.

Zwemer, Peter (1895 a) "Report for Muscat Station" "*Neglected Arabia*, Vol. 1, No. 14, pp. 8-9.

Zwemer, Peter (1895 b) ""Muscat"", *Neglected Arabia*, Vol. 1, No. 14, pp. 8-9.

Zwemer, Peter (1895 c) "Report of Muscat station", *Neglected Arabia*, Vol. 1, No. 15, pp. 7-8.

Zwemer, Peter (1896 a) "Muscat", *Neglected Arabia,* Vol. 1, No. 17, pp. 8-10.

Zwemer, Peter (1896 b) ""Muscat"", *Neglected Arabia*, Vol. 1, No. 18, pp. 7-12.

Zwemer, Peter (1896 c) "Muscat", *"Neglected Arabia",* Vol. 1, No. 19, p. 8.
Zwemer, Peter, (1897 a) ""Muscat", *Neglected Arabia*, Vol. 1, No. 20, pp. 3-8.
Zwemer, Peter (1897 b) ""Muscat"", *Neglected Arabia*, Vol. 1, No. 21, pp. 11-12.
Zwemer, Peter (1897 c) "Muscat" *Neglected Arabia,* Vol. 1, No. 23, pp. 9-11.
Zwemer, Samuel (1898 a) "Peter John Zwemer", *Neglected Arabia*, Vol. 1, No. 26, pp. 3-5.
Zwemer, Samuel (1898 b) ""Letter from Rev, S.M. Zwemer"", *Neglected Arabia,* Vol. 1, No. 26, pp. 5- 7.
Zwemer, Samuel (1900) (a) "Arabia the Cradle of Islam", Edinburgh: Oliphant Anderson and Frerrier.
Zwemer, Samuel (1900) (b) ""Bahrain"", *Neglected Arabia*, Vol. 1, No, 33, pp. 3-7.
Zwemer, M. Samuel (1902) "Three Journey in Oman", *Geographical Journal,* vol. XIX pp. 54-64.
Zwemer, Samuel (1904) "The Spiritual Poverty of Islam", *Neglected Arabia*, Vol. 2, No. 41, pp. 3-5.
Zwemer, Samuel (1907) "Neglected Arabia", *Neglected Arabia*, Vol. 60, No. 61, pp.15-16.
Zwemer, Samuel (1909) "Our Unfinished Task"", *Neglected Arabia* Vol. 2, No. 68, pp.15-19.
Zwemer, Samuel (1912) "The Moslem Christ: an essay on the life, character, and teachings of Jesus Christ according to the Koran and Orthodox tradition", Edinburgh: Oliphant Anderson and Ferrier.
Zwemer, Samuel (1914) ""What Christ Will Do for Arabia"", *Neglected Arabia*, Vol. 3, No. 91, p. 21-24.
Zwemer, Samuel (1921) ""The Hinterland of Muscat"", *Neglected Arabia*, Vol. 3, No. 116, pp. 15-19.
Zwemer, Samuel. (1924) "The Law of Apostasy", *The Moslem World*, vol. 14/4, pp.373-391.
Zwemer, Samuel (1927 a) "The Tree of Love"", *The Moslem World*, vol. 17/3, pp. 221-225.
Zwemer, Samuel (1927 b) ""Islam in South Eastern Europe", *The Moslem World,* vol. 17/4, pp. 331-358.
Zwemer, Samuel (1931) ""Is Arabia still Neglected?"", *Arabia Calling*, Vol. 6, No. 157, pp. 3-6.

Zwemer, Samuel M. (1932) "Snouck Hurgronje"s Mekka", *The Moslem World*, vol. 22/3, pp. 219-226.
Zwemer, Samuel (1933 a) ""The Pulpit in Islam"", *The Moslem World*, vol. 23/3, pp. 217-229.
Zwemer, Samuel (1933 b) "Thinking Missions with Christ", London: Marshall, Morgan and Scott.
Zwemer, Samuel (1933 c) ""The Palladium of Islam" *The Moslem World*, vol. 23/2, pp. 109-116.
Zwemer, Samuel (1934 a) "The Fourth Religion of China", *The Moslem World*, Vol. 24/1, pp. 1-12.
Zwemer, Samuel (1934 b) "The Finality of Jesus Christ", *The Moslem World*, vol. 24/2, pp.109-114.
Zwemer, Samuel (1936 a) "Our Evangel and Islam", *The Moslem World*, Vol. 26/2m pp. 109-112.
Zwemer, Samuel (1936 b) "Surat Al-Ikhlas", *Th Moslem World*, vol. 26/4, pp. 325-328.
Zwemer, Samuel (1938 a) ""With All Boldness", *The Moslem World*, vol. 28/2 pp. 109-113.
Zwemer, Samuel (1938 b) ""Islam a Sevenfold Problem"", *The Moslem World*, vol. 28/3, pp.217-222.
Zwemer, Samuel (1939) "Broadcasting Our Message", *The Moslem World*, vol.29/3, pp.217-220.
Zwemer, Samuel (1940) "The Cross above the Crescent, the validity, necessity and urgency of missions to Moslems", Michigan: Zondervan Publishing House.
Zwemer, Samuel (1941) ""The Dynamic of Evangelism", *The Moslem World*, vol. 31/2, pp.109-115.
Zwemer, Samuel.(1943) "Ingram"s Peace in Hadhramaut", *The Moslem World*, vol. 33/2, pp. 79-85.
Zwemer, Samuel (1944 a) ""The Clergy and Priesthood of .Islam", *The Moslem World*, vol. 34/1, pp.17-39
Zwemer, Samuel (1944 b) "Green The Sacred Color of Islam", *The Moslem World*, Vol. 34/2, pp. 150-152.
Zwemer, Samuel (1944 c) ""The Difficulty of the Obvious"", *The Moslem World*, vol. 34/4, pp. 235-240.
Zwemer, Samuel M. (1945 a) ""The Doctrine of The Trinity"", *The Moslem World*, vol. 35/1, pp.1-5.
Zwemer, Samuel M. (1945 b) ""Good Friday: 19456" *The Moslem World*, vol. 35/2, pp.79-82.

Zwemer, Samuel (1946) ""The Allah of Islam and the God Revealed in Jesus Christ"", *The Moslem World*, Vol. 35/4, PP. 306-318.

Zwemer, Samuel (1947 a) "Al Haramain: Mecca and Medina", *The Moslem World*, vol. 37/1, pp.7-15.

Zwemer, Samuel (1947 b) "Looking Backward and Forward .from the Bridge", *The Moslem World*, vol. 37/3, pp. 173-176

Zwemer, Samuel ( ) ""Return to the Old Qibla"", The Moslem World", pp. 13-19.

Zwemer, Samuel (1950) ""Is Arabia still Neglected?"", *Arabia Calling*, Vol. 8, No. 219, pp. 3-4.

Zwemer, Samuel and Amy E. (1911) "Zigzag Journeys in the Camel Country", New York: Fleming H. Revell Company.

Zwemer, Samuel and Zwemer, Margaret C (1941) "The Rose and Islam"", *The Moslem World*, vol.31/4, pp. 360-370.

Annual Report of the Arabian Mission for 1914, *Neglected Arabia (*1915), Vol. 1, No. 93, pp.9-20.

Annual report of the Arabian Mission for 1925, *Neglected Arabia,* (1926), Vol. 5, No. 137, pp.

Annual Report of the Arabian Mission for 1928, *Neglected ..Arabia,* Vol. 5, No. 144, pp.5-

Annual Report of the Arabian Mission for 1929, *Neglected Arabia,* Vol. 5, No. 148, pp. 9-23.

Annual Report of the Arabian Mission, *Neglected Arabia*, (1930), Vol. 5, No. 152, pp. 3-16.

Annual Report of the Arabian Mission for 1929-1930, *Neglected Arabia*, (1931), Vol. 5, No. 156, January-March , pp. 3-....

Annual Report of the Arabian Mission for 1930-1931, in *Neglected Arabia*, Vol. 6, No. 161, pp.3-23.

Annual Report of the Arabian Mission for the year 1932, ..*Neglected Arabia,* Vol. 6, No. 164, pp. 4-

Annual Report of the Arabian Mission for 1933, *Neglected Arabia*, (1934), Vol. 6, No. 168, pp....

Annual Report of the Arabian Mission for 1934, *Neglected ..Arabia,* (1935), Vol. 6, No. 170, pp

Annual Report of the Arabian Mission for 1935, *Neglected Arabia*, (1936), Vol. 6, No. 174, pp..

Annual Report of the Arabian Mission for 1936, *Neglected Arabia*, (1937), Vol. 6, No. 178, pp.6-18.

Annual report of the Arabian Mission for 1937, *Neglected Arabia,* (1938), Vol. 6, No. 181, pp. 13-..

Annual Report of the Arabian Mission for 1939", *Neglected Arabia*, (1940), Vol. 7, No. 188, pp. 3-7.

Annual Report of the Arabian Mission for 1940, *Neglected Arabia*, (1941), Vol. 7. No. 192, pp..

Annual Report of the Arabian Mission for 1940, *Neglected Arabia,* Vol. 7, No.202, pp..

Annual Report of the Arabian Mission for 1941, *Neglected Arabia*, (1942), Vol. 7, No. 196, pp. 6-13.

Annual Report of the Arabian Mission for 1942, *Neglected Arabia* (1943), No.199, pp..

Annual report of the Arabian Mission for 1943, *Neglected Arabia,* (1944), Vol. 7, No. 202, pp. 3- 19.

Annual Report of the Arabian Mission for 1944, *Neglected Arabia*, (1945), Vol. 7, No. 205, pp. 3- 18.

Annual Report of the Arabian Mission for 1945, *Neglected Arabia*, (1946), Vol. 7, No. 209, pp. 3- 18

Annual report of the Arabian Mission for 1947, *Neglected Arabia* (1948), Vol. 7. No. 214, pp. 4- 18.

Annual report of the Arabian Mission for 1948, *Arabia Calling*, Vol.8. No. 216, pp. 3- 17.

Annual report of the Arabian Mission for 1949, *Arabia Calling*, Vol.8. No. 219, pp. 5-20.

Annual Report of the Arabian Mission, *Arabia Calling*, (1952, Spring), Vol. 8, No 227, pp. 3- 18.

Annual Report of the Arabian Mission for 1952-3, *Arabia Calling*, (1954), Vol. 8, No. 235, pp. 3- 18.

Annual Report of the Arabian Mission, Spring 1955, *Arabia Calling*, Vol. 8, No. 239, pp. 13-21.

Annual Report of the Arabian Mission, Winter 1955-6, *Arabia Calling*, Vol. 8, No. 242. pp. 3-16.

Annual Report of the Arabian Mission for Spring 1956-7, *Arabia Calling*, Vol. 8, No. 245. Pp. 3-15.

Annual Report Number, *Arabia Calling* (1958), Vol. 8, No. 246.pp. 3- 15.

Annual Report of the Arabian Mission, *Arabia Calling,* (1959) Vol. 8, No, 247, pp. 3- 14.

Annual Report of the Arabian Mission, *Arabia Calling,* (1960), Vol. 8, No, 248, pp.2- 18.

Annual Report of the Arabian Mission, *Arabia Calling,* (1961), Vol. 8, No, 249, pp. 3-12.

Annual Report of the Arabian Mission, *Arabia Calling,* (1962), Vol. 8. No, 250, pp. 3-18.

The Arabian Mission, Trustees" Meeting, *Neglected Arabia*, (1908), Vol. 2. No. 67, p. 12.

The Arabian Mission Trustees" Meeting, *Neglected Arabia*, (1909) Vol. 2, No. 69, pp.15-16.

The Cairo Conference Report, *Neglected Arabia*, (1906), Vol. 2, No. 57, pp. 3-10.

One more year"s work for Jesus, *Neglected Arabia*, (1928), Vol. 5, No. 144, pp.

"American Mission 1893-1993", Ruwi- Oman, Apex Publishing 1994.

Holy Spirit Catholic Church Ghala: 10th Anniversaary Celebaration & Ghala Gala Fun Fair, Holy Spritit Chatholic Church, Ghala.

"البابا يلتقي مع الهندوس الغاضبين من حملات التبشير ١٩٩٩/١١/٨م"

www.bbc.uk/arabic

www.biblesociety.org, "World Report December 1998, No. 336, United Bible Society",

www.bbcmpls.org/index.html "Bethlehem Baptist church"

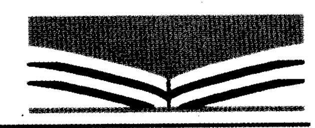
http://www.persecution.org/humanrights/oman.html "Christian Persecution in Oman"

http://www.ad200.org/index.htm " AD 2000 and Beyond Movement"

www.state.gov, "U. S. Department of State Annual Report on International Religious Freedm for 1999: Oman".

THE EVANGLICAL MISSIONS TO OMAN
AND THE CONTEMPORARILY CHRISTIANITY-ISLAM RELATIONSHIP

هذا الكتاب محاولة متواضعة لدراسة نشاط المؤسسات التنصيرية الغربية في عمان منذ وصول القسيس الإنجليزي هنري مارتن مسقط في ١٢٢٦هـ/ ١٨١١م حتى نهاية الدور التنصيري الذي قامت به ما عرفت باسم ـ الإرسالية العربية ـ الأمريكية المنشأ- التي اتخذت عمان ميدانا لنشاطها ابتداء من ١٣١١هـ/ ١٨٩٣م إلى ١٣٩٠هـ/ ١٩٧٠م. ويحاول الكتاب كذلك أن يربط ماضي نشاط المؤسسات التنصيرية بفكرها المعاصر من خلال مناقشة مفهوم الحوار بين النصرانية والإسلام كنموذج جديد في إطار العلاقة بين العالمين النصراني والإسلامي، وعلاقة ذلك بالمفهوم المعاصر للتنصير كما سبكته عقول منظري الكنائس الغربية وقادتها. والكتاب، لذلك، وصفي في بعض جوانبه، يكتفي بسرد الأحداث التاريخية، وتحليلي/ تفسيري في بعض الجوانب الأخرى، يحلل الوقائع ويقدم تفسير للأحداث والنتائج.



DAR ALHIKMA
Publishing and Distribution

88 Chalton Street, London NW1 1HJ Tel: 44 (0) 20 7383 4037 Fax: 44 (0) 20 7383 0116
Email: al_hikma_uk@yahoo.co.uk
Web site: www.hikma.co.uk